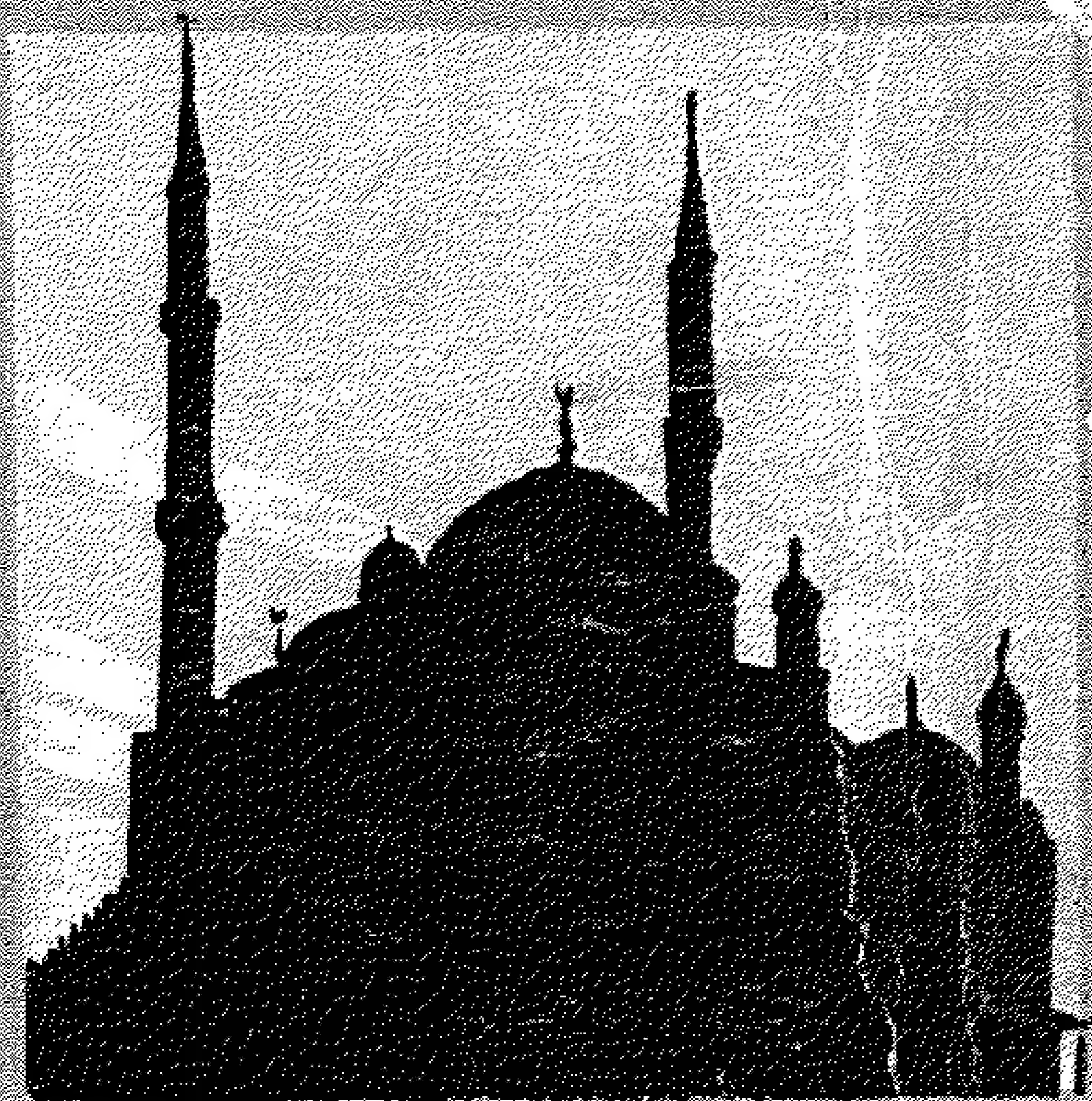


شجاعتہ عیسیٰ ابراہیم



مک

الکفر

دار الحلال



إلف كتاب (١٨٤)

المشاهدة

تاريخها ، نشأتها ، امتدادها وتطورها ، منذ تاريخها
البعيد حتى الوقت الحاضر ، والدول التي عاصرتها ،
والأحداث التي سايرتها ، والحياة الاجتماعية
والاقتصادية والعلمية والفنية في كل دور من ادوار حياتها

تأليف

سحابة عيسى ابراهيم

المفتش بوزارة التربية والتعليم
وأستاذ الفنون الإسلامية بالثقافة الأثرية العليا

دار الهلال

سورة الكافرون

مقدمة

دراسة تاريخ القاهرة وتطورها ، ودراسة النواحي الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والفنية بها ، هي في الواقع دراسة تاريخ مصر في العصور الاسلامية المختلفة ، منذ الفتح العربي ، حتى وقتنا الحالى . وهى دراسة لا يكفيها مثل هذا الكتاب بصفحاته القليلة الحاضرة ، وانما لابد لها من موسوعة يكون لها من الصفحات أضعاف هذا الكتاب ، يتوفر عليها بالدرس والبحث جمهرة من الباحثين

ولكن كان من الضرورى مع ذلك أن يكون للقاهرة كتاب ، تتركز فيه هذه الدراسة ، بقدر الاستطاعة ، لتغنى القارئ عن البحث فى شتى المصادر . فاذا ما استهواه جانب منها ، وأغراه ذلك على الاستزادة ، رجع الى الأصول والمصادر الأصلية . وهذا هو أحد الأهداف التى قصدت اليها ولقد طرق هذا الباب فى اللغة العربية قبلى كاتبان فاضلان ، كتبوا عن القاهرة ، أحدهما البكباشى عبد الرحمن زكى ، والثانى المهندس فؤاد فرج . وقد كتب الأول كتابه منذ اثنين وعشرين عاما ، والثانى منذ هذا الوقت تقريبا . وبذا يكون قد تقادم العهد بعض الشئ على الكتائين ، ولم يدركا بطبيعة الحال التطور الحديث الذى طرأ على القاهرة . هذا فضلا عن أن لكل منهما منهجه الذى يختلف عن منهج الكتاب الحالى . ومع ذلك فقد كان لهما فضل سبق ، والفضل كما يقولون للمتقدم

وكتبت عن القاهرة فى اللغات الأجنبية كتب قليلة ، أو وردت عنها اشارات فى كتب الرحالة الا فرنج ، غير أن هؤلاء الكتاب لم يكونوا دائما صادقى التعبير عن القاهرة ، فلأغلبهم أهداف خاصة من كتاباتهم ، ونواح معينة تستهويهم ، عندما يكتبون عن القاهرة ، أو عن مصر والمصريين ،

ليست صادقة تماما . هذا فضلا عن عدم احاطتهم بالمصادر الأصلية ، وجعل أكثرهم باللغة العربية وآدابها

غير أن للمستشرق الانجليزى ستانلى لينپول كتابا عن القاهرة هو The Story of Cairo كتبه عام ١٩٠٠ م ، أى أنه مضى على ظهوره قرابة ستين عاما ، وكان يعتبر من أحسن ما كتب عن القاهرة الى ذلك الحين . وقد نقل الى اللغة العربية عام ١٩٥٠ بعنوان (سيرة القاهرة) . كذلك ظهر عام ١٩٣٣ كتاب بالفرنسية عن القاهرة للأستاذ M.Clergé عالـج النواحي الاقتصادية للقاهرة بافاضة واسهاب

لذلك كتبت كتاب القاهرة الحالى ، وعالجت فيه تطورها التاريخى حتى وقتنا الحاضر . ولهذا كان ضروريا أن أمهد للكلام عن القاهرة بذكر الحواضر التى سبقتها منذ الفتح العربى ، وهى القسـطاط والعسكر والقطائع ، ثم أتابع تطورها ونموها فى العهود اللاحقة بعد انشائها . وعالجت فى كل مرحلة من هذه المراحل النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفنية . وبهذا اقسم الكتاب الى تسعة أبواب هى :

- ١ - القسـطاط ، ٢ - العسكر ، ٣ - القطائع ، ٤ - القاهرة المعزية ، ٥ - القاهرة صلاح الدين ، ٦ - القاهرة المماليك ، ٧ - القاهرة فى عهد العثمانيين ، ٨ - القاهرة فى القرن التاسع عشر ، ٩ - القاهرة فى عهد الثورة

ثم اختتمت البحث بفصل عن القاهرة الغد ، أبنت فيه عن عيوب القاهرة والتخطيط المقترح لها . وقد قسمت كل باب الى فصول ، تعالج تطور المدينة ، وتشرح نواحيها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفنية كما ذكرت آنفا

وهدف آخر حفزنى الى تأليف هذا الكتاب ، ذلك هو رغبتى فى أن يتسع أفق النظر ودائرة التفكير عند شبابنا ، الذين يقتصرون عند درسمهم

تاريخ مصر الاسلامية على الأحداث التاريخية ، دون التوغل قليلا في درس النواحي الاقتصادية والثقافية والفنية ، أو الامام بصفة خاصة بما خلفه الأقدمون من آثار وتحف . وقلّما يعنى هذا الشباب بزيارة للمتحف الاسلامى ، القائم بين ظهرانينا ، فى قلب القاهرة ، لاستجلاء مفاتن الفن الاسلامى ، وتتبع أدوار تقدمه ورقيه . ونادرا ما يكلف نفسه عناء البحث عن منشئ هذا المسجد أو ذاك ، والعصر الذى شيد فيه ، ومكانه من الطرز الاسلامية المختلفة ، والدور الذى أداه فى عصره والعصور التالية فى النواحي الدينية والثقافية والاجتماعية . كما انه لا يعنى كثيرا أو قليلا بالبحث فى أحياء القاهرة الحالية ، وأسواقها ، وشوارعها ، وحاراتها ، وكيف تطورت ، والعادات الحالية ، ومتى نشأت ، وكيف تسلت الى عصرنا الراهن

ومن الغريب أن يعنى بكثير من هذه الأمور السائحون والرحالة الذين يتوافدون على القاهرة ، ولا يعيرها التفاتا شابنا وكثير من المثقفين منا فلعل هذا الكتاب ، مع قصوره عن توضيح هذه النواحي كل الايضاح ، يغرى الشباب على البحث والقراءة والملاحظة وتقصى الحقائق ، والكشف عن آثار السلف الصالح ، واظهار جهود العاملين ، من آباءنا الأقدمين ، فى شتى نواحي الحياة

وفضلا عن المتعة التى أرجو أن يشعر بها الشباب حينئذ ، فلا مشاحة فى أن هذه هى سبيل المواطن المستنير ، الذى يجب أن يلم بكل ما يتصل ببلاده ، ويعرف لها قدرها ومكانها فى نشر الحضارة والمدنية قديما ، بين أمم العالم ، عندما لم تكن حضارة سوى الحضارة الاسلامية ، بينما كانت أوروبا تتخبط فى ظلمات الجهل ، وتضرب فى بيداء الهمجية.

ولست أطمع فى أن تصادف جميع فصول هذا الكتاب قبولا لدى جميع القراء ، ولكنى أعتقد أن ما من قارئ الا وسيجد ناحية فيه تستهويه ،

ومع ذلك فالمقدمات التاريخية ، التي يتقدم بها المؤلف لكل موضوع ، يتألف منها تاريخ مركز لمصر ، منذ الفتح العربى حتى الوقت الحاضر ، يهم القارىء المتعجل . كذلك تطور القاهرة فى عصورها المختلفة ، وتتبع الأحياء والشوارع الجديدة . وما تخلل ذلك من معلومات طريفة ، كلها نواح يحتاج الى معرفتها والالمام بها سكان القاهرة بصفة خاصة ، والمواطنون أجمعون بصفة عامة

وأخيرا ، لقد شجع كثير من الزملاء المؤلف على المضى فى مجهوده المتواضع الحاضر ، الشاق فى نفس الوقت . ولولا هذا التشجيع ، لما قدر له الظهور الى عالم الوجود ، والوصول الى أيدي القراء ، لكثرة الأعباء الملقاة على عاتقه ، التي تتطلبها وظيفته ، وعمله فى التفتيش ، متنقلا عاما بعد آخر ، من اقليم الى اقليم ، ومن بلد الى بلد

ويرى المؤلف لزاما عليه أن يقر بفضل هؤلاء الزملاء ، والسادة العلماء ، الذين نقل عنهم ، واستقى من معينهم ، وأفاد من علمهم ، وترى أسماءهم مسطورة فى ثبت المصادر المسجلة فى نهاية الكتاب وفى حواشيه ، وهو يرجو للأحياء منهم طول العمر ، وموفور القوة ، ليتابعوا جهودهم فى أداء رسالتهم ، نحو العلم والمعرفة ، وللذين قضوا ، رحمة من الله ورضوانا

غير أنى أود أن أخص بالشكر وعرفان الجميل السيد الأستاذ حسن عبد الوهاب ، كبير مفتشى الآثار الاسلامية ، لبذله كثيرا من العون لى ، طواعية وعن طيب خاطر ، وتفضله بمراجعة كثير من فصول هذا الكتاب ، وامدادى بملاحظاته الثمينة ، وبكثير من الصور من مجموعته القيمة الحافلة ، والزميل الدكتور عبد الرحمن زكى الذى تفضل بالاطلاع على أصول الكتاب وكانت له ملاحظات قيمة أفدت منها كثيرا ، والزميل الأستاذ عبد العزيز عبد الحق المدير المساعد بإدارة الثقافة لتطوعه لقراءة الكتاب ، فراءة أخيرة ، وافادتني من علمه العزيز ورأيه السديد

كما أشكر للسيدتين الأستاذة صادق فرج فريج المدرس بمدرسة القرية
الإعدادية لتفضله برسم بعض خرائط الكتاب ، والأستاذة محمد إبراهيم
سيد أحمد المدرس الأول بمدارس المعلمين العامة لتفضله بامدادى ببعض
الصور التي وردت في الكتاب ، ومعاونته معاونة مشكورة في عمل الكشف
المستور في نهاية الكتاب

والله أرجو ، واليه ابتهل أن يكلا الكنانة برعايته ، والجمهورية العربية
المتحدة بعين عنايته ، وأن يوفق القائمين على أمرها من نصر الى نصر ومن
خير الى خير ، فيعظم شأنها ، وتثبت دعائمها ، ويمتد ظلها ويعلو في السماء
غرسها ، ويرتفع رأسها عاليا بين أمم الأرض ، انه سميع مجيب

شحاته عيسى إبراهيم

تمهيد

نشأة القاهرة وتطورها

تتألف القاهرة الحالية من أربع مدن قديمة ، كانت كل واحدة منها عاصمة حقبة من الزمان ، وتعاقت في الظهور ، الواحدة تلو الأخرى ، وتمثل كل منها طورا في حياة العهد الاسلامي بمصر ، والنظم السياسية ، والحياة الاجتماعية والاقتصادية بها . هذه المدن هي على الترتيب : الفسطاط ، والعسكر ، والقطائع ، والقاهرة المعزية . والمشاهد أنها جميعا تقع فيما بين شاطئ النيل الشرقى وتلال المقطم . وكان طبيعيا أن تلى الواحدة الأخرى ناحية الشمال ، أو بعبارة أخرى أن يكون نمو القاهرة وامتدادها من الجنوب الى الشمال ، ما دامت تلال المقطم تقف حائلا دون نموها ناحية الشرق ، والنيل من ناحية الغرب . هذا اذا استثنينا الأرض التي كان النيل يطرحها على شاطئه الشرقى ، بعد أن يتحول ناحية الغرب ، اذ المعروف أن النيل كان يحف بجدران جامع عمرو وقت انشائه ، ولكنه ابتعد عنه اليوم مسافة تزيد على خمسمائة متر

فالفسطاط أول حاضرة لمصر الاسلامية ، وأقدم الحواضر الاسلامية بمصر جميعا . أنشأها عمرو بن العاص عقب فتحه لمصر سنة ٢٠ هـ (٦٤١م) . وظلت مركز السيادة طوال عصر الخلفاء الراشدين ، والدولة الأموية . فلما أفل نجم الأمويين ، ودالت دولتهم ، وقامت على أنقاضها دولة بنى العباس ، أنشأ أبو عون عبد الملك بن يزيد ، والى مصر من قبل الخليفة أبي العباس عبدالله السفاح ، أول الخلفاء العباسيين مدينة العسكر سنة ١٣٣ هـ (٧٥١م) واتخذها قسبة لولايته

ولما آل حكم مصر الى الأمير أحمد بن طولون ، أنشأ له عاصمة جديدة

سنة ٢٥٦ هـ (٨٧٠ م) ، هي مدينة القطائع ، وظلت كذلك طوال عصر الطولونيين والاختشيديين

فلما غزا الفاطميون مصر ، كان أول ما قام به جوهر الصقلي ، قائد المعز لدين الله الفاطمي ، بعد أن امتلك زمام مصر ، وأخضعها لنفوذ الفاطميين ، أن أنشأ عاصمة جديدة سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) . تلك هي القاهرة المعزية ، التي انتقلت اليها حاضرة ملك الفاطميين ، ومركز سيادتهم من شمالي افريقية . وانتشر في الخافقين صيتها ، وذاعت شهرتها ، حتى فاقت بغداد وقرطبة ، وصارت في وقت من الأوقات عاصمة العالم الاسلامي بأسره ، ومركز تلاقي شعوبه ، ومبعث النشاط والثقافة والعلوم الاسلامية فلما قضى صلاح الدين الأيوبي على الدولة الفاطمية ، وأنشأ دولته الأيوبية ، شرع يجمع العواصم الأربع سنة ٥٧٢ هـ (١١٧٦ م) في صعيد واحد ، ليتخذ منها عاصمة موحدة ، تتفق وجلال امبراطوريته ، وعظمة ملكه . ولهذا الغرض ، ولكي تكون قادرة على رد هجوم الأعداء ، والصمود أمام غارات المغيرين ، أخذ يحيطها بسور عظيم . ولكنه توفي قبل اتمامه ، فأتمه خلفاؤه من بعده . ويمتد من أثر النبي ، جنوبي الفسطاط وينتهي عند قلعة المقس (١)

ظلت القاهرة منذ عهد الفاطميين حتى الوقت الحاضر عاصمة البلاد ، وحاضرة الملك ، ومركز السيادة فيها ، ولم يقتصر تخطيطها على الحدود التي حددت بها وقت أن أنشأها الفاطميون ، بل ظلت تمتد شمالا وغربا مسافات طويلة ، ولم يقف النيل عقبة في سبيل امتدادها غربا ، بل انها تزداد مساحة ، عاما بعد عام ، ويتوالى زحفها باستمرار ، حتى تلاقت بحدود مديرتي الجيزة والقليوبية ، وذلك بفضل ما أنشئ على النيل من

(١) يحدد مكانها المرحوم العلامة محمد (بك) رمزي بعمارتى الاوقاف وراتب (باشا) المجاورتين لجامع اولاد عنان ، من الجهة البحرية الشرقية بميدان باب الحديد - حاليا ميدان وميسى - (حاشية رقم ٤ ص ٢٩ ج ٤ من كتاب النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى)

قناطر (كبارى) ربطت بين شاطئى النيل ، وجعلت امتداد القاهرة ناحية الغرب أمرا ميسورا وضروريا ، لمقابلة الزيادة المطردة فى عدد السكان هذه نظرة عابرة ، تصور تاريخ القاهرة ، وأدوار تطورها ، والآن تناول ما أجملنا بالشرح والتفصيل

الباب الأول

الفسطاط

- ١ -

لما أتم عمرو بن العاص فتح مصر سنة ٢٠ هـ (٦٤١ م) (١) ، وأجلى الروم عن الاسكندرية ، آخر معقل لهم بمصر ، وانقشع كل أمل لهم (٢) في مزاحمة العرب على امتلاكها ، عندئذ انصرف القائد العربى الى تنظيم البلاد تنظيما يتفق ومقتضيات العهد الجديد ، الذى تستقبله البلاد ، ألا وهو العهد الاسلامى المبارك . فكان فى مقدمة ما عنى به من الأمور تخير مكان يربط فيه جيشه ، وليكون مقرا لحكم البلاد ، بعد أن نهى الخليفة عمر بن الخطاب عن المقام بالاسكندرية ، حاضرة الروم فى مصر (٣)

اختيار موقع الفسطاط :

والواقع أن الاسكندرية وإن اتفقت مع حكم الروم لمصر ، فلم تكن لتتفق بحال من الأحوال مع حكم العرب : فوقوعها فى أقصى شمال مصر ، جعلها أقرب الى روما أو بيزنطة (القسطنطينية) من أى بلد مصرى آخر . ولكنها أبعد من أى بلد من البلاد المصرية ، بالنسبة الى المدينة المنورة ، قصبة الدولة العربية ، التى صارت مصر لها تبعا . يضاف الى ذلك أنها فى موضع يشق على الجنود العربية أن تشخص منه الى أطراف القطر ، اذا ما دعا الى ذلك داع سريع . كذلك الأمر بالنسبة للوالى ، فإنه يصعب

(١) بتلر : فتح العرب لمصر ، تعريب الاستاذ محمد فريد أبى حديد ، ص ٢٨٩
(٢) الواقع أن الروم لما تبدد أملهم تماما فى استعادة مصر ، حاولوا ذلك فى عهد عبد الله بن سعد بن أبى سرح فى موقعة ذات الصواري التى حدثت بالقرب من الساحل الجنوبى لاسيا الصفرى ، والتمنوا فيها بالهزيمة سنة ٣٤ هـ (٦٥٥ م)
(٣) كتب عمر بن الخطاب الى سعد بن أبى وقاص ، وهو نازل بمدائن كسرى ، والى عامله بالبصرة ، والى عمرو بن العاص وهو نازل بالاسكندرية : « ألا تجعلوا بينى وبينكم ماء ، متى لودت أن اركب اليكم راحلتى حتى اقدم عليكم قدمت » ، فتحول سعد من مدائن كسرى الى الكوفة ، وتحول صاحب البصرة من المكان الذى كان فيه فنزل بالبصرة ، وتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية الى الفسطاط - (المقربرى : الخطط ، الجزء الثانى ص ٧٦)

عليه أن يشمل البلاد جميعها بعين ساهرة ، من مكان قصي كالاسكندرية
جال عمرو ببصره في أنحاء البلاد ، فوق اختياره على السهل الذي يلي
ببليون الحصن الرومانى الشهير ، من ناحية الشمال ، والذي يحده جبل
المقطم من شرقيه ، ويقع النيل فى غربيه ، وهو الذى كان يعسكر فيه
بجنوده ، ابّان فتح الحصن . وقد كانت تقوم تجاه هذا الموضع ، فى
الضفة المقابلة للنيل ، مدينة منف القديمة ، فصار النيل يربط العاصمة
القديمة بالعاصمة الحديثة ، وان فرقت بينهما القرون والأجيال

وقد أطلق على ذلك المكان اسم الفسطاط ، وهو الذى صار نواة
العاصمة الجديدة . وقبل أن نمضى فى تحديد موضع الفسطاط ، ووصف
خططها ودورها ، والحياة بها ، يجدر بنا أن نعرض لهذه التسمية ومنشأها ،
وما أحاط بها من آراء

تسمية الفسطاط :

يروى المؤرخون العرب فى سبب تسمية الفسطاط بهذا الاسم قصة
ملخصها أن عمرا لما أراد التوجه لفتح الاسكندرية ، أمر بنزع فسطاطه
— أغنى خيمته — فاذا فيه يمامة قد فرخت . فقال عمرو : « لقد تحسّر
منا بمتحسّر » فأمر به فأقبر كما هو ، وأوصى صاحب القصر به . فلما
قتل المسلمون من الاسكندرية ، قالوا : « أين نزل؟ » قالوا : « الفسطاط »
يعنون فسطاط عمرو ، الذى خلّقه بمصر ، مضروبا لأجل اليمامة ، فغلب
عليه ذلك (١)

ولكن مؤرخى الفرنجة ، ومن نحا نحوهم ، ينكرون هذه القصة ،
ويرون أنها من نسج الخيال ، ويشكون فى تأويل كلمة الفسطاط بالخيمة (٢).
ومبعث ذلك عندهم انهم يرتابون فى أن العرب استخدموا الخيام فى حروبهم
فى ذلك الوقت (٣) ويرجعون كلمة الفسطاط الى اللفظ اليونانى (فساطم)

(١) النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ، ج ١ ص ٦٤ . والخطط للمقريزى ، ج ٢ ص ٧٥
(٢) بتلر : فتح العرب لمصر ، تعريب الاستاذ محمد فريد أبى حديد ص ٢٩٤
(٣) المصدر السابق : هامش ٢ ص ٢٩٥

المشتق من اللفظ اللاتيني Fossatum، والذي يطلقه الرومان على معسكراتهم الحربية (١)، أو المدن الحصينة، وقد سمعه العرب من الروم عند فتح الشام، أو عند حصارهم لحصن بابلين

ورفض قصة اليمامة لمجرد شك من جانب مؤرخى الفرنجة هو تعسف لا يبيحه منطق. بل ان الذى يؤيده التاريخ عكس ما يذهب اليه هؤلاء. فتليل من المعرفة بحياة البدو وعاداتهم لا تترك شكاً في أن العرب اتخذوا الخيام مساكن لهم، وبيوتا يأوون اليها في الصحراء. وتلك ميزة تميز بها سكان البادية عن سكان الحضر « والله جعل لكم من بيوتكم سكناً، وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم، ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً الى حين »

واذا كانوا قد أفادوا من الخيام في وقت السلم، فأحر بهم أن يفيدوا منها في حروبهم، لاسيما اذا كانوا يحاربون في قطر غير قطرهم، وبلادهم غرباء عن أهلها، وليس لهم ما يأوون اليه فيها سوى ما يحملون من خيام. ولا شك أن عمرا كان يتخذ لنفسه واحدة منها، هي التي أفرخت اليمامة فيها

وهناك مع ذلك أدلة تاريخية تثبت أن العرب استخدموا الخيام في حروبهم، قبل فتحهم مصر، فقد جاء في السيرة الحلبية في الكلام عن غزوة الطائف ما تنقله بحروفه « وكان معه صلى الله عليه وسلم من نسائه أم سلمة، وزينب، رضى الله تعالى عنهما، فضرب لهما قبتين، وكان يصلى بين القبتين الصلاة مقصورة، مدة حصار الطائف، وكانت ثمانية عشر يوما ودخل صلى الله عليه وسلم خيمة أم سلمة، وعندها أخوها عبد الله... الخ » (٢)

فالشك في أن العرب استخدموا الخيام في حروبهم، وقت فتحهم مصر، مردود، ولا محل له، وليس ثمة شك في أنه كان لعمر وفسطاط أو خيمة،

(١) مصر في فجر الاسلام لسيدة اسماعيل كاشف ص ٢٤٤

(٢) السيرة الحلبية - الجزء الثالث ص ١٣٣

يقيم فيها في أثناء حصار العرب لحصن بابلين ، وبذلك يسقط اعتراض مؤرخي الفرنجة على قصة اليمامة ، وهي لاشك صحيحة ، ولا يضيرها أن كلمة فسطاط تعنى أيضا « مجتمع الناس » أو « المدينة الحصينة » وأن العرب سمعوا هذه المعاني عند فتحهم الشام ، أو عند حصارهم لحصن بابلين ، وأن بعض الحروف في كلمة Fossatum تتفق وحروف كلمة فسطاط ، فليس ذلك يمنع من أن تكون قصة اليمامة صحيحة

- ٢ -

والآن نمضى الى تحديد موقع العاصمة الجديدة ، وذكر كلمة عن خططها ، ومبانيها ، واتساع رقعتها ، وذبوع شأنها . وليس من شك في أنه من الصعوبة بمكان أن يحاول المرء رسم حدود دقيقة لمدينة انقضى على انشائها نيف وثلاثمائة وألف سنة مثل مدينة الفسطاط لسبيين رئيسيين :

أولا : ان هذه المدينة لم تظل على حالها الأول حين خططت في عهد عمرو بن العاص ، فلم يكن عمرو يبغي منها سوى أن تكون مقرا لعسكره ، ومقاما لقواده وأعوانه . ولم يدر أنه يضع أساس عاصمة جديدة للبلاد ، ما لبثت أن صارت مقر الحكومة ، ومبعث النشاط الاقتصادي في القطر كله ، ومركزا هاما من مراكز الحياة العلمية والفنية في العالم الاسلامي بأسره . فأخذ هذا المعسكر بطبيعة موقعه الجغرافي يمتد شمالا ، اذ كان الجبل يحول دون امتداده شرقا ، كما يحول النيل كذلك دون امتداده غربا

ثانيا : اندثار كثير من المعالم التي يمكن الاستدلال بها على تحديد موقعها . فالروايات التاريخية التي تحدد موقع مدينة الفسطاط ، وفي مقدمتها رواية المقرئى ، إنما تحدد موقعها بعد انشائها بقرون عدة ، تزيد على ستة قرون ، وبعد أن وصلت الى أوج عزها ، ثم توالى عليها صروف الزمان ونوائبه . ومع بعد الشقة بين عصر المقرئى والعصر الذى بنيت فيه المدينة ، فقد كانت روايته في تحديد موقع الفسطاط وما زالت أساسا

جميع من حاولوا الكشف عن آثارها ، وفي مقدمة هؤلاء المرحوم على بهجت سنة ١٩١٤ م (١)

ويقول المقرئى : « ان مدينة مصر محدودة بحدود أربعة ، فحدها الشرقى اليوم — أى سنة ٨٢٠ هـ (١٤١٧ م) — من قلعة الجبل ، وأنت آخذ الى باب القرافة ، فتمر من داخل السور الفاصل بين القرافة ومصر الى كوم الجارج ، وتمر من كوم الجارج وتجعل كيما من مصر كلها عن يمينك حتى تنتهى الى الرصد ، حيث أول بركة الحبش (٢) تحت الرصد ، حيث انتهى الحد الشرقى ، فهذا عرض مصر من جهة الجنوب التى يسميها أهل مصر الجهة القبلىة . وحدها البحرى من قناطر السباع حيث ابتداء الحد الغربى الى قلعة الجبل ، حيث ابتداء الحد الشرقى ، فهذا عرض مصر من جهة الشمال ، التى تعرف بمصر بالجهة البحرىة . وما بين هذه الجهات الأربع يطلق عليه الآن مصر »

وقد انتهى المرحوم على (بك) بهجت (٣) بعد تطبيقه رواية المقرئى السابقة على بقايا الفسطاط ، ومقارنة المباني التى وجدت فى وسطها بتلك التى وجدت فى أطرافها ، الى تحديد الفسطاط على النحو الآتى :

الحد الشمالى : ويقع بين كوم الجارج وقنطرة السد

الحد القبلى : ويمتد ما بين الرصد (٤) — وكان قائما على ذروة الشرف المطل على بركة الحبش — وشاطئ النيل غربا

الحد الغربى : الشاطئ الأيمن للنيل ، وهذا الحد كان يتنقل على تتابع السنين مع تنقل الجسر نحو الغرب

الحد الشرقى : وكان يمتد فيما وراء الحد الذى عينه المقرئى ، أى الى حدود القرافة الحالية ، ويسير جنوبا حتى الرصد

(١) انظر كتاب حفائر الفسطاط للمرحوم على (بك) بهجت
(٢) موضع هذه البركة اليوم منطقة الاراضى الزراعىة التابعة لزمام قرية دير الطين وزمام قرية البساتين
(٣) انظر « حفائر الفسطاط » ص ٢٥ — ٢٧
(٤) الرصد مكان رصد الكواكب والنجوم على المرتفع المطل على بركة الحبش الذى أمر بتشيدده الافضل شاهنشاه بن بدر الجمالى

ولقد استمرت الفسطاط عاصمة للديار المصرية ودارا للامارة ، ينزل بها أمراء مصر ، حتى بنيت العسكر، بظاهر الفسطاط سنة ١٣٣ هـ (٧٥١ م) ، فنزل فيها أمراء مصر وسكنوها. فلما شيد أحمد بن طولون مدينة القطائع، سنة ٢٥٦ هـ (٨٧٠ م) وأقام فيها ، سكنها أمراء مصر أيضا ، وظلوا يسكنونها الى أن انقرضت دولة بنى طولون ، فعادوا الى العسكر، وأقاموا بها الى أن قدم الى مصر جوهر الصقلى ، قائد المعز لدين الله الفاطمى ، وشيد القاهرة . غير أن الرعية استمرت تسكن الفسطاط ، التى بلغت من وفرة العمارة وكثرة السكان ما جعلها من أكبر المدن العالمية اذ ذاك

حريق الفسطاط :

وما زالت الفسطاط فى نمو وازدهار حتى قدم الى مصر أمورى ملك الصليبيين ، ونزل بجنوده على بركة الحبش ، يريد الاستيلاء على الفسطاط والقاهرة ، فأمر شاور بن مجير السعدى وزير العاضد الفاطمى الناس باخلاء الفسطاط ، واللحاق بالقاهرة . فارتحلوا عنها وساروا بأسرهم الى القاهرة ، حاملين معهم ما خف حمله ، وغلا ثمنه « وبلغ كراء الدابة من مصر الى القاهرة بضعة عشر دينارا ، وكراء الجمل الى ثلاثين دينارا ، ونزلوا بالقاهرة فى المساجد والحمامات والأزقة وعلى الطرقات » (١)

وأمر شاور باحراق الفسطاط سنة ٥٦٤ هـ (١١٦٨ م) ، وأرسل لذلك « عشرين ألف قارورة نפט ، وعشرة آلاف مشعل نار ، فرق ذلك فيها ، فارتفع لهب النار ودخان الحريق الى السماء ، فصار منظرا مهولا ، واستمرت النار تأتى على مساكن مصر لتمام أربعة وخمسين يوما » (٢)

فلما رحل أمورى عن البلاد أخذ الناس يعودون الى الفسطاط ، ويصلحون ما تلف من أبنيتها شيئا فشيئا . ولكن ذلك كان قاصرا على القسم الغربى من الفسطاط ، فيما بين جامع عمرو وشاطيء النيل . أما القسم الشرقى منها فظل خرابا حتى يومنا هذا ، وفى ذلك يقول المقرئى :

(١) الخطط للمقرئى ، ج ٢ ص ١٤٣

(٢) المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٤٣

« ولم تزل الفسطاط في نقص وخراب الى أيامنا هذه » أي حتى القرن الخامس عشر الميلادي

تخطيط الفسطاط (١) :

وبعد أن وضع عمرو بن العاص أساس جامع سنة ٢١ هـ (٦٤١-٦٤٢ م) ، وكل الى أربعة من قواده تخطيط الأرض حول الجامع الى خطط ، وانزال كل قبيلة بخطتها ، وهم (٢) : معاوية بن حديج التجيبي ، وشريك بن سُمي الغطيفي ، وعمرو بن قحزم الخولاني ، وحيويل بن ناشرة المعافري . فأخذت كل قبيلة في بناء مساكنها ، وكانت بسيطة في عمارتها وتخطيطها ، تتكون كل منها من طابق واحد . وكان لكل قبيلة مسجدتها الذي تقام فيه الصلوات الخمس . أما جامع عمرو ، فهو المسجد الجامع الذي تقام فيه الصلوات الجامعة ، وهي صلاة الجمعة ، وصلاة العيدين . كما كان يجتمع فيه الوالي بعماله وقواده للنظر في شئون البلاد ، ويفصل في المظالم التي ترفع اليه ، ويخطب الناس كلما اقتضى الأمر . وكان يجلس فيه القضاة للقضاء ، بعد أن فصلت وظيفة القضاء عن الوالي . ويحضر فيه الناس دروسا في الدين والحديث والفقه عن أعلام المسلمين والمتفقيين في الدين ، لتبصير الناس بأمر دينهم ودنياهم

ومن تلك الخطط خطة مهرة ، وخطة تجيب ، وخطط لحم وجذام وخطة بنى بحر وهم قوم من الأزدي ، وخطة ثقيف وخطة غافق وخطة حضرموت ، وخطة يَحْصَب ، وخطة المعافر ، وخطة سبأ ، وخطة بنى وائل وخطة القَبْض ، وخطة مَذْحِج ، وخطة بنى غُطَيْف وبنى وعُلان وخطة بَكْلِي ، وخطة خَوْلَان ، وخطة الصدف ، وخطة غَنْب ، وخطة سلامان ، وخطة

(١) تقول بعض المصادر ، ومن بينها ابن تغري بردي ، أن عمرا وضع أساس الفسطاط أولا ثم أخذ في بناء الجامع بعد ذلك . وتقول مصادر أخرى عكس هذا . ولكن مادام لا يوجد ما يرجح رواية على أخرى ، فالمعقول أن يكون أول ما بدأ به عمرو هو بناء الجامع ، إذ هو أول ما يعنى به المسلمون : لاقامة الصلاة ، ولاجتماع رؤساء الجيش وامرائه ، لتدبير شئون البلاد ، وإدارة امورها

(٢) النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٦٥

السُّلَف ، وخطه رُعَيْن ، وخطه الكلاع ، وخطه نافع ، وخطه مراء ، وخطط الحمراوات والفارسيين (١) وأغلب أصحاب تلك الخطط من عرب الجنوب أو اليمنية . أما عرب الشمال أو قيس فكانوا أقلية ضئيلة . وإنما تكاثروا في عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥ هـ) ، حيث انتقلت الى مصر بطون كثيرة منها . ولكنهم لم ينزلوا الفسطاط وإنما نزلوا الحوف الشرقي

وقد عرف من بين تلك الخطط خطة أهل الراية ، وهم جماعة من قریش والأنصار وخزاعة ، وتمتد من جامع عمرو جنوباً حتى قصر الشمع ، وخطه مهرة ، وتقع الى الجنوب الشرقي من خطة أهل الراية ، كما كان لها خطة أخرى على جبل يشكر ، وخطه تجيب ، وتقع الى الجنوب الشرقي من مهرة ، وخطط لحم وهي ثلاث ، أهمها تلك التي تقع في الشمال الشرقي من جامع عمرو . وخطه اللقيف ، وكانت تلاصق خطة أهل الراية . وخطه وعلان في جنوبى قصر الشمع . وقد أفرد لغير العرب ، وهم الذين لقبوا بالحمراء خطط ثلاث ، تمتد من جامع عمرو حتى جبل يشكر ، الذى سكنته إحدى هذه القبائل ، ولذا سمى باسمها ، وهذه الخطط الثلاث هي الحمراء العليا والحمراء الوسطى وتقعان داخل حدود الفسطاط ، والحمراء الدنيا أو القصوى ، وتقع خارج حدود الفسطاط الأصلية ، من ناحية الشمال ولعله من المفيد أن نشير هنا الى أن لفظ خُط ، الذى ظل مستعملاً الى عهد قريب ، هو نفس لفظ خِطَّة ، الذى استعمل وقت الفتح وما تلاه ، ولكن بعد ضم أوله وحذف التاء من آخره . فقد كان يقال خُط المغربلين ، وخط السيدة نفيسة ، وخط الحسينية وهكذا

تراجع التيل :

ولا يتبادر الى الذهن أن شاطئ النيل الحالى من جهة الشرق هو نفسه الذى كان موجوداً وقت انشاء مدينة الفسطاط . فالشاطئ الحالى يبعد

(١) خطط المقرئى ، ج ٢ ص ٧٦ - ٨٠

عن الشاطئ القديم بنحو خمسمائة متر ، انتقلها الشاطئ القديم نحو الغرب (١) . وهذه ظاهرة جغرافية تمتاز بها الأنهار في مجاريها الدنيا ، اذ يضعف التيار هنا ، فينحدر في الجانب الغربى ، ويبقى في الجانب الشرقى ، بما يجلبه معه من رواسب وطمى ، وبهذا الشكل تزداد مساحة الأرض فيما جاور الساحل الشرقى ، بينما يتسع المجرى في الساحل الغربى . وهذا ما حدث بالفعل للنيل في المنطقة الممتدة حاليا من ساحل أثر النبى بمصر القديمة حتى روض الفرج . فقد روت المصادر التاريخية أن حصن بابليون وقت الفتح ، وجامع عمرو ، كانا يشرفان على النيل . كذلك قرية أم دين ، التى كانت تقع فى مكان جامع أولاد عنان الحالى ، كانت هى الأخرى تشرف على النيل . وأن المقوقس ، عندما شرع يفاوض عمرو بن العاص فى شروط التسليم ، خرج من باب الحصن الغربى ، الذى كان يعرف بباب الحديد - وكان مشرفا على النيل - وركب زورقا عبر به النيل الى جزيرة الروضة على الضفة الغربية . وهذا الباب الذى يوجد اليوم فى كنيسة المعلقة ، يبعد عن النيل حاليا بنحو خمسمائة متر ، كما يبعد جامع عمرو عن النيل بنفس المسافة

مدينة مصر :

ومن هنا يظهر أن المنطقة ما بين جامع عمرو وسيالة الروضة قد استحدثت منذ الفتح العربى لمصر (٢) . وأن الفسطاط الأصلية تقع شرقى خط يمتد من جامع عمرو الى قصر الشمع ، الذى تعرف بقاياها اليوم بالكنيسة المعلقة ، وقد شمل هذا الاسم أيضا المنطقة المستجدة ، الواقعة غربى هذا

(١) انظر مقال الجغرافية التاريخية لمدينة القاهرة للمرحوم الاستاذ محمد رمزى بمجلة العلوم ، السنة التاسعة ، المجلد الخامس ص ٦٤٨

(٢) وقد استمر تحول النيل نحو الغرب فيما جاور هذه المنطقة منذ سنة ٢٠ هـ (٦٤١٠ م) حتى قدوم الحملة الفرنسية الى مصر سنة ١٧٩٨ م ، وتختلف عن ذلك أراض جديدة أضيفت الى القاهرة ، من بينها خطط اللوق ، وبولاك ، والمنطقة الواقعة حول مستشفى قصر العينى ، ومدرسة الطب ، والسيدة زينب ، وخطة محطة مصر (ميدان رمسيس) ، وانما يصعب تحديد مراحل هذا التحول تحديدا زمنيا دقيقا ، كما يصعب تحديد وقت ظهور كل من هذه الخطط

الخط حتى سيالة الروضة . وقد ظلت هذه التسمية حتى آخر القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) . فلما استولى الخراب على القسم الشرقى ، اختفى اسم القسطنطين ، وحل محله اسم مدينة مصر ، التى تعرف اليوم باسم مصر القديمة (١)

جامع عمرو :

وجامع عمرو، ويسمى تاج الجوامع ، أو المسجد العتيق ، هو أول مسجد أنشئ فى مصر ، كانت مساحته وقت انشائه (٥٠ × ٣٠ ذراعا) أو (٢٩ × ١٧ مترا) . وأرضه يغطيها الحصى ، وكان سقفه المنخفض ، المصنوع من الجريد ، محمولا على دعائم من جذوع النخل . ولم يكن له صحن أو مئذنة أو محراب . وقد شيد له عمرو منبرا . ولكن الخليفة عمر أمره بإزالته ، قائلا له : « أما بحسبك أن تقوم قائما ، والمسلمون جلوس عند عقيبك؟ » . وكانت له ستة أبواب ، بابان فى كل جانب ، ماعدا جانب القبلة . وبلغ الضيق بالمصلين أنهم كانوا يصطفون وقت الصلاة خارج المسجد . وقد كان يحيط به من الخارج طريق عرضه سبعة أذرع فى بعض الجهات .

فأنت ترى من وصف جامع عمرو انه كان بدائيا فى تصميمه وبنائه . وان البناء الحالى يختلف عن الجامع الأسمى اختلافا تاما . فقد هدم عدة مرات ، وفى كل مرة يعاد بناؤه ، ويزاد فى مساحته ، ويعدل تخطيطه . ويضيق المقام هنا عن تتبع المراحل التى مر بها حتى وصل الى شكله الحاضر . ولكنه مما لا ريب فيه أن من أهم التعديلات تلك التى أدخلت عليه فى عهد « قسرة بن شريك » والى مصر من قبل الخليفة الأموى الوليد ابن عبد الملك سنة ٩٣ هـ (٧١٠ م) ، اذ هدمه وزاد فى مساحته ، وأنشأ فيه محرابا مجوفا « مقعرا » . ومنبرا خشبيا ، ومقصورة . وصار للجامع أربعة أبواب ، فى كل من الواجهتين الشرقية والغربية ، وثلاثة فى الواجهة البحرية . ولم يصل المسجد الى مساحته الحالية (١١٢ر٥ × ١٢٠ر٥ مترا)

(١) المقال سالف الذكر للمرحوم الاستاذ محمد رمزي

الا في سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧ م) ، في عهد عبد الله بن طاهر ، والى مصر من قِبَل الخليفة العباسي المأمون ، فقد زاد في مساحته الى الضَّعْف ، وكانت هذه الزيادة خاتمة الزيادات

وقد توالى على هذا المسجد عهود من الرعاية ، وأخرى من الإهمال : ففي عهد كان مكانا لاجتماع الباعة ، ولعب الأطفال والمهرجين . وفي آخر أزيّن ، واستكمل زخرفه ، وحفل بالمصلين وطلاب العلم ، مما استحق معه أن يسمى بتاج الجوامع

وقد زار ناصر خسرو ، الرحالة الفارسي مصر من سنة ٤٣٧ هـ الى سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٥ - ١٠٤٧ م) في عصر الخليفة المستنصر الفاطمي ، وشاهد جامع عمرو . ومما ذكره في وصفه « أنه قائم على أربعمائة عمود من الرخام ، والجدار الذي عليه المحراب مغطى كله بألواح الرخام الأبيض التي كتبت عليها آيات من القرآن بخط جميل . وتحيط بالمسجد الأسواق من جهاته الأربع ، وعليها تفتح أبوابه » (١) وقال أيضا : « وكان يوقد في ليالى المواسم أكثر من سبعمائة قنديل ، ويفرش بعشر طبقات من الحصر الملون ، بعضها فوق بعض . ويضاء كل ليلة بأكثر من مائة قنديل . وهو مكان اجتماع سكان المدينة الكبيرة . ولا يقل من فيه في أى وقت عن خمسة آلاف من طلاب العلم والغرباء ، والكتاب الذين يحررون الصكوك والعقود وغيرها » (٢)

وفي سنة ٥٦٤ هـ (١١٦٨ - ١١٦٩ م) لحق بجامع عمرو من جراء حريق الفسطاط أضرار بالغة . فلما آل ملك مصر الى صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٨ هـ (١١٧٢ م) رَمَّم الجامع ، وجدد بعض أجزائه ، وأعاد بياضه وفي سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٢ - ١٣٠٣ م) حدث زلزال أضر بكثير من مباني القاهرة ، فتشقت جدران جامع عمرو ، وانفصلت أعمدته بعضها عن بعض .

(١) و (٢) سفرنامه لناصر خسرو علوى ، تعريب الدكتور يحيى الخشاب ص ٥٩

فعهد الناصر محمد بن قلاوون الى الأمير سلار ، نائب السلطنة فى تعمير الجامع تعميرا شاملا . ومن آثار هذه العمارة الشباييك الجصية بالواجهة الغربية ، والمحراب الجصى الخارجى فى هذه الواجهة ، الحافل بالزخارف والكتابات النسخية

وفى سنة ١٢١٢ هـ (١٧٩٧ م) أمر مراد بك ، والى مصر باصلاح المسجد، اذ كانت أعمدته قد مالت وأواوينه قد سقطت. غير أنه غير اتجاه عقود الأروقة ، فجعلها عمودية على جدار القبلة ، وبذلك سدت الشباييك . والمئذنتان الباقيتان الى اليوم هما من آثار عمارته ، التى تمت فى أواخر شهر رمضان من هذه السنة ، فصلى فيه آخر جمعة من ذلك الشهر ، فدرج ولاية مصر منذ ذلك التاريخ ، الى عهد قريب ، على صلاة الجمعة الأخيرة من شهر رمضان فى هذا الجامع . وقد كان هذا التقليد متبعا أيضا فى عهد الفاطميين

دار عمرو الكبرى وداره الصغرى :

وكان عمرو قد بنى لنفسه دارا شرقى المسجد عرفت باسم دار عمرو الكبرى ، وبنى عبد الله بن عمرو لنفسه دارا أخرى ، تلاصق دار أبيه من جهة الشمال ، وقد عرفت بدار عمرو الصغرى . وفى غربى هذه الدار بنى الزبير بن العوام لنفسه دارا ولكنها هدمت جميعا ودخلت فى مساحة المسجد عندما ضاعف عبد الله بن طاهر من مساحته

- ٣ -

ظلت القسطنطينية عاصمة للديار المصرية منذ نشأتها سنة ٢١ هـ (٦٤١ م) حتى سقوط الدولة الأموية ، وقيام الدولة العباسية سنة ١٣٣ هـ (٧٥٠ م). وقد نشأت القسطنطينية فى أول أمرها بسيطة التخطيط والمباني ، ولكنها ما لبثت أن ازداد عمرانها ، وكثرت دورها ، وحسنت عمارتها ، وتعددت

شوارعها وطرقاتها ، وعمرت أسواقها ، وتقدمت صناعاتها ، وحفلت
بالفقهاء والمحدثين وأهل العلم . وبالجمله فقد أصبحت مدينة عامرة ، طار
صيتها ، وطبقت الخافقين شهرتها ، واجتذبت إليها الزائرين والسائحين من
مختلف أنحاء العالم

المباني :

وكانت الدور في أول الأمر تبنى من اللبن ، ومن طبقة واحدة ، كما
هو الحال اليوم في كثير من ريف مصر . ويحكى عن خارجة بن حذافة أنه
بنى غرفة فوق داره فيها الخليفة عمر بن الخطاب عن ذلك ، وكتب الى
عمرو بن العاص يقول : « سلام ، أما بعد ، فانه بلغنى أن خارجة بن حذافة
بنى غرفة ، ولقد أراد خارجة أن يطلع على عورات جيرانه ، فاذا أتاك
كتابى هذا فاهدمها ان شاء الله والسلام » (١)

ثم أخذت عمارة الدور في التقدم بالتدريج ، متمشية مع مقتضيات
الأحوال ، وسنة التقدم والرقى ، وحاجيات السكان ، وقد دلت أعمال
التنقيب التى قام بها المرحوم على بهجت سنة ١٩١٤ م . فى حفائر الفسطاط
أن الدور « قوامها الآجر - الطوب المحروق - تتخلله لحامات ثخينة ،
ومونة متخذة من الجير والقصرمل ، أو من الجير والحمره ، وبلاط من الحجر
الجيرى ، وأنايب مصنوعة من الفخار ، وشباك من المجارير المنقورة فى
الصخر » (٢)

وتشتمل بعض هذه الدور على أفنية بوسطها فسقيات تصل إليها المياه ،
وتنصرف منها فى مجار مبلطة . وتحيط بتلك الأفنية أروقة وقاعات وغرف ،
بعضها لسكنى الحريم ، والبعض الآخر للاستقبال . كما يحددها من الجنوب
أحواض الزهور ، وتظللها من جهة الغرب الأشجار (٣)

(١) فتوح مصر لابن عبد الحكم ، ص ١٠٤

(٢) حفائر الفسطاط ، للمرحوم على بهجت ص ١٢١

(٣) المصدر السابق ، ص ٧٦

ولكن يجب أن يكون مفهوماً أن الدور التي كشفت عنها هذه الحفائر لا يمكن أن ترجع إلى عصر الفتح ، وإنما ترجع إلى عصر ازدهار الفسطاط ، وبلغها أوج عزها ، حوالي القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)

وكانت المباني تزخرف بوضع الآجر على هيئات مخصوصة ، ومن ألوان مختلفة ، فيوضع الحجر الأبيض والآجر الأحمر على هيئة تعاريج ومشبكات وكحلة اللحامات بمونة بيضاء ناصعة ، بارزة قليلاً من وجه الجدار^(١). ولقد استعيرت عن هذه الطريقة في العصرين الطولوني والفاطمي بطلاء الأبنية بالجص من الداخل والخارج . فلما استخدم الحجر بدل الآجر في أبنية القاهرة ، منذ أواخر العصر الفاطمي ، قضى بطبيعة الحال على هذه الطريقة ، وصارت الزخارف تحفر في الأحجار

وازدانت الفسطاط بكثير من الدور والقصور والبساتين ، من ذلك دار عمرو الكبرى ، ودار ابنه عبد الله ، التي عرفت بدار عمرو الصغرى ، وكانتا شرقي جامع عمرو كما أسلفنا ، ودار الزبير بن العوام ، غربي دار عبد الله بن عمرو. وشيد عبد الله بن سعد بن أبي سرح لنفسه قصراً كبيراً ، كان يعرف بقصر الجن ، لكبره وضخامته . كما أمر مروان بن الحكم ببناء الدار البيضاء التي سكنها في أثناء إقامته بمصر . كذلك أمر عبد العزيز ابن مروان ببناء الدار الذهبية سنة ٦٧ هـ (٦٨٦ - ٨٧ م) ، غربي المسجد الجامع ، وكان يطلق عليها المدينة ، لعظمها

ومعروف أن الإسلام قد حض على النظافة ، حتى أنه اعتبرها من الإيمان « النظافة من الإيمان » ، فأمر بالوضوء قبل كل صلاة خمس مرات في اليوم ، والاغتسال ، لذلك كثرت بالفسطاط الحمامات ، ويذكر المقرئ أنه كان يوجد بالفسطاط ألف ومائة وسبعون حماماً ، وكانت حمامات القاهرة في عام ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م) ثمانين حماماً فقط (٢)

(١) المصدر السابق ، ص ١٣٦
(٢) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، تأليف آدم متز وتعريب الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريده ، ج ٢ ص ١٨٦

وبلغ عدد الطبقات ، فى بعض الدور بالفسطاط ، وهى فى أوج عزها ، ثانيا ، فبدت كالمناثر ، وأسفل الدور غير مسكون . وربما سكن الدار الواحدة المائتان من الناس ، وهذا يدل على سعتها ، وعظم ارتفاعها . ويقول ناصر خسرو ، الرحالة الفارسى المشهور : « وترى مصر ، من بعيد كأنها جبل ، وبها بيوت من أربع عشرة طبقة ، وبيوت من سبع طبقات .. وبها أسواق وشوارع ، توقد فيها القناديل ، لأن ضوء الشمس لا يصل الى أرضها — لأنها مسقوفة » (١)

وكان الحمالون يحملون الماء من النيل الى المنازل فى الروايا «القرب» ، ويصعدون الدور ، كل طبقة بنصف دائق . ويحكى ناصر خسرو أنه كان بمصر والقاهرة عام ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ — ٤٩ م) اثنان وخمسون ألف حمل لحمل قرب ماء الشرب ، فى هاتين المدينتين (٢)

ومما ذكره أيضا أن ركوب الخيل كان وقفا على الجند والمتصلين بالجيش . بينما كان سائر الأهلى ينتقلون على حمير ذات سروج جميلة . وكان فى الفسطاط والقاهرة نحو خمسين ألف حمار للتأجير ، يشاهد المرء عددا كبيرا منها عند مداخل الشوارع والأسواق (٣)

الحالة الاقتصادية :

كانت الفسطاط مركزا اقتصاديا عظيما ، وسوقا تجاريا كبيرا ، بالاضافة الى أنها قصبة الحكم ، وعاصمة البلاد . ولم تفقد شهرتها كسوق تجارى عظيم حتى بعد بناء القطائع والعسكر ، بل والقاهرة أيضا . فظلت مركز الحركة التجارية والاقتصادية . ذلك لسهولة اتصالها بداخلية البلاد ، وبالعالم الخارجى أيضا

فقد كانت على اتصال وثيق بداخلية البلاد ، بواسطة النيل ، فتزد إليها

(١) سفرنامه لناصر خسرو علوى ، ترجمة الدكتور يحيى الخشاب ص ٥٨
(٢) المصدر السابق ص ٤٦ ، والحضارة الاسلامية لادم متز ، ج ٢ ص ٢٢٩
(٣) الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى ، للمرحوم زكى محمد حسن ص ٥٩

الحاصلات والسلع من كل من الوجهين القبلى والبحرى . وفى ذلك يقول ابن بطوطة الرحالة المشهور : « وان بنيل مصر من المراكب ستة وثلاثين ألفا للسلطان والرعية ، تمر صاعدة الى الصعيد ، ومنحدرة الى الاسكندرية ودمياط ، بأنواع الخيرات والمرافق » (١) . كما ذكر ناصر خسرو أنه « كان للباعة » بالقطاعى « دكاكين بمدينة مصر » (الفسطاط) على ساحل النيل، وكانت البضائع تفرغ على أبوابهم ، وكان الازدحام من الشدة بحيث كان يستحيل نقل البضائع على ظهور الدواب » (٢)

كانت الفسطاط تغص بالأسواق المليئة بمختلف السلع والمتاجر ، فقد بنى عبد العزيز بن مروان قيسارية العسل ، وقيسارية الحبال ، وقيسارية الكباش ، وقيسارية البز (المنسوجات) . وقد أسهب ناصر خسرو فى الكلام عن الفسطاط وعظمتها ، وبيوتها الشاهقة ، وجوامعها الكبيرة ، وحدائقها الغناء ، وصناعاتها الزاهرة ، ووصف الثروة فى أسواقها ، والازدحام فيها . وقال ان الحوانيت مملوءة بالسلع المختلفة ، والأقمشة الثمينة ، والذهب ، وسائر الحلى ، حتى ان المشتري لا يجد فيها محلا يجلس فيه (٣) . وكان شديد الإعجاب بسوق القناديل - بجوار جامع عمرو - فقال انه لم يعرف مثله فى أى بلد آخر ، وان التحف النادرة والثمينة كانت تحمل اليه من أصقاع العالم كله (٤) . وترجع هذه التسمية الى أن سكان هذا الحى كان لكل منهم قنديل على باب مسكنه

كذلك كانت تقع على الفسطاط السلع والمتاجر من بحر الروم (البحر المتوسط) بواسطة النيل أيضا ، ومن بحر القلزم (البحر الأحمر) بواسطة الدواب أو خليج أمير المؤمنين ، ومما كانت تشتمل عليه سلع بحر الروم

(١) رحلة ابن بطوطة ، ج ١ ص ٦٧ و ٦٩

(٢) و (٣) سفرنامه لناصر خسرو علوى ، ترجمة الدكتور يحيى الخشاب ، ص ٦٢

(٤) سفرنامه ، ص ٥٩

الجوارى والغلمان والديباج وجلود الخنز والفراء والسمور والسيوف .
ومما تشتمل عليه متاجر بحر القلزم المسك والعود والكافور والدارصيني،
وغير ذلك مما يحمل من السند والهند والصين (١)

خليج أمير المؤمنين :

وخليج أمير المؤمنين ترعة كان قد أمر بحفرها نخاو فرعون مصر ،
لتوصيل النيل بالبحر الأحمر ، ثم ردمت في أواخر حكم الرومان لمصر . فلما
كان الفتح العربى ، جدد عمرو بن العاص حفرها سنة ٢٣ هـ (٦٤٣ -
٤٤ م) (٢) ، بأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، لهذا أطلق عليها اسم خليج
أمير المؤمنين . وكانت هذه الترعة تخرج من فم الخليج ، شمالى مصر القديمة ،
متجهة الى الشمال حتى نهاية القاهرة . وتمر بعد ذلك فى الأراضى الزراعية ،
حيث مجرى الترعة الاسماعيلية الى العباسية ، بمديرية الشرقية ثم الى مدينة
الاسماعيلية ، ومنها الى القلزم (السويس) على البحر الأحمر (٣)

وقد أقيم على هذا الخليج فى العهود التالية كثير من القناطر ، ليتيسر
للناس عبوره ، سنورد أسماء أشهرها فى مواضعها (٤)

وقد كان هذا الخليج عرضة للأهواء السياسية ، فيردم اذا أراد أحد
الخلفاء الضغط السياسى على مصر ، وتجويع سكانها ، وتحويل تجارة
الهند عنها الى بغداد ووادى الفرات ، كما فعل الخليفة المنصور العباسى

الحالة العلمية :

اتخذت الحركة العلمية فى أوائل عصر الفتح شكلا دينيا ، حيث كان
الناس بحاجة الى من يفقههم فى أمور دينهم ، ويعلمهم أصول الدين

(١) ابن خرداذبة ، ص ١٥٣

(٢) النجوم الزاهرة ، ج ٤ ص ٤٤

(٣) وقد ردم هذا الخليج فى المسافة الواقعة بمدينة القاهرة سنة ١٨٩٦ م ، وحل محله شارع
الخليج المصرى (شارع بورسعيد حاليا)

(٤) من هذه القناطر قنطرة عبد العزيز بن مروان ، التى بناها عبد العزيز بن مروان والى
مصر فى سنة ٦٩ هـ ، ومكانها اليوم النقطة الواقعة بشارع الخليج المصرى ، تجاه مدخل حكر
أقبغا بأرض جنية لاذ . (النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ٣٨٨)

الإسلامي ، أكثر من حاجتهم الى العلوم الدنيوية والفلسفية ، تلك الأصول التي اجتمعت في القرآن الكريم والحديث والسنة . وكان من حظ مصر أن حضر اليها مع جيش المسلمين عدد كبير من الصحابة ، الذين تشربوا الدين خالصا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فتلقى عنهم أهل مصر ، فصارت القسطنطينية معقلا حصينا من معاقل الدين ، تنافس المدينة وبغداد والبصرة ودمشق وغيرها من أمهات المدن الإسلامية . ومن هؤلاء الصحابة عبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري ، والزبير بن العوام ، والمقداد بن الأسود ، وعبادة بن الصامت ، وعبد الله ابن عمر بن الخطاب ، وخارجة بن حذافة العدوي ، ومسلمة بن مخلد ، وكثير غيرهم ممن وفدوا على مصر بعد الفتح ، لكثرة خيراتها ، وخصب أرضها ، وطيب هوائها

وكانت معظم دروس الفقه والكلام تعطى في المسجد ، والمستمعون على هيئة حلقة بين يدي المدرس ، وكان يتخذ مكانه الى جانب عمود في المسجد ، مستندا بظهره اليه ان أمكن . وقد أحصى المقدسي في المسجد الجامع بالقاهرة وقت العشاء مائة مجلس وعشرة من مجالس العلم (١) . وأشهر من علّم بمصر من الصحابة بعد الفتح عبد الله بن عمرو بن العاص ، ويعتبر بحق مؤسس مدرسة مصر الدينية ، إذ أخذ عنه كثير من أهلها ، وكانوا يكتبون عنه ما يحدث ، وقد بلغ قرابة مائة حديث (٢)

وممن اشتهر من علماء مصر وفقهائها الأمير عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي ، والي مصر المتوفى بجلوان والمدفون بالقسطنطينية سنة ست وثمانين هجرية (٧٠٥م) وقد اشتغل برواية الحديث ، وله مناقب كثيرة (٣) . ويزيد بن حبيب ، واسمه سويد الأزدي أبو رجاء المصري ، وقد كان فقيه مصر وشيخها ومفتيها ، ولد سنة اثنتين وخمسين بمصر ، وتوفي بها سنة ثمان

(١) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ج ١ ص ٣٥١
(٢) مصر في فجر الإسلام ، لسيدة اسماعيل كاشف ص ٣١٦
(٣) الكندي : الولاة والقضاة ص ٥٠ ، والمقريري ج ١ ص ٣٠٢ طبعة بولاق

وعشرين ومائة (١) . وأبو عبد الرحمن عبد الله بن لهيعة الحضرمي الغافقي ،
والليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي ، وكان يحسن القرآن والنحو
ويحفظ الحديث والشعر

وتأثرت مصر بالمذاهب الاسلامية التي ظهرت في العصر العباسي . ففي
ذلك العصر امتزجت العقلية العربية بالعقلية الفارسية واليونانية ، وارتفع
مستوى الثقافة بين العلماء بفضل تشجيع بعض الخلفاء للعلماء والفقهاء
والأدباء والشعراء ، واقبال نخبة من العلماء على تعريب الكتب الأجنبية
ودراستها (٢) . وأهم المذاهب التي ذاعت في العصر العباسي المذاهب
الأربعة ، والتي ما زالت باقية بمصر حتى اليوم . وأقدم هذه المذاهب
مذهب الامام أبي حنيفة النعمان ، المولود بالكوفة سنة ثمانين هجرية ،
والمتوفى ببغداد سنة ١٥٠ هـ . وثاني هذه المذاهب مذهب الامام مالك
ابن أنس المولود بالمدينة سنة ٩٣ هـ أو سنة ٩٥ هـ والمتوفى بها سنة
١٧٩ هـ . والثالث مذهب الشافعي وهو الامام محمد بن ادريس الشافعي ،
المولود بغزة سنة ١٥٠ هـ ، وقد حضر الى مصر سنة ١٩٨ هـ ، وكون بها
مذهبه الجديد ، وتوفى بها سنة ٢٠٤ هـ . والرابع مذهب الامام أحمد بن
حنبل الشيباني ، المولود ببغداد سنة ١٦٤ هـ ، والمتوفى بها سنة ٢٤١ هـ
وظل المصريون يتبعون المذهب المالكي حتى قدم مصر الامام الشافعي ،
وأنشأ مذهبه الجديد بها ، فاتبعه كثير من المصريين ولم يمض قرن من الزمان
حتى أصبح المذهب الشافعي منافسا للمذهب المالكي في مصر

ومن أشهر فقهاء الشافعية في ذلك العهد أبو يعقوب يوسف بن يحيى
البويطي ، وقد جلس مكان الشافعي بعد وفاته ، وعبد العزيز بن عمران
ابن أيوب الخزاعي المصري ، والربيع بن سليمان بن داود الأزدي الجيزي ،
نسبة الى الجيزة

(١) النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٤٣

(٢) مصر في فجر الاسلام ص ٣٢٠

وكان مركز الحركة العلمية الدينية في مصر جامع عمرو ، مثله في ذلك الجامع الأزهر اليوم . فكان جامع عمرو ملتقى العلماء والفقهاء والأئمة . اليه يلجأ الناس للاستفتاء ، واليه يفد الطلاب لتلقى العلوم التي كانت تدرس في ذلك الحين . وفيه يتخرج خيرة العلماء والفقهاء . وأصبحت مصر مركزا علميا هاما ، خصوصا في أواخر عصر الولاة . فكان يفد اليها الطلاب لتلقى العلم ، وخاصة من افريقية والمغرب والأندلس . وبذلك أثرت مصر على الأندلس والمغرب في المذاهب وفي العلوم الدينية التي كانت تدرس حينذاك (١)

وفي سنة ٣٢٦ هـ (٩٣٨ م) كان للمالكيين في المسجد الجامع خمس عشرة حلقة ، وللشافعيين مثلها ، ولأصحاب أبي حنيفة ثلاث حلقات فقط . وفي عهد المقدسي ، تولى امامة مسجد ابن طولون أحد الشافعية لأول مرة ، ولم يقدم في محراب هذا المسجد امام قط قبله الا وهو يتفقه لمالك . وكان معظم الفقهاء بمصر من أصحاب مالك . ويقول السيوطي ان أبا بكر النعالي المتوفى عام ٣٨٠ هـ (٩٩٠ م) كان امام المالكية بمصر ، وكانت حلقاته في الجامع تدور على سبعة عشر عمودا ، لكثرة من يحضرها (٢)

القضاء :

ونشأ القضاء في عهد الولاة بسيطا ، ثم ارتقى وتطور تدريجا . فمثلا لم تكن هناك محكمة خاصة للفصل في القضايا ، وانما كانت مجالس القضاء تعقد في جامع عمرو بن العاص بالقسطة ، للفصل في قضايا العرب الفاتحين ، أو بين من يسلمون من أهل البلاد ، أو بين الذميين الذين يحتكمون في خصوماتهم الى القضاة المسلمين . ويذكر الكندي أن القاضي خير بن نعيم الحضرمي (١٢٠ - ١٢٨ هـ) كان يقضي بين المسلمين في المسجد ، ثم يجلس على باب المسجد بعد العصر ، فيقضي بين النصارى .

(١) مصر في فجر الاسلام ، ص ٣٢٨

(٢) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ج ١ ص ٢٩٧

وكان القاضى محمد بن مسروق الكِنْدَى (١٧٧ - ١٨٤ هـ) يسمح للنصارى المتخاصمين بالدخول فى المسجد الجامع كالمسلمين ، ليقضى بينهم وكان القاضى يستمد أحكامه القضائية من مصادر التشريع الاسلامى وهى القرآن والسنة والاجماع والاجتهاد أو القياس . ولم تكن أحكام القضاة تدون . كذلك لم يكن للقاضى شئء تصان فيه كتبه وأوراقه ، بل كان كاتب القاضى يحضر ومعه الكتب فى منديل ، ويحمل محبرته «دواته» فى حزامه ، ولهذا كانت المحابر تصنع من المعدن ، ولها يد بحيث يمكن أن ترشق بين طيات الحزام ، وبالتدريج سجلت الأحكام فى سجلات ، وصارت تحفظ فى دوايب خاصة (١)

ومن التقاليد التى نشأت فى هذه الفترة أيضا خروج القاضى فى نفر من أهل الصلاح ، لرؤية هلال رمضان ، واثبات الرؤية . وكانوا يخرجون لرؤيته فى الجزيرة ، حتى لا يختلف الناس فى شهاداتهم . وبعد ثبوت الرؤية تسير مواكب الناس ، حاملة المشاعل ، وهى تهتف : « صيام ! صيام ! حسبما أمر به قاضى الاسلام » . وما يزال هذا التقليد متبعا حتى اليوم ، حيث يترأس الاحتفال بالرؤية فى القاهرة رئيس المحكمة الشرعية العليا . ويهتف الصبية بما هتف به أسلافهم من قبل

الصناعات والفنون :

لما فتح العرب الأقطار العديدة ، وأخضعوا لحكمهم كثيرا من الأمم ، أثر العرب فى تلك الأمم ، فنشروا بينهم لغتهم وآدابها ومختلف فنونها ، كما نشروا بينهم دينهم . وأثرت تلك الأمم بدورها فى العرب ، فقد كانت لهم علوم وفنون توفر عليها العرب بالدرس والتمحيص ، بفضل ما أوتوه من حسٍّ مرهف ، وذوق سليم . واختاروا أصلحها وأكثرها اتفاقا مع تقاليدهم ودينهم ، وصاغوا من كل ذلك ثقافة عالية ، وفنا اسلاميا جميلا ، أفاد منهما العالم قرونا طويلة

(١) مصر فى فجر الاسلام ، ص ٩٩

ولقد كان للعرب في حكم الشعوب أساليب ناجحة ، وطرائق قوية .
 فضلا عن اطلاقهم للناس حرية العبادة وكثيرا من الحريات الأخرى ، فقد
 أبقوا دفة الحكم في أيدي حكام منهم ، ما خلا الوظائف الخطيرة والمناصب
 الرئيسية . كذلك تركوا للناس صناعاتهم وحرفهم ، يزاولونها في حرية
 واطمئنان . بل انهم أولوهم كثيرا من التشجيع والمؤازرة ، واكتفوا
 بالتوجيه السديد ، حسبما تقتضيه الأوضاع الجديدة ، والدين الجديد .
 فانصرف الناس الى أعمالهم ، يحدوهم الاطمئنان ، وتملأهم الثقة ، ويحفزهم
 ذلك الى الجد والاتقان

ولقد دخل المصريون في دين الله أفواجا ، واعتنق أكثرهم الاسلام ،
 وزاول الصناعات صناعاتهم ، سواء منهم من أسلم ومن لم يسلم . ففرى
 منتجات الفنون الاسلامية في عصورها الأولى وقد تأثرت بالمنتجات الفنية
 القبطية ، نظرا لاعتماد العرب على الصناعات والفنيين القبط ، ولأن التطور
 في أساليبها الصناعية كان بطيئا ، ولم يصل الفن الى الطراز الاسلامي
 البحت الا في العصر الفاطمي ، بعد أن اجتاز مرحلة انتقال ، امتدت منذ
 الفتح العربي لمصر واشتملت على العصرين الطولوني والأخشيدي ، وان
 كان قد تأثر في العصر الطولوني بالأساليب العراقية ، التي أتى بها أحمد
 ابن طولون من مدينة سامرا ، التي نشأ فيها وشب وترعرع

ولم تقتصر استعانة العرب بالصناعات المصريين في صنع كل ما يلزمهم من
 حاجيات ، ومن بناء ما كانوا يحتاجون اليه من أبنية على مصر وحدها ،
 بل اتنا نجد في الوثائق التاريخية ما يدل على ارسال العمال والصناع
 المصريين الى الشام وبلاد العرب للعمل في بناء المساجد أو زخرفتها
 بالفسيفساء والجص وغير ذلك

وقد زخرت القسطنطينية بالمصانع من كل نوع ، تنسج المنسوجات وتصنع
 المصنوعات المعدنية والخشبية والعاجية ، والأواني الزجاجية والخزفية ،
 والأدوات المنزلية . ووجدت في حفائر القسطنطينية بقايا من تلك المصنوعات.
 كما يوجد بالمتحف الاسلامي بالقاهرة نماذج قليلة منها

الباب الثانى

العسكر

- ١ -

منى مروان الثانى ، آخر خلفاء بنى أمية ، بهزيمة ساحقة ، أمام جيوش بنى العباس ، فى موقعة الزاب بالقرب من الموصل ، فركن الى الفرار ، واتجه صوب دمشق ، ثم التجأ الى مصر ، ليتخذ منها قاعدة لمهاجمة العباسيين ، واستعادة ملكه المسلوب ، وعرشه المتداعى . ولكن أبا عون ، وزميله صالح بن على ، القائدين العباسيين ، لم يتركا له فرصة لتحقيق أمله ، وظلا يطاردانه حتى قبضا عليه فى قرية أبى صير ، من أعمال الجيزة ، حيث قتلاه ، وبذلك انقطع آخر خيط فى نسيج دولة الأمويين ، واندك ملكهم ، وقامت على أنقاضه دولة العباسيين ، الذين ورثوا حكم مصر ، ضمن ما ورثوه من أملاك الدولة البائدة

وكما نقل العباسيون قصبة الخلافة من دمشق ، التى ارتبطت بذكر الأمويين ، الى بلاد العراق ، حيث شيدوا لهم حاضرة جديدة ، هى بغداد ، كذلك شرع القائدان أبو عون وصالح سنة ١٣٣ هـ (٧٥٠ م) فى بناء عاصمة جديدة لمصر ، بدل الفسطاط ، سميها العسكر ، فى الفضاء الذى عسكرت فيه جنودهما وتجمعت ، عند مطاردتهما لمروان الثانى ، وكانت تقع شمالى الفسطاط ، فيما يعرف بالحمراء القصوى ، ويشرف عليها جبل يشكر ، الذى شيد فوقه أحمد بن طولون فيما بعد جامع المشهور

- ٢ -

موقع العسكر :

يؤخذ من وصف المقرئى لموقع العسكر فى خطه أنها كانت تمتد

بمحاذاة الشاطئ الشرقي للنيل ، الذى كان يحف بجدران جامع عمرو
اذ ذاك ، ويحدها جنوبا قناطر المجرى (العيون) (١) وشمالا شارع
مراسينا الى ميدان السيدة زينب ، حيث كانت قناطر السباع (٢) أمام
المشهد الزينبى ، وغربا بين شارع السد والديورة ، وشرقا خط وهمى
يمتد من مصطبة فرعون بجوار مسجد الجاولى بشارع مراسينا الى باب
السيدة نفيسة ، المعروف قديما بباب المجدم (٣)

امتداد العسكر :

أمر أبو عون أصحابه بالبناء فيها ، وشيد صالح بن على دارا للامارة ،
كما شيد الفضل بن صالح بن على مسجدا جامعاً ، عرف بجامع العسكر .
وما زالت العمارة تزدد فيها حتى اتصلت المباني بالفسطاط ، وصارت
العسكر مدينة « ذات محال وأسواق ودور عظيمة » (٤)

واستمرت العسكر حاضرة البلاد ، الى أن قدم مصر أحمد بن طولون ،
فوجدها لا تتسع لجنده وحاشيته ، وما اعتزم تشييده من منشآت متعددة .
فاستقر عزمه على تشييد عاصمة أخرى ، واختط لهذا الغرض مدينة
القطائع التى شغلت حيزا كبيرا من العسكر ، بل وتدخلت فيها . ولم يبق
من معالم العسكر فى أيام المقرئى شئ يذكر . وهنا يقول : « ولم يبق
الآن من العسكر ما هو عامر سوى جبل يشكر ، الذى عليه جامع ابن
طولون ، وما حوله من الكباش ، وحدره ابن قميحة الى خط السبع
سقايات ، وخط قناطر السباع الى جامع ابن طولون » (٥)

(١) المقرئى : الخطط ، ج ٢ ص ٨٩

(٢) هى قناطر بناها الظاهر بيبرس ، ووضع فوقها سباعا تمثل رنكه ، كما فعل فى قناطر
ابى المنجا

(٣) الجامع الطولونى ، تأليف محمود عكوش ، ص ٨

(٤) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٨٩

(٥) المصدر السابق ص ٩٠

الباب الثالث

القطائع

- ١ -

قامت الدولة العباسية على أكتاف الفرس ، كما هو معروف . لذا كانت لهم الخطوة عند خلفائها الأولين . فقوى نفوذهم ، وعلا شأنهم ، وصار منهم الوزراء والقواد وكبار رجال الدولة ، الذين اليهم المرجع في كل صغيرة وكبيرة من شئونها . ولما اشتدت وطأة النفوذ الفارسي ، حاول الخلفاء المتأخرون التخلص من ذلك النفوذ ، فاستبدلوا بالفرس قوادا وحراسا من الأتراك . وسرعان ما انتشر نفوذ هؤلاء ، وصاروا أصحاب الحول والطول في مقر الخلافة ، بل وفي أقاليمها وممتلكاتها . فآلت مصر الى واحد من أولئك الأتراك ، هو الأمير بقبق أو بايكباك ، ثم الى الأمير برقوق . وأتاب كل منهما عنه في حكم مصر أحمد بن طولون ، وهو تركي الأصل مثلهما ، من اقليم بخارى ، في بلاد ما وراء النهر . وكان الأول زوج أم أحمد ، والثاني حماء ، أي أبا زوجته

قدم أحمد بن طولون الى مصر سنة ٢٥٤ هـ (٨٦٨ م) وبين جنبه آمال كبار ، فهو يريد أن ينشئ من مصر دولة تنافس الخلافة قوة وعظمة ، وأن يؤسس لها حاضرة تماثل «سُرَّ من رأى» قصبة الخلافة في عهده ، والتي ولد فيها وترعرع ، وأعجب بجمال قصورها ، ورحابة ميادينها وعظمة مساجدها ومنشآتها . لذلك عوّل منذ أن وطئت قدماه أرض مصر على إقامة العاصمة المرجوة ، فكان له ما أراد ، وأسماها القطائع ، ذلك لأنه أقطعها قطعا بين خدمه وحاشيته ورجال دولته . وشيد فيها القصور

والمستشفيات والملاجيء ، وأقام مسجده الجامع ، الذى ما زال يطاول الزمن ببقائه ، درة فريدة بين مساجد مصر ، والذى يستحق بلا ريب أن يطلق عليه اليوم اسم شيخ جوامع القاهرة ، اذ لا يزال تخطيطه ومبانيه على الحال الأولى التى وجد عليها فى عهد منشئه

- ٢ -

موقع القطائع :

فالقطائع ثلاثة العواصم الاسلامية فى مصر ، كانت تقع شمالى الفسطاط « وكان موقعها من قبة الهواء التى صار مكانها الآن قلعة الجبل ، الى جامع ابن طولون ، وهو طول القطائع . وأما عرضها ، فانه كان من أول الرملة (١) من تحت القلعة ، الى الموضع الذى يعرف الآن بالأرض الصفراء ، عند مشهد الرأس الذى يقال له الآن زين العابدين . وكانت مساحة القطائع ميلا فى ميل » (٢)

وقد حدد العلامة الأثرى المرحوم محمد رمزى هذه المدينة كما يلى : « الحد البحرى ، ويبدأ من جامع سنجر الجاولى حتى باب العزب بالقلعة ، والحد الشرقى سور القلعة ، من باب العزب ، حتى جامع السلطان الأشرف قانصوه الغورى ، عند باب اليسار ، المعروف الآن بباب الجبل . والحد القبلى ويبدأ من جامع الغورى المذكور ، حتى جامع سيدى على زين العابدين . والحد الغربى من جامع سيدى على زين العابدين ، وينتهى بجامع سنجر الجاولى » (٣)

وقد تدخلت القطائع فى العسكر ، وشغلت الجزء المعروف الآن بقلعة الكبش وبتلول زينهم

(١) سوق للبغال والحمير والجمال بجوار القلعة

(٢) النجوم الزاهرة ، ج ٣ ص ١٤

(٣) الجغرافية التاريخية لمدينة القاهرة للمرحوم الاستاذ محمد رمزى

وقد بدأ ابن طولون فى بناء القطائع فى شعبان سنة ٢٥٦ (يوليو سنة ٨٧٠) بأن شيد قصره ، الذى كان بمثابة نواة للمدينة ، وكان يقع فى الفضاء المعروف الآن بميدان صلاح الدين ، والذى عرف بالرميلة وقره ميدان والمنشية ، والذى كان يمتد الى ما وراء جامع السلطان حسن الآن (١) تحت المرتفع الذى كانت تقع عليه قبة الهواء ، التى فى مكانها بنى صلاح الدين قلعته المعروفة بقلعة الجبل

وقد حوّل ابن طولون السهل الواقع بين القصر وجبل يشكر الى ميدان كبير يضرب فيه بالصوالة (٢) فسمى القصر كله الميدان (٣). وكان للقصر عدة أبواب منها : باب الميدان الكبير ، وكان منه دخول الجيش وخروجه ، وباب الخاصة ، وباب الجبل الذى يلى جبل المقطم ، وباب الحرم ، وباب الدرمون وباب دغناج ، وسميا كذلك نسبة الى حاجين بهذين الاسمين كانا يجلسان أمامهما ، وباب الساج لأنه كان مصنوعا من خشب الساج ، وباب الصلاة الذى يخرج منه ابن طولون للصلاة ، وكان على الشارع الأعظم ، وكان يعرف أيضا بباب السباع ، اذ كانت عليه صورتا سبعين من جيس . وكانت هذه الأبواب لا تفتح كلها الا فى يوم العيد ، أو يوم عرض الجيش ، أو يوم صدقة . وما كانت تفتح الا بترتيب فى أوقات معروفة . وكان للقصر شبابيك ، تفتح من سائر نواحي الأبواب ، تشرف كل جهة على باب (٤) . وكان للقصر مجلس يشرف منه ابن طولون يوم العرض ، ويوم الصدقة ، لينظر من أعلاه من يخرج ويدخل . وكان الناس يدخلون من باب الصوالة ، ويخرجون من باب السباع . وكان على باب السباع مجلس آخر ، يشرف منه ابن طولون ليلة العيد على القطائع ، ليرى حركات الغلمان وتأهبهم وتصرفهم فى حوائجهم (٥)

(١) تاريخ ووصف الجامع الطولونى للاستاذ محمود عكوش ، ص ١٠
 (٢) هى الكرة يلعب بها بالضرب من فوق ظهور الخيل ، تشبه لعبة البولو فى الوقت الحاضر
 (٣) المقرئى : الخطط ، ج ٢ ص ١٠٦
 (٤) النجوم الزاهرة ، ج ٣ ص ١٥
 (٥) المقرئى : الخطط ، ج ٢ ص ١٠٦

تخطيط القطاع :

بعدئذ تقدم أحمد بن طولون الى أصحابه وغلماؤه وأتباعه أن يخطوا لأنفسهم حول القصر والميدان ، فاختطوا ، وبنوا ، حتى اتصل البناء بعمارة الفسطاط . ثم قُطِّعت القطاع ، وسميت كل قطعة باسم من سكنها : فكانت للنوبة قطعة مفردة تعرف بهم ، وللروم قطعة مفردة تعرف بهم ، وللغراشين قطعة مفردة تعرف بهم ، ولكل صنف من الغلمان قطعة مفردة تعرف بهم . وبنى القواد في مواضع متفرقة ، فعمرت القطاع عمارة حسنة ، وتفرقت فيها السكك والأزقة ، وبنيت فيها المساجد الحسان ، والطواحين ، والحمامات ، والأفران ، وسميت أسواقها ، فقل سوق العيارين ، وكان يجمع العطارين والبزازين ، وسوق الفامين ويجمع الجزارين والبقالين والشوايين . فكان في دكاكين الفامين جميع ما في دكاكين نظرائهم في المدينة وأكثر وأحسن ، وسوق الطباخين ، ويجمع الصيارف والخبازين والحلوانيين . ولكل من الباعة سوق حسن عامر ، فصارت القطاع مدينة كبيرة أعمر وأحسن من الشام (١) . وامتدت هذه المباني الى العسكر والفسطاط ، حتى أصبحت المدن الثلاث بلدا واحدا عامرا ، لاتصال مبانيها بعضها ببعض

الجامع :

طلب ابن طولون الى مهندس ، سنعرض بعد قليل الى جنسيته ، أن يشيد له مسجدا لا تأتي عليه النيران ، أو تهدمه مياه الفيضان « فان احترقت مصر بقى ، وان غرقت بقى » ، فحقق المهندس رغبته ، فبناه جميعه من الآجر الأحمر ، ورفع على دعائم من الآجر أيضا . ولم يدخل في بنائه أعمدة من الرخام ، سوى عمودى القبلة ، « لأن أساطين الرخام لا صبر لها على النار » . ويؤخذ من اللوحة التذكارية ، الموجودة بالجامع ، أن الفراغ من بنائه كان سنة ٢٦٥ هـ (٨٧٨ و ٨٧٩ م) . وقد استغرق بناؤه عامين

(١) المقرئى : الخطط ، ج ٢ ص ١٠٦

وجامع ابن طولون مربع الشكل تقريبا (١٦٢٥٠ × ١٦١٧٣ مترا) ، يتوسطه صحن مكشوف ، تحيط به من جوانبه الأربعة أروقة مسقوفة ، وقد اتبع هذا التخطيط كثيرا بعد ذلك في بناء المساجد في العهود المتوالية. ويتكون ايوان القبلة من خمسة أروقة . أما الأواوين الثلاثة الأخرى فيتكون كل منها من رواقين ، ويحيط بالجامع فيما بين جدرانها والسور الخارجى من جهاته الشمالية الشرقية، والشمالية الغربية ، والغربية الجنوبية ثلاثة أروقة خارجية ، عرفت بالزيادات . وتلك ميزة أخرى انفرد بها جامع ابن طولون بين مساجد القاهرة

والدعامات التى ترتكز عليها العقود مستطيلة الشكل ، محلاة فى أركانها الأربعة بأعمدة من نفس مادة الدعامات ، أى من الآجر. وتيجانها كورنثية ، يطلق على أوراقها شوك اليهود . أما العقود فمن الطراز الستينى ، ولم تستعمل فى مصر قبل ذلك . ويوجد بين كل عقدين ، فوق الدعامات ، طاقة صغيرة ، بقصد التخفيف عن الدعامات ، وعقدها ستينى أيضا ، كالعقود الكبيرة

وقد طليت جميع جدران المسجد ودعاماته وعقوده بطبقة من الجص ، وزخرفت واجهات العقود بزخارف نباتية متصلة ، كما حليت بواطن العقود حول الصحن بزخارف قوامها خطوط متداخلة ، وخطوط لولبية ، وأشربة وخطوط منكسرة ، كلها معروفة فى الفن البيزنطى ، ومنه تسربت الى الفن القبطى وفنون العراق (١)

ويدور تحت السقف ازار من ألواح خشبية ، نقشت عليها بحروف كوفية بارزة ، من طراز الكتابة الطولونية التى سادت هذا العصر ، سورتا البقرة وآل عمران . وبالجزء العلوى من الجدران صف من الطاقات ، مركب عليها شبابيك من الجص مخرمة ، يتكون من تخريمها أشكال هندسية ، بسيطة جميلة ، تنوعت أشكالها ، تدور حول جدران المسجد الأربعة ،

(١) الفن الإسلامى فى مصر للمرحوم الدكتور زكى محمد حسن ، ص ٧٧

وأربعة فقط من هذه الشبايك ، موجودة بجدار القبلة ، زخرفتها معاصرة
لإنشاء المسجد (١)

وللمسجد خمسة محاريب ، عدا المحراب الأصلي المجوف ، الموجود في
جدار القبلة . ولقد أنشئت المحاريب الخمسة في العصور التالية لإنشاء
المسجد : اثنان في منتصف جبل الطارات الثاني ، مما يلي الصحن ، الأيمن
عمل في عهد المستنصر الفاطمي ، والثاني في عهد حسام الدين لاچين
المملوكي . واثنان في النصف الثالث من جبل الطارات بجانب دكة المبلّغ.
ومحراب خامس ، وهو في جدار القبلة ، على يسار المحراب الكبير. وجميع
هذه المحاريب من الجص ، ومزينة بالكتابة الكوفية أو النسخية ، والزخارف
النباتية (٢)

وكانت توجد وسط الصحن نافورة ماء ، أنشأها ابن طولون كي يشرب
منها المصلون ، وسط حوض من الرخام ، تعلوها قبة مذهب ، مقامة على
ستة عشر عمودا من الرخام . ولكنها تهدمت وأعيد بناؤها في العصر
الفاطمي ، ثم تهدمت ثانيا وأقيم مكانها البناء الحالي ، جددّه السلطان حسام
الدين لاچين سنة ٦٩٦ هـ (١٢٩٧ م) ، كما يدل على ذلك كتابة على لوح
من خشب مثبت في قاعدة القبة ، ضمن ما جددّه من بناء المسجد وأثاثه ،
مما سيأتي ذكره بعد . ولكن النافورة خرجت هذه المرة عن الغرض الذي
أنشئت من أجله أولا ، فقد صارت الآن ميضأة ، يتوضأ فيها المصلون .
وكان ابن طولون قد أبى أن تكون مكانا للوضوء ، خيفة أن تصبح
مصدرا « للنجاسة » والقذارة . فلما أخذ على مسجده خلوه من مكان
للوضوء ، أقام ميضأة بالزيادة الغربية ، بعيدا عن داخل المسجد . كما
أشأ بهذه الزيادة صيدلية ، بها الأدوية ، وعليها الخدم ، وفيها طبيب يجلس
يوم الجمعة لاسعاف من يصاب من المصلين بحادث وقت الصلاة
ولهذا المسجد مئذنة فريدة في شكلها ، لا نظير لها بين مآذن مساجد

(١) تاريخ ووصف الجامع الطولوني ، للاستاذ محمود عكوش

(٢) الفن الاسلامي في مصر ، ص ٧٢ .

القاهرة ، وهى ميزة أخرى ، امتاز بها جامع ابن طولون . فهى مربعة فى جزئها الأسفل ، اسطوانية فى جزئها الأوسط ، مشمئة فى جزئها العلوى . وهى بهذا تحمل بعض الشبه لمئذنة جامع المتوكل بسامرا ، المعروفة بالملوية ويحيط بالمسجد ، بموازاة الأروقة الثلاثة الخارجية ، أسوار مبنية من الآجر ، الذى بنيت منه جدران المسجد ، تعلوها شرافات مخرمة ، شبهها بعضهم بعُرف الديك . وبهذه الأسوار أبواب ، يقابل كل منها بابا من أبواب المسجد ، وعدة هذه الأبواب جميعا أربعون بابا

مهندس الجامع :

ولما كان اسم مهندس هذا الجامع مجهولا ، فقد أدى ذلك الى كثير من التكهّنات حول جنسيته ، فذكر بعض المؤرخين أنه كان يزنطيا ، وقال آخرون انه كان قبطيا ، وقال فريق انه كان عراقيا . غير أن الشبه الكبير بين هذا المسجد ومسجد المتوكل فى سر من رأى يحمل على الاعتقاد بأن مهندسه عراقى ، ولا عبرة بأن يكون مسلما أو نصرانيا ، قدم الى مصر يحمل معه أساليب العراق وفنونه فاستخدمه ابن طولون فى تنفيذ بناء مسجده (١)

التجديدات التى أدخلت على هذا المسجد :

وقد أدخلت على هذا المسجد اصلاحات كثيرة ، فى العهود التالية ، يضيق المقام عن حصرها . وأهم هذه الاصلاحات ما قام به حسام الدين لاجين ، السلطان المملوكى سنة ٦٩٦ هـ (١٢٩٧ م) ، منها : النافورة التى سبق ذكرها ، والمنبر الخشبي الجميل ، وما زال موجودا حتى اليوم ، والقبة التى فوق المحراب الكبير . ولكن أهم ما أدخل عليه من تجديد فى العصر الحديث هو ما قامت به لجنة حفظ الآثار العربية منذ سنة ١٨٨٢ م . من جهود فى سبيل اعادته الى حالته الأولى ، فهدمت المنازل والعشش التى

(١) انظر تاريخ ووصف الجامع الطولونى ، للاستاذ محمود عكوش ، ص ٢٦ - ٢٨

أطبقت عليه من كل جانب ، ورممت المتداعى من جدرانه ، وطلتها بالجص ،
معيدة زخارفه ونقوشه سيرتها الأولى

قناطر المياه :

ولكى يمد ابن طولون قطائعه بالماء ، أمر بحفر بئر في الجنوب الشرقى
من القطائع ، في الموضع الذى يعرف اليوم بالبساتين ، وشيد عليها قناطر
يرفع اليها الماء بواسطة ساقية ، ومد تلك القناطر حتى القطائع ، فصار
ينحدر عليها الماء فى سهولة ويسر الى القطائع . وقد بنيت هذه القناطر من
نفس الآجر الذى بنى منه الجامع فيما بعد ، كما أن عقودها ستينية كذلك ،
لهذا يعتقد أن المهندس الذى شيدها هو نفس المهندس الذى شيد الجامع ،
ولا تزال بقية منها باقية حتى اليوم

- ٣ -

توفى أحمد بن طولون عام ٢٧٠ هـ (٨٨٤ م) ، وخلفه على ملك مصر
ابنه أبو الجيش خمارويه ، وقد كان مسرفا الى حد السّفه ، ميالا الى الأبهة
والعظمة . ولا أدل على ذلك من تجهيزه ابنته قطر الندى ، للخليفة العباسى
المعتضد سنة ٢٨١ هـ (٨٩٤ م) جهازا لم تجهز به عروس من قبل ، حتى
صار مضرب الأمثال فى البذخ والترف ، مما أفقر الدولة ، وجر عليها
الخراب والدمار . فلما قتل سنة ٢٨٣ هـ (٨٩٦ م) ترك خزانها خاوية
مما أدى الى زوال دولة بنى طولون

ومما يدل على بذخه وإسرافه ، انه أحال ميدان أبيه الفسيح الى بستان
غرس فيه أنواع الرياحين وأصناف الشجر . «ونقل اليه النخل اللطيف الذى
ينال ثمره القائم» ، ومنه ما يتناوله الجالس ، من أصناف خيار النخل . وحمل
اليه كل صنف من الشجر المطعم العجيب ، وأنواع الورود . وزرع فيه
الزعفران ، وغرس فيه من الرياحان المزروع على نقوش معمولة ، وكتابات
مكتوبة يتعهدا البستاني بالمقراض ، حتى لا تزيد ورقة على ورقة .

وزرع فيه النيلوفر الأحمر والأزرق والأصفر ، والجنوى العجيب . وأهدى إليه من خراسان كل أصل عجيب . وطمعوا له شجر المشمش باللوز ، وأشباه ذلك مما يستظرف ويستحسن . وكسا أجسام النخل نحاسا مذهباً ، حسن الصنعة . وجعل بين النحاس وأجسام النخل مزاريب الرصاص ، وأجرى فيها الماء المدبّر ، فكان يخرج من تضاعيف قوائم النخل عيون الماء ، وتنحدر إلى مساق معمولة ، ويفيض منها الماء إلى مجار تسقى سائر البستان . وبنى فيه برجا من خشب الساج ، فكانت هذه الفوارات والبرك والعيون المائية الصناعية - على طريقة المصريين القدماء في عمل البساتين - إلى جانب أبراج الخشب ، مما يزيد البستان جمالا» (١) وسرح في البستان من الطير العجيب كالطواويس ودجاج الحبش ، ونحوها شيئا كثيرا . وعمل في داره مجلسا برواقه سماه بيت الذهب ، طلى حيطانه كلها بالذهب ، وجعل فيه مقدار قامة ونصف ، صورا في حيطانه بارزة ، من خشب معمول على صورته ، وصور حظاياها ، والمغنيات اللائي تغنيه بأحسن تصوير ، وأبهج تزويق ، وجعل على رؤوسهن الأكاليل من الذهب الخالص الابريز . فكان هذا البيت من أعجب مباني الدنيا . وجعل بين يدي هذا البيت بركة من زئبق يقال انها خمسون ذراعا طولا في خمسين ذراعا عرضا ، وملاها بالزئبق . وعمل فرشا من آدم (جلد) يحشى بالريح (بالهواء) حتى ينتفخ ، فيحكم حينئذ شده ، وينزل خمارويه ، فينام عليه ، فلا يزال الفراش يرتج ويتحرك بحركة الزئبق ، ما دام عليه ، حتى ينام ، متغلبا على الأرق الذي كان مصابا به (٢)

وقد ازدادت عمارة القطائع في عهده ، وازينت ، ولم تصبح فقط مقر الأمير وبطائته ورجال حكومته ، بل اتسع نطاقها وأنشئت فيها المساجد الجميلة ، والحمامات ، والأفران ، والطواحين ، والخوانيت ، واختطت فيها الشوارع ، وصارت مدينة زاهرة عامرة ، جديرة بأن تكون عاصمة لدولة بنى طولون العظيمة

(١) المقربرى : الخطط ، ج ٢ ص ١٠٨ (٢) المقربرى : الخطط ، ج ٢ ص ١٠٩

وبعد مقتل هارون بن خمارويه ، سير المكتفى بالله ، الخليفة العباسى ، محمد بن سليمان الكاتب الى مصر ، فوصلها فى سنة ٢٩٢ هـ (٩٠٥ م) وانقض على آثار الطولونيين بالهدم والتخريب ، اذ بلغ حقه عليهم مبلغا دفعه الى محو آثارهم جملة ، ولولا حرمة مساجد الله ، وقداسة بيوته ، لهدم أيضا المسجد الجامع ، ولكننا فقدنا بذلك أثرا عظيما من أهم الآثار الاسلامية بمصر

أما القطائع فقد ظلت عامرة الى نهاية عهد المستنصر الفاطمى ، حين وقعت الشدة العظمى (١) من ٤٥٧ الى ٤٦٤ هـ (١٠٦٥ - ١٠٧٢ م) ، فخربت هى والعسكر ، وتهدمت ، وتحولت الى تلال وكيما نفيما بين مصر والقاهرة

— ٤ —

الحياة الاقتصادية :

لما قبض أحمد بن طولون على ناصبة الأمور فى مصر ، واستقل بحكمها عن الخلافة العباسية ، عنى بشئونها ، واهتم بتحسين مواردها ، حتى تضاعف دخلها وكثر ثراؤها ، وفاقت الخلافة نفسها عمرا نا ورخاء ، ومنعة وقوة

ومما يدل على ثروة مصر ورخائها فى عهد ابن طولون أن خراجها قد بلغ فى أيامه أربعة آلاف ألف وثلاثمائة ألف دينار ، هذا مع كثرة صدقاته وانفاقه على مماليكه وعسكره . وأنفق على البيمارستان ستين ألف دينار ، وعلى حصن الجزيرة ثمانين ألف دينار ، وعلى الميدان خمسين ألف دينار ، وحمل الى الخليفة المعتمد فى مدة أربع سنين ألفى ألف دينار ومائتى ألف دينار (٢)

وقد وصفنا لك بستان خمارويه ، وألمعنا الى تجهيزه ابنته قطر الندى للخليفة المعتضد العباسى جهازا لم تجهز به عروس من قبل ، أو من بعد .

(١) القرىزى : الخطط ، ج ٢ ص ١٢٤

(٢) النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ، ج ٣ ص ١٢

ذلك الجهاز الذى تكلف مليون دينار أو ما يقرب من نصف مليون جنيه مصرى. ومما اشتمل عليه ذلك الجهاز أربعة آلاف منطقة مرصعة بالجواهر، وعشرة صناديق مملوءة بالجواهر، وألف هاون من الذهب لسحق العطور، وألف تكة بلغت تكاليف الواحدة عشرة دنانير. كما بنى لها على طول الطريق، بين القطائع وبغداد، وعلى رأس كل مرحلة من مراحل الطريق، منزلا تأوى اليه، أعد فيه من أسباب الراحة والترف ما يصلح لمثلها فى حالة الإقامة، فلا تحس بوعناء السفر، حتى لكأنها لم تتعد أسوار قصر خمارويه فى القطائع

ولقد أولى ابن طولون البلاد كل عنايته، وتعهدها بالأصلاح والتعمير، وعنى بصفة خاصة بأعمال الري، وأصلح مقياس النيل فى جزيرة الروضة

الحياة الاجتماعية :

واتسعت رقعة البلاد، وترامت أطرافها، فعم الرخاء أرجاءها، ويسر العيش بها، وازينت القطائع بالقصور الفاخرة، والدور العامرة

ولقد تغلب على مشكلة المرض، فأنشأ أول مستشفى فى مصر، جنوبى القطائع، فسبق بهذا عصره بأحد عشر قرنا. وقد أنفق على بنائه وتجهيزه ستين ألف دينار. وعنى بالمرضى عناية فائقة، ولم يقتصر على مدهم بالدواء، بل أمدهم أيضا بالغذاء والكساء، وشرط ألا يعالج فيه جندى ولا مملوك، وقصره على أفراد الشعب والفقراء من الناس، وألحق به حمامين: أحدهما للرجال والآخر للنساء

وقد حبس على مسجده الجامع وقناطره ومارستانه دخل بعض الأبنية، ولعل ذلك كان بدء نظام الوقف، ذلك النظام الذى كان له أخطر أثر فى الحياة الاجتماعية فى الاسلام بعد ذلك (١)

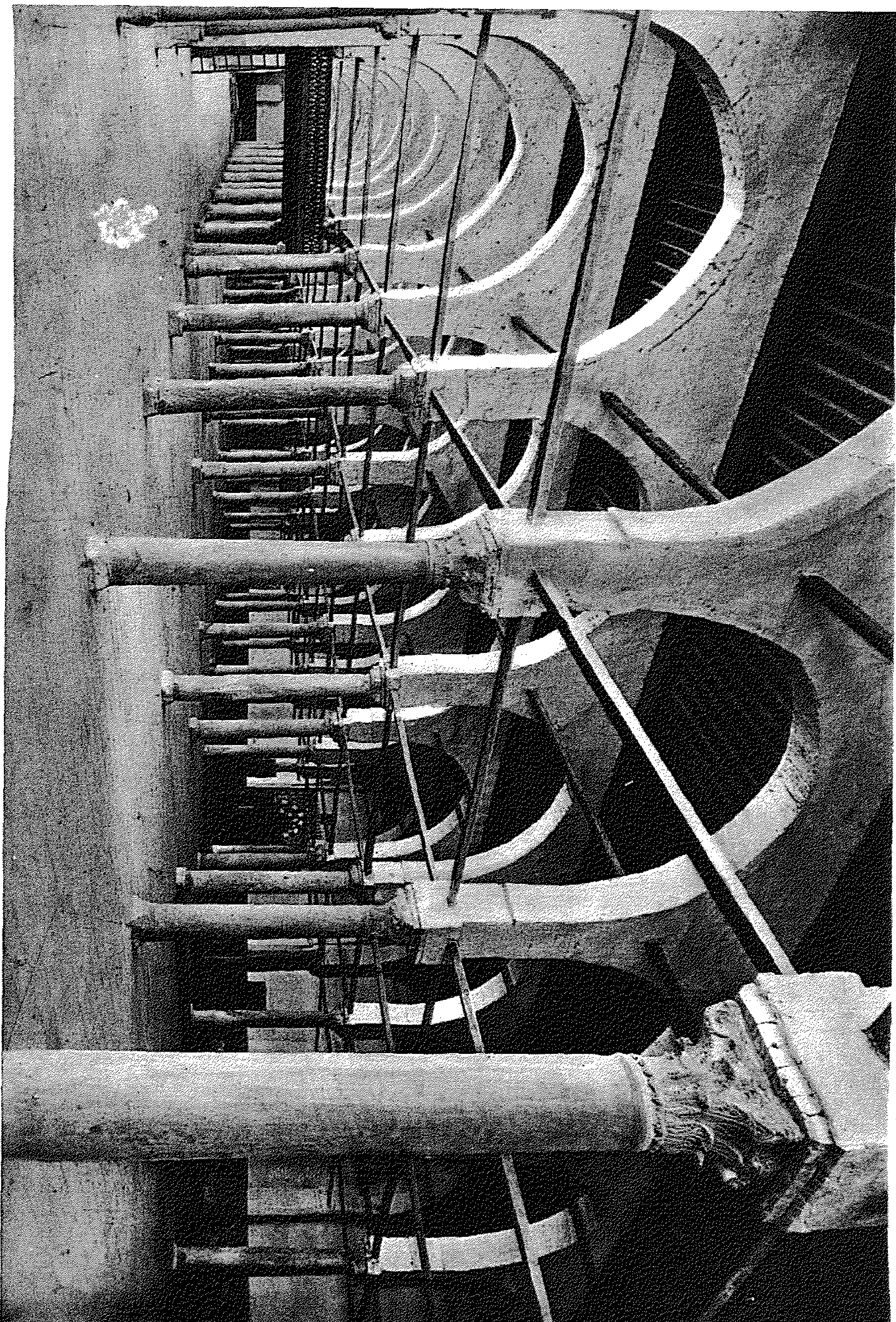
الحالة العلمية :

انحصرت الثقافة فى علوم القرآن والدين، وما يتصل بها من فنون

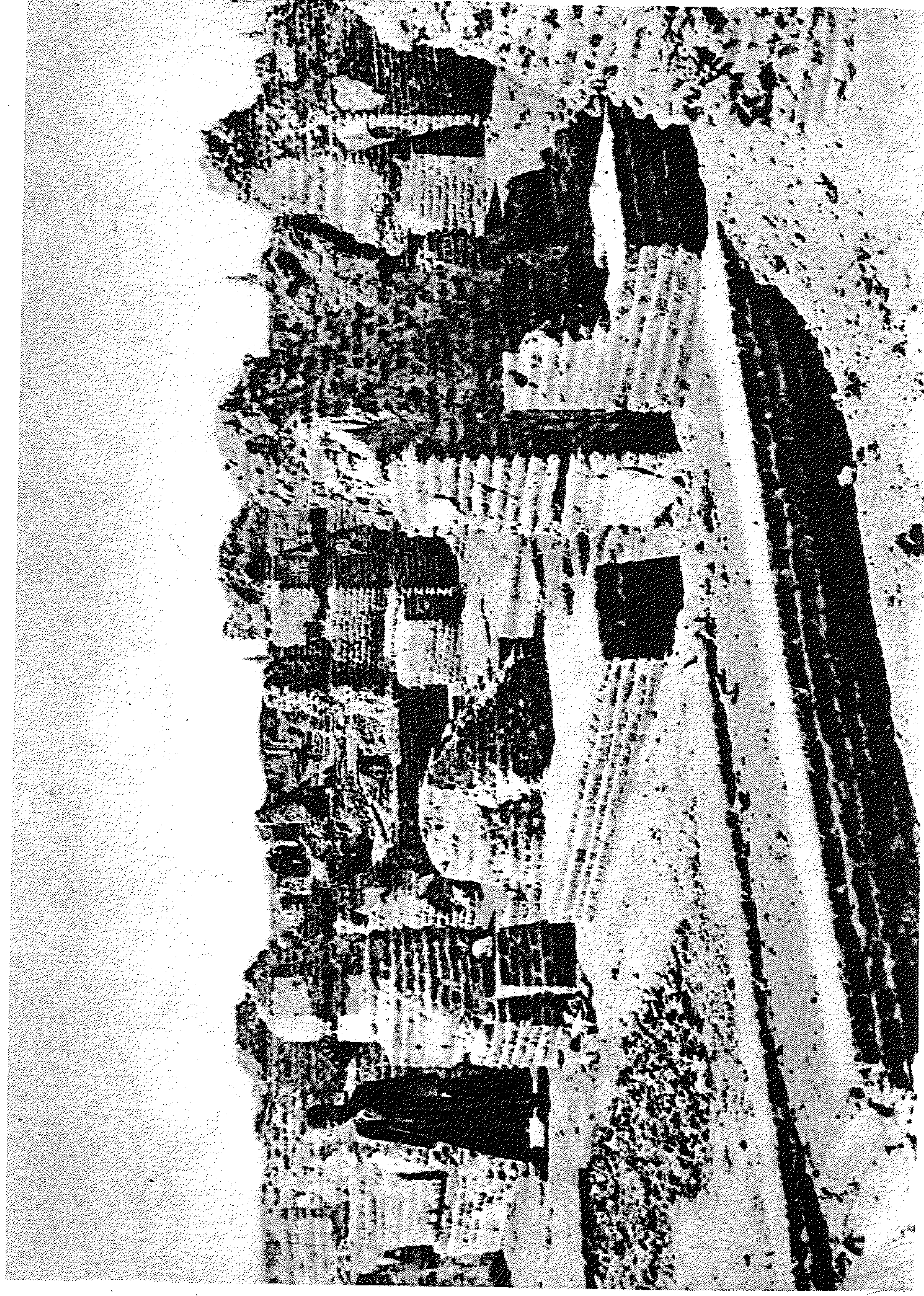
(١) الفن الاسلامى بمصر للمرحوم الدكتور زكى محمد حسن، ص ٦٧

اللغة ، كالنحو والصرف . وكان جامع ابن طولون منتدى العلماء والفقهاء والمحدثين . ومن أشهر المحدثين والفقهاء فى العهد الطولونى وقبله الربيع ابن سليمان المرادى بالتولاء (١٧٤ - ٢٧٠ هـ / ٧٩٠ - ٨٨٣ م) ، وقد امتاز بسعة الحفظ وجمع الرواية ، خصوصا رواية مذهب الشافعى . وقد كان يدرس فى جامع القسطاط ، ثم استدعاه أحمد بن طولون الى التدريس فى مسجده لما بناه . ويروى أن ابن طولون أعطاه فى أول درس ألقاه فى جامعہ كيسا به ألف دينار . وكان المحدثون يقدون على مصر من الأقطار المختلفة ليأخذوا عنه ، اذ كان يعتبر امام الشافعية فيها . كذلك كان أبو جعفر الطحاوى امام الحنفية فيها (٢٢٩ - ٣٢١ هـ / ٨٤٣ - ٩٣٣ م) . وكان من أسبق المؤلفين المصريين فى فنون مختلفة ، من بينها علوم القرآن والتاريخ . وأكبر من كان يمثل الثقافة الدينية فى مصر فى هذا العصر أبو بكر بن الحداد ، فقد كان يلقب بفقهاء مصر وفصيحتها وعابدها ، توفى سنة ٣٤٤ هـ (٩٥٥ م) . ومن أشهر الفقهاء علما فى ذلك العصر « سيبويه المصرى » ، فقد كان يعلم كثيرا من معانى القرآن ، وقراءاته ، وغريبه ، وأعرابه ، وأحكامه ، ويعرف من النحو والغريب ما لقب بسببه سيبويه

ومن أشهر المؤرخين ابن يونس (٢٨١ - ٣٤٧ هـ / ٨٩٤ - ٩٥٨ م) ، فقد غنى بنشر مفاخر مصر ورجالها ، مع العناية بحوادثها . وقد جمع لها تاريخين : أحدهما وهو الأكبر ، ويختص بالمصريين منشأ ، والآخر صغير ، فيمن ورد على مصر من الغرباء . وكان محمد بن يوسف الكندى (٢٨٣ - ٣٥٠ هـ / ٨٩٦ - ٩٦١ م) من أعلم الناس بتاريخ مصر وأهلها ، وأعمالها وثوراتها ، وهو مصرى ، نشأ بمصر ومات بها ، وهو صاحب كتاب « الولاة والقضاة » ، وهو من أهم مصادر تاريخ مصر ، وكتاب « فتوح مصر والمغرب والأندلس » ، وهو أيضا من أهم المراجع فى تاريخ تلك البلاد . ومن أشهر مؤرخى هذا العصر أيضا ابن زولاق الحسن بن ابراهيم الليثى بالتولاء . غنى كذلك بتاريخ مصر ، فأكمل أخبار قضاة مصر للكندى ، وغنى



الايوان الشرقي (ايوان القبلة) بجامع عمرو بن العاص ويرى به عدد كبير من الاعمدة القديمة ذات السيجسان المختلفة ، ترتكز عليها عقود مدينة

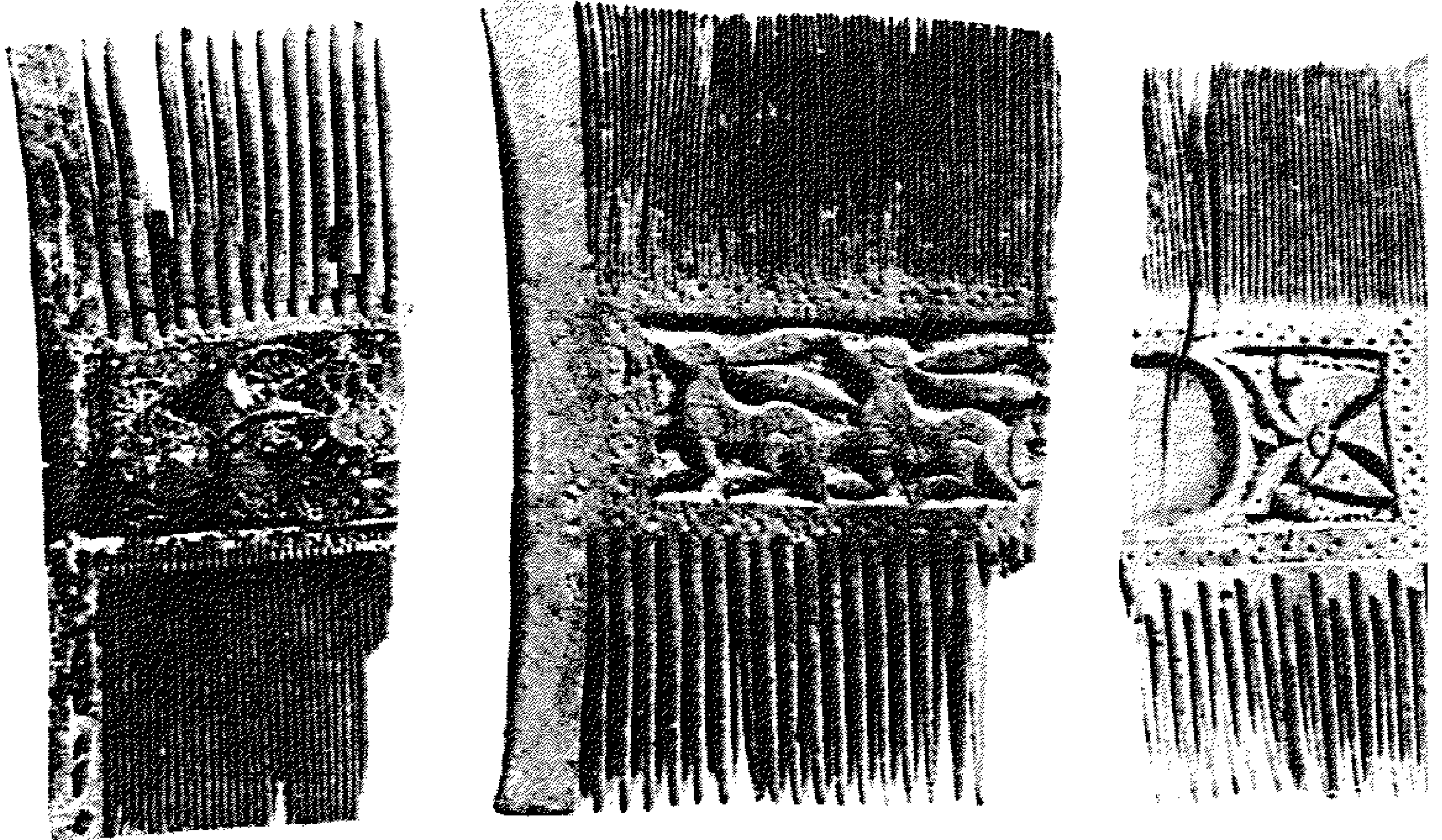


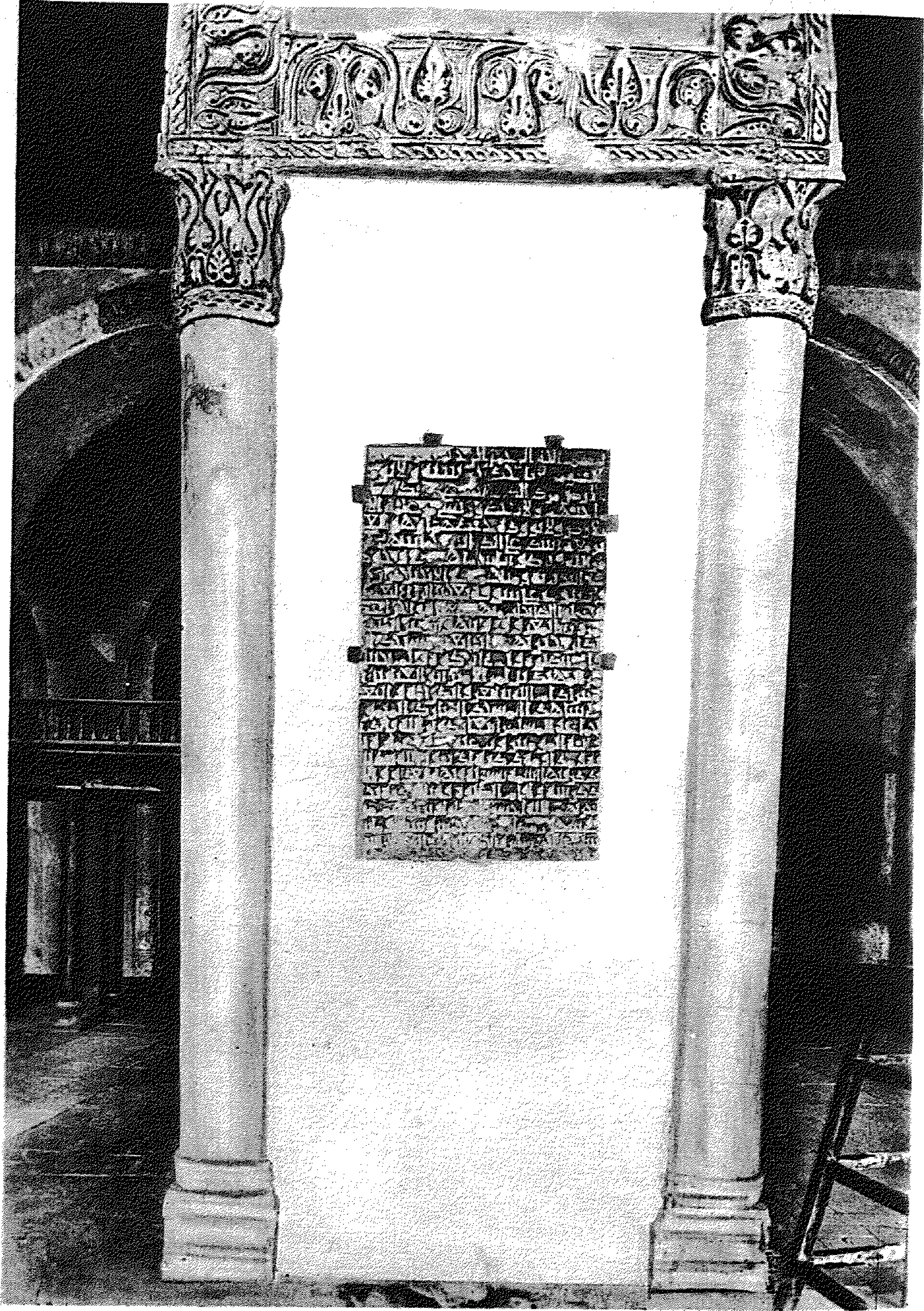
احدى الدور بمدينة الفسطاط ، وقد كشفت عنها حفريات المتحف
الاسلامى بالقاهرة (من كتاب حفريات الفسطاط للمرءوس على بهجت)



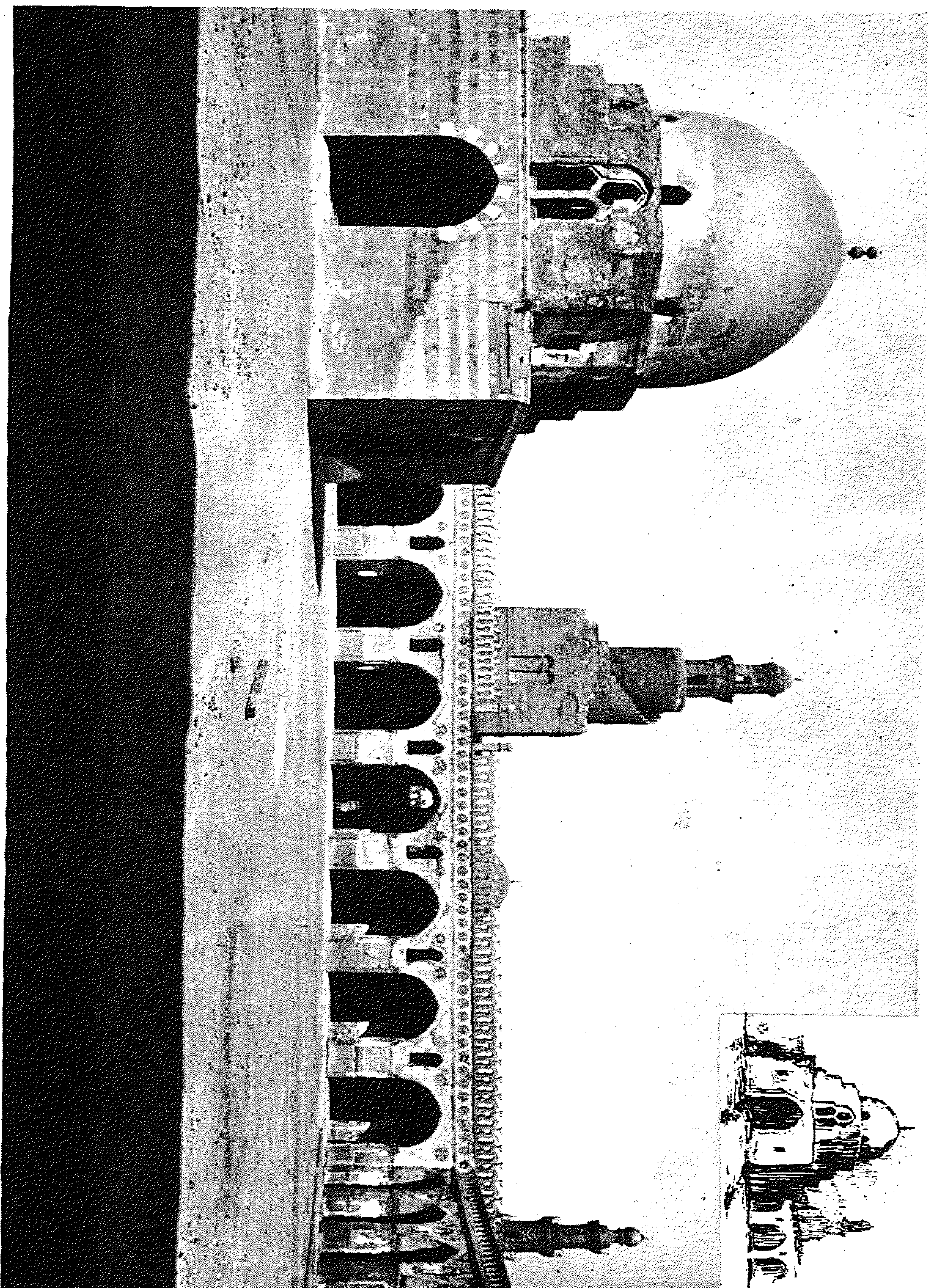
باب حصن بابلون (قصر الشمع) وقد كانت مياه النيل تحف به وقت الفتح

أمشاط مصنوعة من
الخشب بها زخارف
محفورة وجدت بحفريات
الفسطاط (من كتاب
حفريات الفسطاط
للمرحوم علي بهجت)

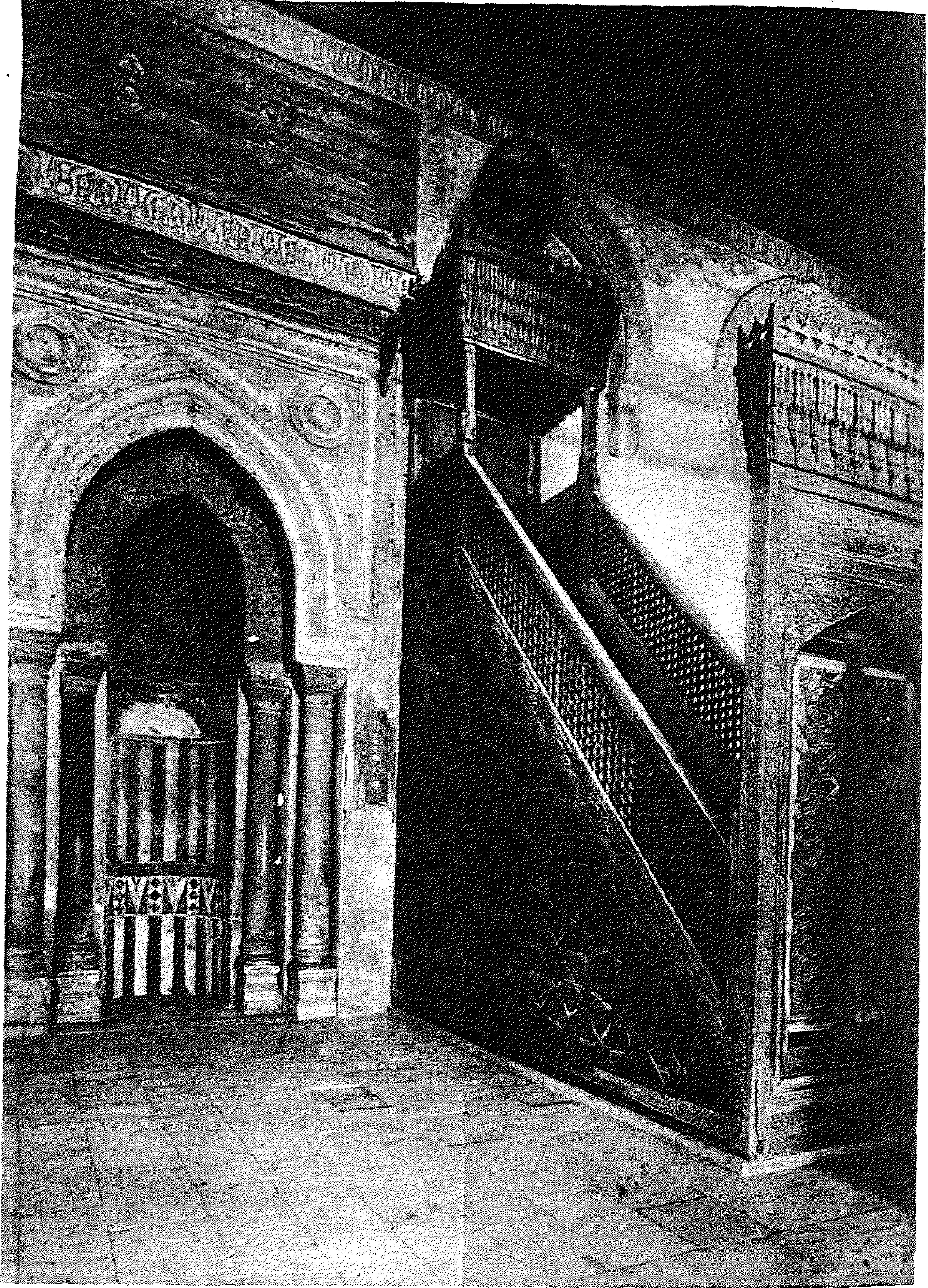




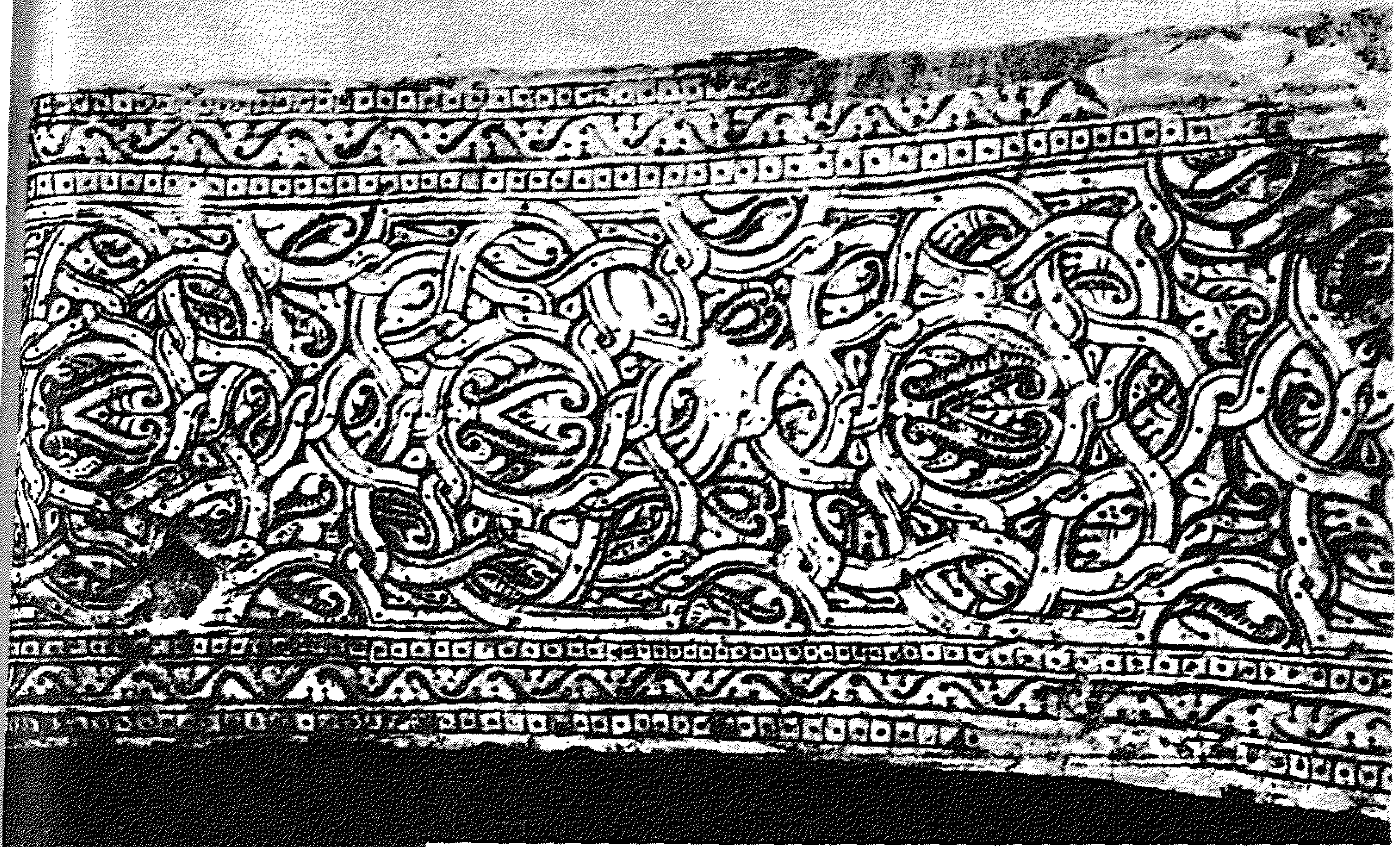
اللوحة التذكارية بجامعة أحمد بن طولون ويتضمن تاريخ إنشاء المسجد ، واسم مشيخته ، ويوجد على أحد الأكتاف بالمسجد . ويرى على جانبي الكتف عمودان ، تاجاهما والأفريز الذي يعلوهم من الزخارف الجصية



(الاكتاف) وتشاهد الدعائم المملوكي . وكلاهما من العصر الطولوني ، وكلاهما من العصر المملوكي . وتشاهد الدعائم (الاكتاف)
والفتحات التي تملوها ، والرخام في الجدران



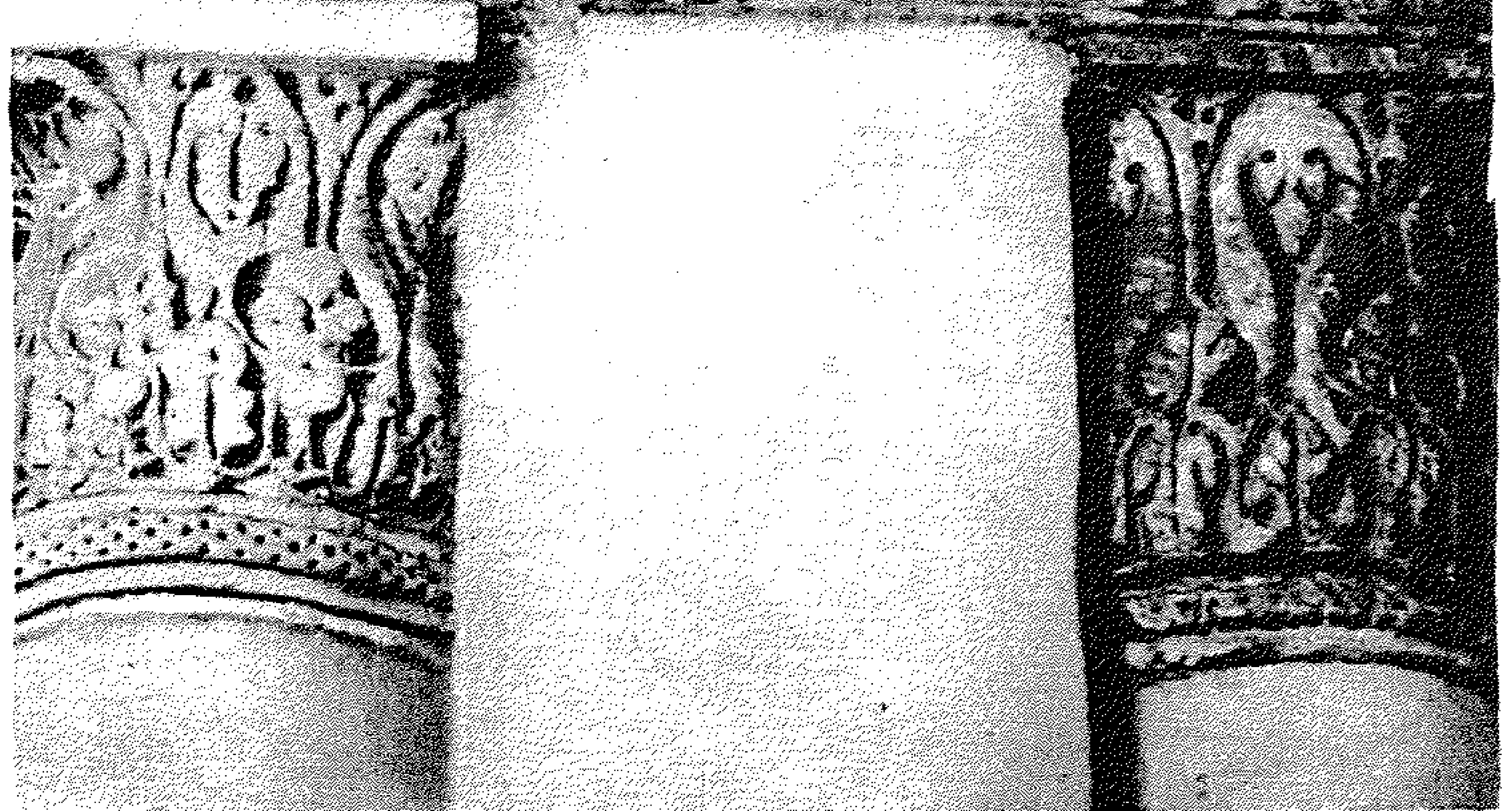
منبر الجامع الطولوني ، وقد صنع في العصر المملوكي ، والمحراب
القديم وهو معاصر لإنشاء المسجد ، ويعلوه افريز من الخط الكوفي
البسيط تقرأ فيه : لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

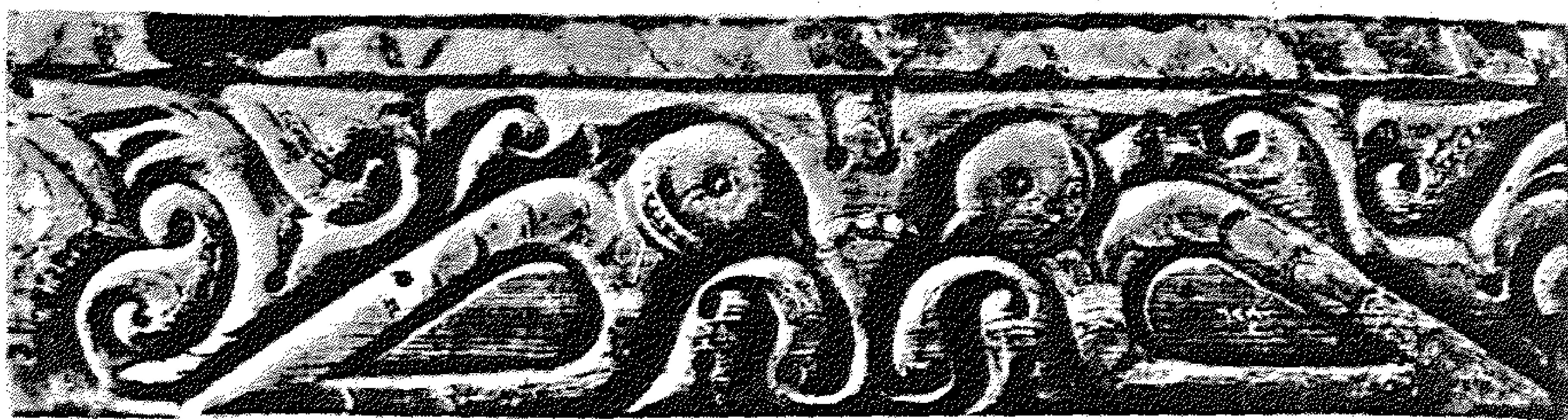


زخارف جصية على باطن
 أحد العقود في الجامع
 الطولوني ، قوامها خطوط
 لولبية ، ولآلىء ، وأشرطة .

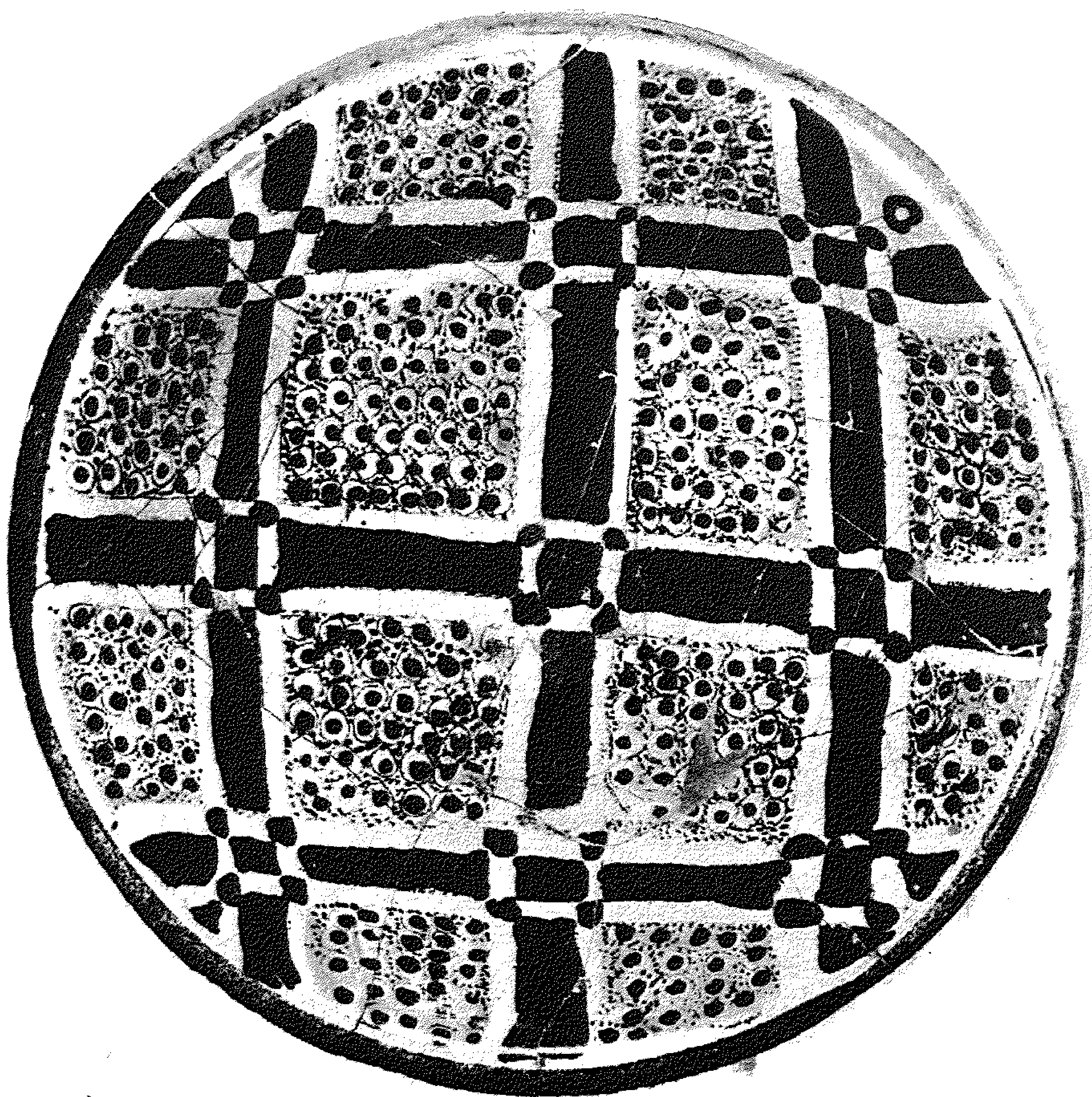


تاجا عمودين في الجامع
 الطولوني ، والزخارف الجصية
 على باطن العقد الذي يحمله
 العمودان . والتاجان كما هو
 مشاهد بسيطان على شكل
 ناقوسين كالتيجان الكورنشية
 ذات الورق المسمى شوكة اليهود



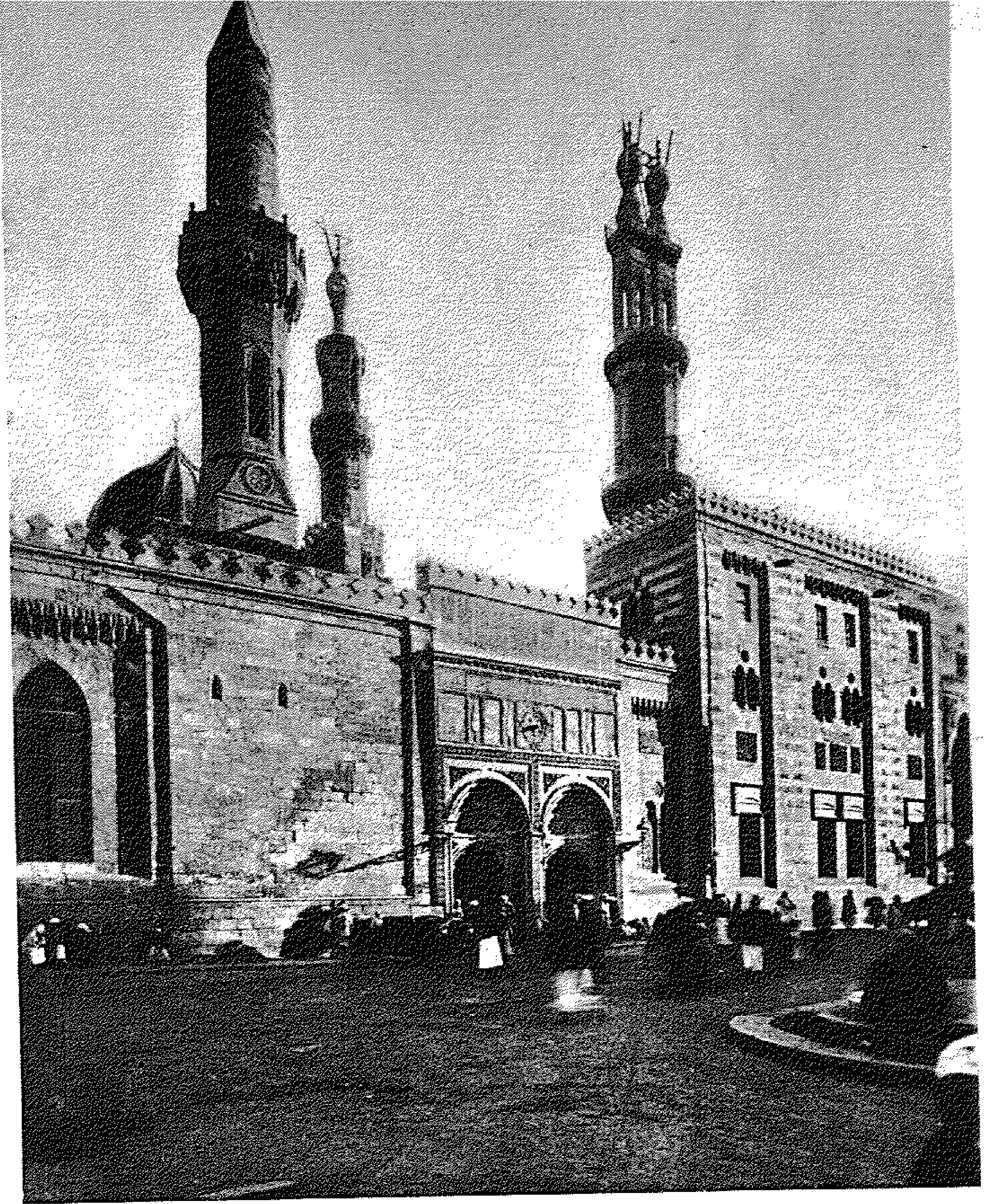


حشوة من الخشب المحفور من العصر الطولوني ، قوام الزخرفة فيها
عصفوران متقابلان (محفوظة بالمتحف الاسلامى بالقاهرة)

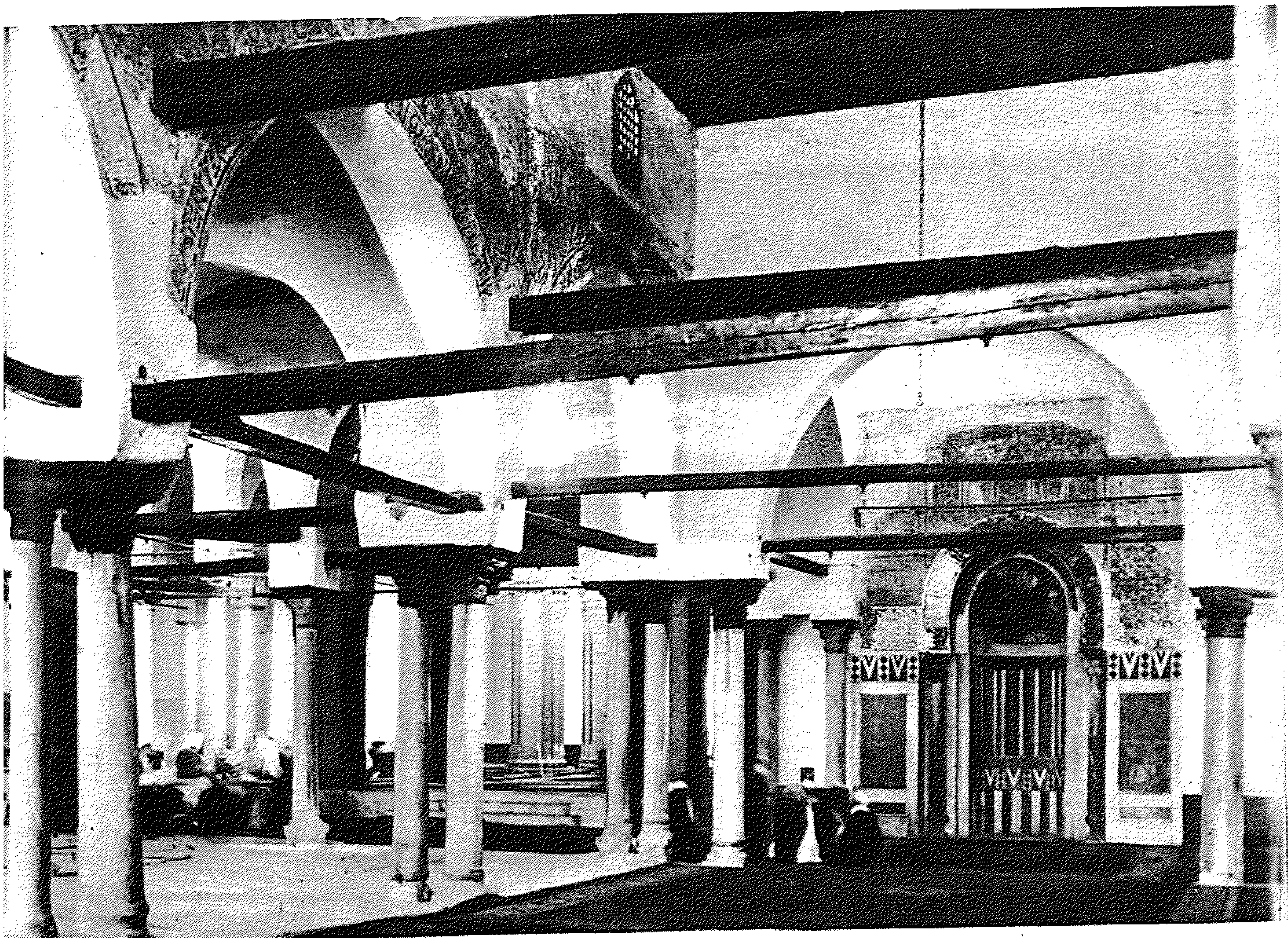


صحن من الخزف ذي البريق المعدنى من العصر الطولوني أو
العصر العباسى ، تتكون زخرفته من خطوط عريضة متقاطعة،
تحصر بينها مناطق مملوءة بالدوائر التى تتوسطها نقط حمراء
(محفوظة بالمتحف الاسلامى بالقاهرة)

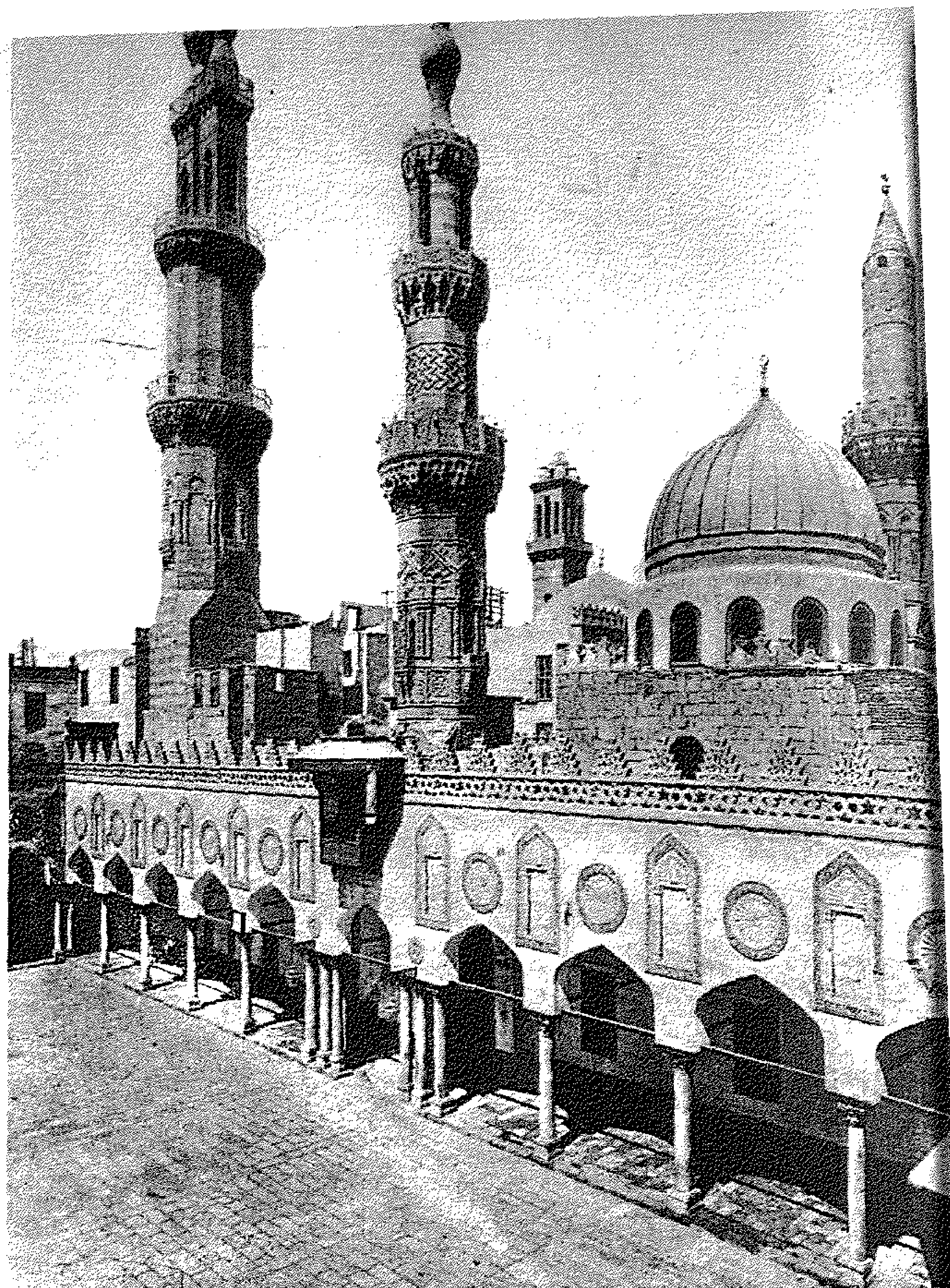
الواجهة الغربية للجامع الأزهر
ويرى الباب الغربى الكبير فى
الواجهة ، وقد أنشأه الأمير
الرحمن كتحدا سنة ١١٦٧



داخل الجامع الأزهر ويظهر
به المجرى والمحراب المعزى
والعمود والاعمدة القديمة

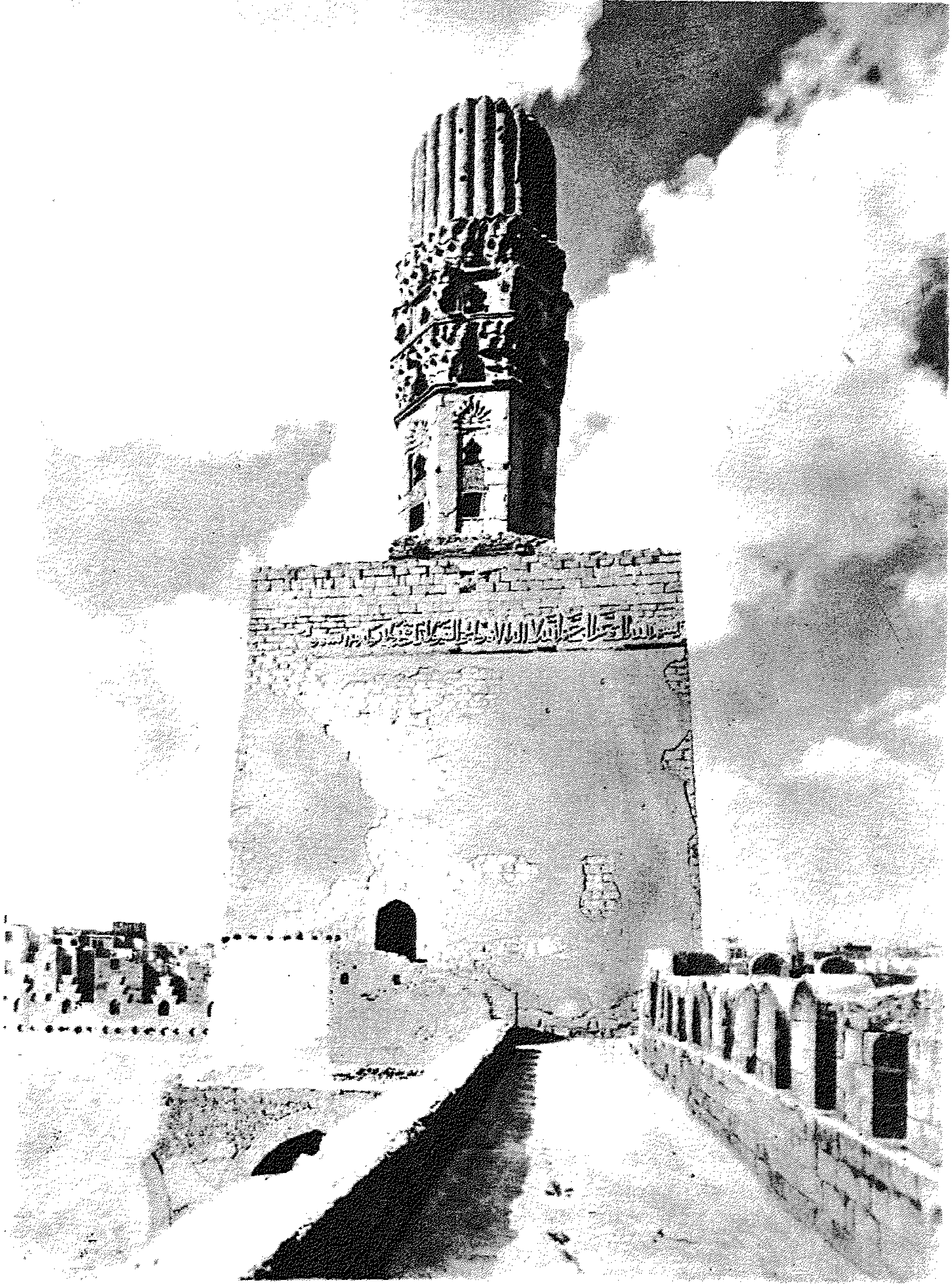


الجامع الازهر : الصحن ، وترى على
الجدران زخارف جصية . كذلك
ترى مئذنة جامع قايتباي ومئذنة
جامع الغوري ذات الرأسين . .

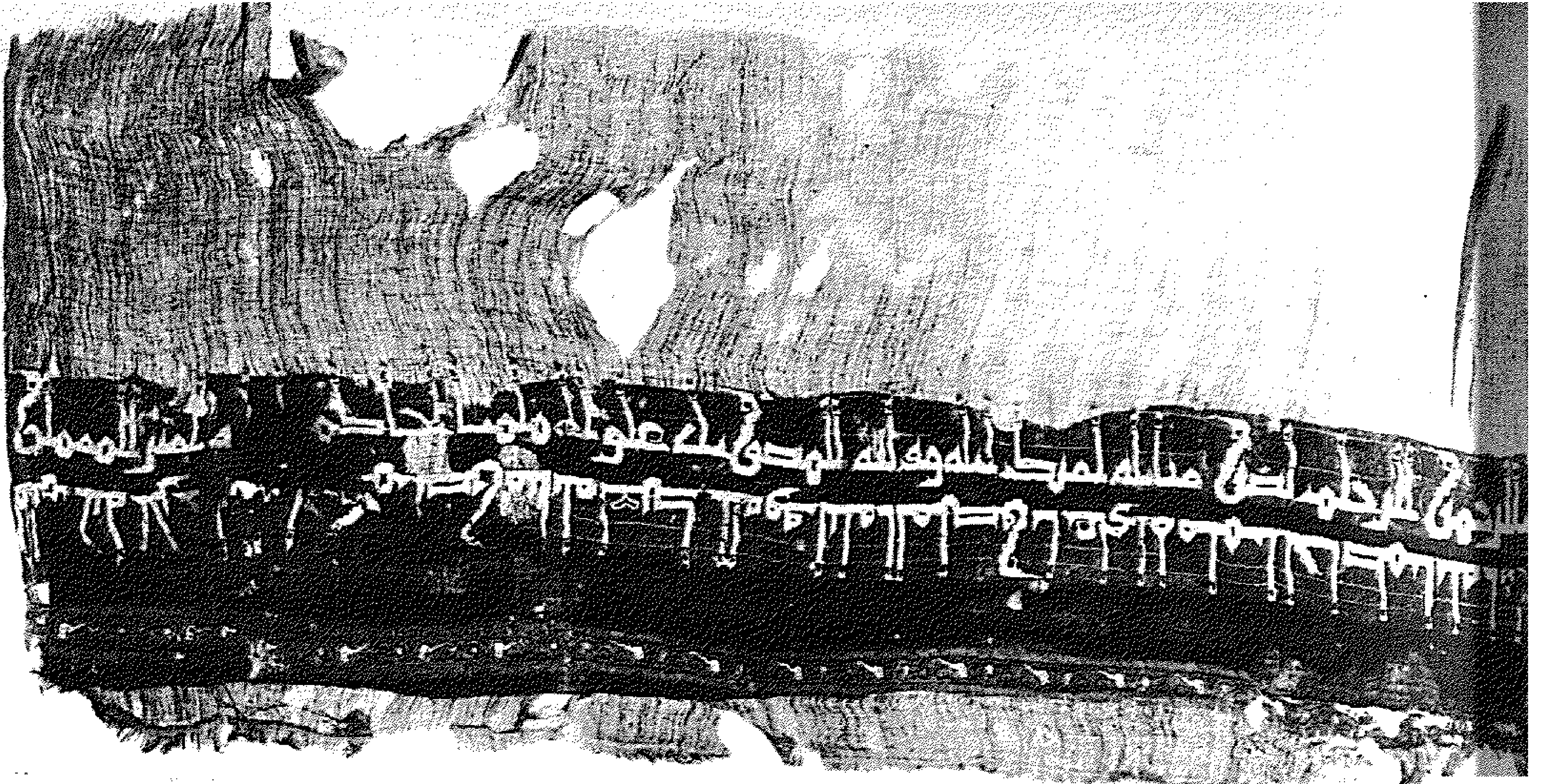


الزخارف الجصية النباتية ،
والكتابات الكوفية المشجرة
على عقود الجامع الازهر

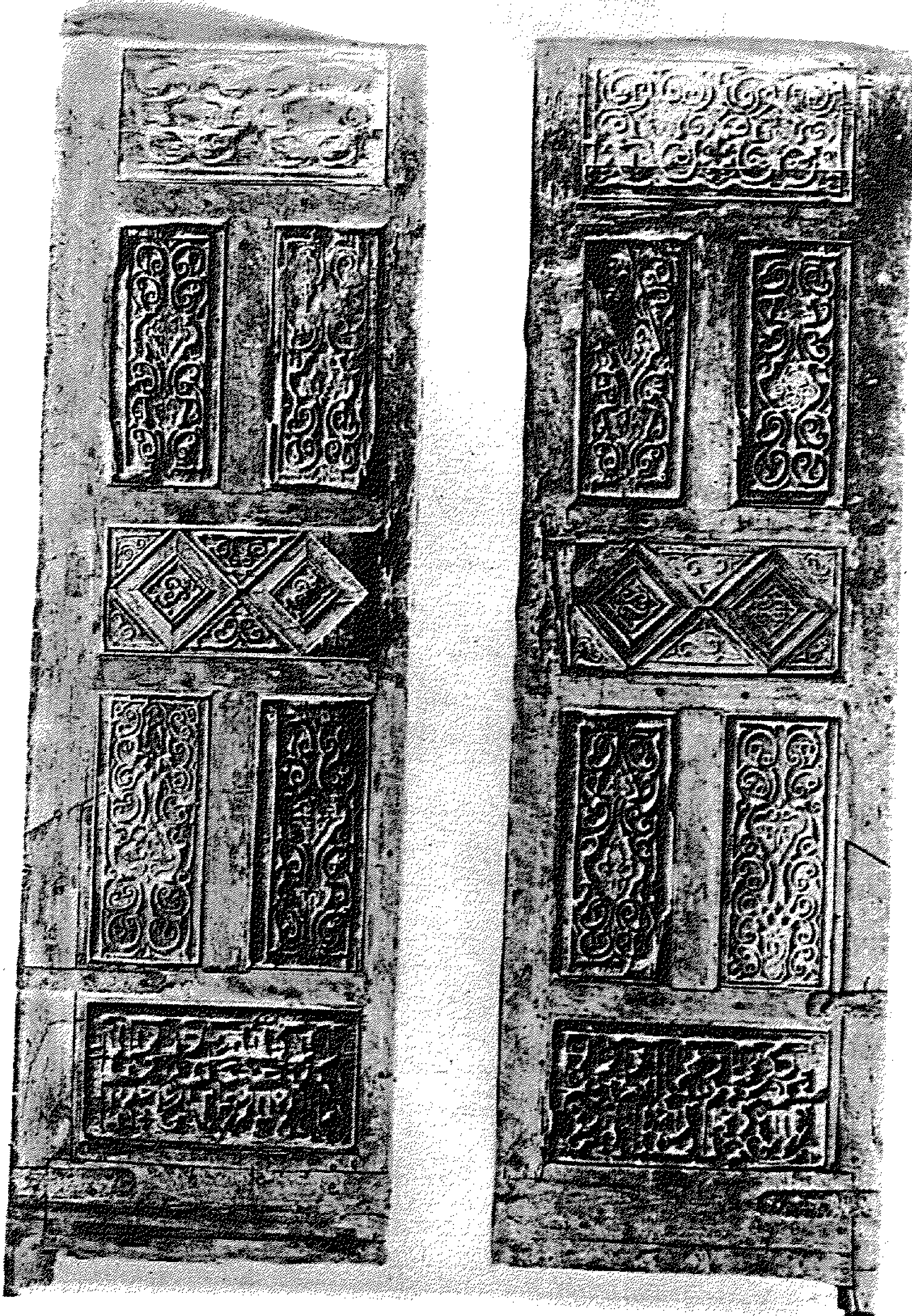




المنارة البحرية لمسجد الحاكم وجزؤها العلوى من الآجر . وترى الى اليسار بعض الشرافات المسننة التى تعلو الجدران الداخلية ، وإلى اليمين جزء من سور بدر الجمالى والطريق الموصل الى الأبراج



قطعة من نسيج من الكتان
 الحرير باسم الخليفة
 الحاكم بأمر الله (بداية
 القرن الحادى عشر
 الميلادى) محفوظة
 بالمتحف الاسلامى بالقاهرة



مصراعا باب من الخشب
 باسم الخليفة الحاكم بأمر الله
 (بداية القرن الحادى عشر
 الميلادى) محفوظان بالمتحف
 الاسلامى بالقاهرة ، أصلهما
 من الجامع الازهر وزخارفهما
 النباتية المحفورة بعمق، متأثرة
 بالطراز الطولونى أو العباسى



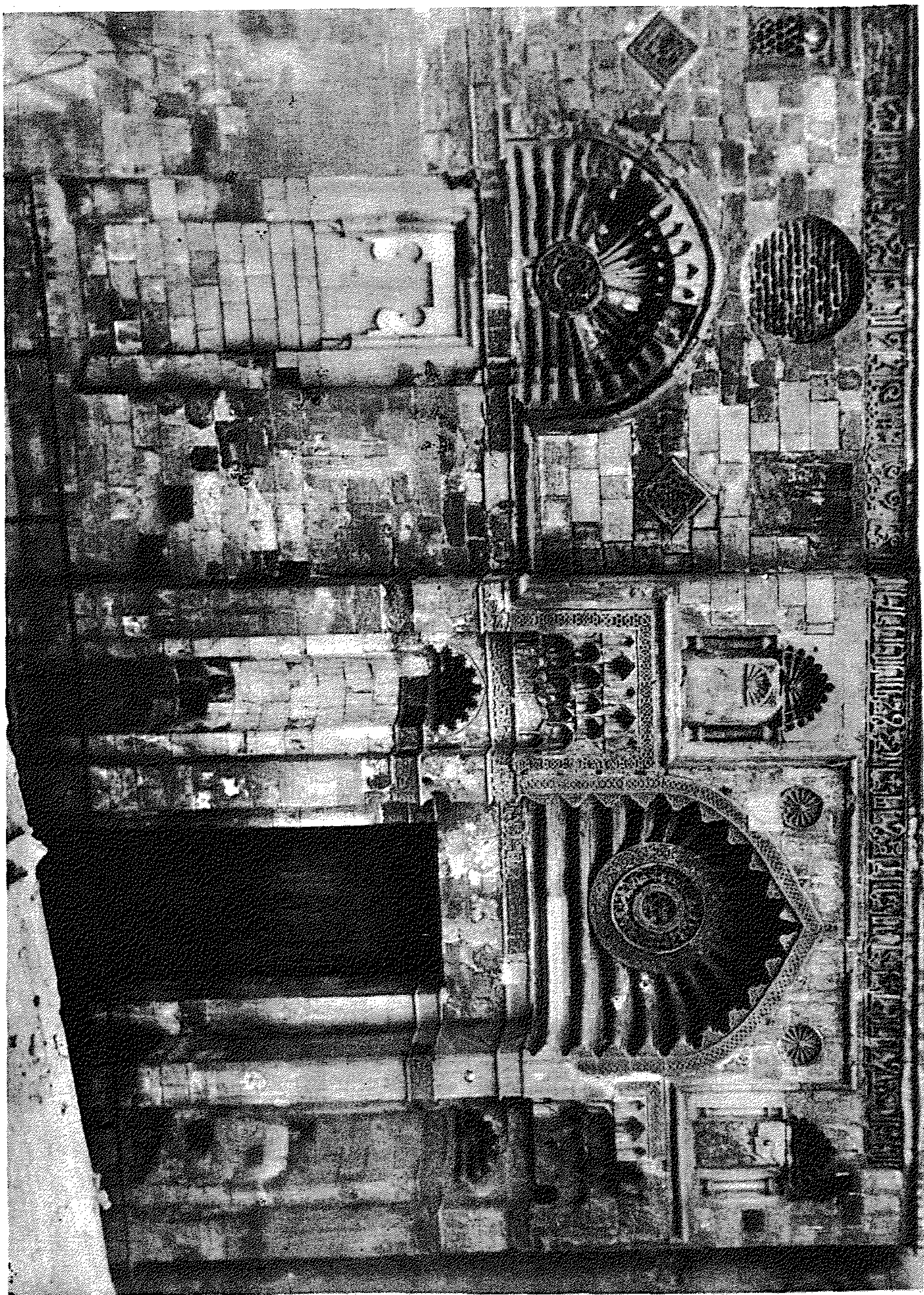
العقود المدببة بمسجد الحاكم ، والدعائم واشباه الاعمدة من الأجر .
وهي شبيهة بالدعائم (الاكتشاف) في جامع أحمد بن طولون



قطعة من ألواح خشبية ، أصلها من أحد قصور الفاطميين (من القرن العاشر
الميلادي) محفوظة بالمتحف الاسلامى بالقاهرة، وتمثل الزخرفة المحفورة عليها مناظر
طرب أو موسيقى أو صيد أو سفر أو قتال، فوق أرضية من فروع نباتية أقل بروزا



صحن من الخزف ذي البريق المعدنى (القرن الحادى عشر الميلادى) بالمتحف الاسلامى
ويمكن نسبته الى مدرسة مسلم وعليه زخارف نباتية بالبريق المعدنى ذو
اللون الذهبى المائل الى الخضرة فى وسطها ديك رافع ذيله ويتدلى من منقاره فرع نباتى



الواجهة الرئيسية لمسجد الاقصي ، وتشاهد فيها التجاويف والمحاربات و صفوف المقرنصات الصغيرة ، وافكار بنو الخط الكوفي التي تبدلت الى بنو الخط العباسي

بخططها ، فألّف فيها ، وكانت خططه أساسا لمن أتى من بعده ، ومن بينهم المقرئى . ومن أشهر المؤرخين ، وإن لم ينتموا الى العصر الطولونى وإنما ينتمون الى العصر الأخشيدى ، المؤرخ المشهور المسعودى . وقد كان مؤرخا وجغرافيا ، ممتازا على من سبقه بدقة نظره وسعة اطلاعه ، وكثرة رحلاته ومشاهداته ، فقد أضاف الى الثروة التاريخية كثيرا من الكتب والمراجع النفيسة (١) ، وتوفى سنة ٣٤٦ هـ (٩٥٧ م) ومن أشهر مؤلفاته « مروج الذهب ومعادن الجوهر » وقد ترجم الى الفرنسية

علم الطب :

وسبق أن ذكرنا أن أحمد بن طولون أنشأ يمارستانا على أرض العسكر، للعناية بالمرضى ، ألحق به صيدلية وحمامين، أحدهما للرجال والآخر للنساء ، ورتب له الأطباء والصيدالة والخدم ، للعناية بالمرضى من مختلف الأديان والأجناس ، ويدلك انشاء هذا المستشفى، وما كان عليه من تنظيم وحسن ترتيب ، واهتمام أحمد بن طولون نفسه بالمرضى والعناية بهم على مدى تقدم فن الطب والتمريض فى عهده . وفى الواقع أن مصر اشتهرت فى هذا العصر بطائفة من الأطباء ، ومن هؤلاء سعد بن توفيل ، طبيب أحمد بن طولون ، وكان نصرانيا ، وابراهيم بن عيسى ، والحسن بن زيرك ، وكان من أطباء ابن طولون أيضا

الفنون :

كذلك كان للدولة الطولونية الفضل الأول ، منذ الفتح الاسلامى فى جعل مصر مركزا مشهورا للفنون ، ومقرا لبلاط فخم . ويعتبر الجامع الطولونى ذخيرة للفنون فى هذه الحقبة من تاريخ مصر ، بما حفل به من نقوش وزخارف ، كانت معينا لدارسى الفنون عند الطولونيين . ولو أن يد محمد بن سليمان الكاتب امتدت اليه أيضا بالتخريب والتدمير ، كما امتدت لقصور القطائع وحماماتها وبساتينها ومستشفياتها وسائر أبنيتها ،

(١) كتاب تاريخ آداب اللغة العربية تأليف جرجى زيدان ، ج ٢ ص ٣١٤

لفقدنا حلقة هامة في سلسلة الفنون الاسلامية في مصر ، ولاضطررنا أن
نضرب في بيداء الحدس والتخمين تجاه تلك الفنون (١)

الزخارف الجصية :

واتخذ الطولونيون الجص (الجبس) مادة لطلاء أبنيتهم ، وزخرفوها
بزخارف تستمد كثيرا من عناصرها من الأشكال الهندسية ومن الرسوم
النباتية ، تلك الرسوم التي قوامها الفروع النباتية ، تخرج منها أوراق
العنب وعناقيده ، كما يرى في واجهات عقود الجامع الطولوني ، أو الخطوط
المتداخلة والخطوط اللولبية واللالىء والأشرطة أو الخطوط المنكسرة كما
في بواطن العقود (٢)

الاشباب المحفورة :

واستخدم الطولونيون الأخشاب في مبانيهم وقصورهم ومساجدهم ،
ولقد أفادوا من خبرة القبط في صناعة الأخشاب ، تلك الصناعة التي
توارثوها عن المصريين القدماء ، فاستخدموا الخشب في عمل السقوف
والأبواب والمنابر والدكك وأشرطة الكتابة التاريخية أو الزخرفية

وقد وصلت الينا قطع من الخشب ذى الزخارف الطولونية ، مصدرها
أما المسجد الجامع أو القصور والأبنية الطولونية البائدة ، ويشبه ما عليها
من زخارف الزخارف الجصية ، وهى محفورة حفرا عميقا ، منحرف الجوانب ،
قوامها الفروع والخطوط الحلزونية التي تغطي الأرضية كلها . وقد يغطي
التريبعة من الخشب الطولوني رسم تخطيطي ، أو آخر موضوعاته نباتية
تحيط به أشرطة من أقراص صغيرة محفورة ، أو فروع مستديرة ، أو
مربعات ، أو أشكال مستطيلة

وذكرنا في وصف بستان خمارويه ما كان يحلى قصر الذهب من تماثيل
خشبية له ولمحيطياته ، على مقدار قامة ونصف ، وللأسف لم يصل الينا
شيء منها

(١) انظر كتاب : Brigg's Moh. Architecture ص ٦١
(٢) انظر كتاب الفن الاسلامى فى مصر للدكتور زكى محمد حسن ص ٧٧

أما الخزارف الجصية والأخشاب المحفورة فبالمتحف الاسلامى بالقاهرة نماذج كثيرة منها . وذكرنا فى وصف الجامع الطولونى الازار الذى يدور تحت سقفه ، المصنوع من الألواح الخشبية ، والمنقوش فى وسطه آيات من القرآن الكريم بحروف كوفية ، من طراز الكتابة الكوفية التى سادت العصر الطولونى ، وهى المكونة من الحروف المربعة ذات الزوايا القائمة

الخزف :

وقد وجدت فى أطلال القسطنطينية قطع من الخزف ذى البريق المعدنى، تحمل شبيها كبيرا للخزف المصنوع فى سامرا ، مما يؤدى الى الظن بأن هذا الخزف نقل الى مصر بواسطة أحمد بن طولون ، وقتلده فى المصانع التى أنشأها فى القسطنطينية لهذا الغرض . ويذهب فريق من الباحثين فى دراسة الخزف الى أن الخزف ذا البريق المعدنى نشأ على ضفاف النيل ، ثم أخذ ينمو ويتزدهر فى العصر الاسلامى . وقد ذكر المرحوم على بهجت فى كتابه عن الخزف الاسلامى فى مصر أن الخزف الطولونى أرق طينة من النوع الذى ينسب الى ما قبل العصر الطولونى ، كما يمتاز بزخارفه ذات البريق المعدنى ذى اللون الأصفر أو الزيتونى على أرضية بيضاء مشربة بالصفرة أو « كريم »

وفى أكثر القطع الخزفية الطولونية خط يحيط بالخزارف الرئيسية ، فيكون منطقة تزيين ما يخرج عنها بقع ثلاثية الشكل ، أو دوائر صغيرة فى وسط كل منها نقطة . وفى المتحف الاسلامى بالقاهرة صحن فيه خزارف هندسية صفراء وسمراء ، وعلى أرضيته البيضاء النقط المعروفة فى زخرفة الخزف العراقى بسامرا (١)

المنسوجات :

وقد كان لمصر شهرة عظيمة فى صناعة المنسوجات قبل الفتح الاسلامى، وظل المصريون يزاولون تلك الصناعة كغيرها من الصناعات الأخرى طوال

(١) الفن الاسلامى فى مصر تأليف المرحوم الدكتور زكى محمد حسن ص ١٠٧

العصر الاسلامى ، ولكنها أخذت تتطور تطورا تدريجيا بما يلائم ذلك العصر والتقاليد الاسلامية

وتشتمل مجموعة المتحف الاسلامى بالقاهرة على عدد من قطع النسيج بأسماء الخلفاء العباسيين والأمراء الطولونيين . والمعروف أن الجزية التى كانت ترسلها مصر الى بلاط الخليفة العباسى ، ثم الهدايا التى أرسلها أحمد ابن طولون الى الخليفة المعتمد ، والتى أرسلها خمارويه من بعده الى الخليفة المعتضد - كان فيها شيء كثير من الأقمشة الثمينة ، والمنسوجات النفيسة ولا بد أن نشير هنا الى أن مصانع النسيج كانت على نوعين : مصانع أهلية وهى التى تصنع المنسوجات الشعبية ، ويطلق عليها طراز العامة ، وتشرف عليها الحكومة . ومصانع حكومية ، تصنع بها المنسوجات للخليفة ورجال بلاطه وخاصته وهى التى يطلق عليها طراز الخاصة . وقد كانت أسماء الخلفاء والأمراء تكتب على تلك المنسوجات ، ويقرن باسم الخليفة ألقابه وبعض عبارات الأدعية وكثيرا ما كان يذكر فيها اسم المدينة التى فيها الطراز واسم الوزير وصاحب الخراج وناظر الطراز (١)

صناعات أخرى :

وتذكر المصادر التاريخية أن عدة جيش ابن طولون كانت مائة ألف جندي . فالمعقول انه كانت توجد فى الفسطاط مصانع تصنع ما يحتاج اليه هذا الجيش العظيم من أسلحة وعتاد ، وان لم يصل الى أيدينا شيء منها . كذلك تروى تلك المصادر أن دنانير ابن طولون كانت من الصفاء بحيث استعملت خاصة للتذهيب (٢) ، ومعنى ذلك انه كانت بمصر دار لسك النقود (٣) ، كما كان بها مصانع للزجاج تصنع الأواني الزجاجية والخواتم والأختام التى كان يطبع بها على الأواني لبيان أحجامها المختلفة

(١) الفن الاسلامى للدكتور زكى محمد حسن ، ص ٨٣ - ٩٠

(٢) المصدر السابق ص ١١٧

(٣) كانت النقود التى تضرب فى دار النقود التى أسسها أحمد بن طولون تعرف بالاحمدية ، وامتازت بعمارها الجيد

الباب الرابع

المتاهة المعزية

- ١ -

استتب الأمر للفاطمين في شمال افريقية ، وصار ملكهم يمتد من حدود مصر شرقا حتى ساحل المحيط الأطلنطى غربا . ورنا الخلفاء الفاطميون ببصرهم الى مصر ، وتمنوا أن تدخل في حوزتهم ، وتنطوى تحت سلطانهم ، لما لها من مكانة ممتازة في العالم الاسلامى . فحاولوا غزوها في عهد القائم بأمر الله سنة ٣٢٤ هـ (٩٣٥ م) ، ولكن حال دون تحقيق هذه الأمنية قوة محمد الأخشيد - حاكم مصر اذ ذاك - ووقوفه لهم بالمرصاد . وظلوا يتربصون بمصر الدوائر ، حتى واثتهم الفرصة ، عندما أخذ نجم بنى الأخشيد فى الأفول ، وتسرب الوهن الى ملكهم ، وتولى أمر مصر من ذرايعهم حثالة من ضعاف الملوك ، لاحول لهم ولا قوة . عندئذ اقتنص الفرصة المعز لدين الله ، رابع الخلفاء الفاطمين ، فأنفذ اليها سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٨ م) جيشا كبيرا ، على رأسه قائده الأول جوهر الصقلى ، مجهزا بأحسن العدد والأدوات . ووضع لذلك الخطط المحكمة ، والترتيبات الموفقة ، ليتحقق الأمل المنشود ، هذه المرة

وكان قد سبق الغزو الفاطمى دعاية للفاطمين واسعة النطاق ، واستمالة الفاطمين للمصريين بشتى الوسائل ، لذلك لم يجد جوهر فى فتحها كبير عناء ، وسرعان ما صارت مصر درة فى تاج الفاطمين ، وانتقل اليها كرسى الخلافة الفاطمية ، وعلا قدرها ، وذاع صيتها ، وطمست شهرتها الخلافة العباسية فى الشرق والأموية فى الغرب ، وتعالق القاهرة المعزية على بغداد

العباسية ، وقرطبة الأندلسية ، وصارت قلب العالم الاسلامى النابض ،
ومحور نشاطه الدافق

- ٢ -

بناء القاهرة :

وكان فى مقدمة ما عنى به الفاطميون ، شأنهم فى ذلك شأن من سبقهم
من الأسرات الاسلامية ، اتخاذ قاعدة جديدة للحكم ، تحمل طابعهم ،
وتتميز عما سبقها من قصبات الحكم . لذا حرص جوهر ليلة وصوله
الفسطاط فى ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ (٧ يوليو سنة ٩٦٨) على انشاء الحاضرة
المرتقبة ، ويظهر أنه كان ينفذ رغبة من رغبات سيده المعز

تسمية القاهرة :

وهنا ينشط القصاص كعادتهم ، فى نسج قصة طريفة ، اقترن بها بناء
العاصمة الجديدة : فيروون أن جوهرًا نظر الى السهل الرملى الواقع شمالى
الفسطاط ، وكان خلوا من المباني الا القليل الملحق بالبستان الكافورى ،
ودير فسيح يطلق عليه دير العظام ، وحصن صغير يسمى بقصر الشوك ،
فاختط فيه مدينته ، وأحاطها بسياج من الأعمدة الخشبية ، وأوصلها جميعا
بالجبال ، التى تتدلى منها أجراس قصد بها أن تدق جميعا فى لحظة واحدة ،
عندما تعطى الاشارة بذلك ، لكى تكون ايدانا بوضع الأساس
وقد ترقبوا مرور كوكب ميمون الطالع ، فى سماء المدينة الجديدة ،
ليوضع الأساس عند اشراقه ، تفاؤلا بمستقبل سعيد مرموق لها . ولكن
حدث ما لم يكن فى الحسبان ، اذ حط فوق أحد الجبال غراب ، فدقت
الأجراس لفورها ، فوضع العمال الأساس ، وفقا للتعليمات المعطاة ، واتفق
أن ظهر فى تلك اللحظة كوكب المريخ ، قاهر الفلك كما يطلقون عليه ،
فلما رفع الأمر للخليفة المعز ، عند قدومه الى مصر فى ٥ رمضان سنة ٣٦٣

(١٠ يونيو ٩٧٢) وكان عالما فى التنجيم ، وافق على نسبة المدينة الجديدة الى كوكب القاهر ، الذى كان يعهد فيه بمن الغدوات ، وبركة الروحانيات . وأضيف اليها اسم المعز ، فصارت تعرف باسم القاهرة المعزية أو قاهرة المعز (١)

ومهما يكن من أمر ، فليست هذه القصة وأضرابها بالشئ الجديد فى عالم العواصم القديمة ، فقليل منها من لم يقترن انشاؤه بقصة طريفة من هذا النوع ، لتكسبها روعة وجدة ، على مر العصور والأزمان

سور القاهرة :

وليس بعجيب أن يكون أول شئ يبدأ به جوهر فى بناء العاصمة الجديدة بناء السور ، اذ كان المقصود بالمدن فى العصور الوسطى أن تكون قلاعاً حصينة ، يحتوى وراءها السكان ضد الغزاة الفاتحين، ونواة الأبنية فى تلك المدن قصور الخلفاء والوزراء وملحقاتها من دور الحكومة والدواوين ، ثم المساجد وأماكن العبادة وغيرها . وهذا ما حدا بالمقرئزى أن يذكر أن بناء القاهرة إنما قصد به أن تكون « منزل سكنى للخليفة وحرمة وجنده وخواصه ، ومعقل قتال يتحصن به ، ويلجأ اليه » (٢)

وقد شغلت القاهرة أول الأمر قطعة من الأرض مساحتها ٣٤٠ فداناً على شكل مربع طول ضلعه ١٢٠٠ متر تقريباً (٣) ، وكانت تمتد من منارة جامع الحاكم شمالاً حتى باب زويلة جنوباً . وأحاطها جوهر بسور من اللبن ، كما تقدم ، بقيت منه بقية الى عهد المقرئزى (أى الى أوائل القرن التاسع الهجرى والخامس عشر الميلادى) فوصفها بقوله : « وقد أدركت من هذا السور اللبن قطعاً ، وآخر ما رأيت منه قطعة كبيرة ، كانت فيما بين باب البرقية ودرب بطوط ، هدمها شخص من الناس فى سنة ٨٠٣ هـ :

(١) النجوم الزاهرة ، ج ٤ ص ٤١ (٢) الخطط المقرئزية ، ج ٢ ص ١٨٤
(٣) الخطط التوفيقية لعلى (باشا) مبارك ، ج ٤ ص ٤

فشاهدت كبر لبِنها مايتعجب منه فى زمننا، حتى ان اللَّبِنَة تكون قدر ذراع فى ثلثى ذراع . وعرض جدار السور عدة أذرع ، يسع أن يمر به فارسان. وكان بعيدا عن السور الحجر الموجود الآن ، وبينهما نحو الخمسين ذراعا وما أحسب أنه بقى الآن من هذا السور اللَّبِن شىء » (١)

أبواب القاهرة :

ويَحُد المدينة من الشرق تلال المقطم ، ومن الغرب الخليج الكبير، ومن الجنوب مدينة القطائع . ويقع فى هذا السور ثمانية أبواب هى : باب زويلة وباب الفرج فى الجنوب ، وباب الفتوح وباب النصر فى الشمال ، وباب القراطين – الذى عرف فيما بعد بباب المحروق – وباب البرقية فى الشرق. وباب سعادة ويقع فى موضعه الآن محكمة الاستئناف العليا ، ثم باب القنطرة فى الغرب ، (وسمى كذلك لأن جوهرًا بنى تجاهه على الخليج قنطرة)

وقد جدد هذا السور بدر الجمالى ، وزير المستنصر سنة ٤٨٠ هـ (١٠٨٧ م) ولا تزال ثلاثة من أبوابه باقية حتى اليوم وهى : باب النصر وباب الفتوح وباب زويلة . وقد بنيت فى مواضع قريبة من أبواب جوهر القديمة ، ولكنها لم تبَن من اللَّبن ، وانما بناها بدر الجمالى من الأحجار الضخمة ، كما ترى اليوم فى أماكنها الحالية ، وكما ترى بقية ضئيلة من سور بدر الجمالى فى شارع الجيش ، فى منتصفه تقريبا

القصر الشرقى الكبير :

واختط جوهر أيضا ، قصرا كبيرا لاقامة المعز عند قدومه الى مصر ، وكان يقع بالقرب من السور الشرقى ، ولذا أطلق عليه اسم القصر الشرقى الكبير ، وكل ما نعلمه عن ذلك القصر مستمد من المصادر التاريخية ، إذ

(١) الخطط المقيزية ، ج ٢ ص ٢٠٥

لا أثر له اليوم ، وكان يمتد من الموضع الذى يوجد به المشهد الحسينى الآن الى الجامع الأقمر تقريبا ، وكانت له تسعة أبواب :

ففى الناحية الشرقية كانت توجد أبواب العيد ، والزمرد وقصر الشوك ، وفى الناحية الغربية كانت توجد أبواب البحر والذهب والزهومة ، وفى الناحية القبلىة كانت توجد أبواب تربة الزعفران والديلم ، وفى الناحية البحرية كان يوجد باب واحد هو باب الريح

وكانت أسماء هذه الأبواب تدل على معان خاصة ، فسمى باب العيد كذلك ، لأن الخليفة كان يخرج منه فى يومى العيد الى المصلى التى كانت خارج باب النصر . وموضع هذا الباب اليوم بشارع قصر الشوك . وباب الزمرد : كان يتوصل منه الى قصر الزمرد ، وموضعه اليوم بشارع حبس الرحبة بالجمالية . وباب البحر: كان يخرج منه الخليفة عندما يقصد التوجه الى شاطئ النيل بالمقس ، وموضعه اليوم مدخل حارة القاضى تجاه جامع الملك الكامل بشارع بين القصرين . وباب الذهب : كانت تدخل منه المواكب وجميع رجال الدولة ، وكان تجاه البيمارستان المنصورى . وباب الزهومة : وسمى كذلك لأنه كان باب مطابخ القصر ، فتمر منه اللحوم وحوائج الطعام ، فتنبعث منه رائحة اللحوم (١) . وكان يتوصل من باب قصر الشوك الى القصر المسمى بهذا الاسم « قصر الشوك » ، وموضعه الآن مدخل عطفة القزازين بدرب القزازين . وباب التربة : وكان يتوصل منه الى مقابر الخلفاء التى كانت بداخل القصر ، وموضعه الآن وكالة القطن بسكة البادستان بخان الخليلى . وباب الريح : ويظهر أنه سمي كذلك لهبوب رياح الشمال الرطبة من خلاله ، لوقوعه فى الواجهة البحرية للقصر ، وموضعه الآن وكالة سالم وسعيد بازرة بشارع التبكشية بجوار جامع

(١) الزهومة : ربح لحم سمين منتن

جمال الدين . وباب الديلم : وكان يدخل منه الى المشهد الحسينى من شرقيه ، ويقع اليوم تجاه الباب الأخضر الشرقى للمشهد المذكور (١)

القصر الغربى الصغير :

وشيد العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله قصرا آخر ، غربى القصر الكبير ، لذا سمي بالقصر الغربى الصغير . ويشغل مكانه اليوم مستشفى قلاوون للرمذ ، وكل المساكن التى تجاوره الى شارع الخليج . لذا عرف أيضا بقصر البحر بالاضافة الى اسم القصر الغربى . « وكان يشرف على البستان الكافورى ، ويتحول اليه الخليفة من البركة التى كان يقال لها بطن البقرة ومن البستان المعروف بالبغدادية ، وغيره من البساتين التى كانت تتصل بأرض اللوق وجنان الزهرى » (٢)

وكان بين القصر الشرقى والقصر الغربى فضاء متسع ، يقف فيه عشرة آلاف من العساكر ، ما بين فارس وراجل ، يطلق عليه ما بين القصرين ، كما كان يصل القصرين سرداب تحت الأرض ، يسلكه الخليفة ممطيا بغلته ، عندما ينتقل من القصر الشرقى الى القصر الغربى ، متخفيا عن أعين الناس

تحف القصر الكبير وطرائفه :

وقد زاد الخلفاء المتعاقبون من قاعات القصر الشرقى وأبهائه ، وأفرطوا فى تزيينه وزخرفته : فقد وصف هذا القصر فى أواخر عهد الدولة الفاطمية ، بعض السائحين الأجانب ، ممن قدر لهم زيارة القاهرة ، وصفا شائقا ، فذكروا أن أرضه كانت مرصوفة بالفسيفساء ، وأسقفه تزينها الزخارف الذهبية الجميلة . وفى وسط أفنيته النافورات التى يجرى منها

(١) انظر تعليق المرحوم العلامة محمد (بك) رمزى على كتاب النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٣٤ - ٣٦
(٢) خطط المقربرى ج ٢ ص ١٨٠

إلى الصافي في أنابيب من الذهب والفضة ، الى أحواض وقنوات مرصوفة
بالرخام ، كما تكثر بحدائقه الطيور البديعة والحيوانات الغريبة . أما
الستائر فكانت مصنوعة من الحرير الموشى بالذهب ، ومرصعة بالجواهر
واليواقيت ، وعليها رسوم الحيوان والطيور ، وبعض صور آدمية (١)

وقد حشد الخلفاء الفاطميون في هذا القصر من التحف والطرائف ما
لا يكاد يصدق العقل . وقد جمعوا كل ذلك في خزائن ، كان بعضها في داخل
القصر ، والبعض الآخر في مبان ملحقة به . وكان يقوم على حفظها ، والعناية
بمحتوياتها خدم وموظفون ، اختصوا بهذا العمل وحده . وقد وصف
المقريزي في خططه تلك الخزائن ومحتوياتها وصفا مسهباً . ومن هذه
الخزائن : خزائن السلاح ، وخزانة الكتب ، وخزانة الكسوات ، وخزائن
الجوهر والطيب والطرائف ، وخزائن الفرش والأمتعة ، وخزائن السروج ،
وخزائن الخيم ، وخزائن الشراب ، وخزائن التوابل (٢)

وقد نمت القاهرة، وعلا شأنها، وطار صيتها، وازداد عمرانها، وتعددت
أبنيتها ، فأعجب بها الرحالة الفارسي ناصر خسرو ، الذي زار مصر ما بين
سنتي ٤٣٩ و ٤٤١ هـ (١٠٤٧ - ١٠٤٩ م) فذكر أن حوانيتها لم تقل عن
عشرين ألفاً ، وخاناتها وحماماتها لا يمكن حصرها . وكانت أبنيتها أعلى من
الأسوار الحصينة ، وفي كل منها خمس أو ست طبقات . وكانت البيوت في
المدينة مبنية بناء نظيفاً محكماً ، وكانت مفصولة بعضها عن بعض بحدائق
برويها مياه الآبار (٣)

الناظر :

وكان للخلفاء الفاطميين مناظر كثيرة بالقاهرة ومصر والروضة والقرافة

(١) كنوز الفاطميين للمرحوم الدكتور زكي محمد حسن ص ٧٤ - ٧٦

(٢) الخطط للمقريزي ، ج ٢ ص ٢٥٣ - ٢٧٦

(٣) سفرنامه لناصر خسرو علوى ترجمة الدكتور يحيى الخشاب ص ٥٠ ، ٥٨

وبركة الحبش وظواهر القاهرة ، وهى عبارة عن بساتين أشبه شئ باستراحة الملوك فى عصرنا الحاضر، أثت بأفخر الأثاث والرياش ، وأحيطت بأجل المناظر وأبهاها ، خصوصا تلك التى كانت تقع على النيل أو الخليج الكبير . وكان يقصدها الخلفاء للنزهة والترىض ، أو حضور الاحتفالات أيام المواسم والأعياد ، أو المناسبات الخاصة ، كتوديع الجيش والأسطول أو استقبالهما . وكان فى تلك المناظر بناء عال، يرتقيه الخليفة ، ليرى ما يدور حوله ، دون أن يراه أحد . فاذا كان الوقت ليلا أوقدت فيه النيران ليرى على ضوءها المنظر جميعه . ومن هنا جاءت تسمية البناء المفرد بالمنظرة ، وأهم تلك المناظر :

منظرة الجامع الأزهر : وكانت بجوار الجامع الأزهر من قبله .. وكان يجلس فيها الخليفة لمشاهدة لىالى الوقود. ومنظرة اللؤلؤة : وكانت تقع على الخليج بالقرب من باب القنطرة ، ويطلق على القصر المحيط بها قصر اللؤلؤة ، ويصفه المقرئى بأنه أحد متنزهات الدنيا ، لفخامة بنائه وفاخر أثاثه وجميل موقعه ، اذ كان يشرف من شرفته على البستان الكافورى ، ويطل من غريبه على الخليج وما يشرف عليه من بساتين وبرك ، وقد بناه العزيز بالله . ومنظرة الغزالة : وكانت تقع بجوار منظرة اللؤلؤة . ومنظرة السكرة : وكانت توجد على الشاطىء الغربى للخليج ، وكان لها بستان عظيم ، وقد بناها العزيز بالله أيضا . « ويجلس فيها الخليفة يوم فتح الخليج هو والوزير ، وقد فرشت بالفرش المعدة لها ، فتفتح احدى طاقات المنظرة ، ويطل منها الخليفة على الخليج . ومن طاقة تقاربها يتطلع أستاذ من الخواص ، ويشير بالفتح ، فيفتحه عمال البساتين بالمعاول ، فتدق انطبول ، وينفخ فى الأبواق من البترين » (١) ومنظرة الدكة : وكان لها بستان عظيم بجوار المقس ، فيما بين أراضى اللوق ، وقد عمر

(١) المقرئى : الخطط ، ج ٢ ص ٢٦٦

البيستان بالمباني فيما بعد ، وصار يعرف بخط قنطرة الدكة . ومنظرة
المقس ، ومنظرة التاج ، ومنظرة باب الفتوح ، ومنظرة الصناعة ، ومنظرة
بركة الحبش

- ٣ -

المساجد الفاطمية

الجامع الأزهر :

اختط جوهر في المدينة الجديدة أيضا مسجدا جامعا ، أسوة بجامع عمرو
في القسطنطينية ، وجامع أحمد بن طولون في القطائع ، لكي تقام فيه الصلوات
الجامعة ، ولكي يدرس فيه المذهب الشيعي وتعاليمه . وقد بدأ في بنائه في
جمادى الأولى سنة ٣٥٩ (ابريل سنة ٩٧٠) . وكان الانتهاء منه في رمضان
سنة ٣٦١ (يونية سنة ٩٧٢) . وربما كانت تسميته بالأزهر نسبة الى فاطمة
الزهراء ، ابنة النبي صلى الله عليه وسلم ، وزوج علي بن أبي طالب كرم
الله وجهه ، والتي تنسب اليها الدولة الفاطمية ، أو الى اللون الأبيض
المزهر ، الذي طليت به جدران المسجد ، كما كانت عادة الفاطميين في دهان
مساجدهم بشمال افريقيا ، قبل رحيلهم الى مصر

والمسجد الحالي يختلف عن جامع جوهر كل الاختلاف ، كما حدث نفس
الشيء لجامع عمرو الأصلي ، للاضافات والتعديلات التي أدخلت عليه في
العصور المتعاقبة ، والتي أحالته الى مسجد يخالف المسجد القديم تمام
المخالفة . ولكن لاتزال ثمة بقية من جامع جوهر باقية ، فيصبح بذلك أقدم
أثر من آثار الفاطميين في مصر

تخطيط الجامع الأزهر :

كانت مساحة الأزهر عند بنائه نصف مساحته الحالية التي تبلغ الآن
١٢٠٠٠ متر مربع . فتضاعفت على مر العصور ، بما أضيف اليه من مباني

في العهود المختلفة . وكان يتكون أول الأمر من أربعة أواوين يتوسطها الصحن . وكان الايوان الشرقي - ايوان القبلة - يتألف من خمسة أروقة أو بائكات. أما الايوانان القبلي والبحري فيتألف كل منهما من ثلاثة أروقة. والايوان الغربي من رواق واحد يدور حول الصحن ، أنشأه الحافظ لدين الله وكان الباب يتوسط هذا الرواق

وترتكز عقود البائكات في ايوان القبلة على أعمدة رخامية ، من طرز مختلفة . بينما ترتكز عقود البائكات خلف الرواق المشرف على الصحن على أكتاف مبنية . وجميع العقود مدببة ، وليست من النوع المعروف بالعقود الفارسية . وهذه لا توجد الا في الرواق المحيط بالصحن . ويخطئ بعض الكتاب اذ يظن أن العقد الفارسي ميزة من ميزات العمارة الفاطمية الأولى، نقلت الى مصر . ولكن الحقيقة هي أن العقد الفارسي ميزة من ميزات العمارة الفاطمية المتأخرة ، والعمارة الأيوبية الأولى في مصر. فهو لا يوجد في جامع الحاكم ولا في جامع الجيوشي (١)

ومن أهم ما امتازت به عمارة هذا المسجد المجاز الذي يخترق الصحن الى المحراب ، والذي تنتهي عنده العقود من كلا الجانبين . وهذا المجاز هو الأول من نوعه في مساجد القاهرة

وقد كانت توجد قبتان في ركني ايوان القبلة ، احدهما في الركن الأيمن عن يمين المحراب والمنبر ، وتقابلها قبة أخرى في الركن الأيسر . وقد اتبع هذا النظام في بناء جامع الحاكم (٢)

وفتحت بأعلى الجدران شبايك جصية مفرغة بأشكال هندسية ، تتخللها مضاهيات مزخرفة ، أحيطت بافريز مكتوب فيه بالخط الكوفي المزخرف آيات من القرآن (٣) وما زالت بقايا من هذه الشبايك موجودة في جدران ايوان القبلة

(٢) المصدر السابق

(١) Creswel. Early Muslim Architecture

(٣) تاريخ المساجد الاثرية للاستاذ حسن عبد الوهاب ص ٤٩

ولا يعرف شيء عن مئذنة الجامع الأصلية ، بل ولا يعرف مكانها .
والمحراب الحالي ليس هو المحراب الأصلي . وفي سنة ١٩٣٤ م كشفت
إدارة حفظ الآثار العربية عن المحراب الأصلي للجامع ، وكان يحجبه محراب
من خشب ، يظن أنه عمل في عهد الظاهر بيبرس ، فأصلحت الزخارف
الجصية للمحراب القديم (١)

هذا هو الجامع الأزهر الذي بناه جوهر ، لأداء الصلوات الخمس ،
والصلوات الجامعة ، ولكي تدرس فيه أصول المذهب الشيعي ، ومن ثم
تنتشر في طول البلاد وعرضها . ولكنه ما لبث في عهد العزيز أن اتخذ
طريقه في أن يصبح جامعة كبرى ، فابتنى بجواره دارا لجماعة من الفقهاء ،
عدتهم خمسة وثلاثون ، فكانوا يجتمعون فيه بعد صلاة الجمعة ، ويقرءون
القرآن الى صلاة العصر . وقد أجرى عليهم هذا الخليفة الأرزاق ، وأغدق
عليهم وزيره يعقوب بن كلس الأموال ، ونقل اليه الحاكم نصف ما كان
بدار الحكمة من كتب ، كما زاد في بنائه ، وزاد على ما وقته عليه أبوه من
قبل من أوقاف ، وما قدم له من هبات (٢)

وقد تعطلت صلاة الجمعة في الأزهر في عهد الأيوبيين مدة قرن من الزمان،
ثم عاد اليه بهاؤه ورويقه في عهد المماليك ، واستأنف نشاطه وأقيمت صلاة
الجمعة في عهد الملك الظاهر بيبرس (٣) . ومنذ ذلك الوقت صار ولا يزال
حتى اليوم أكبر جامعة اسلامية ، يهرع اليها المسلمون من جميع أركان
المعمورة ، لينهلوا من معينه ، وليتفقهوا في الدين ، وليسترشدوا بعلم
أئمة وشيوخه الأعلام

جامع الحاكم :

ثم جاء العزيز بالله نزار فشرع في سنة ٣٧٩ هـ (٩٨٩ م) في بناء مسجد

(١) دليل موجز لاشهر الآثار العربية بالقاهرة للمرحوم الاستاذ محمود احمد ص ٥٩

(٢) القاطميون في مصر للدكتور حسن ابراهيم حسن ص ١٢٨

(٣) المقرئى : الخطط ، ج ٤ ص ٥٢

آخر ، خارج باب الفتوح ، ولكنه توفي قبل اتمامه ، فأتمه ابنه الحاكم سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٢ - ١٠١٣ م) ، لذا نسب اليه ، وصار يعرف بجامع الحاكم .
ويبلغ طوله من الداخل ١٢٠٥ مترا وعرضه ١١٣ مترا ، فمساحته أقل بقليل من مساحة جامع عمرو . وفي نهايتى واجهته البحرية (الشمالية الغربية) توجد المئذنتان ، ويحيط بهما قاعدتان عظيمتان هرميتا الشكل .
وتتركب كل قاعدة من مكعبين يعلو أحدهما الآخر . والمكعب العلوى موضوع الى الخلف قليلا فوق السفلى . ويبلغ ارتفاع الأخير ارتفاع أسوار الجامع . وتبرز من كل من المكعبين العلويين مئذنة ، مثنى الشكل . وفي منتصف هذه الواجهة البحرية ، وبين المئذنتين يوجد مدخل الجامع الأثرى ، وهو أول مدخل بارز بنى فى جامع القاهرة ، يغطيه قبو اسطوانى عرضه ٣٤٨ مترا ، وطوله ٥٠ مترا . وفي نهايته باب عرضه ٢٢١ مترا ، ومعقود بعقد أفقى من الحجر . وهذا العقد والحائط الموجود فيه حديثا البناء .
ويوجد فى المدخل عن اليمين وعن اليسار بقايا نقوش بدیعة ارتفاعها ١٦٠ مترا تكون طبانا فى المدخل

ويؤدى المدخل الى صحن الجامع الذى تحيط به اواوين هى على الترتيب الآتى : الايوان الجنوبى الشرقى (ايوان القبلة) ، ويتكون من خمسة أروقة ، وبكل رواق ١٧ عقدا ، ويقابله الايوان الشمالى الغربى ، ويتكون من رواقين ، وبكل رواق ١٧ عقدا أيضا ، والايوانان الشمالى الشرقى والجنوبى الغربى ، ويتكون كل منهما من ثلاثة أروقة ، وبكل رواق ٩ عقود

وكل تلك العقود محمولة على أكتاف ، تشبه أكتاف الجامع الطولونى ، اذ توجد فى الأركان الأربعة لكل كتف أعمدة ، مثل أعمدة الجامع الطولونى ، غير أنها أثخن ولا تيجان لها . وقد كانت جميع العقود مغطاة بسقف مسطح

من الخشب ، ويحيط بالسقف من أسفله ، فيما بينه وبين العقود ، ازار جصى من الكتابة الكوفية البديعة

وجميع الأكتاف والأعمدة مبنية من طوب أحمر داكن ، يشبه الطوب المستخدم فى بناء جامع ابن طولون . ويربط الأكتاف ، بعضها ببعض ، مِيد (أربطة خشبية) مكسوة بألواح مزخرفة بنقوش محفورة فى الخشب ، كما كانت تعلو الأعمدة فرشات من الخشب المسطح ، مكونة من قطعتين أو ثلاث قطع

وتوجد فى نهايتى حائط القبلة قبتان ، محمولتان على مثنى . كما توجد قبة ثالثة فوق المحراب . وقد هدمت القبة الشرقية بسبب اقامة السور الذى بناه بدر الجمالى ، ملاصقا للجدار الشرقى للجامع . كما سدت جميع النوافذ فى هذا الجدار أيضا لنفس السبب المتقدم

وقد كان يوجد عن يمين المدخل الحالى بابان ، وعن يساره بابان آخران ، وقد سدت جميعها . كما كان يوجد بابان فى الجانب الشرقى (باب فى الوسط ، وباب ملاصق للمئذنة) ، وباب فى منتصف الجانب الغربى ، وباب المخطيب بجوار المنبر ، فيصير مجموع الأبواب تسعة

أما الشبايك فى هذا الجامع فموضوعة على محور كل عقد ، بخلاف شبايك الجامع الطولونى ، فانها منحرفة عنه قليلا ، وينتج عن ذلك أنه كان يوجد فى جامع الحاكم ١٦ شباكا فى كل من الحوائط الجانبية ، و ١٧ شباكا فى كل من ايوان القبلة والحائط المقابل له . وقد سدت المئذنتان شباكا من كل جهة ، فيصبح بذلك عدد الشبايك ١٦ فقط . ويوجد شباكان فى الحائط الخلفى لايوان القبلة ، على يسار المحراب . والزخرفة فى هذين الشباكين لا تشتمل على زخرفة هندسية ، بل تتكون من زخارف نباتية متداخلة بعضها فى بعض

وكما ذكرنا كان يوجد ازار جصى يحيط بالجامع ، من الخط الكوفى

البديع ، لاتزال آثاره باقية الى اليوم فى ايوان القبلة ، كذلك كانت القباب والشبابيك مزينة بزخارف جصية بديعة . وحتى الميكد الخشبية كانت مزينة بزخارف محفورة فى الخشب ، ولا يزال بعضها موجودا فى ايوان القبلة وقد توالى صروف الزمان على هذا المسجد ، فاعتدى عليه بدرالجمالى ، فسد منافذ الجدار الشرقى ببنائه السور ملاصقا لهذا الجدار ، كما أصابه زلزال سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٣ م) بتلف شديد فتهدم كثير من العقود والأكتاف الحاملة لها ، وسقط السقف ، كما هوت قمتا المذبتين ، وتوالى عليه المصائب حتى تهدمت جميع أواوينه ، ما عدا بعض عقود فى الايوانين القبلى والشرقى ، فاستخدمته وزارة الأوقاف مخزنا ، وحفظت فيه التحف والآثار الاسلامية قبل نقلها الى الدار الحالية . وتشغله الآن مدرسة السلحدار الابتدائية

وقد أصلحت ادارة حفظ الآثار العربية أكتاف النصف الغربى من الايوان القبلى وعقوده ، ولكن لاتزال حالة الجامع تبعث على الأسى والأسف ، مما لا يتناسب مع مكانته كأثر من الآثار الاسلامية ، الجديرة بالعناية والاهتمام وقد شيد الحاكم مسجدين آخرين ، هما جامع راشدة سنة ٣٩٣ هـ (١٠٠٣ م) الذى اشتق اسمه من الخطة التى بنى فيها وهى خطة راشدة ، وجامع المقس الذى شيده على شاطئ النيل بالمقس ، ميناء القاهرة النهري فى ذلك الحين ، وليس لهما أثر اليوم

جامع الجيوشى :

يقوم هذا المسجد أو الزاوية ، كما يسميه النقش الموجود فى أعلى مدخله ، على حافة جبل المقطم ، خلف القلعة . والذى أمر ببنائه هو الوزير أمير الجيوش بدر الجمالى سنة ٤٧٨ هـ (١٠٨٥ م)

أما أهمية هذا الجامع الأثرية فترجع الى أنه :

أولا — أول بناء اشتمل على جامع ومقبرة فى نفس الوقت

ثانياً - انه أول جامع فى القاهرة بنى بالحجر (١) ، وليس ذلك غريباً اذا عرفنا انه مبنى فوق تل المقطم ، يحيط به تلال جميعها من الحجر الجيرى الحيد

وهو منحرف نحو الشمال الغربى والجنوب الشرقى . ولكن بناءه منسجم كما يظهر من تخطيطه ، بالرغم من عدم انتظام خارجه . وبحدف الإضافة الخارجية ، نجد أن هذا الجامع مبنى على مستطيل مساحته ١٨ × ١٥ متراً . والمدخل فى منتصف الواجهة الشمالية الغربية ، أسفل المئذنة . وهو عبارة عن باب معقود بعقد مدبب ، يؤدى الى ردهة مسقوفة بقبو نصف اسطوانى . وعلى الجانب الأيسر من هذه الردهة ، حجرة مربعة مسقوفة بقبو نصف اسطوانى أيضاً ، تحتوى على صهريج ماء . وعلى الجانب الأيمن ، حجرة أخرى مربعة مفتوحة الى السماء ، بها سلم يؤدى الى السقف المسطح

ويدخل الانسان من الردهة الى صحن الجامع بواسطة قبو آخر مدبب . ومساحة الصحن ٦٤٥ × ٦٠٥ متراً . وعلى كل من جانبيه حجرة مسقوفة بقبو نصف اسطوانى . وعلى الضلع الجنوبى الشرقى للصحن توجد واجهة ايوان القبلة ، ذات الثلاثة العقود : عقد كبير يكتنفه عقدان صغيران . ويتكىء العقد الأوسط على زوجين من الأعمدة الرخامية ، لها تيجان على هيئة ورق اللوتس ، وقواعد من ورق اللوتس المقلوب . ويؤدى هذا العقد الى ردهة طويلة ، ذات عقد متقاطع ، تنتهى بعقد ثلاثى آخر ، يؤدى الى القبة التى توجد أمام المحراب ، والتى يكتنفها من كل من جانبيها ايوان معقود بعقد متقاطع

والمحراب الذى يبلغ ارتفاعه ١٥ ر٣ متراً ، هو قطعة فخمة من الزخرفة الجصية ، كما يزين القبة من أسفلها شريط من الكتابة الكوفية المزخرفة ،

يجرى حول رأس المربع المقامة عليه القبة . وترتكز القبة على مئذنة في كل ضلع من أضلاعه شباك . ومنطقة الانتقال بين المربع والمئذنة تتخللها حنيات أما المئذنة فقائمة في منتصف الضلع الشمالى . ويبلغ طولها ٢٠ مترا تقريبا . وتتربك من قاعدة مربعة ، تنتهى بمقرنص يعلوه مربع آخر، فمئذنة يحمل قبة

وجميع حوائط الجامع لغاية السقف المسطح مبنية من الحجر ، وجميع العقود ، وكذا القبة ، مبنية من الطوب الأحمر الداكن . وكذا الجزء من المئذنة الذى يعلو السقف المسطح . وتوجد فى المبانى أربطة من جذوع النخل

ويؤخذ من النقش الموجود على مدخل الجامع أن أمير الجيوش بدر الجمالى أمر ببنائه سنة ٤٧٨ هـ (١٠٨٥ م)

الجامع الاقمر :

يوجد هذا الجامع فى شارع النحاسين . وقد بناه الوزير المأمون بن البطايحى بأمر من الخليفة الأمر بأحكام الله أبى على منصور سنة ٥١٩ هـ (١١٢٥ م) وهو أول جامع فى القاهرة حوت واجهته تصميم هندسيا بديعا . وهو أول جامع أيضا فيه الواجهة موازية لخط تنظيم الشارع ، بدل أن تكون موازية للصحن ، ذلك لكى تصير القبلة متخذة وضعها الصحيح . ولهذا نجد أن داخل الجامع منحرف بالنسبة للواجهة

وهو مكون من صحن صغير مربع ، مساحته عشرة أمتار مربعة تقريبا ، يحيط به رواق واحد من ثلاثة جوانب ، وثلاثة أروقة فى الجانب الجنوبى الشرقى، أى فى ايوان القبلة. وعقود الأروقة محلاة بكتابات كوفية مزخرفة، ومحمولة على أعمدة رخامية قديمة ، ذات قواعد مصبوبة ، وتيجان مختلفة تربطها ميّدة خشبية

وأجمل شيء في هذا الجامع واجهته التي لا يضارِعها في زخارفها البديعة واجهة أخرى في جوامع القاهرة . ويرى في مدخله لأول مرة في عمارة المساجد العقد المعشق ، الذي انتشر في العمارة المملوكية ، في القرن الخامس عشر الميلادي . وفوق هذا العقد ، يوجد العقد الفارسي ، وهو منشأ على شكل مروحة ، تتوسطها دائرة في مركزه . وأهم ميزة في تصميم الجامع استعمال المقرنصات ، ولم تستعمل قبل ذلك الا في مئذنة جامع الجيوشي ، كما سبق تفصيله ، تلك الزخرفة التي عثمت انتشارها جميع العمارة الاسلامية تقريبا بعد هذا الجامع

جامع الصالح طلائع بن رزيك :

يوجد هذا الجامع على رأس تقاطع شارع الدرب الأحمر بقصبة رضوان ، وتجاه زاوية فرج بن برقوق . أنشأه الملك الصالح طلائع بن رزيك ، وزير الخليفة الفائز بنصر الله الفاطمي ، ثم الخليفة العاضد ، آخر خلفاء الدولة الفاطمية ، والمتوفى سنة ٥٥٦ هـ (١١٦١ م) ، فكان جامع هذا آخر أثر أنشئ في عهد الدولة الفاطمية . وقيل في سبب بنائه ، انه بنى لتلقى رأس الحسين ، وقد كانت قبلا مدفونة في عسقلان ، التي أصبحت في خطر من مهاجمة الصليبيين لها . ولكن هذا القول مردود ، لأن المشهد الحسيني أنشئ سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤ م) ، أي قبل بناء الجامع بنحو ست سنوات

وهو جامع صغير ، بالنسبة لجامعي ابن طولون والأزهر . ويحيط بالصحن أواوين مرتبة على نسق أواوين الجامع الأقمر : فيتكون ايوان القبلة من ثلاثة أروقة ، ويتكون كل من الاواوين الثلاثة الأخرى من رواق واحد فقط . وعقود هذه الأروقة محمولة على أعمدة من الرخام . وله أربع واجهات مبنية بالحجر ، أهمها الواجهة الغربية ، وبوسطها المدخل الرئيسي للمسجد ، وقد أقيم أمامه رواق محمول على أربعة أعمدة رخامية ، وحليت عقودها بزخارف بديعة ، كما حلى صدر هذا الرواق وجانباه بزخارف على

هيئة مروحة ، ونقشت بأفاريزه آيات قرآنية كتبت بالقلم الكوفي المزهر ويمتاز هذا المسجد بأنه من المساجد المعلقة ، اذ أن أرضيته كانت أعلى من مستوى سطح الشارع بمقدار ٣٨٠ مترا ، ويرتكز على أقبية ، كانت ولا تزال تستعمل كحوانيت . ويوصل الى الأبواب سلالم عمودية على الواجهات . والى عهد قريب كانت هذه الأقبية مخبئة ، لارتفاع سطح الشارع عما كان عليه من قبل بنحو ثلاثة أمتار تقريبا ، وقد عادت الى الظهور بعد أن أزيل الردم . وجدرانه الأربعة مبنية من الخارج بالحجر المحلى بزخارف وكتابات كوفية ، محفورة في نفس الحجر . وواجهته الغربية الخارجية ، لا نظير لها في مساجد القاهرة ، من حيث تصميمها . ويزيد في جمالها تلك العقود المملوءة بزخارف على هيئة مروحة

والمنبر الموجود حاليا بالمسجد صنع بأمر الأمير بكتمر الجوكندار سنة ٦٩٩ هـ (١٢٩٩ م) . وكان قد جدد مئذنته أيضا ، عقب سقوط المئذنة الأصلية بسبب زلزال ٧٠٢ هـ (١٣٠٢ - ١٣٠٣ م)

وبناء الجامع في هذا الموضع ، تجاه باب زويلة ، خطير من الواجهة الحربية على المدينة . فلو أن عدوا مهاجما استولى عليه ، لأمكنه أن يهددها من هذه الناحية ، ولاتخذ منه نقطة ارتكاز جيدة لاقتحام باب زويلة نفسه ، ثم المدينة بعد ذلك . وقد شعر الصالح طلائع بهذا الخطأ قرب وفاته . لذلك قال : « ما ندمت قط في شيء عملته الا في ثلاث : الأولى بنائى هذا المسجد على باب القاهرة ، فانه صار عوناً عليها ... الخ »

وظل هذا الجامع حافظا لكيانه حتى سنة ٨٨٢ هـ (١٤٧٧ م) . ثم أخذ يتهدم شيئا فشيئا حتى لم يبق منه سنة ١٩٢٠ م سوى ايوانه الشرقى . فأخذت لجنة حفظ الآثار العربية منذ سنة ١٩١٥ م في تجديده ، واعادته الى سابق عهده ، وبذلت في سبيل ذلك جهدا كبيرا ، وقد وفقت في مهمتها الى حد كبير

التحصينات الفاطمية لمدينة القاهرة

تكوّن أبواب النصر والفتوح وزويلة قطعة من أعظم التحصينات الحربية في الاسلام . ولا يوجد لهذه الأبواب مثل على الاطلاق ، ولا لفسور أو القلاع التى تعلوه . وقد بلغت أعمال البناء فيها درجة من الكمال لم تصل اليها أعمال البناء ثانية فى مصر . ولقد أثارت هذه الأبواب اعجاب رحالة القرن الثامن عشر الأوربيين ، الذين سجلوا اعجابهم بها فى كتب رحلاتهم

وقد بنيت هذه الأبواب الثلاثة فى موضعها الحالى بأمر بدر الجمالى ، بدل الأبواب القديمة ، فى المدة ما بين ٤٨٠ و ٤٨٥ هـ (١٠٨٧ - ١٠٩٢ م) . وقد قام ببنائها ثلاثة اخوة ، وفدوا على مصر من مدينة «أذاسا» أو «أرفا» ، من أعمال أرمينيا . فقام كل واحد منهم ببناء باب من الأبواب الثلاثة

باب النصر :

بنى سنة ٤٨٠ هـ (١٠٨٧ م) ، ويتكون من برجين مربعين ، نقش عليهما فى الحجر أشكال تمثل بعض آلات الحرب من سيوف وتروس . ويتوسط البرجين باب شاهق ، وجدت به فتحة من أعلاه كى تصب منها المواد الكاوية على من يحاول اقتحام الباب ، يطلق عليها سقطة . ويعلو هذه الفتحة افريز يحيط بالقلعتين . وبالباب كتابات كوفية تضمنت اسم المنشئ وتاريخ الانشاء ، وفوق ذلك افريز تعلوه المزاغل

وبالباب الموصل لداخله حديث العهد ، وربما كان فتحه فى عهد الاحتلال الفرنسى لمصر ، أما الباب الأسمى فانه فى الركن القبلى الشرقى ، وهو الآن مسدود بالبناء

والسلم الموصل الى أعلى مبنى بالحجر ، وقد عقد بشكل يعد الأول من

نوعه فى العمارة الاسلامىة بمصر . وهو يوصل الى أبراج والى حجرات اشتملت على أهم وأحسن مجموعة من العقود المبنية بالحجر من مصلبة ومعقودة بصناعة فريدة فى بابها (١)

باب الفتوح :

بنى سنة ٤٨٠ هـ (١٠٨٧ م) ، وكان موضعه عندما أسسه جوهر قريبا من رأس حارة « بين السيارج » . فلما جدد بدر الجمالى سور القاهرة ، أنشأ بابى النصر والفتوح فى موضعيهما الحالىين ، وربطهما بسور يوصل بينهما بطرق وسرايب على ظهر السور ، وفى جوفه ، بأحكام ، وعقود متنوعة

ويتكون هذا الباب من برجين مستديرين ، يتوسطهما المدخل . وفى جانبى البرجين طاقتان كبيرتان تدور حول فتحتيهما حلقة مكونة من اسطوانات صغيرة . وهو نوع من الزخارف راج فيما بعد فى حلقة دوائر العقود . وفى أعلى المدخل كوابيل على هيئة كبش بقرنين . وهذا النموذج لا نظير له فى العمارة الاسلامىة

ويتصل باب النصر بباب الفتوح بطريقين : أحدهما من فوق السور ، والآخر من تحته ، وهو ممر معقود ، على جانبيه المزاغل والحجرات المعقودة بحالة متقنة ، تعطى فكرة جيدة عن نظام الحصون المصرىة فى ذلك العصر

باب زويلة :

كان موضع هذا الباب عندما أسس جوهر مدينة القاهرة عند باب سام ابن نوح وسبيل العقادين ، القائم على رأس حارة الروم . ثم بناه فى مكانه الحالى بدر الجمالى سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م)

وباب زويلة مثل باب الفتوح ، يتركب من بوابة عظيمة معقودة ، عرضها ٨٢م ، وعلى جانبيها برجان عظيمان ، ذوا واجهتين مستديرتين

(١) الدليل الموجز للمرحوم محمود احمد ، ص ٦٥ - ٦٧

مصمتين لنحو ثلثي ارتفاعهما ، ويشغل الثلث الأخير في كل من البرجين حجرة ، تشرف على مدخل البوابة . ويدخل الانسان من البوابة الى ممر مغطى بقبة منخفضة ، مبنية على مثلثات كرية ، تحمل الممر العلوى الذى يصل القلعتين ، بعضهما ببعض ، من مؤخريتهما . وفوق هذا الممر ممر آخر ، تتوجه شرافات

ويوجد فى أعلى واجهتى البرجين ثلاثة مزاغل ، وهى مسدودة ، ولكن لا يزال يمكن رؤيتها رغم ذلك . وترى أيضا دوائر ، هى أطراف الأعمدة الرابطة ، كما هو الحال فى بابى النصر والفتوح

ولما شرع الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى فى بناء مسجده المجاور للباب من ٨١٨ الى ٨٢٣ هـ (١٤٠٥ - ١٤١٠ م) انتهز مهندسه فرصة وجود برجى باب زويله ، فهدم أعلاهما ، وأقام مئذنتى المسجد عليهما

باب التوفيق :

أخذت بلدية القاهرة منذ سنة ١٩٥٤ م فى ازالة الآكام الموجودة شرقى العاصمة ، بمنطقة الدراسة ، لتوفير منطقة سكنية جديدة ، ولحماية القاهرة من الأتربة التى تنهال عليها فى الأيام العاصفة

وفى أثناء ازالة هذه الآكام ، وفق رجال مصلحة الآثار المصرية للكشف عن جزء من سور صلاح الدين ، كان مختبئا تحت هذه الآكام ، وعثر على بُعد عشرة أمتار غربى سور صلاح الدين على بقية من سور بدر الجمالى ، وبه باب رابع كشف عن عقد كامل له . وظهر خلفه عقد آخر تعلوه لوحة تذكارية عليها كتابة بالخط الكوفى الرائع هذا نصها : «بِعز الله العزيز الجبار يحاط الاسلام وتنشأ المعادل والأسوار. رأى انشاء هذا - باب التوفيق - والسور المحيط بالمعزية ، القاهرة المحروسة حماها الله ، فتى مولانا وسيدنا معد أبى تميم الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الأئمة الطاهرين ، وأبنائه الأكرمين ، السيد الأجل أمير الجيوش سيف

الاسلام ، وناصر الأنام ، كافل قضاة المسلمين ، وهادى دعاة المؤمنين أبو
النجم بدر المستنصرى بدر الجمال ... الخ » . وتاريخه ٤٨٠ هـ

ووجدت بين العقدين فجوة تصب منها المواد الحارقة على العدو كالزفت
والقطران المغليين ، اذا هاجم أسوار القاهرة وأبوابها ، كما هو الحال فى
بقية الأبواب الثلاثة . ويرجح أن يكون هذا الباب قد أنشئ مكان باب
البرقية القديم ، وسمى كذلك نسبة الى جماعة من أهل برقة نزلوا فى هذه
المنطقة

— ٥ —

الحالة الاقتصادية فى عهد الفاطميين

الاستقرار واثره فى انتعاش الحياة الاقتصادية :

لم تنفذ دولة الى صميم الشعب ، وتتغلغل بين طبقاته ، مثل ما فعلت
الدولة الفاطمية فى مصر . ولم يكن ذلك غريبا ، فهى دولة شيعية قبل كل
شئ ، ولم يكن للمصريين سابق عهد بالتشيع . وقد رأينا كيف تمكنت
المذاهب الأربعة ، خصوصا المذهب الشافعى فى مصر قبل الدولة الفاطمية ،
فكان حتما على الفاطميين أن يروجوا لمذهبهم بكل الأساليب ، ويزينوا
للناس الأخذ به ، والانضواء تحت لوائه . فأضفوا على الحياة بهجة بما
ابتدعوه من أعياد ومواسم ، ما يزال أغلبها باقيا حتى اليوم ، وقد انقضى
على عهدهم نيف وعشرة قرون . فهم مبتدعوا الاحتفاء بأول العام الهجرى ،
ومولد النبى صلى الله عليه وسلم ، ويوم عاشوراء ، ووفاء النيل ،
والعيدين : عيد الفطر والعيد الأضحى ، وخروج قافلة الحج الى الحجاز .
بل انهم ذهبوا الى أبعد من هذا ، فقد احتفوا أيضا ببعض الأعياد القبطية ،
مشاركة للقبط فى أفراحهم كليلة الغطاس ، والنيروز ، وخميس العهد .
وكانوا يولمون الولائم ، وينثرون الذهب على الناس ، وتلبس القاهرة حلة
قشبية من البهجة والزخرف ، وترفرف عليها أعلام الفرحة والسرور ، حتى

خيل للفاطميين أنفسهم أن مصر غدت قلعة من قلاع الشيعة ، ومركزا من مراكز نشر دعوتهم . ولكنهم كانوا واهمين ، فما دالت دولتهم الا وطويت معهم تعاليمهم ومبادئهم ، وعادت مصر سيرتها الاولى ، ورجعت المذاهب الأربعة الى قواعدها سليمة من غير سوء

ومهما يكن من أمر ، فقد نعمت مصر في عهد الفاطميين بما لم تنعم به من قبل ، نعمت لأول مرة منذ عهد الفراعنة بالاستقلال الكامل والحرية التامة . بل انه دعى للخلفاء الفاطميين في صلاة الجمعة في جميع المساجد من المحيط الأطلسي الى البحر الأحمر وفي اليمن ومكة ودمشق ، وفي ذات مرة في بغداد وفي الموصل . ونعمت بالاستقرار الشامل ، والسلام المقيم ، اللذين حفلت البلاد في ظلالهما بالرخاء والثراء ، وبجسوة العيش . ولا يغيب عن البال ما كانت تحدثه احتفالات الفاطميين من انتعاش في الحركة الاقتصادية في البلاد عموما وفي القاهرة بصفة خاصة ، هذا فضلا عما نضفيه عليها من ألوان البهجة والسرور

وتقدم القول أنه بالرغم من انشاء القاهرة فقد ظلت الفسطاط تشغل المركز الأول في الصناعة والتجارة ، بها دور الصناعة العديدة ، والمتاجر الغنية المتنوعة ، وقد حفلت بالمنتجات المحلية ، والسلع الشرقية والغربية ولحظ ناصر خسرو أن التجار في مصر كانوا يبيعون بأثمان محدودة ، وإذا ثبت على أحدهم الغش ، فانه يركب جملا ، ويوضع في يده جرس يدقه ، ويطاف به في البلد ، ويرغم على أن يصيح بأعلى صوته : « قد كذبت وها أنذا أعاقب ، وكل من يقول الكذب فجزاؤه العقاب » (١)

اضطراب الحال في عهد الحاكم :

غير أن الحياة لا يمكن أن تسير رغدة ناعمة على طول الخط ، ولا بد أن يعتمورها بين آن وآخر ما يعكر صفوها ، ويشوب هناءها . ولكن اذا

(١) سفرنامه لناصر خسرو ترجمة الدكتور يحيى الخشاب ص ٦١

ما انكشفت الغمة ، وزال الكرب ، عادت الحياة الى سابق صفوها . من ذلك ما اعتري البلاد من اضطراب فى أثناء ولاية الحاكم بأمر الله ، بسبب شذوذه وخبله ، واغتياله رؤساء دولته وكبار قواده وعلمائه ، وايقاعه ببعض أحياء القاهرة ، واعماله القتل فى سكانها ونهب أموالهم ومتاعهم ، وأخيرا ادعاؤه الألوهية . ولم يخلص البلاد من آثامه وشروبه سوى اغتياله

القحط أو الشدة العظمى فى عهد المستنصر :

وفى عهد المستنصر أصيبت البلاد بقحط مروع ، أتى على الأخضر واليابس ، فعمت المسغبة البلاد ، وتضور الناس جوعا . وقد أطلق المؤرخون على هذا القحط اسم الشدة العظمى ، لفظاعته وهوله . وقد وصفه المقرئى بقوله : « ثم وقع فى أيام المستنصر الغلاء الذى فحش أمره ، وشنع ذكره ، وكان أمدده سبع سنين ، وسببه ضعف السلطنة ، واختلال أحوال المملكة ، واستيلاء الأمراء على الدولة ، واتصال الفتن بين العربان ، وقصور النيل ، وعدم وجود من يزرع ما شمله الرى . وكان ابتداء ذلك فى سنة سبع وخمسين وأربعمائة^(١) فنزع السعر ، وتزايد الغلاء ، وأعقبه الوباء ، حتى تعطلت الأراضى من الزراعة ، وشمل الخوف ، وخنقت السبل برا وبحرا ، وتعذر السير الى الأماكن الا بالخفارة الكثيرة ، وركوب القَرَار - أى الخطر - واستولى الجوع لعدم القوت حتى أبيع رغيف خبز فى النداء بزقاق القناديل من القسطاط كبيع الطرف بخمسة عشر دينارا ، وأبيع الأردب من القمح بشمانين دينارا ، وأكلت الكلاب والقطط حتى قلت الكلاب ، فبيع كلب ليؤكل بخمسة دنائير ، وتزايد الحال حتى أكل الناس بعضهم بعضا ، وتحرز الناس ، فكانت طوائف تجلس بأعلى بيوتها ومعهم سكب وحبال فيها كلاليب ، فاذا مر بهم أحد ألقوها عليه ونشلوه فى أسرع وقت ، وشَرَّحوا لحمه ، وأكلوه »

(١) وتقابل هذه السنة ١٠٦٤ - ٦٥ ميلادية

« ثم آل الأمر الى أن باع المستنصر كل ما فى قصره من ذخائر و ثياب وأثاث وسلاح وغيره ، وصار يجلس على حصير ، وتعطلت دواوينه ، وذهب وقاره . وكانت نساء القصور تخرجن ناشرات شعورهن تصحن : «الجوع! الجوع !» تردن المسير الى العراق ، فتسقطن عند المصلى ، وتمتن جوعا . واحتاج المستنصر حتى باع حلية قبور آبائه ، وجاءه الوزير يوما على بغلته ، فأكلها العامة ، فشئق طائفة منهم ، فاجتمع الناس فأكلوهم . وأفضى الأمر الى أن عدم المستنصر القوات ، وكانت الشريفة بنت صاحب السبيل تبعث اليه فى كل يوم بقعب من فتيت ، من جملة ما كان لها من البر والصدقات فى تلك الغلوة ، حتى أنفقت مالها كله ... وتدارك الله الخلق وأجرى النيل، وسكنت الفتن ، وزرع الناس ، وتلاحق الخير، وانكشفت الشدة وفرجت الكربة » (١)

الحالة الفنية

حياة الترف :

ولقد نافست الخلافة الفاطمية فى عهد العزيز خلافة بغداد ، وامتلات خزانة الدولة ذهبا ونضارا ، ولا أدل على ذلك من حياة الترف والنعيم التى كان يحياها الخلفاء الفاطميون فى قصورهم ، التى وان غفت آثارها ، واندثرت معالمها ، الا أن كتب الرحالة والتاريخ سجلت لنا وصفا لها ولمحتوياتها ، مما تحار منه الأبواب ، وتدهش له العقول

شاهد عيان يصف القصر الفاطمى :

ولقد أوفد الملك أمورى حاكم بيت المقدس الى الخليفة العاضد سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٧ م) رسولين فى قصره ليعقدا معه باسم سيدهما محالفة يدفع بمقتضاها مائتى ألف دينار معجلة ، ومثلها مؤجلة، نظير دفاع الصليبيين عن مصر . ولقد أعجب الرسولان بعظمة ما شاهداه فى القصر أيما أعجاب ،

(١) اغانة الامة بكشف الغمة للمقريزى ، نشر الاستاذين محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال ، ص ٢٦ - ٢٧

ووصف غليوم رئيس أساقفة صور زيارة هذين الرسولين ، ولخص هذا الوصف الكاتب الفرنسى جوستاف شلمبرجيه والمؤرخ الانجليزى لين پول. ونقل المرحوم الأستاذ زكى محمد حسن فى كتابه «كنوز الفاطميين» الى العربية تلخيص الكاتب الفرنسى (١) كما نقله أيضا الأستاذ محمد فريد أبوحديد فى كتابه «صلاح الدين وعصره» تلخيص المؤرخ الانجليزى (٢). وننقل اليك ترجمة المرحوم الأستاذ الدكتور زكى محمد حسن بنصها فيما يلى : « وسار السفراء الفرنج ، يقودهم الوزير شاور بنفسه الى قصر له روتق وبهجة عظيمان ، وفيه زخارف أنيقة نضيرة . وكان هؤلاء المبعوثون متأثرين بما حولهم جد التأثير ، دون أن يتطرق الى نفوسهم أى خوف أو رهبة . ووجدوا فى هذا القصر حراسا عديدين . وسار الحراس فى طليعة الموكب ، وسيوفهم مسلولة ، وقادوا الفرنج فى ممرات طويلة وضيقة ، وأقبية حالكة مظلمة ، لا يستطيع الانسان أن يتبين فيها شيئا . وربما كان المقصود بذلك بعث الهيبة الى قلوبهم ، وزيادة التأثير فيهم . فلما خرجوا الى النور اعترضتهم أبواب كثيرة متعاقبة ، كان يسهر على كل منها عدد من الحراس المسلمين ، الذين كانوا ينهضون عند اقتراب شاور ، ويحيونه باحترام ، ثم وصل الموكب الى فناء مكشوف ، تحيط به أروقة ذات أعمدة ، وأرضيته مرصوفة بأنواع من الرخام متعددة الألوان ، وفيها تذهيب خارق العادة بنضارته وبهائه ، كما كانت ألواح السقف تزينها الزخارف الذهبية الجميلة وكان كل ذلك موقفا رائعا ، وبها رائعا ، بحيث لا يملك أشغل الناس بالا ، وأكثرهم همما الا أن يقف للاعجاب به . وكان فى وسط الفناء نافورة ، يجرى الماء الصافى منها فى أنابيب من الذهب والفضة الى أحواض وفنوات مرصوفة بالرخام . وكانت ترفرف فى الفناء أنواع لا حد لها من الطيور الجميلة ، ذات الألوان المفرطة فى الندرة ، مجلوبة من شتى أنحاء الشرق . ولم يكن أحد يرى هذه الطيور دون أن تصيبه الحيرة والدهشة

(١) كنوز الفاطميين للدكتور زكى محمد حسن ص ٧١ - ٧٦
 (٢) صلاح الدين وعصره للاستاذ محمد فريد أبى حديد ص ٥٣ - ٥٤

اعجابا بها ، ودون أن يقول ان الطبيعة كانت تمرح وتلعب ، حين كونت هذه المخلوقات الجميلة . ومن هذه الطيور ما كان يلزم النافورة ، ومنها ما كان يظل بعيدا عنها ، كل بحسب طبيعته ، وكان لكل منها من الغذاء ما يوافقه

وهنا استأذن في الرجوع الحراس الذين كانوا يسيرون في معية الفرسان الفرنج حتى ذلك الوقت ، وحل محلهم بعض العظماء من الأمراء المقربين الى الخليفة نفسه

وسار هؤلاء الأمراء بالسفيرين الفرنجيين في أفنية جديدة ، أشد جمالا وابداعا ، ثم الى حديقة لطيفة وغناء ، لم تكن الحديقة الأولى شيئا بجانبها . ورأوا في هذه الحديقة أنواعا من الحيوانات ذوات الأربع ، غريبة بحيث يتهم المرء بالكذب اذا وصفها ، أو تحدث عنها ، وبحيث لا يستطيع أى مصور أن يتخيل أو أن يحلم بمثل هذه الكائنات العجيبة. فان الغرب لم يرقط مثل هذه الحيوانات ، ولم يكن يعرفها الا بما كان يسمع من الأقوال

وبعد أن عبروا أبوابا عديدة أخرى ، وساروا في تعاريج كثيرة ، كانوا يرون فيها أشياء جديدة تزيدهم دهشة واعجابا ، وصل الفرنج الى القصر الكبير ، حيث يقطن الخليفة . وفاق هذا القصر كل ما رأوه قبل ذلك . وكانت أفنيته تفيض بالمحاريب المسلمين، متقلدين أسلحتهم وعليها الزرد والدروع ، تلمع بالذهب والفضة ، وعليهم سيماء الافتخار ، بما كانوا يحرسون من الكنوز . وأدخل المبعوثون في قاعة واسعة ، تقسمها ستارة كبيرة من خيوط الذهب والحرير المختلف الألوان . وعليها رسوم الحيوان والطيور ، وبعض صور آدمية . وكانت تلمع بما عليها من الياقوت والزمرد والأحجار النفيسة . ولم يكن في هذه القاعة أحد . لكن شاوور خر راکعا فور دخوله ، ثم نهض واقفا ، ثم قبّل الأرض ثانية ، وخلع السيف الذى كان يلبسه فى عنقه ، ثم خر ساجدا مرة ثالثة ، فى ذلة وخشوع كأنه يسجد لله . وارتفعت الحبال فجأة ، وانكشفت الستارة

الخيرية الذهبية بسرعة البرق ، كأنها ملاءة خفيفة ، وظهر الخليفة الطفل « السلطان العاضد » لأعين الفرنج المبعوثين ، وكان على وجه هذا الأمير نقاب يخفيه تماما ، وهو جالس على عرش من الذهب مرصع بالجواهر والأحجار الثمينة » (١)

وصف لشاهد آخر :

وهناك وصف ثان ، لشاهد عيان آخر ، زار مصر فيما بين سنتي ٤٣٩ و ٤٤١ هـ (١٠٤٧ - ١٠٤٩ م) ، ذلك هو الرحالة المشهور ناصر خسرو ، المتقدم ذكره ، فقد ذكر أن قصر السلطان كان يقع في وسط القاهرة ، وبينه وبين الأبنية المحيطة به فضاء ، يفصله عنها . وكان يحرسه في الليل خمسمائة حارس من الفرسان ، وخمسمائة حارس من الرجال . وكانت أسواره عالية ، فلا يستطيع أحد رؤيته من داخل المدينة ، بينما يبدو من خارجها كالجبل . وكان في القصر ألوف من الخدم والنساء والجواري . وله عشر بوابات فوق الأرض ، وباب يقود الى ممر تحت الأرض ، يعبره الخليفة راكبا ، ليصل الى قصر آخر . وكان كل كبار الموظفين في قصور الخليفة من الروم أو السود

خزائن القصر :

تقدم القول أنه كان بالقصر الكبير عدة خزائن ، منها : خزانة الكتب ، وخزانة البنود (الأعلام) ، وخزائن السلاح ، وخزائن الفرش ، وخزائن الكسوات ، وخزائن الخيم ، وخزائن الجوهر والطيب والطرائف وغيرها ، مما لا يتسع المقام لوصفها ، وشرح محتوياتها . وكان لكل خزانة عامل يدير شئونها ، وصناع يشتغلون فيها ، ان كانت محتوياتها مما يتطلب ذلك ، وفراش يقوم هو ومساعدوه بتنظيفها ، والسهر على محتوياتها . ولكل هؤلاء مرتب يتقاضونه من بيت المال (٢)

(٢) القريري : الخطط ج ٢ ص ٢٥٣

(١) كنوز الفاطميين ص ١١ ، ١٢

خزائن الجواهر والطيب :

ولقد حوت خزائن الجواهر والطيب والطرائف ما يحار له العقل من لآلىء وأحجار كريمة وتحف صنعت من الذهب والفضة والنحاس المكفت ، ونفائس غالية تجلى فيها الحذق والمهارة الفنية . ولقد روى المؤرخون في ذلك أخبارا لا يكاد يصدقها العقل ، إلا إذا أخذ في اعتباره ما كانت تنعم به البلاد في عهد الفاطميين من ثروة وغنى ، ورخاء ويسر ، وهدوء وأمن ، شهد به الرحالة ممن وفدوا على مصر ، وأقاموا فيها ردحا من الزمن ، ورأوا بأعينهم العز الذى ينشر ألويته على ربوعها ، ويعم جميع أرجائها

التحف المعدنية :

فقد كان من بين تلك التحف حصيرة مصنوعة من الذهب ، تزن ثمانية عشر رطلا (أى ما يساوى سبعة كيلوجرامات) ، يقال ان بوران نت الحسن بن سهل جلست عليها يوم زواجها بالخليفة المأمون ، وكانت توجد ثمان وعشرون صينية من المينا المحلاة بالذهب ، وقد قدرت كل صينية منها بثلاثة آلاف دينار ، واستولى عليها ناصر الدولة ، الذى كان فائد الجند فى ذلك الحين

وكانت هناك أيضا صناديق مملوءة مرايا من حديد ، محلاة بالذهب والفضة ، وبعضها مكلل بالجواهر النفيسة ، وله محفظات أو غلف من الكيمخت ، وهو نوع من الجلد المتين ، وأخرى من الأقمشة الحريرية النفيسة . وكان للمرايا المذكورة مقابض من العقيق

وقد أخذ من خزائن القصر آلاف الآلات المصنوعة من الفضة ، المكفتة بالذهب ، ذات النقش العجيب ، والصنعة الدقيقة ، كما وجدت كميات كبيرة من قطع الشطرنج والنرد المصنوعة من الجواهر والذهب والفضة والعاج والأبنوس ، ولها رقاع من الحرير المنسوج بخيوط من الذهب

واستولى الجنود - فيما استولوا عليه من نفائس القصر وتحفه في أثناء الشدة العظمى في عصر المستنصر - استولوا على أربعمئة قفص مملوءة بالأواني الفضية الثمينة المكففة بالذهب ، وقد سبكت كلها ووزعت على الثوار ..

واستولوا كذلك على أربعة آلاف قنينة مذهبة للرجس ، وعلى ألفى قنينة للبنفسج . ووجد من السكاكين الثمينة ما بيع بأبخس الأثمان . وبلغت قيمته على الرغم من ذلك ستة وثلاثين ألف دينار ، أى خمسة عشر ألف جنيه

النفائس :

ومن أجمل النفائس التى كانت تزين القصر الكبير تحف على شكل حيوانات وطيور ، منها طاووس من ذهب مرصع بالجواهر النفيسة ، عيناه من ياقوت أحمر ، وريشه من الزجاج المموه بالمينا على ألوان ريش الطاووس . ومنها ديك من الذهب له عرف كبير من الياقوت الأحمر المرصع بالدر والجواهر . ومنها غزال مرصع أيضا بالجواهر النفيسة ، ومائدة كبيرة واسعة من الیصب أو حجر الدم الذى يشبه العقيق ، وأخرى من العقيق ، ونخلة من الذهب مكللة ببديع الدر والجوهر، يمثل أجزاءها ، وما تحمله من بلح

وقد بلغ من غرام الفاطميين بجمع التحف الفنية أن الأميرات كن ينافسن الأمراء فى هذا الميدان . وأن بعضهن تركن كنوزا ثمينة : فرشيدة ابنة المعز توفيت سنة ٤٤٣ هـ (١٠٥١ م) وتركت تحفا تقدر قيمتها بنحو مليون وسبعمئة ألف دينار : منها ثلاثون ثوبا من الخز الثمين (أى من قماش الصوف والحرير) ، كما وجد فى خزائنها بعض العمامات المرصعة بالجواهر ، مما يذكر بعمامات الأمراء الهنود . ويقال أيضا انها كانت تمتلك الخيمة التى توفى فيها هارون الرشيد بمدينة طوس ، وقد كانت من الخز الأسود . وقد ضمت كل كنوزها الى خزائن القصر بعد وفاتها فى عهد المستنصر . ومن التحف التى تركتها الأميرة عبدة بنت المعز

التي توفيت سنة ٤٤٢ هـ (١٠٥٠ م) نحو أربعمائة سيف محلى بالذهب ،
ونحو أردب من الزمرد ! ! وغير ذلك من الجواهر والأقمشة النفيسة
والأباريق والطسوت من البلور الصافي

التحف المصنوعة من البلور :

وقد كان بخزائن القصر شيء كثير من البلور والتحف الفنية الزجاجية
المحكمة الصنع ، والمموهة بالذهب ، وغير المموهة . وقد قال أحد
المستخدمين في بيت المال أن صندوقا من الصناديق التي نهبت من القصر
ذات يوم كان مملوءا بأباريق من البلور النفيس . بعضها منقوش بزخارف
ورسوم جميلة ، وبعضها غير منقوش . والظاهر أنها كانت لشراب الفقاع
« وهو نوع من البيرة كان منتشرا في القاهرة في العصور الوسطى » (١)

الخزف اللامع :

وقد سلم لنا القليل من هذه التحف ، معروض الآن بالمتحف الاسلامى
بالقاهرة ، بين آنية من الخزف اللامع ، المعروف بالخزف ذى البريق
المعدنى ، من أصص وأطباق وصحون وبرانى ، تزينها الزخارف النباتية ،
ورسوم الطير والحيوان ، مرسومة بأيدي أشهر فناني ذلك العصر ، مثل
سعد ومسلم

واسترعت صناعة الخزف في مصر انتباه الرحالة الفارسي ، ناصر خسرو
بصفة خاصة ، فذكر أن المصريين كانوا يصنعون أنواع الخزف المختلفة ،
وأن الخزف المصرى كان رقيقا وشفافا ، حتى لقد كان ميسورا أن ترى من
باطن الاناء الخزفى اليد الموضوعه خلفه ، وكانت تصنع بمصر الفناجين
والقدور والبرانى والصحون والمواعين الأخرى ، وتزين بألوان تشبه
لون القماش المسمى بوقلمون ، وهى ألوان تختلف باختلاف أوضاع
الآنية وساعات النهار ، وذكر أيضا عن استخدام التجار والبقالين الأوانى

(١) راجع كنوز الفاطميين للمرحوم الدكتور زكى محمد حسن ص ٤٠ - ٦٦

الخزفية ، فيما يستخدم فيه التجار الورق في العصر الحاضر ، أنهم كانوا يضعون فيها ما يبيعونه ، ويأخذهم المشترون بالمجان (١) . ولعمري أن هذا ليدل على مدنية ورقى لم تبلغهما الصناعة أو التجارة حتى في يومنا هذا

التحف الخشبية :

كذلك معروض بهذا المتحف كثير من التحف الخشبية المحفورة ، من أبواب وألواح ومحاريب متنقلة ، وحشوات تخلفت من القصور الفاطمية . ومن أبدع تلك التحف ألواح خشبية ، كانت تزين القصر الفاطمي ، محفور عليها مناظر تمثل الحياة اليومية ، على أرضية من زخارف نباتية بديعة ، وتحف مصنوعة من العاج كقطع من الشطرنج والتماثيل الصغيرة

الأقمشة :

وتوجد بالمتحف السالف الذكر أيضا قطع من القماش ، كتانية وحريرية وصوفية ، عليها كتابات كوفية ، باسم الخليفة الحاكم ، وعليها رسوم نباتية وحيوانية ، وكلها مما لا يغنى فيه الوصف عن المشاهدة ، فهي قطع فنية رائعة ، تدل على مبلغ ما وصل اليه الذوق الفني الرفيع عند الفاطميين ، من التقدم والسمو

التصوير :

وكان للفاطميين في ميدان التصوير باع طويل . فقد استباحوا لأنفسهم ما أحجم عنه أهل السنة ، من مزاولة التصوير . وقد أحجم عنه أهل السنة خوفا مما جاءت به بعض الأحاديث النبوية من معاقبة المصورين يوم القيامة . ولكن الفاطميين ، الذين كانوا يعارضون أهل السنة في كثير من الأمور ، لم يأبهوا لما أنذرت به تلك الأحاديث ، وزاولوا التصوير على مدى كبير ، فصوروا الانسان والحيوان والنبات على الخزف والأخشاب وعلى الجص والمنسوجات

وخلا ما هو موجود على قطع الخزف اللامع والأخشاب والمنسوجات المحفوظة بالمتحف الاسلامى بالقاهرة ، لم تصل اليها لوحات من التصوير الفاطمى ، ما عدا بعض صور مرسومة على الجص وجدت على جدران حمام فاطمى ، بجهة أبى السعود جنوبى القاهرة ، نقلت الى المتحف الاسلامى ، أهمها صورة انسان تحيط برأسه هالة ، وهى ملونة بالأحمر والأسود ، وعليه عمامة جميلة ، وفى يده اليمنى كأس يحمله على النحو الذى نراه كثيرا على نقوش الخزف والأوانى الفارسية الساسانية ، من فضة ونحاس

وقد حدثنا المقرئى عن المبارة بين المصوّرين ابن عزيز وقصير وعن المنافسة التى كان يذكيها بينهما اليازورى ، الوزير الفاطمى المشهور . وحدث أن جمعهما اليازورى يوما فى مجلسه وقال ابن عزيز : « أنا أصور صورة اذا رآها الناظر ظن أنها خارجة من الحائط » . فقال قصير : « لكن أنا أصورها فاذا نظرها الناظر ظن أنها داخلية فى الحائط » . فقال الحاضرون هذا عجب . وأمر اليازورى المصوّرين أن يصنعا ما وعدا به . فرسما الصورتين فى حنيتين متقابلتين . وكان رسم قصير راقصة ، بثياب بيض ، فوق أرضية الحنية التى دهنها باللون الأسود ، فظهرت الراقصة كأنها داخلية فى الحنية . بينما كان رسم ابن عزيز راقصة بثياب أحمر ، فوق أرضية الحنية التى دهنها باللون الأصفر ، فظهرت الراقصة كأنها بارزة من الحنية . فاستحسن اليازورى ذلك ، وخلع عليهما كثيرا من الذهب (١)

الحالة العلمية :

كان فى مقدمة ما عنى به الخلفاء الفاطميون جمع الكتب ، مما يستدل معه على ميلهم الى احياء العلوم . وشغفوا بصفة خاصة بجمع النادر من الكتب ، فى كل علم وفن . وكثيرا ما كانوا يحرصون على اقتناء نسخ

من مختلف الكتب بخط مؤلفيها ، ويدفعون في سبيل ذلك أغلى الأثمان ،
مبالغة في التحقيق والتدقيق ، هذا فضلا عن تنسيق تلك الكتب وتبويبها ،
والمحافظة عليها ، وفق نظام دقيق ، تيسيرا للرجوع اليها ، والاغتراف
من مناهلها

خزانة الكتب :

وذكرنا في معرض الكلام عن خزائن القصر أنه كان من بينها خزانة
المكتب ، وقد ذكر المقرئ في خطه أنها كانت تشتمل على ألف ألف وستمئة
ألف كتاب - أي مليون وستمئة ألف ، وكانت في أحد مجالس المارستان
العتيق - أي أنها كانت في الموضع الذي أنشئ فيه مارستان قلاوون بعد
ذلك ، وكانت تتألف من أربعين قسما ، ويحتوى كل قسم على عدة
رفوف ، في دور ذلك المجلس العظيم . والرفوف مقطعة بحواجز ، وعلى
كل حاجز باب مقفل بمفصلات وقفل ، ومن بين ما تحتوى عليه كتب في
الفقه على سائر المذاهب ، والنحو واللغة ، وكتب الحديث ، والتواريخ ،
وسير الملوك ، والنجامة والروحانيات ، والكيمياء ، والمصاحف الكريمة
بخط ابن مقلة ونظائره ، كابن البواب وغيره ، وثمانية عشر ألف كتاب
من العلوم القديمة ، وألفان وأربعمائة ختمة قرآنية ، في ربعات بخطوط
منسوبة ، زائدة الحسن ، محلاة بذهب وفضة وغيرهما . وأن جميع ذلك
ذهب فيما أخذه الأتراك في واجباتهم - أي أجورهم ومرتباتهم - ببعض
قيمه ، أيام الشدة الكبرى في عهد الخليفة المستنصر (١)

ومن طريف ما ذكره المقرئ في هذا الشأن : أن رجلا حمل الى العزيز
بالله نسخة من كتاب الطبرى اشتراها بمائة دينار ، فأمر العزيز أمناء
المكتبة ، فأخرجوا من الخزائن ما ينيف عن عشرين نسخة من تاريخ
الطبرى ، منها نسخة بخط يده ، ولعله فعل ذلك لكيلا يركب الرجل
متن الشطط في تقدير ثمن الكتاب

(١) المقرئ : الخطط ح ٢ ص ٢٥٤

ونقل المقرئ عن صاحب كتاب الذخائر : « قال وكنت بمصر في
العشر الأول من محرم سنة احدى وستين وأربعمائة ، فرأيت فيها خمسة
وعشرين جملا موقرة كتبها ، محمولة الى دار الوزير أبي الفرج محمد بن
جعفر المغربي ، فسألت عنها ، فعرفت أن الوزير أخذها من خزائن القصر
هو والخطير بن الموفق في السدين ، بإيجاب ، وجبت لهما عما يستحقانه
وغلمانهما من ديوان الجبلين » (١)

شفف الخلفاء بالعلم :

ولم يكن اقتناء الكتب والمحافظة عليها حبا في الزينة ، وجريا وراء
المظاهر البراقة ، وإنما كان الخلفاء الفاطميون يدمنون القراءة والمطالعة ،
بل لقد عرف عن بعضهم أنهم كانوا من أعلم أهل زمانهم ، كالمعز لدين الله ،
الذي كان عالما وفقيا ، وعلمنا من أعلام الدين والأدب ، بليغ الأسلوب ،
ملما بكثير من اللغات . وما رئى في مجلس أو عابرا طريقا الا ويبيده
كتاب (٢) . وكان هو وكثير من أسرته من بعده ، من بينهم الحاكم بأمر
الله يشتغلون بعلوم النجوم ، ويميلون الى علوم الأوائل ، ويقربون اليهم
أهلها ، ويفرضون العلم على أولادهم ومماليكهم

وكثيرا ما كان الخليفة يزور خزانة الكتب ، فيجىء راكبا ، ثم يترجل
ويتخذ مجلسه فوق دكة منصوبة ، ويمثل بين يديه أمين المكتبة ، ويأتيه
بصاحف كثيرة ، مكتوبة بأقلام مشاهير الخطاطين ، وغير ذلك مما يقترحه
من الكتب . فان عَنَّ له أخذ شيء منها أخذه ثم أعاده (٣)

عناية الوزراء بالعلم :

ولم يكن الخلفاء وحدهم يشتغلون باقتناء الكتب ، وينقبون عنها ،
ويدمنون القراءة ، ويطلقون البحث فيها ، بل ان وزراءهم كانوا يقتفون
أثرهم ، وينهجون نهجهم . فقد روى عن يعقوب بن كلس ، وزير العزيز ،

انه كان يرتب في داره الكتاب والأطباء ، وجعل فيها العلماء والأدباء والشعراء والفقهاء والمتكلمين ، وأجرى عليهم الأرزاق ، وألّف كتباً عدة في الفقه والقراءات ، ونصب له مجلساً في داره يحضره الفقهاء والمتكلمون وأهل الجدل ، يتناظرون بين يديه . وكان في داره كذلك عدة كتب ، ينسخون القرآن الكريم والفقه والطب وكتب الأدباء وغيرها من العلوم ، فإذا فرغوا من نسخها قوبلت وضبطت (١)

الجوامع كمراكز لنشر العلم :

ولم تقف جهود الخلفاء الفاطميين في إحياء العلوم ونشر المعارف عند حد اقتناء الكتب والمحافظة عليها ، بل انهم نشروا العلم وشجعوا الناس على الاغتراف منه ، بكل الوسائل والطرق . فلقد ظل العلم يلتقى في جامع عمرو في حلقاته العلمية والأدبية ، التي كانت تعقد بانتظام ، ويشهدها عدد كبير من الأساتذة والطلاب والأدباء والشعراء ، كما كان يحدث في عهد الدولتين الطولونية والأخشيدية ، وأوقف عليه الخلفاء الفاطميون وعلى غيره من المساجد والأوقاف والهدايا ، وقد كان يصيب هذا الجامع لهذا السبب كثير من الترميمات والإصلاحات بين آن وآخر. كذلك كان الخلفاء الفاطميون يشملون الطلاب بالرعاية والعطف ، وترتب لهم نفقات مأكلاتهم ومشربهم ، فضلاً عما يقدم لهم من الأطعمة والحلوى في جميع المواسم والأعياد

ومن أشهر الفقهاء الذين جلسوا للتدريس في جامع عمرو في عهد الفاطميين على بن نصر بن سليمان الزنبقي اللغوي ، وقرىء عليه كثير من الكتب الأدبية واللغوية والنحوية ، وأبو أسامة جنادة بن محمد النحوي ، وأبو الحسن طاهر بن بابشاذ ، وكان كلاهما عالماً في اللغة والنحو

(١) الفاطميون في مصر للدكتور حسن إبراهيم حسن ص ٢٣٦

الجوامع كمراكز لنشر المذهب الشيعي :

غير انه لا يغيب عن البال أن الخلفاء الفاطميين كانوا يتخذون من الجوامع مراكز لنشر المذهب الشيعي ، واشاعة عقائدهم بين الناس ، فقد جلس بجامع عمرو كثير من الفقهاء ، درسوا فيه الرسالة الوزيرية ، انتهى ألفتها الوزير يعقوب بن كلس في الفقه الشيعي ، في عهد العزيز. كما قام فيه بتدريس العلوم الشيعية في زمن الحاكم بأمر الله القاضي الحسين بن علي بن النعمان وعبد العزيز بن محمد بن النعمان

كذلك أدى جامع ابن طولون دوره كمعهد علمي . غير انه لم يتح له من النشاط والشهرة مثلما أتيح للجامعي عمرو والأزهر ، اذ لم يرو لنا التاريخ أسماء لامعة قامت بالتدريس فيه ، مثلما روى من أسماء العلماء والأدباء والفقهاء الذين حضروا في الجامعين المذكورين

الجامع الأزهر :

أما الجامع الأزهر فقد عقدت له الزعامة الثقافية والعلمية والدينية على غيره من الجوامع ومعاهد العلم ، وذلك لما كان يختص به الخلفاء الفاطميون من رعاية وعناية ، وما يخلعون عليه من زخرف وزينة ، وما يضاء به في المواسم والأعياد ، من أنوار ساطعة . فهو مسجدهم المفضل ، الذي يخطب فيه الخليفة ، وتعد فيه مجالس الدروس ، وتشر منه تعاليم المذهب الفاطمي ، وينعم فيه الأساتذة والطلاب بالأرزاق الوفيرة ، والهدايا الحسنة . ولقد اختصه الحاكم بوقفية ملكية ، هي أول وقفية صدرت للاتفاق على هذا المسجد ، وقف فيها ريع كثير من ممتلكاته ، من دور ومحوانات ومخازن ، للاتفاق على أثاثه وخدمه وأئمنته ، وعلى انارته واصلاحه. لذلك لم يكن غريبا أن يصبح أكبر جامعة اسلامية في الشرق ، يفد عليه الطلاب من كل حدب وصوب ، يتلقون فيه مختلف العلوم الدينية والفلسفية والمنطق ، وبعض الرياضيات والطب ، على يد علماء ذلك العصر ، مثل

أبى على محمد بن الحسن بن الهيثم ، الذى رحل الى مصر فى زمن الحاكم . وظل بها الى أن توفى سنة ٤٣٠ هـ (١٠٣٨ - ١٠٣٩ م) وهو أشهر علماء المسلمين فى الطبيعة والبصريات ، ويعرف عند الأوربيين باسم «الهازن» . ومن أشهر كتبه كتابه فى البصريات ، المسمى «كتاب المناظر» ، الذى يعتبر أساس علم الضوء حتى وقتنا هذا . وقد ضاع أصله العربى ، ولكن بقيت ترجمته اللاتينية . والحو فى امام العربية والنحو ، وابن بابشاذ المتوفى سنة ٤٦٩ هـ (١٠٧٦ م) ، وغيرهم من علماء الفقه والدين واللغة العربية ونحوها وصرفها وآدابها

ولقد قصد الفاطميون من انشائهم الجامع الأزهر أن يكون جامعة شيعية ، ولم يدروا أنهم يضعون أساس أكبر جامعة اسلامية سنية ، بل وأعظم قلعة حصينة يذاع منها الاسلام خالصا صحيحا فى مشارق الأرض ومغاربها . فما دالت دولة الفواطم ، وغفّت آثارها ، الا وحمل الأزهر الأمانة ، وظل طوال القرون التالية حتى اليوم حصن الاسلام الحصين ، وركنه الركين . وانعقدت لعلمائه فى تاريخ مصر الحديث الزعامة والرياسة ، فى توجيه الراى العام

وقد وصف المقرئزى حركة العلم فى الأزهر فقال : « ولم يزل فى هذا الجامع منذ بنى عدة من الفقراء ، يلزمون الإقامة فيه . وبلغت عدتهم فى هذه الأيام - أيام المقرئزى - ٧٥٠ رجلا ، ما بين عجم وزبالقة ، ومن أهل ريف مصر ومغاربة ، ولكل طائفة رواق يعرف بهم ، فلا يزال الجامع غمرا بتلاوة القرآن ودراسته وتلقيه ، والاشتغال بأنواع العلوم والفقه والحديث والتفسير والنحو ، ومجالس الوعظ والارشاد وحلق الذكر . فيجد الانسان اذا دخل هذا الجامع من الأنس بالله ، والارتياح ، وترويح النفس ، ما لا يجده فى غيره . وصار أرباب الأموال يقصدون هذا الجامع بأنواع البر من الذهب والفضة والفلوس ، اعانة للمجاورين فيه على

عبادة الله تعالى . وكل قليل ، تحمل اليهم أنواع الأطعمة ، والخبز ،
والحلويات لاسيما في المواسم « (١)

دار الحكمة أو العلم :

لم تقف جهود الفاطميين في نشر العلم على المساجد ، بل تعدت ذلك
الى انشاء المعاهد التي انفردت بنشره ، فقد أنشأ الحاكم في سنة ٤٠٠ هـ
(١٠٠٩-١٠١٠م) دارالعلم أودارالحكمة، وكانت تلاصق القصر الغربي، وأمدّها
بالأثاث ، ورتب لها الخدم والفراشين ، وحمل اليها من خزانة القصر عددا
كبيرا من الكتب في مختلف العلوم والفنون ، وأوقف عليها الأوقاف
الكثيرة للانفاق على الطلاب والأساتذة والأدوات . وذكر المقرئى أنه
« حصل في هذه الدار من خزائن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله من الكتب
التي أمر بحملها من سائر العلوم والآداب والخطوط المنسوبة ، ما لم ير
مثاه مجتمعا لأحد قط من الملوك ، وأباح ذلك كله لسائر الناس على طبقاتهم،
ممن يؤثر قراءة الكتب والنظر فيها . وحضرها الناس على طبقاتهم ، فمنهم
من يحضر لقراءة الكتب، ومنهم من يحضر للنسخ ومنهم من يحضر للتعليم،
وجعل فيها ما يحتاج الناس اليه من الحبر والأقلام والورق والمحابر » (٢)

وظلت دار العلم تؤدي رسالتها طوال العهد الفاطمي ، ما عدا فترات
قصيرة ، أغلقت فيها ، ثم يعاد فتحها ، الى أن دالت الدولة ، وقامت على
انقاضها دولة بنى أيوب ، فأحالها صلاح الدين الأيوبي ، وكان قد أوقف
جهوده على القضاء على المذهب الشيعي ، الى مدرسة لتعليم الدين ،
وفق المذهب الشافعي

مجالس المناظرة في القصر :

وفي القصر كانت تعقد مجالس المناظرة تحت اشراف الخليفة ووزرائه ،
وبحضور العلماء والأدباء ، وكبار رجال دولته . فيتناظر العلماء في مختلف

(١) المقرئى : الخطط ح ٤ ص ٥٤

(٢) المقرئى : الخطط ح ٢ ص ٣٣٤

المسائل. وفي نهاية المناظرة ينهض الشعراء ، يشدون القصائد ، ويتبارون في مدح الخليفة ، والاشادة بمجد آبائه وأجداده . ولا غرو اذا وفد على مصر كثير من الشعراء ، من مختلف الأقطار ، يسعون الى مجلس الخليفة ، يشدون عطاءه ، ويبتغون كرمه ، من هؤلاء أبو حامد الانطاكي ، ومحمد ابن القاسم بن عاصم ، وأبو الحسن على بن عبد الواحد البغدادي المعروف بصريع الدلاء ، وأبو الحسن على بن نوبخت ، وعبد الوهاب بن نصر المالكي . وقد مدح ابن هانيء الأندلسي المعز لدين الله الفاطمي في قصائد رنانة ، غالى فيها في مدح المعز حتى انحدر الى درجة الكفر ، وكان يزمع الرحيل الى مصر ، في اثر المعز ، بعد رحيله من بلاد المغرب ، ولكنه توفي في الطريق ، فحزن عليه المعز كثيرا

الحالة الاجتماعية

المجتمع المصري :

كان المجتمع المصري في عهد الفاطميين ينقسم بصفة عامة الى سنيين ، وهم جبهة المصريين قبل وفود الفاطميين الى مصر ، وشيعيين ، وهم الذين وفدوا اليها من بلاد المغرب ، وقد تحول كثير من السنيين ، بل ومن النصارى واليهود ، الى المذهب الشيعي ، طمعا في الهبات والعطايا ، التي كان الفاطميون يغرون بها الناس للانضمام الى مذهبهم ، وتقلد كثير من اليهود بعد اسلامهم وتشيعهم أرقى المناصب في الدولة ومن بينها منصب الوزارة

وبالاضافة الى السنيين ، وهم أهل مصر ، والشيعيين ، وهم المغاربة ، أو من اعتنق هذا المذهب من المصريين ، كانت توجد طبقة الأتراك الذين تكاثروا منذ عهد أحمد بن طولون ، التركي الجنس ، والسودانيون الذين استكثر منهم كافور الأخشيدي ، وقد ظهر أمرهم في عهد الحاكم ، حيث استعان بهم على الجنود الأتراك ، فأحرقوا القاهرة ، عقابا للمصريين الذين

كانوا يحنقون عليه ، لسوء سياسته . وقد استمر العراك بين الأتراك
والسودانيين طوال العصر الفاطمي (١)

الإدارة :

وقد كانت الإدارة في العهد الفاطمي تتبع النظام العباسي ، أو بعبارة
أخرى النظام الفارسي القديم . وكان الجيش مكونا من ثلاث طبقات :
١ - الأمراء ومن بينهم كبار الضباط وحملات السيوف من حرس الخليفة
٢ - ضباط الحرس ، وهؤلاء يشملون الأساتذة والخصيان
٣ - الفرق المختلفة التي كانت تحمل أسماء منسوبة الى أحد الخلفاء
أو الوزراء أو إحدى الجنسيات مثل الحافظية والجوشية والسودانية
كبار الموظفين :

وكان الوزراء من طبقات متعددة ، أرقاهم رجال السيف الذين يشرفون
على الجيش والحرب ، ثم سادة الباب أو كبار الحجاب ، وكانت وظيفتهم
تقديم السفراء الأجانب. أما رجال القلم ، فكان من بينهم القاضي والمحاسب
الذي يشرف على الموازين والمكاييل والمقاييس والآداب العامة ، وخازن
الدولة الذي يشرف على بيت المال . وكانت أقل مرتبة في طبقة رجال القلم
الموظفون المدنيون، ومن بينهم الكتّاب والسكرتارية في مختلف الدواوين (٢)
الاعياد والمواسم :

وقد كان للخلفاء الفاطميين عناية خاصة بالأعياد والمواسم ، وقد ذكرنا
فيما سبق أسماء المواسم التي ابتدعوها ، والتي ما زال كثير منها باقيا
حتى اليوم ، نحتفي به ونحييه . وفي تلك الأعياد ، خصوصا عيدي الفطر
والنحر ، كانت تمد الأسمطة « الموائد » ، وتعد ألوان الطعام الوفيرة ،

(١) تاريخ الاسلام السياسي للدكتور حسن ابراهيم حسن
(٢) تاريخ العرب تأليف فيليب حتى ، ترجمة الرحوم الاستاذ محمد مبروك نافع ، المجلد
الثاني ص ٨١٣

ويدعى الناس اليها من جميع الطبقات ، لا فرق ولا تمييز ، ليأكلوا هنيئاً ،
وبشربوا مريئاً ، مما لذ وطاب ، وهم انما يلتمسون من وراء ذلك رضا
الشعب ومحبة ، واجتذاب الناس الى المذهب الشيعى ، الذى كانوا
يحاولون بشتى الطرق تثبيت دعائمه ، ونشر لوائه

« ففى يوم عيد الفطر ، كان يقام السماط مرتين ، وفى عيد النحر مرة
واحدة ، فى قاعة الذهب ، احدى قاعات القصر الفاطمى . ويعبى السماط
فى الليل ، وطوله ثلثمائة ذراع فى عرض سبعة أذرع ، وعليه من أنواع
المأكل أشياء كثيرة . فيحضر اليه الوزير، أول صلاة الفجر، والخليفة جالس
فى الشباك، ومُكَنَّتْ الناس منه ، فاحتملوا ونهبوا ما لا يأكلونه ، ويبيعونه
ويدخرونه ، وهذا قبل صلاة العيد . فاذا فرغ من صلاة العيد ، مُدَّ
السماط المقدم ذكره فيؤكل ، ثم يمد سماط ثان من فضة ، يقال له
المدورة ، عليها أوانى الفضة والذهب والصينى ، فيها من الأطعمة الخاص
ما يُستحى من ذكره ، والسماط بطول القاعة ، وهو خشب مدهون شبه
الدكك اللاطية ، عرضه عشر أذرع . ويحط فى وسط السماط واحد
وعشرون طبقاً ، فى كل طبق واحد وعشرون خروفاً ! ! ومن الدجاج
ثلثمائة وخمسون طائراً ، ومن الفراريج - الدجاج - مثلها ، ومن فراخ
الحمام مثلها ، وتتووع الحلوى أنواعاً ، ثم يمد بخلل تلك الأطباق - أى فيما
بينها - أصحن خزفيات فى جنبات السماط ، فى كل صحن تسع دجاجات ،
فى ألوان فائقة من الحلوى ، والطباهجة - وهو ضرب من قلى اللحم
المشرح - المفتقة بالمسك الكثير - أى المحشوة به - وعدة الصحنون
خمسائة صحن، مرتب كل ذلك أحسن ترتيب . ثم يؤتى بقصرين من حلوى
- أشبه شئ بالتورطة اليوم - قد عملا بدار الفِطْرة ، زنة كل واحد
سبعة عشر قنطاراً ! ! فيُمضى بواحد من طريق قصر الشوق الى باب
الذهب ، ويثشق بالآخر من الجانب بين القصرين ، فينصبان أول السماط

وآخره ، ثم يخرج الخليفة راكبا ، فينزل على السرير الذى عليه المدورة الفضية ، وعلى رأسه أربعة من كبار الأساتذة المحنكين ، وأربعة من خواص الفراشين ، ثم يستدعى الوزير فيجلس عن يمينه ، والأمراء ومن دونهم فيجلسون على السماط ، فيتداول الناس السماط ، ولا يترد أحد عنه حتى يذهب عن آخره ، فلا يقوم الخليفة الا قريب الظهر ، ثم يخرج الوزير ويذهب الى داره ، ويعمل سماطا يقارب سماط الخليفة . وهكذا يقع في عيد النحر ، في أول يوم منه « (١) »

وكان يتمد سماط عظيم في سرادق رحب على شاطئ النيل ، على مقربة من المنطرة المعروفة بمنطرة السكرة ، كما كان يصنع في موسم مولد النبي صلى الله عليه وسلم عشرون قنطارا من الحلوى ، توضع على ثلثمائة خوان - صينية - وتوزع على الناس في الأزهر . وما زالت الحلوى الى اليوم تصنع وتباع في مولد النبي وأولياء الله الصالحين ، في طول البلاد وعرضها ، وربما لا يعرف كثير من الناس أن هذا التقليد انحدر إلينا عن الفاطميين ، ضمن ما انحدر إلينا من ابتكاراتهم وبدعهم

ركوب الخلفاء الفاطميين :

وكان الخلفاء الفاطميون يخرجون في مواكب غاية في الفخامة والأبهة ، للاحتفال بالأعياد والمواسم ، أو للصلاة في المساجد ، أو لتوديع فرقة من الجيش ، أو لآحياء مناسبات أخرى . وكان ركوب الخلفاء لا ينقطع من أول العام حتى شهر رمضان

الاحتفال بأول العام الهجرى :

وأفخم مواكبهم يوم الاحتفال بأول العام الهجرى ، حيث توضع الترتيبات والتنظيمات ، وتفتح خزائن الفرش والكسوات والأسلحة

(١) النجوم الزاهرة - ج ٤ ص ٩٧ - ٩٨

والأعلام والبنود والسروج والتجميل ، وتمد كل فئة بحاجتها من العدد والأدوات ، مما تستلزمه تلك المناسبات

« ويخرج الخليفة في جمع زاخر من أفراد أسرته وغلمانه وبطائه ووزرائه وموظفي دولته وجنوده ، من مختلف الأسلحة والأجناس ، راجلين وراكبين ، يحملون السيوف والرماح ، وينشرون الأعلام والبنود ، ويلبسون الملابس الفاخرة ، ويركبون الجياد المطهمة ، ويسيرون وفق نظام دقيق ، وترتيب موضوع . ويصطف الأمراء والوزراء على باب النصر حتى يهل عليهم الخليفة بطلعته ، وحوله الأستاذون المحنكون (١) ، ودابته تمشى على بسط مفروشة ، خيفة أن تزلق على الرخام . فعندما يقترب من الباب ، يقترب رجل ببوق من ذهب لطيف معوج الرأس ، بصوت عجيب ، يخالف أصوات الأبواق ، فتضرب أبواق الموكب ، وتنشر المظلة ، ويخرج الخليفة من الباب ، فيقف مقدار ما يركب الأساتذة المحنكون ، وأرباب الرتب الذين كانوا بالقاعة . ويكون لباسه البياض ، يزين رأسه تاج مرصع بالجوهرة اليتيمة ، وهى جوهرة عظيمة ، لا تعرف لها قيمة ، حولها ما دونها من الجواهر ، وهى موضوعة فى هلال من ياقوت أحمر ، ليس له مثال فى الدنيا ، زنته أحد عشر مثقالا ، وقيل أكثر ، يقال له الحاضر ، فتتنظم فى خرقة من حرير ، أحسن ما يمكن من الوضع ، ويخاط على التاج بخياطة خفيفة ، فيكون ذلك بأعلى جبهة الخليفة ، وبدائرها قصب الزمرد الذبابى (٢) العظيم القدر »

« ثم يسرون والمظلة على يسار الخليفة ، وصاحبها يبالغ ألا يزول عنه ظلها ، وصبيان الركاب ، منهم جماعة كبيرة من الشكيماتين ، وجماعة أخرى فى عنق الدابة ، وجماعة أخرى فى ركابه ، فالأيمن مقدم المقدمين ، وهو

(١) خواص خدم الخليفة ، وهم الذين يدورون عمائمهم على أحنالكهم
(٢) أى ان لونه كلون الذباب المائل الى الخضرة

صاحب المقرعة ، التى يناولها للخليفة ، ويتناولها منه ، ويؤدى عن الخليفة الأوامر والنواهى مدة ركوبه »

« والمظلة تشاكل (١) بدلة الخليفة ، وعمودها من الزان ، ملبس بأنايب الذهب ، ورأسها كالرمانة ، ويعلوه أيضا رمانة صغيرة كلها ذهب مرصع بجوهر ، ولها رفرف دائر ، عرضه أكثر من متر ونصف »

« ويسير الموكب وبأوله أخلاط بعض العساكر ، ثم الأماثل ، ثم أرباب المناصب ، ثم أرباب الأطواق ، ثم الأستاذون المحنكون ، ثم حاملا لواءى الحمد من الجانبين ، ثم حامل الدواة ، ثم صاحب السيف ، وهما فى الجانب الأيسر ، وكل من تقدم ذكره بين العشرة والعشرين من أصحابه . وأهل الوزير من الجانب الأيمن ، بعد الأستاذين المحنكين ، ثم الخليفة وحوله صبيان الركاب المذكورة بقرقرة السلاح منهم ، وهم ما يزيد على ألف رجل ، وعليهم المناديل الطبقيات ، يتقلدون بالسيوف ، وأوساطهم مشدودة بمناديل ، والسلاح مشهور بأيديهم ، من جانبى الخليفة كالجناحين ، وبينهم فرجة لوجه الدابة ، ليس فيها أحد . وبطول الموكب ، والى القاهرة رائح وعائد ، يفسح الطريق ، ويثيّر الفرسان ، فيلقى فى عوده الاسفهنسالار - القائد العام - كذلك ، فى حث الأجناد فى الحركة ، وينكر على المزامين ، ويلقى أيضا فى عوده صاحب الباب بمن فى زمرة الخليفة ، الى أن يصل الى الاسفهنسالار ، فيعود لترتيب الموكب

« وخلف دابة الخليفة قوم من صبيان الركاب لحفظ أعقابهم ، وخلفهم أيضا آخر ، يحمل كل واحد سيفا فى خريطة (٢) دياج أحمر وأصفر بشراريب ، يقال لها « سيوف الدم » لضرب الأعناق ، ثم صبيان السلاح الصغير ، أرباب الفرنجيات »

« ثم يأتى الوزير ، وفى ركابه قوم من أصحابه ، وقوم يقال لهم صبيان

(١) تماثل (٢) فى جراب

الزرد ، من أقوياء الأجناد ، يختارهم لنفسه نحو خمسمائة رجل من جانيه ، كأنه على قلق من حراسة الخليفة . ويجتهد ألا يغيب عن نظره ، وخلفه الطبول والصنوج والصفافير ، بحيث تدوى منهم الدنيا في عدد كثير ، ثم يأتي حامل الدرقه والرمح ، ثم طوائف الراجل من الركابية والجيوشية وقبلهما المصامدة ثم الفرنجية ، ثم الوزيرية ، زمرة بعد زمرة ، في عدد وافر ، يزيد على أربعة آلاف نفر ، ثم أصحاب الرايات ، ثم طوائف العساكر من الآمرية والحافظية والحجرية الكبار والحجرية الصغار والصقلية ، ثم الأتراك المصطنعون ، ثم الديلم ، ثم الأكراد والغز المصطنعة ، وهم البحرية ، ويقدم هذه الفرسان عدة وافرة من المرحلة ، أرباب قسي اليد وقسي الرّجل ، في نيف وخمسمائة نفر ، وهم المعدون للأساطيل ، وجملتهم نحو ثلاثة آلاف وأكثر ، وهؤلاء الذين ذكرناهم بعض من كل ، لا جميع عسكر الخليفة ، ثم يدخلون من باب الفتوح ، ويقفون بين القصرين كما كانوا » (١)

« فاذا وصل الخليفة الى موضع جامع الأقرم الآن ، وقف وقفة ، وانفرج الموكب ، واتجه الخليفة الى القصر ، يحف به الوزير والأمراء والأستاذون المحنكون ، وهم مشاة ، الى أن يصل الى باب القصر ، فينزل الخليفة ، وينصرف الوزير والباقون ، وينتظرون في بيوتهم ، فتأتيهم دنائير ذهبية ، كانت قد ضربت في العشر الأخير من ذي الحجة ، عليها تاريخ السنة التي ركب فيها ، فيحمل للوزير شيء كثير منها والى أولاده وأقاربه ، ثم الى أرباب الرتب من أرباب السيوف والأقلام ، من عشرة دنائير الى رباعي الى قيراط والى دينار واحد ، فيقبلون ذلك تبركا » (٢)

ركوب الخليفة الى مصر « الفسطاط »

« وكان أكثر ركوب الخليفة الى مصر « الفسطاط » ، فاذا ركب ، ركب الوزير وراء الخليفة ، في أقل جمع مما تقدم ذكره في ركوب أول العام ،

(١) النجوم الزاهرة لابی الحاسن بن تفرى بردى الجزء الرابع ص ٨٨ - ٩١
(٢) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٩١

فيشق الخليفة القاهرة الى جامع أحمد بن طولون الى المشاهد « كمشهد زين العابدين ، ومشهد السيدة نفيسة ، ومشهد السيدة أم كلثوم » ، الى درب الصفا ، ويقال له الشارع الأعظم ، الى دار الأنماط « وتعرف بدار الحصر » ، الى جامع مصر « جامع عمرو » ، ثم يسير الخليفة الى دار الملك (١) ، فينزلها والوزير معه ، وكلما مر من القصر الى دار الملك بمسجد أعطى قِيَمَهُ ديناراً ، ماعدا شيخ جامع عمرو ، فيعطيه ثلاثين ديناراً له وللقامة والمؤذنين خاصة ، ثم تأتي المائدة من القصر وعليها كل ما لذ وطاب من الأطعمة الشهية ، فيحمل الخليفة الى الوزير منها جزءاً وافراً ، ويعطى الأمراء ومن حضر ، ثم يوصل الى أهل مصر « الفسطاط » من ذلك كثيراً من الفضلات «

« ثم يصلى الخليفة العصر ، ويتحرك الى العنود ، والناس في الطريق جلوس لنظره ، وزيه في هذه الأيام لبس البياض المذهبة والملونة ، وهى العمامة والمنديل مشدود ، وشدته مفردة عن شدات الرعية ، وذؤابته تقرب من الجانب الأيسر ، ويتقلد السيف العربى المجوهر ، بغير حنك ولا مظلة ولا يتيمة ، ولذلك أوقات مخصوصة ، فلا يمر بمسجد في طريقه الا ويعطى قِيَمَهُ ديناراً كما جرى فى الرواح ، وينعطف من باب الحرق « المعروف اليوم بباب الخلق » فيدخل من باب زويلة ، ويشق القاهرة الى القصر (٢)

(١) كانت دار الملك من جملة مناظر الفاطميين ، واقعة على شاطئ النيل فى آخر عمارة مصر القديمة ، ويوجد فى مكانها اليوم ابنية منها بوليس مصر القديمة
(٢) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٩١ - ٩٣

الباب الخامس

فتاهرة صلاح الدين

- ١ -

أدرك الوهن دولة الفاطميين في أواخر أيامها ، منذ عهد الشدة العظمى ،
في عهد الخليفة المستنصر ، أي منذ سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) . ودب الضعف
في أوصالها ، فترنحت وهوت سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) . وقامت على
أنقاضها الدولة الأيوبية ، التي شيدها صلاح الدين يوسف بن أيوب
كان قدوم صلاح الدين الى مصر بصحبة عمه أسد الدين شيركوه ، سنة
٥٦٠ هـ (١١٦٤ م) . حضرا تلبية لاستغاثة الوزير شاور ، أحد وزراء
العاقد ، آخر الخلفاء الفاطميين . وكان شاور في نزاع مع ضرغام أبي
الأشبال ، أحد أمراء البرقية ، الذي ظل يترقى حتى صار صاحب الباب .
ولم يستطع أحدهما التغلب على عدوه الا بالاستعانة بقوة خارجية ، وفي
هذا ما يدل على مبلغ انحطاط الوطنية والأخلاق عند وزراء ذلك العهد ،
الذين بلغ عددهم أربعين وزيرا ، في مدة تسع سنوات . فاستعان ضرغام
بالصليبيين ، وهم جماعة من مسيحيي أوروبا ، استولوا على بيت المقدس
سنة ٤٩٢ هـ (١٠٩٩ م) ، وأنشأوا لهم امارات على طول ساحل الشام ،
وكانوا يتمنون لو استطال ملكهم فشمّل مصر أيضا . لذلك رحبوا بدعوة
ضرغام لهم ، لمناصرته على شاور ، وسارعوا الى الزحف على مصر ، ليحققوا
الأمل الذي داعب خيالهم . أما شاور ، فقد استعان بنور الدين محمود بن
زنكي صاحب حلب ، وقد أدرك هذا مبلغ ما يصيبه الصليبيون من قوة ،
ان هم استولوا على مصر . لذلك سارع هو الآخر الى تلبية نداء شاور ،

عندما استغاث به ضد ضرغام ، الذى كان قد هزم شاور ، فهرب الأخير الى الشام يطلب العون من نور الدين

وقد استمرت مصر ، ردحا من الزمان ، ميدانا للتنافس بين نور الدين والصليبيين ، يرسل كل منهما جيشه اليها ، فيتحاربون ، ثم يغادرون البلاد بشروط يشترطها كل فريق مع حليفه من الوزيرين ، ثم يعودون اليها ، وهكذا

وانتهى الأمر بقتل كل من ضرغام وشاور ، وخلصت مصر لأسد الدين شيركوه ، وحل فى الوزارة محل شاور . ولكن لم يلبث أن عاجله الموت ، بعد شهرين من توليه أمرها ، فخلفه صلاح الدين ، وحل محله فى الوزارة فى جمادى الآخرة سنة ٥٦٤ هـ (مارس سنة ١١٦٩ م) . ولم يكن صلاح الدين ليغبط على مركزه ، اذ كان فى الواقع مركزا شاذا ، تحفه كثير من الصعاب : فبينما كان وزيرا للعاقد الشيعى ، كان فى نفس الوقت نائبا عن نور الدين محمود السنى . هذا بالاضافة الى قيام الفتن والثورات ، التى كان يشعل نارها الحاقدون عليه ، من شيعة ومغاربة وسودانيين ، ولكن صلاح الدين ، وقد حالفه الحظ ، ولازمه التوفيق ، وبما وهبه الله من سعة الحيلة ، وبعد النظر ، ذلل جميع ما اعترضه من عقبات ، فتوفى العاقد سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ - ١١٧٢ م) ، ثم أعقبه نور الدين محمود ، فتوفى سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٣ - ١١٧٤ م) ، فخلا له الجو ، وخلص له ملك مصر ، وصار صاحب الحول والطول فيها بلا منازع ، وقضى على الشيعة ، وشتت شملهم ، وأخذ فى احلال المذهب السنى محل المذهب الشيعى ، مستعينا فى ذلك بأهله وأقاربه ورجال دولته

وبعد أن استتب له الأمر فى مصر ، وثبتت أقدامه ، أخذ يعد العدة للقضاء على الصليبيين ، وتوجيه ضربة قاصمة لهم ، تزلزل أقدامهم ، وتهلك كياناتهم . وقد أتيح له ذلك فى موقعة حطين الحاسمة (٢٥ ربيع الثانى سنة

٥٨٣/٥ يوليو سنة ١١٨٧) حيث أنزل بالصليبيين هزيمة ساحقة ، وانتزع منهم بعد ذلك بيت المقدس ، ثم أجلاهم عن بقية مدن الشام وفلسطين، ولم يبق في أيديهم سوى بعض المدن الساحلية الصغيرة وأهمها صور، وبذلك صار جلاؤهم عن بلاد الشرق ، جلاء نهائيا ، أمرا محتوما

والواقع أنه لم يتفق لملك من ملوك الشرق ، أو زعيم من زعمائه ، ما اتفق لصلاح الدين من بطولة وشجاعة ، وشدة بأس ، وعلو همة ، وبعد نظر ، وثاقب رأى ، وصفاء نفس ، واستمسك بالعدل والانصاف والرحمة بالناس ، غير مفرق بين عدو وصديق أو بين مسلم ومسيحي ، مما شهد به الأعداء قبل الأصدقاء ، وأجمع عليه المؤرخون بالرغم من تباين أجناسهم ، واختلاف نحلهم ونزعاتهم . هذا الى تفقه في الدين ، ورسوخ كعب في الأدب ، ومصاحبة للعلماء والأدباء

وبعد حياة حافلة بجلائل الأعمال ، توفي صلاح الدين الى رحمة الله ورضوانه في ٢٧ من صفر سنة ٥٨٩ (٤ مارس سنة ١١٩٣) بعد أن أصيب بالحمى الصفراء ، التي لم ينقذه منها علاج ، ودفن في دمشق . ومع انه كان صاحب الكلمة النافذة في ادارة شئون البلاد ، وليس من ينازعه في أى أمر من أمورها ، أو يراجعه في أى شأن من شئونها ، فقد مات ولم يخلف في خزائنه من الذهب والفضة الا سبعة وأربعين درهما ناصرية ، ودينارا واحدا ذهبيا سوريا ، كما ذكر ابن شداد . ولم يخلف ملكا ولا دارا ولا عقارا ولا بستانا ولا مزرعة (١)

وقال ابن شداد أيضا يصف وقع موت صلاح الدين في نفوس الناس : « وكان يوم موته يوما لم يصب الاسلام والمسلمون بمثله ، بعد فقد الخلفاء الراشدين — رضى الله عنهم — وغشى القلعة والمثلث والدنيا وحشة لا يعلمها الا الله تعالى ، وقد علمت من نفسى ، ومن غيرى ، انه لو قبِل الفداء لفدى بالأنفس »

ألا رحم الله صلاح الدين رحمة واسعة ، وأنزله منازل المجاهدين
المكافحين ، والأبرار الصديقين ، الذين رفعوا لواء الاسلام عاليا ، و زادوا
عن حياضه ، واستماتوا في الدفاع عنه حتى النفس الأخير

- ٢ -

القاهرة في عهد صلاح الدين :

رأينا أن في مقدمة ما كانت تعنى به أية دولة عند بدء قيامها ، انشاء
عاصمة جديدة لها ، تتفق ومكانتها ، وتجتمع فيها مقومات عظمتها ،
وتفتتح بها صفحة جديدة في تاريخها . ولما كان صلاح الدين يدين بالمذهب
السني ، وينقم على المذهب الشيعي ، فقد آل على نفسه أن يطمس آثار
الفاطميين ، وألا يترك سبيلا لحياء ذكراهم ، واستعادة سلطانهم . لذلك
فانه لم يبق على قصورهم وما احتوت عليه من تحف وطرائف ، فأسكنها
أتباعه وحاشيته وضباط جيشه وأقاربه . وأهمل مدينتهم التي التصقت
بها ذكراهم ، وارتبطت بمنشأتها شهرتهم وعول منذ اللحظة الأولى على
أن يدمج القاهرة والعواصم التي سبقتها ، بعضها في بعض ، ويوحد
بينها ، فيحيطها جميعا بسور عظيم ، لتصبح حاضرة دولته ، وعاصمة
إمبراطوريته ، على أن يشيد له فوق رابية المقطم قلعة حصينة لاقامته ،
ولتشرف على تلك العاصمة الموحدة ، تحمي ذمارها ، وتدفع عنها غارة
العدو المهاجم . وأى عدو لمصر في ذلك الحين غير الصليبيين ، الذين أجلاهم
عن أرضها ، بعد أن كادت تقع لقمة سائغة في حلوقهم

والواقع أن صلاح الدين هو الذي وضع أساس القاهرة الحالية ، بعد
أن وحد بين العواصم الأربع القديمة ، وهو الذي مهد لها كي تصبح
أكبر مدينة في الشرق ، جديرة بما لمصر من مركز الصدارة بين دول العالم
الاسلامي ، ودول الشرق الأوسط ، ورسم طريق تقدمها في مستقبلها

العظيم ، الذى كان ينتظرها فى العهود التالية ، وفى العصر الحديث . وبعد ان كانت قاهرة الفاطميين مقصورة على سكنى الخلفاء وحاشيتهم ، فقد شجع صلاح الدين أفراد الشعب على سكنى القاهرة ، واقامة المنازل فيها ، فنقلوا الأتقاض من مدينة مصر « الفسطاط » التى تخلفت عن حريق شاور فى ٣٠ ربيع الأول سنة ٥٦٤ هـ (أول يناير سنة ١١٦٩ م) ، ذلك الحريق الذى استمر ٥٤ يوما ، واستعملوا الأتقاض فى تشييد مبانيهم

ولما كان صلاح الدين دائم التنقل بين القاهرة والشام ، للاشراف على أعماله الحربية ضد الصليبيين ، فقد وكل الى وزيره « أبو سعيد قراقوش ابن عبد الله الأسدى الملقب ببهاء الدين » انفاذ خطته ، والاشراف على أعمال البناء . فأنفذ تلك الخطط بكل نشاط واحكام . ومن هنا جاءت شهرته بالصرامة، وعَلِقَ باسمه الاستبداد ، فلقَّبَه الناس بقراقوش ، ومعناها الطائر الأسود «العقاب» عنوانا على الصرامة والاستبداد، وشبهوا عهود الظلم بعصر قراقوش . ومن الطريف أن الأسعد بن مماتى ، كتب كتابا عن بهاء الدين عنوانه : « الفاشوش فى أحكام قراقوش » ضمنه كثيرا من الأمور التى يبعد وقوعها منه (١)

ولم يمتد أجل صلاح الدين ليتم جميع أعماله الانشائية ، فأتمها خلفاؤه من بعده . وعلى الرغم من أنه لم يقم طويلا فى القاهرة ، الا أن أحدا ممن سبقوه من الحكام لم يترك فيها مثلما ترك من آثار

— ٣ —

منشآت صلاح الدين :

السور : كانت نفقات حروب صلاح الدين تستنفد جانبا كبيرا من

ميزانية الدولة ، لذلك رأى توفيراً للنفقات الكثيرة ، التى يستلزمها بناء

(١) ابن خلكان ح ١ ص ٤٣٠

سور جديد ، أن يمد سور بدر الجمالى من شماليه ، ويتجه به غربا حتى شاطئ النيل الشرقى ، حيث أقيم حصن المقس المنيع . كذلك رأى أن يمهده جنوبا حتى باب الوزير ، بالقرب من سور القلعة الجديد . ثم هو يتم هذا السور ، يمهده جنوبا ، ليحيط بمدينة مصر « الفسطاط » ، حتى يلتقى بالنيل ثانية ، جنوبى الفسطاط

ولم يكمل بناء السور فى أثناء حياة صلاح الدين ، وانما أتمه خلفاؤه من بعده . وكل ما تم منه فى عهده ما يأتى :

١ - السور الشمالى : ويبتدىء من غرب باب الفتوح ويسير غربا ثم الى الجنوب الغربى ، ثم يتجه الى الغرب ثانية . ويسير باطراد ماعدا قطع واحد بالقرب من شارع الخليج المصرى « شارع بورسعيد حاليا » . وبعد ذلك يمكن للانسان أن يتبعه وهو يسير خلف سكة الفجالة ، وشارع الطلبة حتى ميدان محطة مصر « ميدان رمسيس الآن » ، حيث تجد بقايا منه ، على طول هذا الاتجاه الذى ينتهى بقلعة المقس . وقد زالت ولم يبق لها أثر اليوم ، وكان قد شيد بجوارها جامع المقس الذى يعرف اليوم بجامع أولاد عنان

٢ - الجزء من السور الشرقى : ويمتد من باب النصر فدرب المحروق حتى باب الوزير ، بالقرب من سور القلعة الجديد . ويوجد فى هذا الجزء برج الظفر

وعند وفاة صلاح الدين لم يكن قد بدىء فى بناء السورين الجنوبى والغربى ، كما لم يكن السور الشرقى قد اتصل بعد بباب الوزير . ومما تجدر الإشارة اليه أن هذا السور بنى من الأحجار ، بخلاف سور جوهر الذى بنى من اللبن . كذلك يمتاز سور صلاح الدين بوجود الأبراج الدائرية الخالية من الحجرات الداخلية والمنافذ والفتحات . ولا يزال ممكنا تتبع أجزاء من هذا السور بين المنازل القديمة أو خلال تلال المقطم

وقد شرع صلاح الدين ، في نفس الوقت الذى كان يبنى فيه السور ، فى تشييد القلعة ، فوق جبل المقطم ، فى موضع كان يعرف بقبة الهواء ، قيل ان حاتم بن هرثة هو أول من بناها (١) ، ثم صار موضعها مقبرة ، فيها عدة مساجد . ولم يعرف أن صلاح الدين سكنها ، لأنه توفي قبل اتمام مبانيها . وانما تمت فى عهد الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب ، فكان أول من سكنها واتخذها دار الملك فى الديار المصرية ، واستمرت كذلك فى جميع العهود التالية ، حتى عهد محمد على ، وبعض خلفائه من بعده . وقد هدم صلاح الدين بعض الأهرام الصغيرة فى الجزيرة ، واستعمل أحجارها فى بناء القلعة والسور ، واستخدم كثيرا من أسرى الفرنجة فى أعمال النحت والبناء

وقد قيل فى سبب بناء القلعة أن صلاح الدين أراد أن يحتمى بها من الفاطميين وأشياعهم ، ولكن المعقول أن يكون قد قصد من بنائها تحصين البلاد ضد عدو أشد خطرا ، ألا وهو الصليبيون . وقد شاهد فى أثناء تجواله فى سوريا أن لكثير من البلاد فيها قلاعاً حصينة تحميها ، فلم ير بدا ، وهو بصدد تحصين القاهرة بسور عظيم ، أن يزيد فى مناعتها ، ويضاعف من قوتها باقامة قلعة حصينة ، فوق جبل المقطم ، أسوة بمدن سوريا ، التى شاهدها من قبل ، وأعجب بقلعها وحصونها . وقد بلغ طول هذا السور حسب تقدير المقرئى ٢٩٣٠٢ ذراعا هاشميا

وقد بدىء فى بناء القلعة سنة ٥٧٢ هـ (١١٧٦ م) ، وتمت فى عهد الملك الكامل سنة ٦١٤ هـ (١٢٠٧ - ١٢٠٨ م) . وفى الضلع الغربى للقلعة ، يوجد الباب المدرج ، وفوقه كتابة تاريخية ، كتبت بعد البدء فى انشاء القلعة بست سنوات ، ولا تزال موجودة حتى اليوم ، وهذا نصها : « بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر بانشاء هذه القلعة الباهرة ، المجاورة لمحروسة القاهرة ،

التي جمعت نفعا وتحسينا وسعة على من التجأ الى ظل ملكه وتحسينا ، مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين ، أبو المظفر يوسف بن أيوب محيي دولة أمير المؤمنين في نظر أخيه وولى عهده ، الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد خليل أمير المؤمنين ، على يد أمير مملكته ، ومعين دولته ، قراقوش ابن عبد الله الملكى الناصرى في سنة تسع وسبعين وخمسمائة « ويقابل هذه السنة سنة ١١٨٣ - ١١٨٤ م

القلعة بعد صلاح الدين :

ولم يبق من منشآت صلاح الدين بالقلعة سوى بعض أجزاء السور والأبواب ، ذلك لأنه أدخلت عليها كثير من التغييرات والاضافات في العصور التالية : فقد أنشأ الكامل قصورا ، وزاد في مساحتها ، وأحاط الزيادة بسور أقل حجما من سورها الأول . كما أنشأ الظاهر بيبرس برجا كبيرا وطباقا للمماليك، وقصرا فخما لوالده الملك السعيد. وأنشأ الأشرف خليل بن قلاوون مقعدا فخما شاهقا يطل على الجزيرة والنيل . وأنشأ الناصر محمد بن قلاوون برجا مربعا كبيرا لا يزال باقيا الى الآن بالقرب من الناحية البحرية الشرقية أسفل جامع محمد على ، كما بنى قصره المعروف بالقصر الأبلق ، الذى لا تزال توجد بقية منه . وأنشأ أيضا مسجدا . وأنشأ الناصر حسن بن محمد قصره المسمى بالبيصرية سنة ٧٦١ هـ (١٣٥٩ - ١٣٦٠ م) ، وقيل انه جعل به شبابيك من الذهب. وفي سنة ٧٩١ هـ (١٣٨٨ - ١٣٨٩ م) جدد السلطان الظاهر برقوق سور القلعة . وقد شيد السلطان الغورى ايوانا كبيرا جمع كثيرا من بدائع الفن . وحوالى سنة ١١٦٠ هـ (١٧٤٧ م) أنشأ الأمير رضوان كتنخدا الجلفى باب العزب ، المشرف على ميدان صلاح الدين . وقد أصلح محمد على جانبا كبيرا ، من سورها وأبراجها وأبوابها. وأنشأ الجامع وسراى الجوهرة والعدل ودار الضرب ودار المحفوظات المقابلة للباب الجديد الذى أنشأه سنة ١٢٤١ هـ (١٨٢٥ م) (١)

(١) انظر الدليل الموجز لاشهر الآثار العربية بالقاهرة تأليف الاستاذ محمود أحمد ص ٧٩-٨٢

وحفر صلاح الدين في القلعة بئرا يستقى منها الجيش وسكان القلعة ، اذا ما منع الماء عنها عند حصارها . وهى من أعجب ما تم من الأعمال في عهد صلاح الدين ، اذ أنها محفورة في الصخر على عمق ٩٠ مترا تقريبا من مستوى أرض القلعة . ولا يخفى ما يتطلبه هذا العمل من جهد

وتتركب هذه البئر من طابقين ، لكل منهما ساقية ، ترفع المياه منها بواسطة الدواب ، التى خصص لها منحدر ، لتسهيل النزول والصعود . وقد فتحت بجانبه فتحات لا يصل النور الى هذا الممر (١) . ولا تزال توجد السواقي بمعداتها أسفل البئر حتى الآن

— ٤ —

القاهرة في عهد خلفاء صلاح الدين

خلف صلاح الدين سبعة عشر ولدا ، وفتاة واحدة . وقد اقتسم أولاده واخوته مملكته العظيمة . فوقعت مصر من نصيب ابنه عماد الدين عثمان ، الذى لقب بالملك العزيز . ولكنه لم يعمر طويلا ، اذ توفى في ٢١ محرم سنة ٥٩٥ هـ (٢٤ نوفمبر سنة ١١٩٨ م) أى بعد ست سنوات من ولايته ، فخلفه ابنه ناصر الدين محمد وعمر ثمانى سنوات ، ولقب بالملك المنصور . فأقام الملك العادل بن أيوب نفسه وصيا عليه . وما لبث أن خلعه في شوال سنة ٥٩٦ هـ (١٥ يوليو سنة ١٢٠٠ م) وانفرد بحكم مصر ، بل انه سرعان ما مد نفوذه على بلاد الشام أيضا ، وسائر دولة صلاح الدين ، فعادت البلاد الى حظيرة سلطان واحد ، وتحت قبضة يد واحدة . ويظهر أن هذا الحل الموفق كانت تقتضيه أحوال ذلك العهد ، وما لابس من ظروف خطيرة : فالصليبيون لم يلبثوا بعد وفاة صلاح الدين أن أخذوا

يستعيدون نشاطهم ، ، ويمنون أنفسهم باستعادة ممتلكاتهم ، بعد أن أجلاهم عنها صلاح الدين . فاشتبك العادل معهم في عدة حروب بالشام ، ولكنهم حولوا وجوههم شطر مصر ، واستولوا على دمياط في ٤ ربيع الأول سنة ٦١٥ هـ (أول يونيو سنة ١٢١٨ م) ، وتوغلوا في أرض الوجه البحرى ، وكان العادل قد توفى حينذاك ، فتصدى لهم الكامل بن العادل ، وهزمهم بعد قتال عنيف هزيمة ساحقة في ٧ رجب سنة ٦١٨ هـ (٦ سبتمبر سنة ١٢٣١ م) في الموضع الذى أطلق عليه فيما بعد « المنصورة » ، ثم أجلاهم عن أرض مصر

ولكنهم عادوا اليها في عهد ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وكان قد تولى الملك في ٢٥ ذى القعدة سنة ٦٣٦ هـ (أول يوليو سنة ١٢٣٩ م) ولكنه توفى قبل أن يتم له النصر عليهم ، فقام بهذه المهمة ابنه الملك المعظم غياث الدين توران شاه ، وهزمهم هزيمة ساحقة عند المنصورة أيضا ، وأسر ملكهم لويس التاسع سنة ٦٤٨ هـ (١٢٥٠ م) . وفى نفس العام توفى توران شاه ، وموته انقرضت دولة الأيوبيين ، وانتهى عهدهم

القلعة والاسوار :

ذكرنا أن الملك الكامل أكمل بناء القلعة سنة ٦١٤ هـ (١٢٠٧م) وأنشأ بها قصورا ، وزاد فى مساحتها ، وأحاط الزيادة بسور أقل ارتفاعا من سورها الأول ، ثم اتخذها مقرا لملكه

قبة الامام الشافعى :

ولقد أنشأ صلاح الدين فيما أنشأه من مدارس ، مما سيأتى ذكره قريبا ، المدرسة الصلاحية سنة ٥٧٢ هـ (١١٧٦ م) ، وأنشأ بجوارها ضريحا للامام الشافعى . وفى سنة ٥٧٤ هـ (١١٧٨ م) أنشأ التابوت الخشبى الذى يعلو تربة الشافعى ، وهو مصنوع من خشب الساج الهندى ، ومقسم الى حشوات هندسية ، منقوشة نقشا غاية فى الاتقان ، ومكتوب

عليه آيات قرآنية ، وترجمة حياة الشافعى ، واسم الصانع الذى صنعه ،
وذلك بالخط الكوفى والنسخى

وبجوار قبر الشافعى دفنت الأميرة « شمس » زوج صلاح الدين ،
والملك العزيز عثمان ابنه ، ووالدة الملك الكامل . لذا شيد ولدها الكامل
فى جمادى الأولى سنة ٦٠٨ هـ (أكتوبر سنة ١٢١١ م) قبة ضمت قبر
الشافعى وبعض أفراد الأسرة الأيوبية . وتمتاز هذه القبة بما فيها من نقوش
وزخارف ، ويوجد فوقها من الخارج ، فى مكان الهلال ، مركب صغير من
النحاس ، يقال انها تسع من الحب قدر نصف أردب لاطعام الطيور ويغلب
على الظن أن تكون هذه المركب رمزا لعلم الشافعى الذى شُبّه بالبحر
الزاهر . ثم انه أنشأ تابوتا من الخشب فوق تربة والده ، لا يقل دقة عن
تابوت الشافعى . وركّب على باب القبة مصاريع خشبية ، تماثل صناعتها
صناعة التابوت . ولا تزال هذه القبة الجميلة المرتفعة قائمة الى اليوم ، تعلو
قبر الامام الشافعى ، المجاور لمسجده ، بشارع الامام الشافعى بالقرافة
ولما تسرب الوهن الى المدرسة الصلاحية ، وتعطلت اقامة الشعائر الدينية
بها ، هدمها الأمير عبد الرحمن كتحدا ، وأنشأ مكانها مسجدا عظيما سنة
١١٧٦ هـ (١٧٦٢ - ١٧٦٣ م) وضم اليه ضريح الامام الشافعى . وقد
أصاب هذا المسجد بعد ذلك تصدع وخلل ، فرممه على الصورة التى هو
عليها الآن الخديو محمد توفيق سنة ١٣٠٩ هـ (١٨٩٠ - ١٨٩١ م)

تربة الصالح نجم الدين ايوب :

وتوجد بشارع ما بين القصرين ، فى الجهة البحرية الغربية للمدرسة
الصالحية . وقد أنشأتها الملكة شجرة الدر ، ليدفن بها زوجها الصالح نجم
الدين أيوب ، وبها تابوت خشبى بلغت صناعته الدقيقة درجة عظيمة من
الاتقان . كذلك تعد شبائيكها النحاسية المفرغة ، ورخام المحراب من أقدم
النماذج التى من نوعها

الحالة الاجتماعية في عهد الأيوبيين

نعمت البلاد في عصر صلاح الدين بأمن مستتب ، وهدوء شامل ، وعدل مقيم ، ورخاء عميم . ولا يظن ظان أن انشغال صلاح الدين طوال حياته بالحرب والنضال قد صرفه عن تعهد البلاد بكل ما تحتاجه من اصلاح . والواقع انه حفر الترع ، وطهر القديم منها ، فأينع الزرع ، وكثر الرزق ، وعمت الخيرات

القضاء على البدع :

ولم يأل جهدا في القضاء على البدع التي شابت عقائد الناس في عهد الفاطميين ، وأعاد الناس الى النهج القويم والطريق السليم ، ونفث فيهم من روحه قوة وشجاعة ، وتقى وعدلا ورحمة . فضربوا مثلا رائعا في رباطة الجأش وقوة الايمان، والجد والعمل، الزارع في حقله ، والصانع في مصنعه، والجندى في ميدانه

انتشار العدل :

وكان محبا للعدل ، يجلس في كل يوم اثنين وخميس في مجلس عام يحضره القضاة والفقهاء ، ويصل اليه الكبير والصغير ، والشيخ العجوز ، وما استغاث به أحد الا أجابه وكشف ظلامته (١)

الحمائم :

ولقد زار مصر في عهد صلاح الدين ، وبعد وفاته عبد اللطيف البغدادي، الرحالة المشهور ، فأعجب بكل ما شاهد في القاهرة من غرائب الأبنية ، ووسائل الراحة . وأطنب في وصف حماماتها فقال : « وأما حماماتهم فلم أشاهد في البلاد أتقن منها وصفا ، ولا أتم حكمة ، ولا أحسن منظرا

(١) النجوم الزاهرة ج ٦ ص

ومخبرا . أما أولا فان أحواضها يسع الواحد منها ما بين راويتين الى أربع روايا وأكثر من ذلك ، يصب فيها ميزابان ثجاجان ، حار وبارد . وقبل ذلك يصبان في حوض صغير جدا مرتفع ، فاذا اختلطا فيه جرى منه الى الحوض الكبير، وهذا الحوض نحو رבעه فوق الأرض ، وسائرہ في عمقها ، ينزل اليه المستحم ، فيستنقع فيه . وداخل الحمام مقاصير بأبواب . وفي المسلح أيضا مقاصير لأرباب التخصص ، حتى لا يختلطوا بالعوام ، ولا يظهروا على عوراتهم . وهذا المسلح بمقاصيره ، حسن القسمة ، مليح البنية . وفي وسطه بركة مرخمة ، وعليها أعمدة وقبة ، وجميع ذلك مزوق السقوف، مفوف الجدران ، مبيضها ، مرخم الأرض بأصناف الرخام ، مجزع باختلاف ألوانه ، وترخيم الداخل يكون أبدا أحسن من ترخيم الخارج ، وهو مع ذلك كثير الضياء ، مرتفع الآذاج ، جاماته مختلفة الألوان ، صافية الأصباغ ، بحيث اذا دخله الانسان لم يؤثر الخروج منه ، لأنه اذا بالغ بعض الرؤساء أن يتخذ دارا جلوسه ، وتناهى في ذلك ، لم تكن أحسن منه » (١)

واذا كثرت الحمامات في بلد ، كان ذلك عنوانا على نظافة أبدان أهله، وصحة أجسامهم ، وسلامة عقولهم ، وبالتالي دليلا على رقيهم وتقدمهم. وقد كان هذا حال أهل القاهرة في عهد صلاح الدين ، وفي عهد خلفائه من بعده

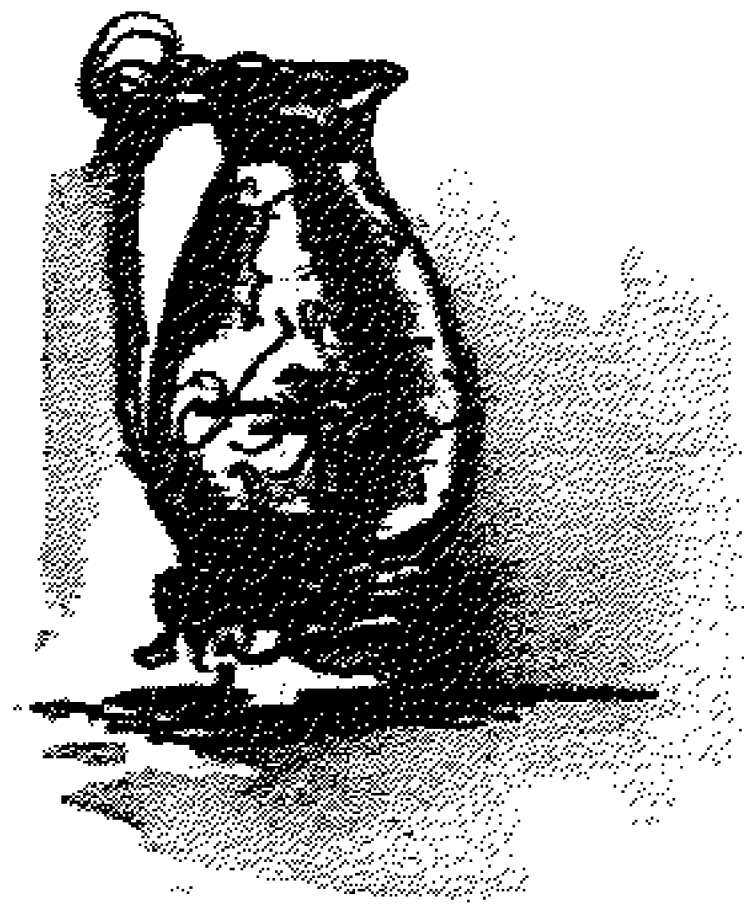
رعاية المرضى :

وقد شمل صلاح الدين المرضى ، وذوى العاهات برعايته وعنايته ، فأنشأ لهم دورا لعلاجهم، والعناية بهم، من ذلك: بیمارستان بالاسكندرية، وآخر بالقاهرة ، كان يطلق عليه بیمارستان العتيق ، الذى أنشأه سنة ٥٧٧ هـ (١١٨١ - ٨٢ م) محل قاعة بالقصر الكبير ، بناها العزيز بالله

(١) الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة ، بأرض مصر ، لعبد اللطيف البغدادي ، طبعة المجلة الجديدة بالقاهرة ص ٥٣ ، ٥٤

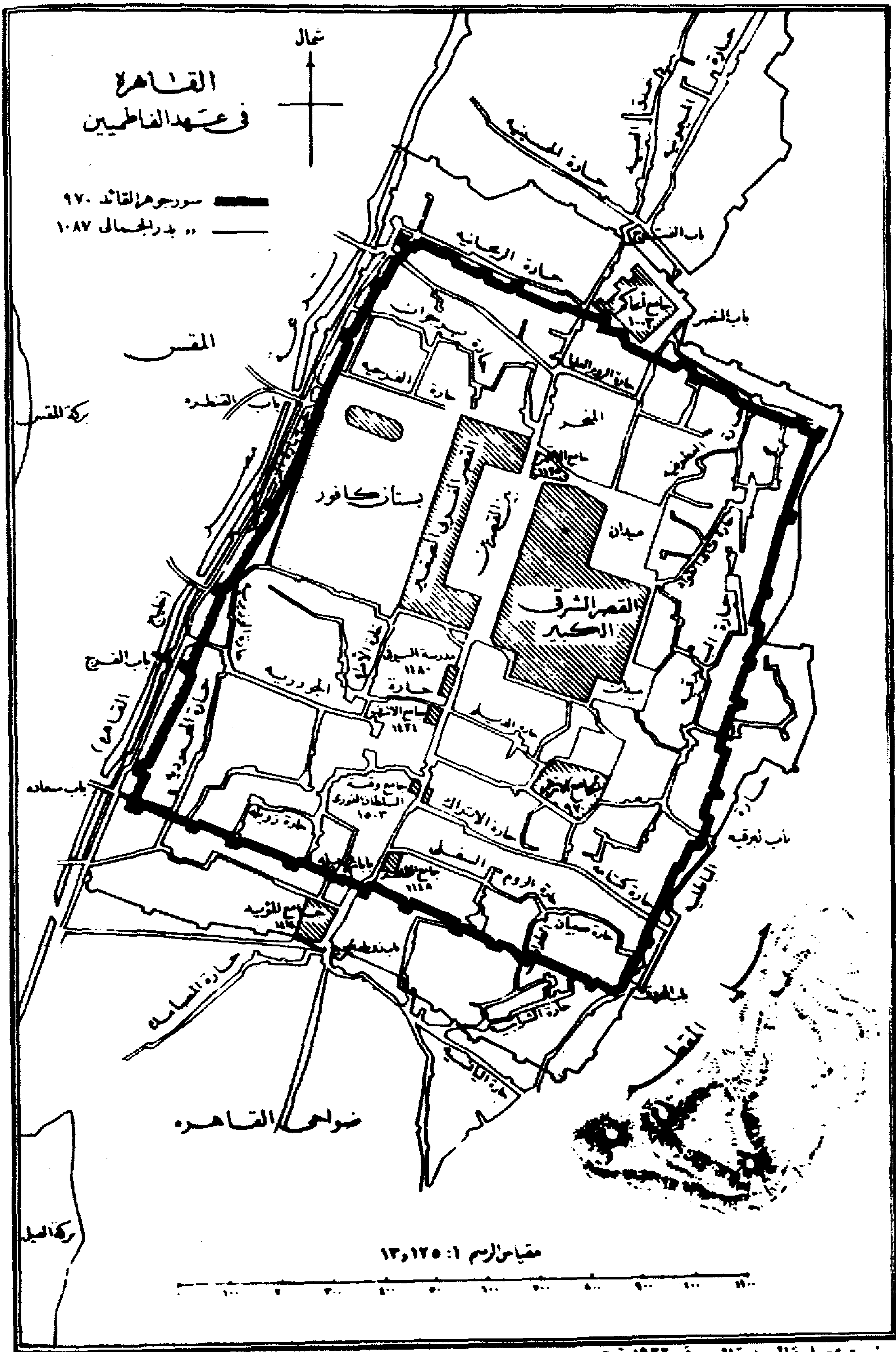


ابريق من البللور الصخرى ، من
العصر الفاطمى (القرن العاشر
الميلادى) محفوظ الآن بكتدرائية
« سان مارك » بمدينة البندقية .
وتمثل الزخارف المحفورة فيه
اسدين بينهما شجرة الخلد ، وعلى
المقبض خروف صفير . ونص
الكتابة الموجودة فى أعلاه « بركة
من الله للامام العزيز بالله »



صورة على الجص ، وجدت على
جدران حمام فاطمى بجهة أبى
السعود ، محفوظة الآن بالمتحف
الاسلامى بالقاهرة تمثل انسانا
تحيط برأسه هالة - وهى ملونة
بالاحمر والاسود - وعليه عمامة
جميلة ، وفى يده اليمنى كأس ..





خريطة القاهرة في عهد الفاطميين (٩٧٠-١٠٨٧ م)

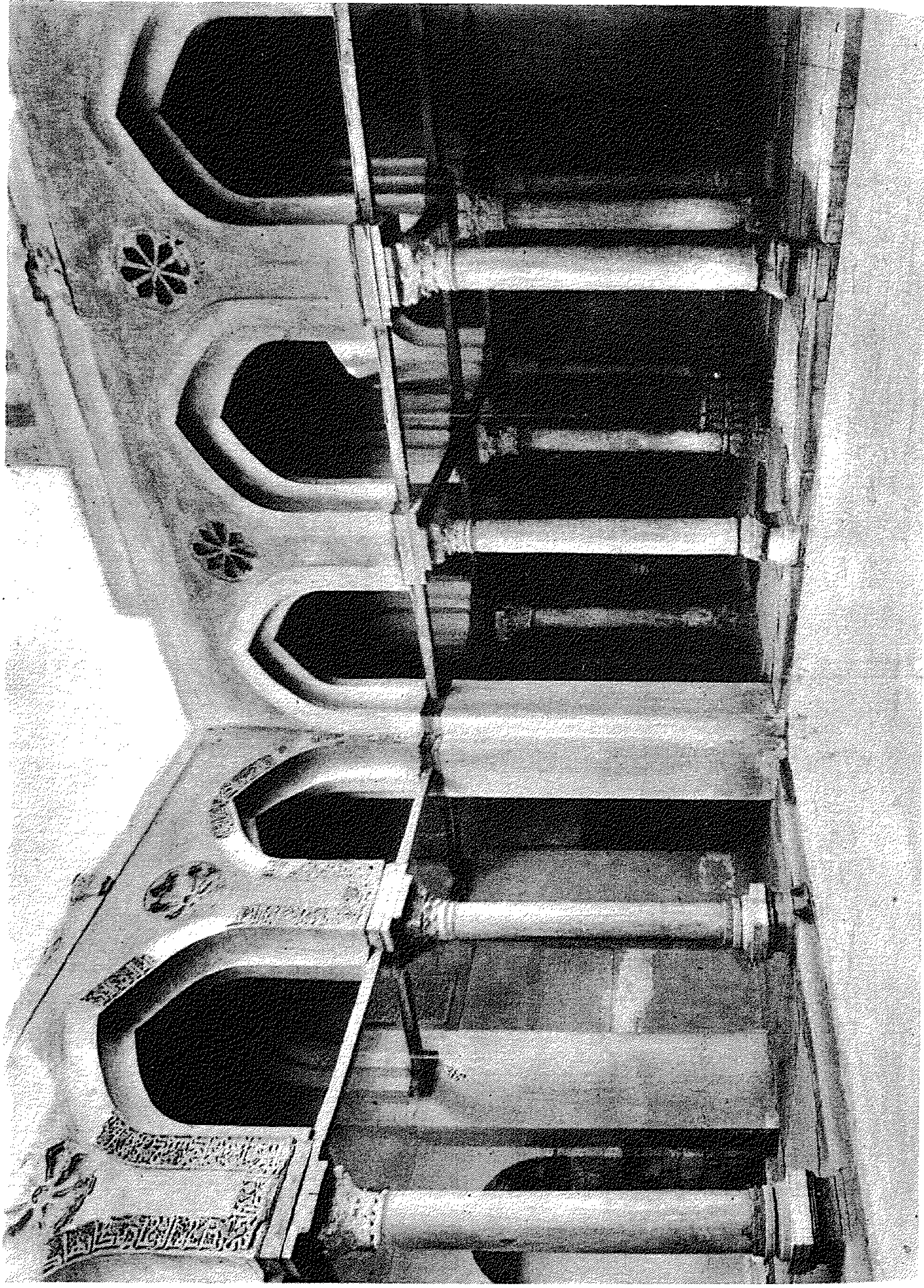
يوضح هذا الرسم مواقع ابواب القاهرة ، والجامع الازهر ،
والقصرين الفاطميين ، وجامع الحاكم وقد اخرج سور
بدر الجمالي عن نطاق القاهرة الفاطمية



الواجهة الرئيسية لمسجد الصالح طلائع ، والرواق الخارجى
ذو العقود الفارسية التى ترتكز على أعمدة قديمة . وتشاهد
التجاويف والمحارات والمقرنصات الصغيرة ، والصنج المعشقة

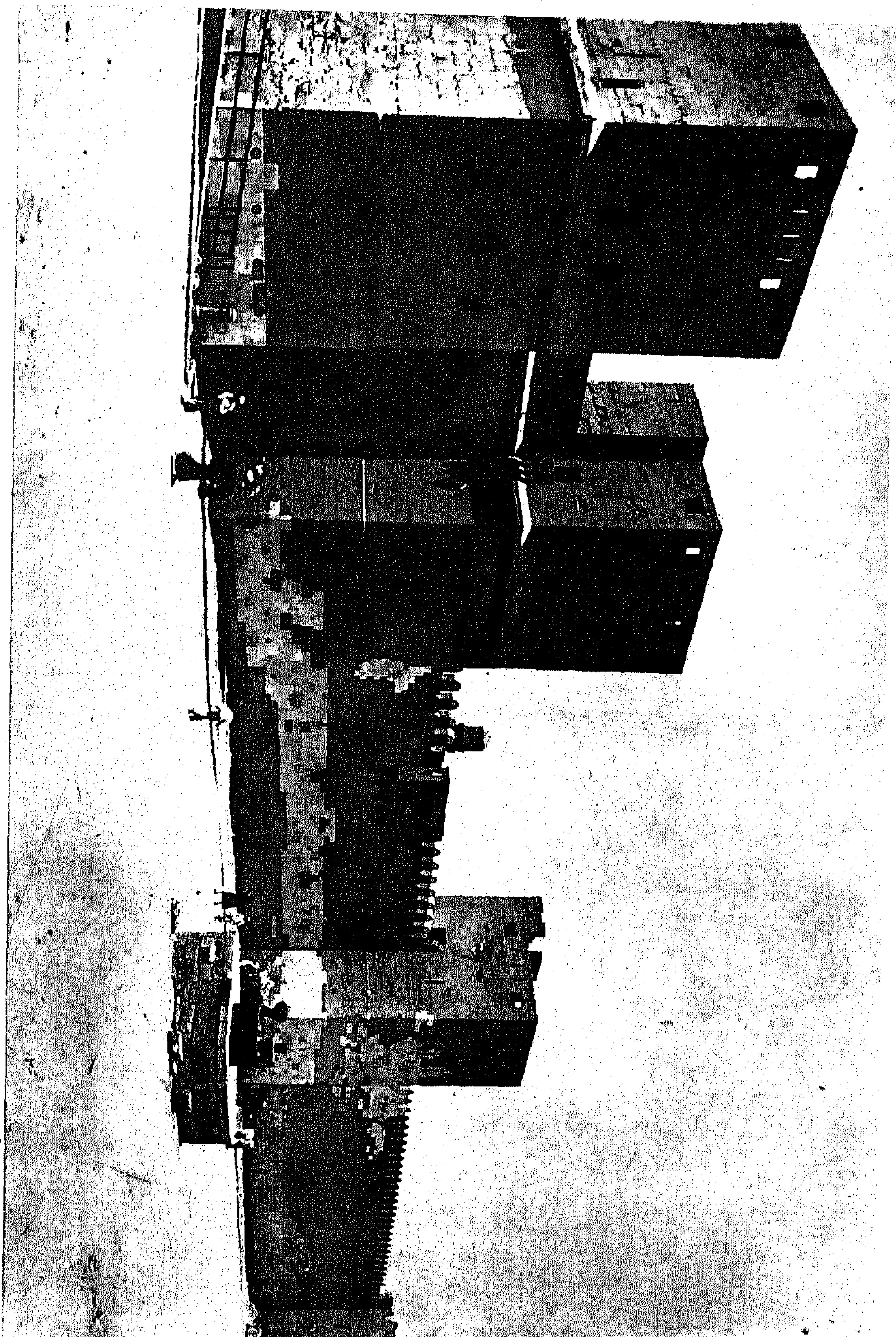


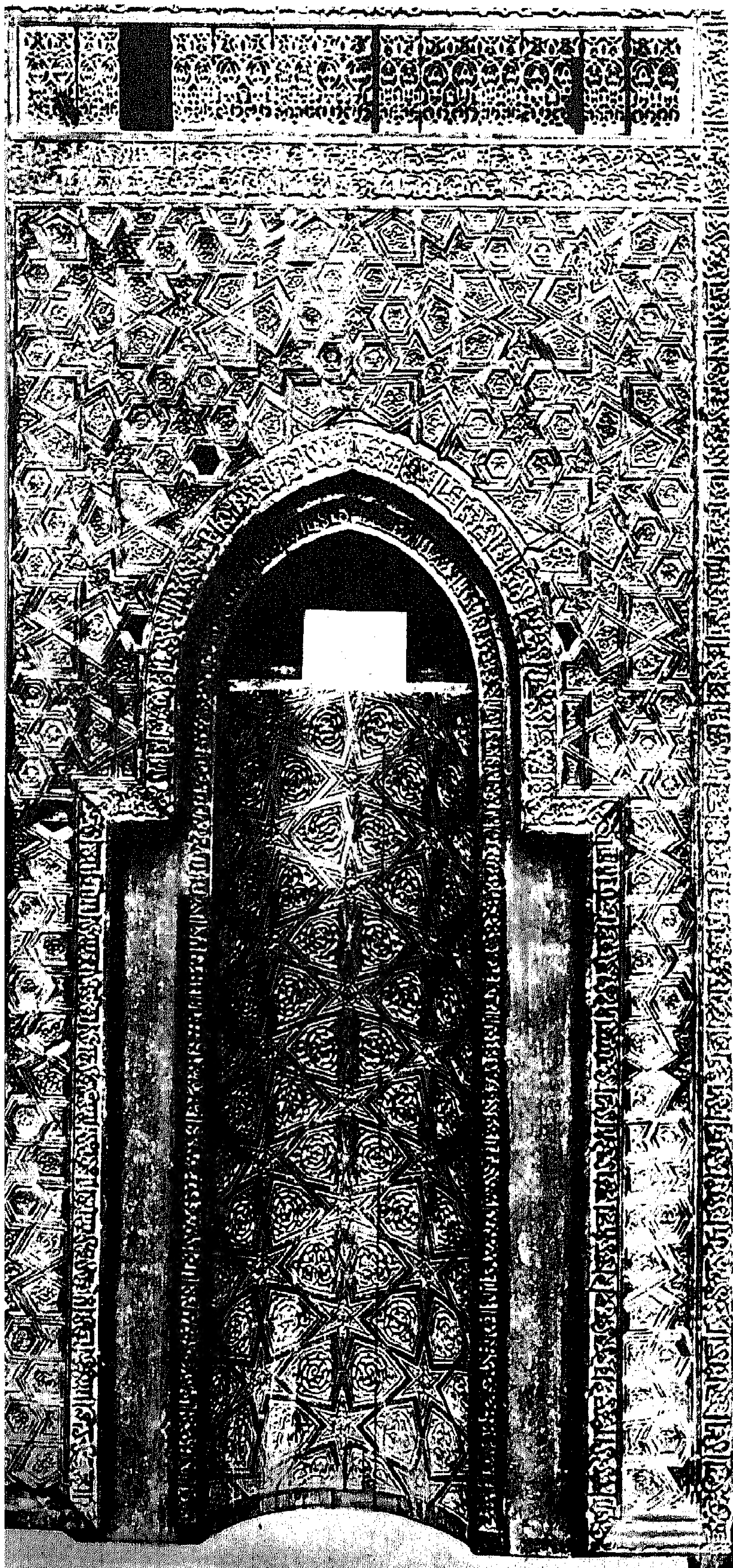
العمود الفارسية والأعمدة القديمة والأوتار الخشبية وعليها
زخارف نباتية محفورة بمسجد الصالح طلائع



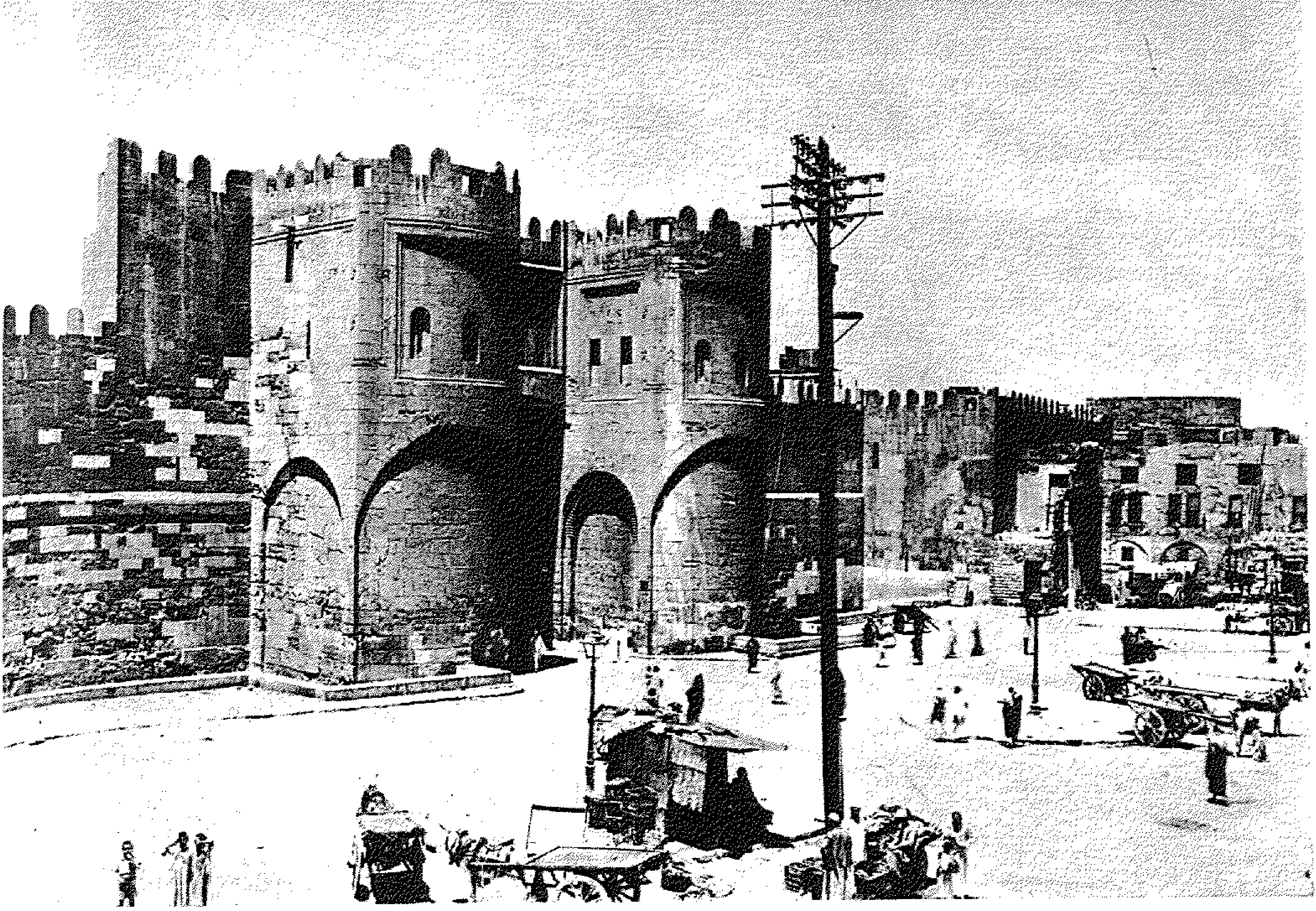
المقود الفارسية بمسجد القمر التي تفصلها بعضها عن بعض زخارف
على هيئة صور : وترى الأعمدة القديمة والدعائم المحيطة بالصحن

منظر جانبي عام لباب النصر مع جزء من سور بيدر الجمالي - وتشاهد الابراج المربعة والنقوش
المجريدية ذات الطابع العربي ، والفسيف ذات الفتحات الرئيسية التي يصلها ممر



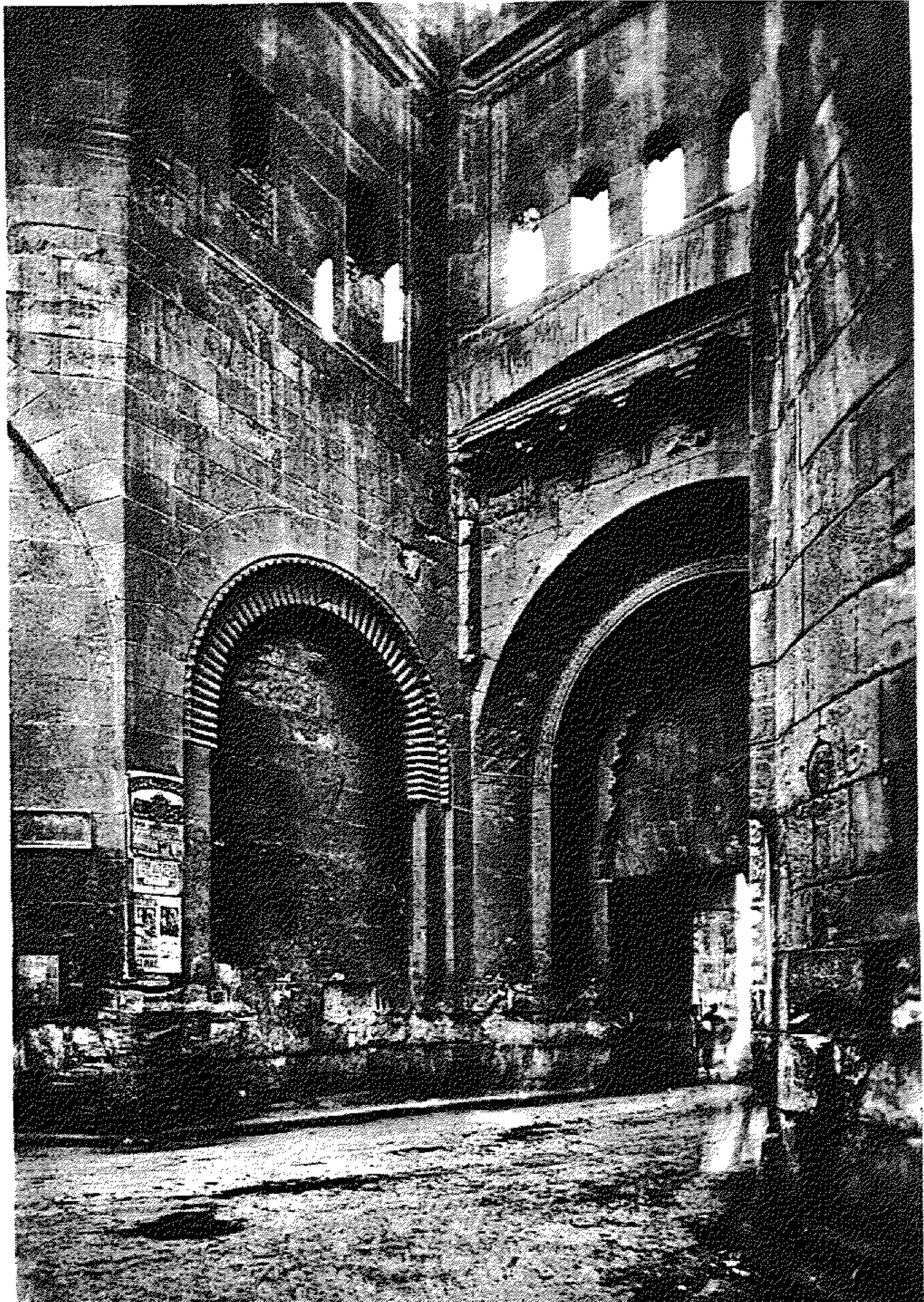


محراب السيدة رقية ، وهو
 احد محاريب ثلاثة متنقلة
 خشبية ، صنعت في العصر
 الفاطمي ، ومحفوطة بالمتحف
 الاسلامي بالقاهرة . ويمتاز
 هذا المحراب بأنه مزين
 بالزخارف من الظهر
 والجانبين . وحنية القبلة
 مكونة من حشوات سداسية
 الشكل ، مجمعة بحيث
 تحصر بينها حشوة على
 شكل نجمة ذات ستة اطراف .
 وتزين كل حشوة من تلك
 الحشوات سيقان نباتية
 دقيقة ، فيها وريقات ذات
 فصوص طويلة . وتحيط
 بحنية القبلة كتابة بالخط
 الكوفي المشجر تتضمن بعض
 آيات القرآنية . . .
 أما واجهة المحراب فمن
 خشب قرو ، ومزخرفة
 بحشوات من ساج هندي
 وخشب زيتون على شكل
 نجوم وأشكال هندسية
 اخرى كثيرة الاضلاع ، وغنية
 بما فيها من سيقان وورقات
 دقيقة . ويحيط بالزخارف
 اطار من كتابة كوفية مشجرة
 تتضمن اسم زوجة الخليفة
 الأمر وهي التي أمرت بصنعه



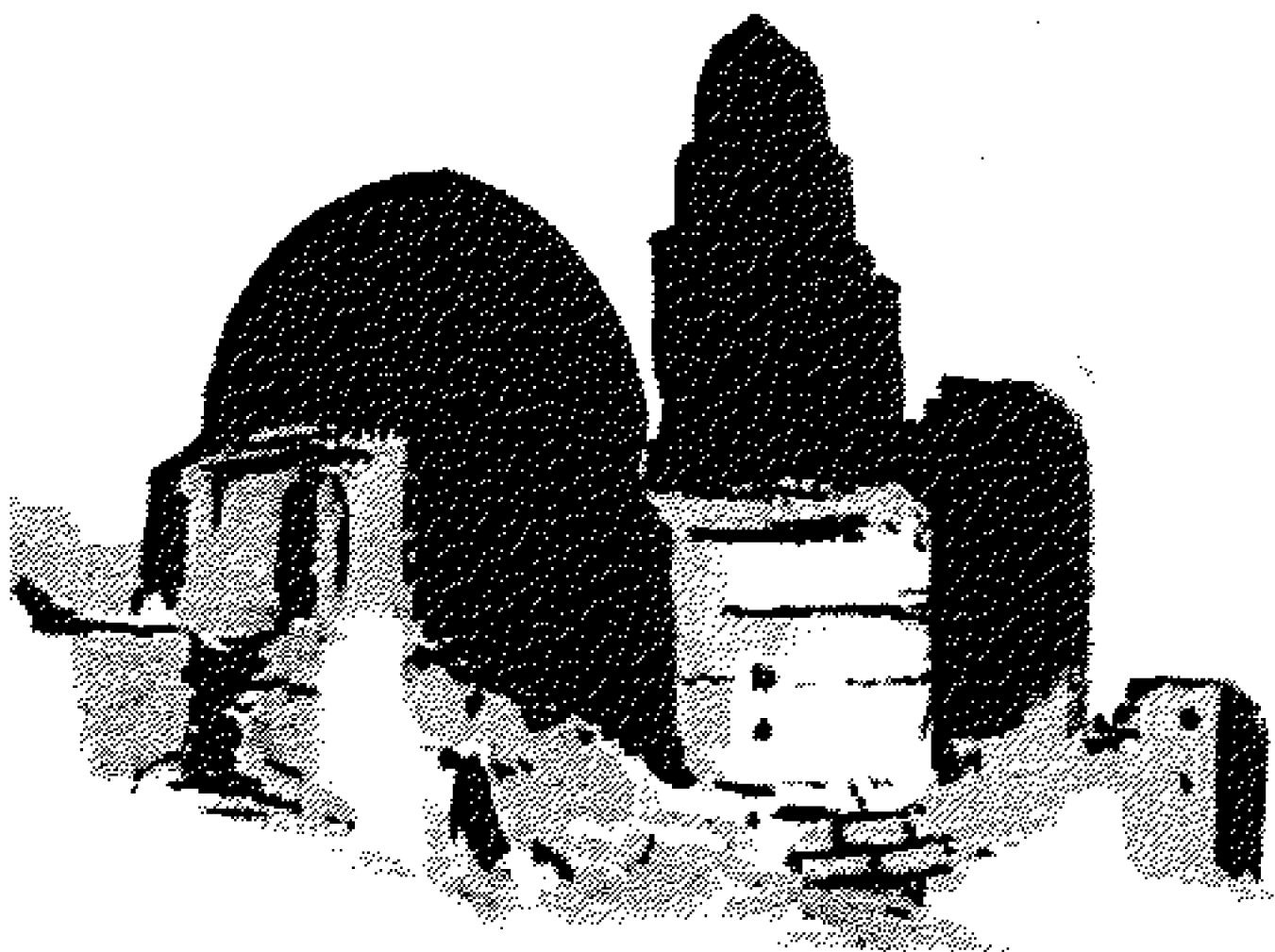
منظر عام لباب الفتوح ،
وجزاء من سور بلد
الجمالى ، وبعض المنازل
المجاورة

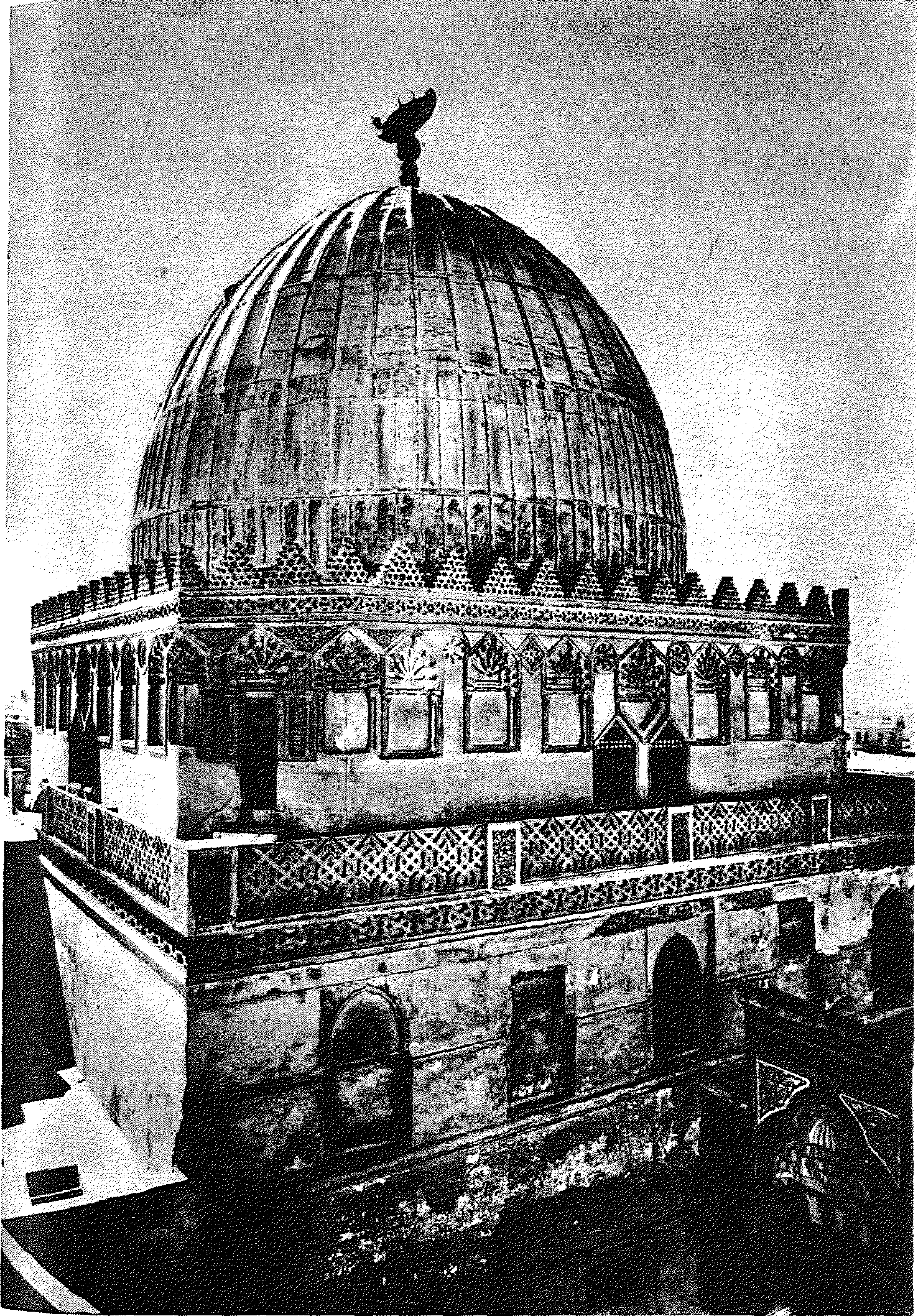
باب الفتوح من الداخل ،
وترى الابراج المستديرة
من الحجر المنحوت ،
والعقود الدائرية المحلاة
بواطنها بنحرف هندسية ،
وعتب الباب المكون من
صنج على هيئة السنارة



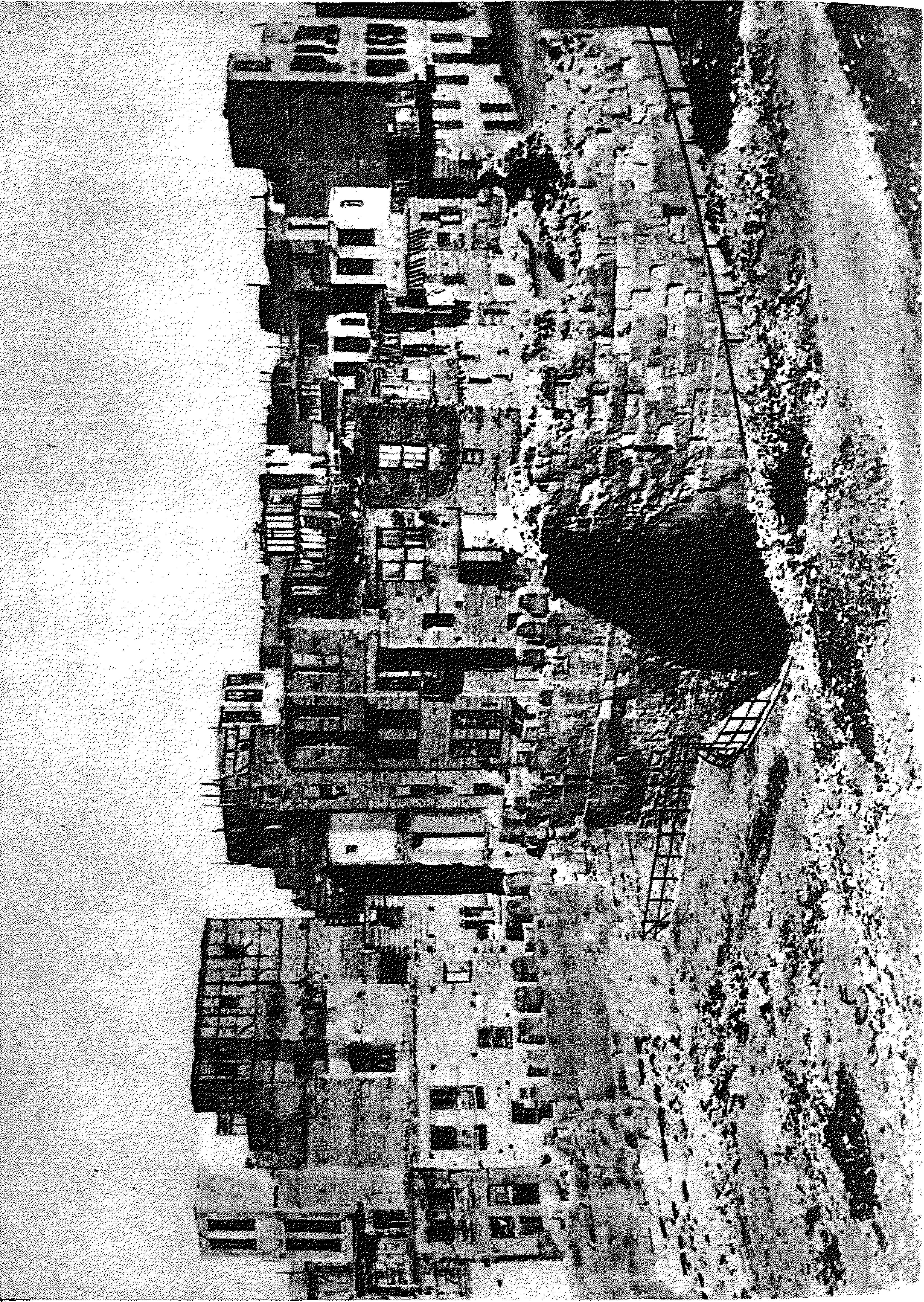


مسجد أو زاوية الجيوشى ، فوق هضبة
المقطم . وترى القبة الملساء فوق المحراب ،
والمئذنة المنتهية فى أعلاها بقبة أيضا





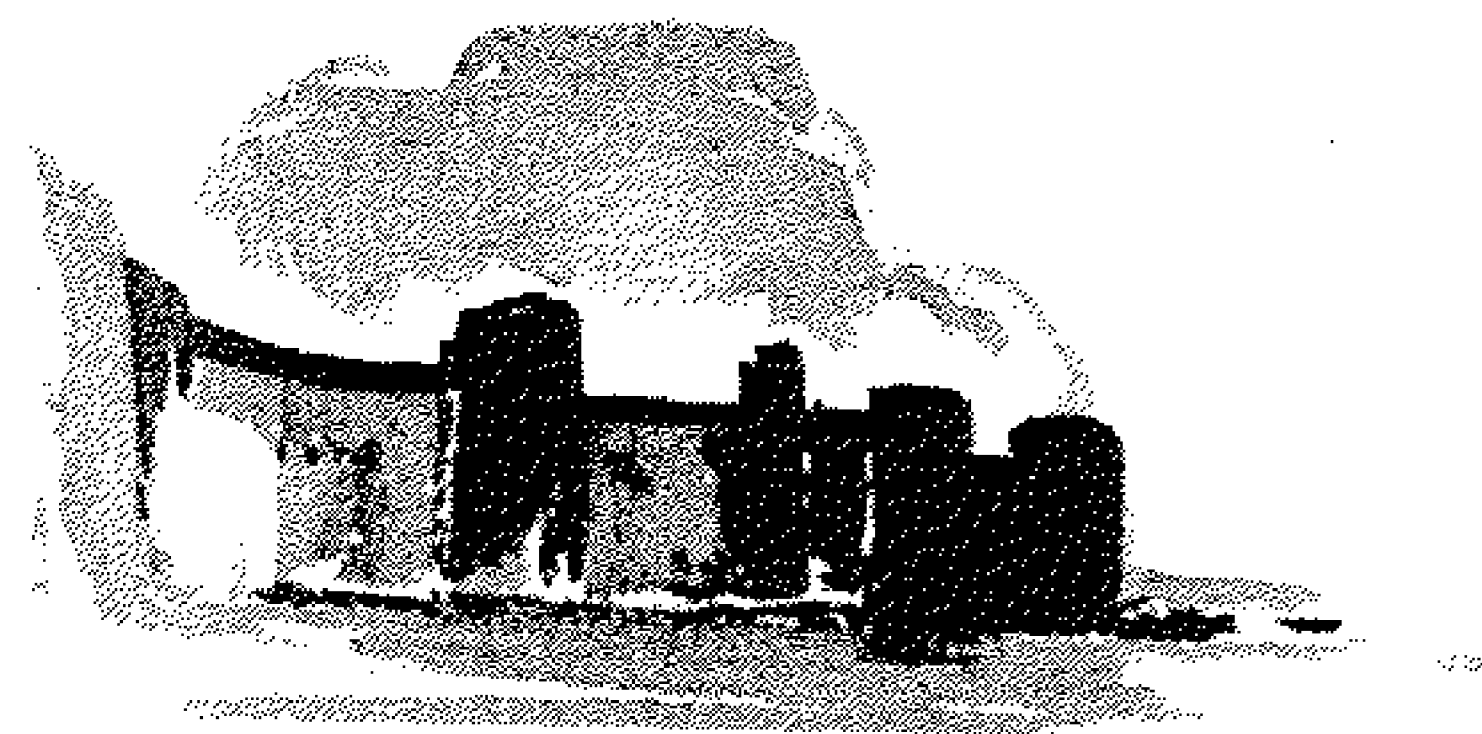
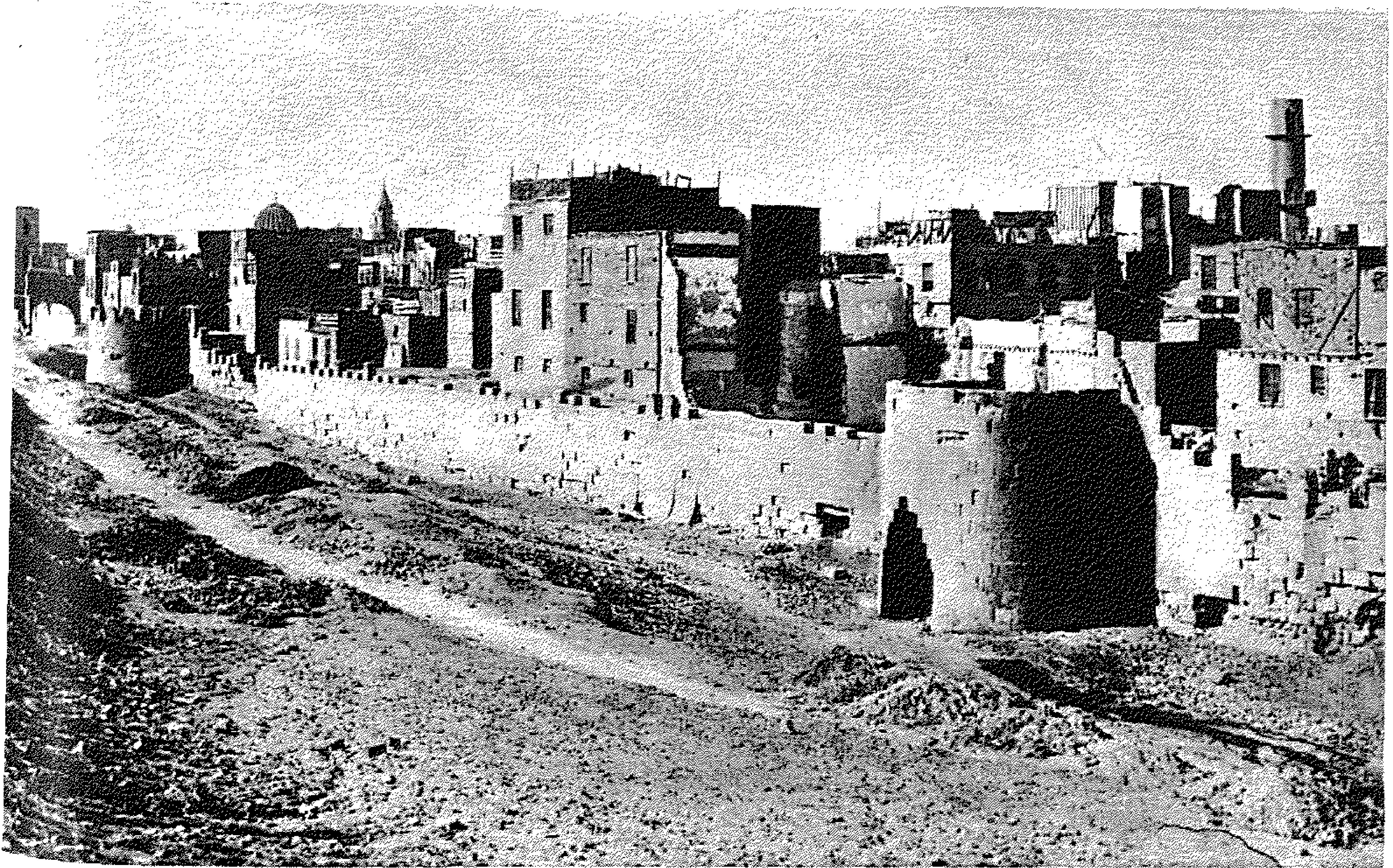
قبة الامام الشافعى وهى من العصر الايوبى . ومصنوعة من
الخشب . وتشاهد الشرافات المسننة المفرغة بزخارف هندسية



جزء من سجون صلاح الدين . . ويؤي به البرج المعروف «ببرج الظفر»



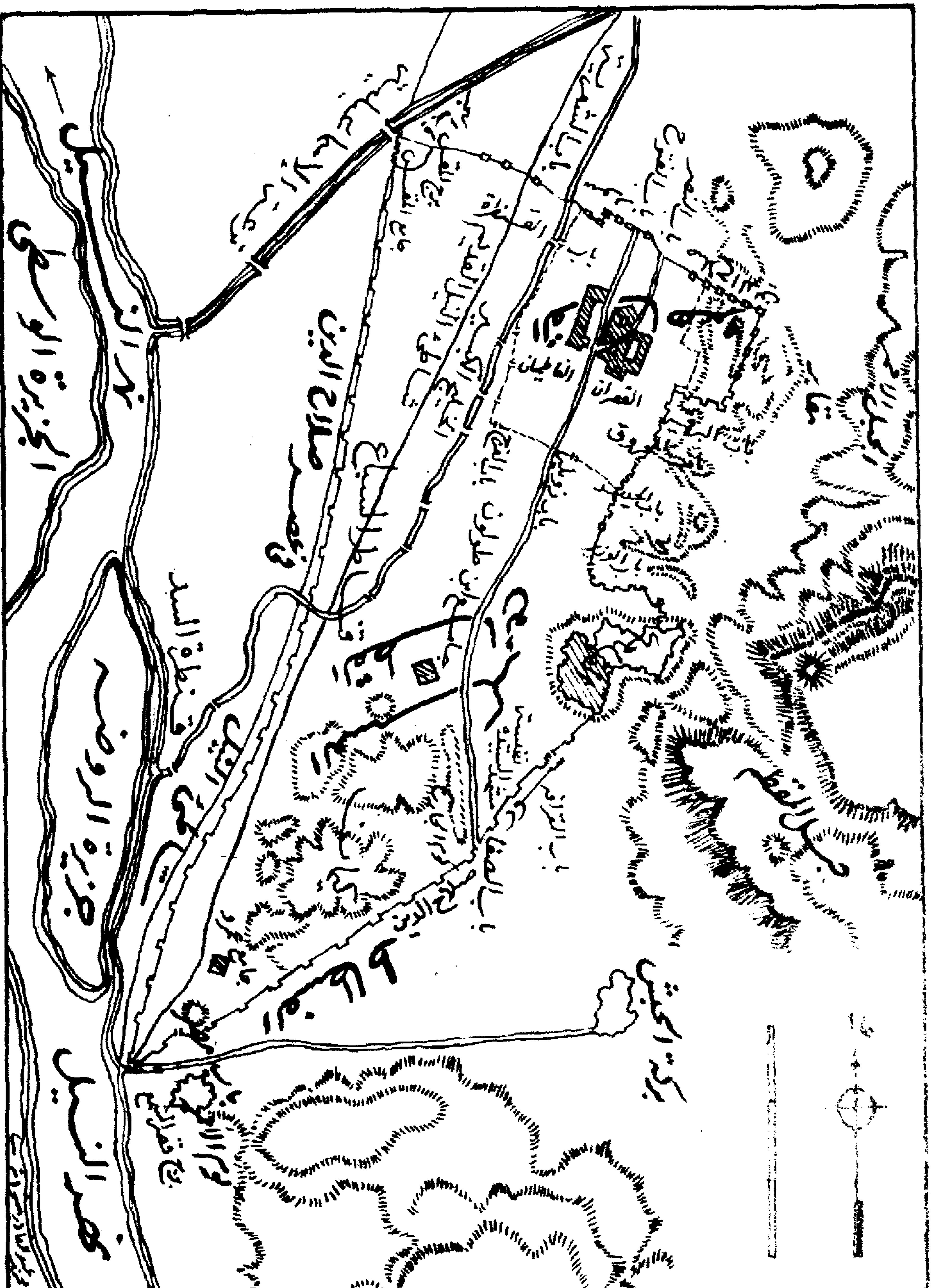
قلعة صلاح الدين الايوبي (من مجموعة الاستاذ حسن عبد الوهاب)



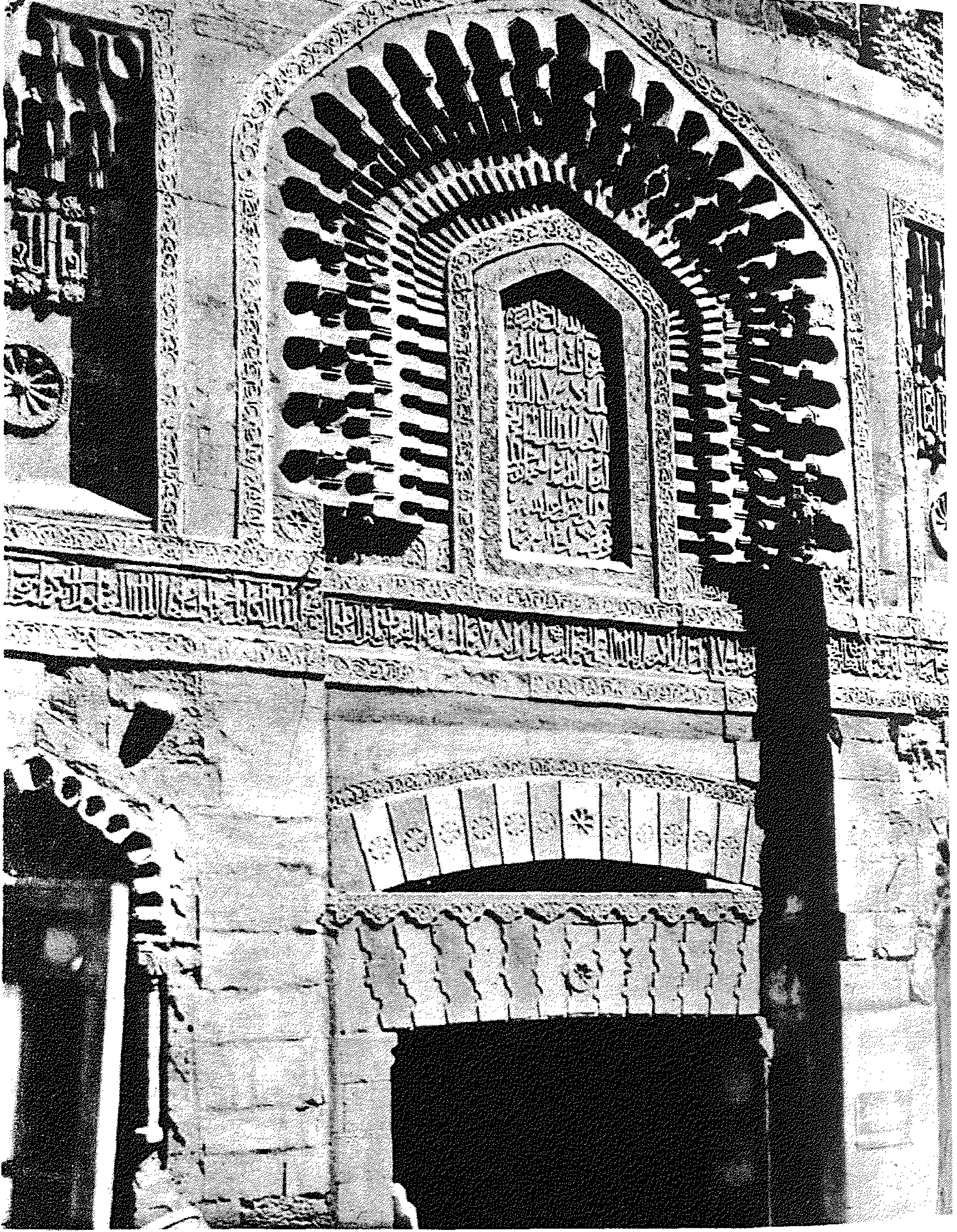
جزء من سور صلاح الدين الايوبي
ويرى فيه أحد الأبراج المستديرة



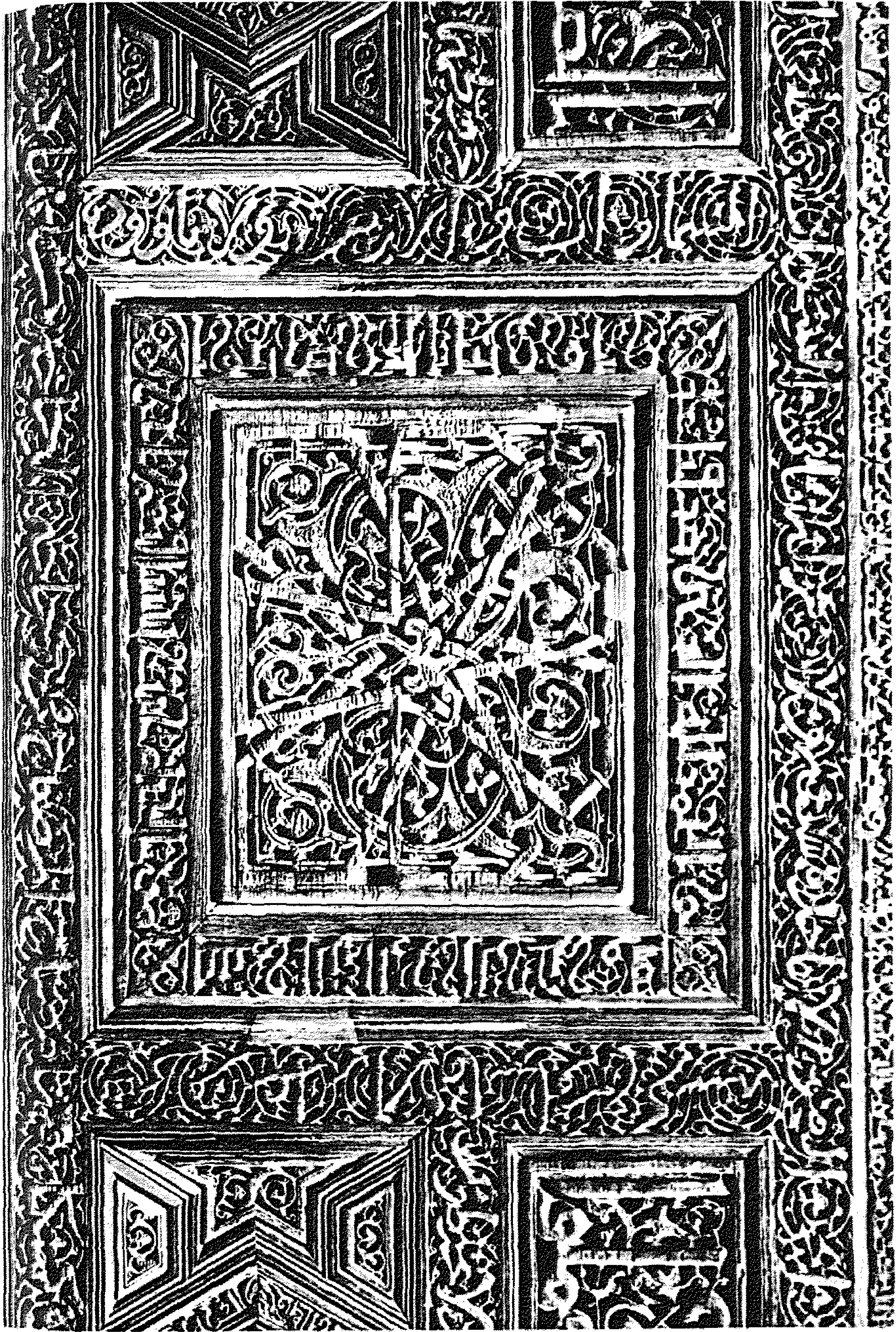
تابوت الامام الحسين ، وهو مصنوع من الخشب المحفور ، ذو ثلاثة اوجه ، محفوظ بالمتحف الاسلامى بالقاهرة ويزى في هذين الجانبين ، كما في الجانب الثالث ، مناطق تحسبها اطارات عليها كتابات بخط النسخ والابوبى وبخط الكوفى ، على ارضية من الزخارف الهندسية الدقيقة



توضح هذه الخريطة مدينة القاهرة الموحدة في العصر الأيوبي
 (من كتابها)



واجهة مدرسة الصالح نجم الدين أيوب ، وتلاحظ فيها التجاويف
والمقرنصات الزخرفية والكتابات النسخية ، والصنوج المعشقة والعقد المخفف



قطعة من تابوت خشبي ، أصلها من ضريح الامام الشافعي ، تتكون من حشوات صغيرة مزينة بزخارف نباتية محفورة بعمق عظيم ودقة فائقة . . .

الفاطمي سنة ٢٨٤ هـ (٨٩٧ م) ، وكانت آيات من القرآن مكتوبة على جدرانها . وموضع هذا البيمارستان اليوم مجموعة المباني الواقعة خلف دورة مياه المشهد الحسيني ، من الجهة البحرية الى عطفة القزازين . وقد أوقف على كلا البيمارستانين الأوقاف الجيدة ، شأنه في ذلك شأن جميع المدارس التي أنشأها بمصر والشام ، والتي سيأتى الكلام عنها عاجلا

وقد أصاب مصر في عهد هذه الدولة قحط ، مما كان يتهدد البلاد دواما في العصور الوسطى من جراء انخفاض النيل ، وافتقار الأرض الى مياه الري ، فيجف الزرع ، ويقل القوت ، وتنتشر المجاعة ، ويعقبها حدوث الأوبئة التي تفتك بالناس ، وتحصدهم حصدا . فاذا ما ارتفع النيل بعد ذلك لم يجد الأيدي التي تفلح الأرض ، وتستتب النبات ، فيمتد القحط بالبلاد عدة سنوات ، ربما بلغت سبعا ، كما حدث في عهد المستنصر الفاطمي مما سبق وصفه قبل الآن

القحط في حكم العادل :

وقد حدث في السنوات الأولى من حكم الملك العادل (٥٩٦ - ٦١٥ هـ / ١٢٠٠ - ١٢١٨ م) قحط لا يقل هولا عما حدث في عهد المستنصر الفاطمي . وقد وصف عبد اللطيف البغدادي الذي عاصر الدولة الأيوبية هذا القحط بقوله : « يئس الناس من زيادة النيل ، وارتفعت الأسعار ، وأقحطت البلاد ، وأشعر أهلها البلاء ، وهربوا من خوف الجوع ، وانضوى أهل السواد والريف الى أمهات البلاد ، وانجلى كثير منهم الى الشام والمغرب والحجاز واليمن ، وتفرقوا في البلاد أيدي سبا ، ومزقوا كل ممزق . ودخل الى القاهرة ومصر « الفسباط » منهم خلق كثير ، واشتد بهم الجوع ، ووقع فيهم الموت ، واشتد بالفقراء الجوع ، حتى أكلوا الميتات والحيفة والكلاب والبعر والأرواث . ثم تعدوا ذلك الى أن أكلوا صغار

بنى آدم . فكثيرا ما يعثر عليهم ومعهم صغار مشويون أو مطبوخون .
فيأمر صاحب الشرطة باحراق الفاعل لذلك والآكل . ورأيت صغيرا مشويا
في قفة ، وقد أحضر الى دار الوالى ، ومعه رجل وامرأة ، زعم الناس أنهما
أبواه ، فأمر باحراقهما » (١)

وقد اجتاحت الوباء أهل مصر « حتى ان القرية التى كان فيها خمسمائة
نفس لم يتأخر بها سوى اثنين أو ثلاثة . وكانت الأزقة كلها بالقاهرة ومصر
لا يرى فيها من الدور المسكونة الا القليل . وعدمت الحيوانات جملة ، فبيع
فروج بدينارين ونصف دينار ، وبيع الرأس الواحد من البقر بسبعين
دينارا .. فلما أغاث الله الخلق بالنيل ، لم يوجد أحد يحرق أو يزرع .
فخرج الأجناد بغلمانهم ، وتولوا ذلك بأنفسهم » (٢)

الحالة العلمية والثقافية

احلال المذهب السنى محل المذهب الشيعى :

تقدم القول أن صلاح الدين أخذ على عاتقه محو المذهب الشيعى من
مصر . وبذلك يقضى على كل أثر للدولة الفاطمية فيها ، ويقضى على كل
أمل لهم فى العودة الى حكم مصر ، اذ أن بقاء تلك الدولة كان مرهونا
ببقاء مذهبها ، وازدهاره فى البلاد

حقيقة ان صلاح الدين استعمل الشدة مع الفاطميين وأتباعهم ، فطرد
حرس الخليفة العاضد ، وكانوا من السودانيين ، الى الخليج ، وأعمل فيهم
القتل والذبح مدة يومين ، وحرقت ثكناتهم ، وكانت خارج باب زويلة ، فى
الحى الذى يعرف بالمنصورية ، والذى تحول بعد ذلك الى حدائق كان

(١) كتاب عبد اللطيف البغدادي فى مصر ، طبع المجلة الجديدة ص ٦٢ وما بعدها

(٢) اغاثة الامة بكشف الغمة لتقى الدين القريزى ، نشر الاستاذين زيادة والشال

يجتازها السلطان عند مسيره من القصر الى القلعة الجديدة (١) ، كما أخذ ثورة أخرى بالاسكندرية ، الا أنه عندما استتب له الأمر ، وقبض على ناصية البلاد بيد قوية ، شرع في القضاء على المذهب الشيعي ، متبعا لطريقة دلت على حكم سياسته ، وسعة حيلته ، واتساع أفق تفكيره ، مبتعدا عن العنف والشدة في اقتفاء أثر معتنقى هذا المذهب ، والتنكيل بهم . وإنما اتبع سياسة يمكن أن نطلق عليها سياسة الازاحة ، أى ازاحة مذهب لاحلال مذهب آخر مكانه ، فأزاح المذهب الشيعي ، وعمل على احلال المذهب السني مكانه . وأنشأ لذلك مدارس يدرس فيها الدين وفق المذاهب الأربعة ، ولم يجد في ذلك كبير صعوبة . فالمذهب الشيعي وان ساد مصر طوال حكم الفاطميين لها ، الا انه لم يكن قد تأصلت جذوره في نفوس المصريين . اذ الواقع أن الفاطميين قد روجوا لمذهبهم هذا ، تارة بطريق الشدة والاكراه ، وطورا بطريق الدعاية والاغراء ، واقامة الأفراح والولائم والأعياد . فلما أفل نجمهم لم يكن عسيرا حينئذ اعادة البلاد الى حظيرة المذهب السني ، الذي اعتنقه المصريون منذ الفتح الاسلامي سنة ٢٠ هـ (٦٤١ م) الى وقت قيام الدولة الفاطمية سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) أى مدة نيف وثلاثة قرون

المدارس :

لهذا السبب أنشأ صلاح الدين المدرسة الناصرية (٢) سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠م) بجوار الجامع العتيق «جامع عمرو» لتعليم الدين ، وفق المذهب الشافعي ، وكان حينئذ يتولى وزارة مصر للخليفة العاضد ، وهى أول مدرسة أقيمت بمصر . وأنشأ في نفس السنة مدرسة أخرى بجوار الجامع نفسه ، عرفت بالمدرسة القمحية (٣) ، لتعليم الدين وفق المذهب المالكي .

(١) سيرة القاهرة لستانلى لين بول ترجمة الدكتور حسن ابراهيم حسن ص ١٦٠ - ١٦١
(٢) المقرئى : الخطط ج ٤ ص ١٩١ (٣) المصدر السابق ج ٤ ص ١٩٢

وانما عرفت بهذا الاسم لأنه أوقف عليها ضيعة بالفيوم ، يوزع قمحها على الطلاب وشيوخهم . وفي سنة ٥٧١ هـ (١١٧٦ م) أنشأ المدرسة الصلاحية ، بجوار قبر الامام الشافعى ، برسم فقهاء الشافعية . وبنى مدرسة ثالثة ، مجاورة للمشهد الحسينى (١) . وفي سنة ٥٧٢ هـ (١١٧٧ م) أمر بإنشاء مدرسة لتعليم الدين وفق المذهب الحنفى ، هى مدرسة السيوفية (٢) وهى أول مدرسة وقفت على الحنفية بديار مصر ، وهى من جملة قصر الوزير المأمون البطائحي ، ووقف على مستحقها اثنين وثلاثين حانوتا ، بخط سويقة أمير الجيوش وباب الفتوح وحارة برجوان

كما أنشأ بالاسكندرية سنة ٥٧٧ هـ (١١٨١ م) مدرسة أخرى

ولكى يضمن ازدهار هذه المدارس ، واستمرارها فى أداء رسالتها ، أوقف عليها كما رأيت الخيرات والأرزاق ، وعنى بالطلاب والشيوخ على حد سواء

وكما ابتدع صلاح الدين انشاء المدارس فى مصر ، تلك المدارس التى أخذ خلفاؤه من بعده يتبارون فى انشاءها ، فانه كان أول من أدخل تصميم بناء المدرسة الى مصر ، نقلا عن مدارس سوريا . وقد أخذ هذا التصميم فى الانتشار أيضا من بعده حتى غلب تصميم المدرسة على المسجد ، فأنشئ على مثالها الكثير من المساجد ، حتى لو لم تخصص لتدريس المذاهب الأربعة (٣)

وقد اندثرت هذه المدارس جميعا ، ولم يبق لها اليوم أدنى أثر: فالمدرسة الصلاحية دخلت فى بناء جامع الامام الشافعى ، والمدرسة التى كانت بجوار المشهد الحسينى أدخلت أيضا فى هذا المشهد ، وأصبح فى محلها الايوان

(١) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٥٥ (٢) الخطط للمقريزى ج ٤ ص ١٩١

(٣) تاريخ المساجد الاثرية للاستاذ حسن عبد الوهاب ج ١ ص ١٤

الشرقى عند المحراب الحالى للجامع (١) . ومدرستا الشافعية والمالكية ، بجوار جامع عمرو قد زالتا ، وأصبح مكانهما أرض فضاء ، فى الجهة الشرقية ، والجنوبية الشرقية ، من الجامع المذكور ، ومشغولة بقمائن الجير والفواخير (٢)

المدارس فى عهد خلفاء صلاح الدين :

ولم يبق من مدارس خلفاء صلاح الدين سوى الايوان الشمالى الغربى من المدرسة الكاملية ، الموجودة على الجانب الغربى من سوق النحاسين اليوم ، بجوار جامع السلطان برقوق من بحريه . وكان قد أنشأها الملك الكامل بن العادل بن أيوب لتدريس الحديث سنة ٦٢٢ هـ (١٢٢٥ م) ، لذا عرفت بدار الحديث الكاملية . وهى أول دار أنشئت بمصر لهذا الغرض ، وثانى دار فى الشرق بعد دار الحديث التى أنشأها الملك العادل نورالدين محمود بن زنكى بدمشق . وقد بنى الكامل هذه الدار وأوقفها على المشتغلين بالحديث النبوى ، ثم من بعدهم على الفقهاء الشافعية . وتعرف اليوم باسم جامع الكاملية ، أو جامع الكامل (٣)

وكان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل قد أنشأ سنة ٦٤١ هـ (١٢٤٣ - ٤٤ م) مدرسة خصصت لدراسة المذاهب الأربعة . وهى أول مدرسة يجتمع فيها تدريس المذاهب الأربعة . وكان انشاؤها على قطعة أرض من جملة القصر الشرقى الفاطمى ، مساحتها ٦٠٠٠ مترا مربعا تقريبا ، ودخل فيها باب الزهومة ، أحد أبواب القصر، وكانت تتكون من قسمين : أحدهما على يمين الداخل من الباب العمومى ، والثانى على يساره . وكان بكل قسم ايوانان ، ويتوسط القسمين صحن كبير، ويدرس الطلاب بكل ايوان مذهباً من المذاهب الأربعة

(١) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٥٤ حاشية رقم ٢٥
(٢) نفس المصدر ج ٥ ص ٣٨٥ الحاشيتان ١٠ ، ٢٥
(٣) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٢٩ حاشية رقم ٥

ولم يبق من مباني هذه المدرسة سوى واجهتها التي بها الباب العمومي ، المشرف على شارع ما بين القصرين ، وتعلوه مئذنتها . ولكن يحجب هذه الواجهة الأثرية الجميلة ، الحافلة بالزخارف والكتابات ، سبيل خسرو باشا وما يجاوره من دكاكين حقيرة بشارع بين القصرين (١). وقد نقل الباب الخشبي لهذه المدرسة الى المتحف الاسلامي بميدان أحمد ماهر بالقاهرة

وقد تخلف من الجزء البحرى الايوان الغربى ، الملاصق لتربة منشىء المدرسة ، وبقايا بسيطة من الايوان الشرقى . أما النصف القبلى فقد اغتصبت أوأوينه ، ولم يبق منه سوى الواجهة ، وتحتله وكالة الجواهرجية (٢)

الادب والثقافة :

وقد كان للأدب والثقافة فى دولة بنى أيوب شأن أى شأن ، ذلك لأن صلاح الدين كان لا يجالس سوى الأدباء والفقهاء والعلماء . ويجزل لهم العطاء ، ويصلهم بالمنح والمكافآت . بل ان وزارته كانت تضم اثنين من كبار الأدباء : أحدهما القاضى الفاضل ، والآخر عماد الدين الكاتب الأصفهاني ، اللذان اشتهرا بحسن الأسلوب ، ورشاقة الرسائل . وكان آخر سكرتير خاص له بهاء الدين بن شداد الذى كتب تاريخ حياته

«وقد كانت تحيط به جمهرة من الأذكياء ، الذين لم يقتصروا على وزرائه الباهرين ، بل كانت تضم أيضا أشخاصا متميزين ، كطبيبه اليهودى ابن ميمون ، والعالم المبدع العراقى عبد اللطيف البغدادى (١١٦٢-١٢٣١م) الذى يعتبر وصفه القصير لمصر من أهم المؤلفات الطبوغرافية التى كتبت فى العصور الوسطى » (٣)

(١) الدليل الموجز لاشهر الآثار العربية للمرحوم الاستاذ محمود أحمد ص ٩٧

(٢) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٣٤١ حاشية رقم ١

(٣) تاريخ العرب تأليف فيليب حتى ترجمة المرحوم الاستاذ محمد مبروك نافع ص ٨٥٦

وقد كان العماد كاتباً مجيداً ، وشاعراً مفلحاً ، ومؤرخاً عالماً ، وله مؤلفات كثيرة منها « كتاب خريدة القصر ، وجريدة العصر » جمع فيه تراجم شعراء الشام والعراق ومصر والجزيرة والمغرب وفارس ، وهو يدخل في عشرة مجلدات . وكتاب « البرق الشامي ، والفتح القسي في الفتح القدسي » وكتاب « السيل على الذيل ونصرة الفطرة وعصرة القطرة في أخبار الدولة السلجوقية » . وقد رثا صلاح الدين بقصيدة عامرة جاء فيها :

شملُ الهدى والملكِ عم شتاته والدهرُ ساء وأقلعت حسناته
بالله أين الناصر الملك الذي لله خالصة صفت نياته
أين الذي مثد لم يزل مخشيةً مرجوةً رهباته وهبائه
أين الذي كانت له طاعاتنا مبذولة ولربّه طاعاته
أين الذي ما زال سلطانا لنا يرجى نداءً وتنتقى سطواته
أين الذي شرف الزمان بفضله وسمّت على الفضلاء تشريفاته
لا تحسبوه مات شخصاً واحداً قد عمّ كل العالمين مماته
ملكٌ عن الاسلام كان محامياً أبداً لماذا أسلمته حماته
القاضي الفاضل :

أما القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني ، فقد كان شاعراً فحلاً ، استشهد علماء البديع بكثير من شعره في أنواع كثيرة . ومن شعره الذي جرى مجرى الأمثال قوله :

وإذا السعادة لاحظتك عيونها نَمَ فالمخاوف كلهن أمان
واصطد بها العنقاء فهي حبال واقتد بها الجوزاء فهي عنان
وقال فيه ابن خلكان : « وبرز في صناعة الانشاء ، وفاق المتقدمين ، وله فيه الغرائب مع الاكثار . أخبرني أحد الفضلاء الثقة المطلعين على حقيقة

أمره أن مسودات رسائله في المجلدات ، والتعليقات في الأوراق ، إذا جمعت ما تقصر عن مائة مجلد ، وهو مجيد في أكثرها »

وكفاه فخرا ما كان يقوله فيه صلاح الدين : « لا تظنوا أنى ملكت البلاد بسيوفكم ، بل بقلم الفاضل » (١)

ومن شعراء هذا العصر الشيخ شرف الدين أبو حفص وأبو القاسم عمر ابن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي المعروف بابن الفارض الحموي الأصل ، المصري المولد والدار والوفاة ، الصالح الشاعر المشهور ، أحد البلغاء الفصحاء الأدباء . يروى أن الملك محمد الكامل أراد أن يصله بالعتاء فأبى . كما أنه رفض مقابله وقد قصد الملك الكامل إلى داره ، وذلك لزهده وبعده عن زخرف الدنيا . وله ديوان شعر ، جمع أشهر قصائده . ومن عيون تلك القصائد قصيدته البائية التي منها :

سائق الاطعان يطوى البيد طى منعماء عرج على كئبان طى
وبذات الشيخ عنى ان مرر ت بحى من عثريب الجزع حى
وتلطف وأجر ذكري عندهم عتتهم أن ينظروا عطفاً الى
قتل تركت الصب فيكم شيخاً ما له مما يراه الشوق في
ومن مقطعات شعره قوله :

وحياة أشواقى الي لك وحرمة الصبر الجميل
لا أبصرت عيني سواك ولا صبوت الى خليل

وقد توفى بالقاهرة في جمادى الأولى سنة ٦٣٢ هـ (يناير سنة ١٢٣٥)
ودفن بجهة الأبية بسفح المقطم ، بمسجده المعروف بمسجد عمر بن الفارض (٢)

(١) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٥٧

(٢) جلاء الغامض في شرح ديوان الفارض ص ٥ - ٧ وشذرات الذهب ، ج ٥ ص ١٤٩

عبد اللطيف البغدادي :

أما عبد اللطيف البغدادي فقد ولد في بغداد سنة ٥٥٧ هـ (١١٦٢ م) ودرس الطب والفلسفة وعلوم اللغة ، وتنقل بين مصر والشام والعراق ، واتصل بصلاح الدين وغيره من الأمراء الأيوبيين ، واجتمع بأعلام الأساتذة ولم يكن « يأخذ بقلبه ويملا عينه » الا نفر القليل منهم . وقد لقي القاضي الفاضل في معسكر صلاح الدين بظاهر مدينة عكا ، فأرسله الى مصر بتوصية منه الى وكيله ، ولكن عبد اللطيف لم يلبث أن غادر مصر ، ورحل الى القدس للقاء صلاح الدين ، ثم يم شطر دمشق . وقدم مصر ثانية بعد وفاة صلاح الدين ، واشتغل بالتدريس في الأزهر

ومن مؤلفاته كتاب « الافادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر » وهو يشتمل على وصف رحلته الى وادي النيل في نهاية القرن السادس الهجري « الثاني عشر الميلادي » وهو على اختصاره يمتاز بدقة الوصف والاتجاه العلمي . وليس هذا بعجيب من عالم طبيب كالبغدادي . وقد وصف فيه خواص مصر العامة ، وما تختص به من النبات والحيوان ، وما فيها من الآثار القديمة مثل الأهرام وأبى الهول والمسلات والمعابد في مصر العليا ومنازة الاسكندرية وعمود السواري (١)

موسى بن ميمون :

وموسى بن ميمون ، ويعرفه العرب بأبى عمران عبيد الله ، فهو يهودى الأصل ، ولد في مدينة قرطبة بالأندلس سنة ٥٣٠ هـ (١١٣٥ م) ، ولما شب تلقى العلم على علماء قرطبة وفلاسفتها من مسلمين ويهود ، ثم نرح الى بلاد المغرب سنة ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) وأقام بمدينة فاس ، ثم رحل الى عكا بفلسطين سنة ٥٦١ هـ (١١٦٥ م) ، وبعد أن أقام بها نصف سنة رحل

(١) طبع هذا الكتاب مؤخرا في القاهرة تحت عنوان « عبد اللطيف البغدادي في مصر » بمطبعة المجلة الجديدة

الى مصر فى أواخر عهد الدولة الفاطمية ، وقد ظل بها الى حين وفاته سنة ٦٠١ هـ (١٢٠٤ م) وقد أقام بمدينة القسطنطينية يلقي المحاضرات فى علوم الرياضة والفلك والفلسفة

وقد شهد سقوط الدولة الفاطمية وقيام الدولة الأيوبية ، وعاصر أكثر ملوكها ، وقام بتطبيهم وتطبيب أفراد أسراتهم ، ومداواة الناس على اختلاف مللهم ونحلهم . ولم يمنعه كل ذلك عن التدوين والتصنيف فى الفلسفة والطب والمنطق والدين اليهودى . وقد انتهى به الأمر الى أن أصبح رئيس الطائفة اليهودية بمصر (١)

الحالة الفنية

انطبع العصر الأيوبى كما رأيت بالطابع الحربى ، الذى استلزمته مقاومة الصليبيين ، والقضاء على أطماعهم . كما انطبع أيضا بالطابع السنى ، وقد استلزم ذلك أيضا حماية البلاد من عودة الفاطميين الى امتلاكهم مصر ، ونشر تعاليمهم فيها ، وكان لذلك كله أثره الواضح فى سير الفنون واتجاهاتها :

المباني :

ففى المباني انتشر بناء الأسوار والقلاع والحصون . وقد أتينا قبل الآن على وصف قلعة صلاح الدين وأسوار القاهرة وما تخللها من أبراج وحصون . وكل ذلك لتحسين البلاد ضد الخطر الصليبي ، الذى كان يهدد البلاد فى ذلك العهد

المدارس :

كذلك انتشر بناء المدارس ، لتعليم الدين وفق المذاهب الأربعة ، دفعا للمذهب الشيعى ، وقضاء عليه . وقد استتبع هذه السياسة الدينية

(١) موسى بن ميمون تاليف الدكتور اسراييل ولفنسون ص ٢٣

الجديدة اجراء تعديل في تخطيط المسجد . فقد كان المألوف في تصميم المسجد ، قبل انشاء هذه المدارس ، أن يتكون من أربعة أواوين ، مستقوفة في الغالب ، ومحمولة عقودها على عمد أو أكتاف ، أكبرها ايوان القبلة . ويتوسط الأواوين صحن مكشوف تتوسطه أحيانا قبة تحتها فسقية . أما تصميم المدرسة فيشتمل على ايوانين أو أربعة أواوين معقودة متقابلة ، تكون شكلا متعامدا Cruciform ، أكبرها ايوان القبلة ، وأصغرها الايوانان الجانبيان . ويتوسطها غالبا صحن مكشوف به قبة الفسقية ، ويلحق به عادة مدفن للمنشئ ، وسبيل يعلوه كتّاب ، ومساكن للطلاب . ولما صغر حجمها غطى الصحن ، واستغنى عن الفسقية وعن قبتها . وقد ساد هذا التصميم في عصر المماليك (١)

ركود الفنون :

وقد كان لتمسك الأيوبيين بالسنة وتعاليمها ، وعدم استباحتهم لأنفسهم ما استباحه الفاطميون في تعاطى الفنون أثر كبير في ركود الفنون بوجه عام . وان كانت قد ازدهرت في بعض نواح مثل الحفر على الأخشاب ، والحزف المظلي بالمينا

الأخشاب المحفورة :

أما الحفر على الأخشاب فقد بلغ الذروة في عهد الأيوبيين ، يرى ذلك في ثلاثة تواييت : أحدها على قبر الامام الشافعى والثانى على قبر الملكة شمس ، زوج صلاح الدين ، الموجود بجانب قبر الشافعى ، والثالث كان موضوعا فوق قبر الامام الحسين رضى الله عنه ، وهو الآن موجود بالمتحف الاسلامى بالقاهرة

وهذه التواييت الثلاثة ، المتخلفة عن العصر الأيوبى ، تتكون من ترايع خشبية ، قوامها حشوات صغيرة ، يربط بعضها البعض « سقاسات » من

(١) تاريخ المساجد الاثرية للاستاذ حسن عبد الوهاب ص ١٤

الخشب . ويحيط بهذه الترايع في مجموعها شريط من كتابات كوفية ، يليه شريط آخر من كتابات نسخية . وقوام الزخرفة في هذه الحشوات فروع نباتية ، وأوراق ذات فصوص ، وبعض عناقيد العنب ، وهى تذكرنا الى حد كبير بالزخارف الموجودة على جوانب محراب السيدة رقية وفي ظهره

الابواب :

وبقبة ضريح الامام الشافعى، وكذلك بمسجد الامام الليث بابان يرجعان الى العصر الأيوبي ، مؤرخان سنة ٦٠٨ هـ (١٢١١ - ١٢ م) ، وقوام الزخرفة في هذين البابين أطباق نجمية تتكون من الحشوات الصغيرة المدقوقة « أينمكه » تحيط بها السقاسات مما مهد لانتشار هذا النوع من التصميم في الأبواب أيام المماليك . ويوجد بالمتحف الاسلامى باب مخلف من قبة الامام الشافعى مصفح بالنحاس ، مثبت به حشوات نحاسية في أطباق نجمية ، وقوام الزخرفة في هذه الحشوات أوراق وفروع نباتية . والحشوات هنا مسطحة ليس بها بروز وهذا الباب هو النموذج الثانى من نوعه ، اذ أن النموذج الأول هو باب مسجد الصالح طلائع المنشأ سنة ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) والموجود الآن بالمتحف الاسلامى بالقاهرة

الابواب النحاسية :

ولقد كان ظهور مثل هذه الأبواب النحاسية تمهيدا لانتشار مثل هذه الأبواب ذات الحشوات البارزة في أيام المماليك . وخير مثل لهذا النوع من الأبواب الباب النحاسى لمسجد السلطان حسن سنة ٧٦٤ هـ (١٣٦٢ - ٦٣ م) ، والذي نقله المؤيد سنة ٨١٨ هـ (١٤١٥ م) الى مسجده الذى فرغ من بنائه فى نفس السنة ، والقائم خلف باب زويله

الخزف :

ويظهر في العصر الأيوبي نوع جديد من الخزف ، والزخرفة في هذا النوع الجديد ، منقوشة تحت الطلاء ، والكتابة عليه بالخط النسخي ، وهو يخالف الخزف الفاطمي أو الطولوني ، المعروف بالخزف ذي البريق المعدني Lustre pottery ، والذي كانت الكتابة عليه بالقلم الكوفي . ويوجد بالمتحف الاسلامي بالقاهرة قطع من الخزف الأيوبي منها : قطعة قوام زخرفتها رسم باللونين الأزرق والأسود ، يمثل شخصين في قارب مزين بمربعات سوداء وزرقاء ، وأخرى قوام زخرفتها رسم حيوان باللون الأسود ، وتمتاز بتصرف وحرية ، يجعلانه يشبه بعض الرسوم الزخرفية في العصر الحديث ، وثالثة عليها رسم أرنبين باللون الأزرق الفاتح ، وكل منهما يولى الآخر ظهره ، وبينهما رسوم زهور باللون الأحمر . ومما يلفت النظر في هذه التحفة التماثل والتقابل في رسم الأرنبين ، ثم الحركة التي تبدو فيهما ، ورقّة الرسوم النباتية

الباب السادس

المتاهة في عهد المماليك

- ١ -

لما تولّى الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل ، سابع ملوك الدولة الأيوبية سلطنة مصر في ٢٥ ذى القعدة سنة ٦٣٦ (أول يوليو سنة ١٢٣٩) استكثر من شراء المماليك ، وجعل منهم أمراء دولته ، وخاصة بطائنه ، والمحيطين بدهليزه ، ودعاهم بالحلقة ، إشارة الى أنه لا يبرح محاطا بهم كيفما توجه ، كما فعل الخليفة المعتصم العباسي ، من الاستكثار من المماليك الأتراك . وأنشأ لهم في جزيرة الروضة سنة ٦٣٨ هـ (١٢٤٠ - ٤١ م) ، قلعة قرب المقياس ، عرفت بقلعة الروضة . وقد أنفق في عمارتها أموالا كثيرة ، حيث بنى فيها الدور والقصور ، وعمل لها ستين برجاً ، وبنى بها جامعاً ، ثم اتخذها دار ملك ، وسكن فيها بأهله وحرمه ، وأسكن فيها مماليكه . وكانت عدتهم نحو ألف مملوك . وقد عرفوا بالمماليك البحرية ، لسكنائهم هذه الجزيرة الواقعة في (بحر) النيل . وقد درست هذه القلعة بما كان فيها ، ولم يبق لها أثر اليوم (١)

وتوفي الصالح في ١٤ شعبان سنة ٦٤٧ (نوفمبر سنة ١٢٤٩) بالمنصورة ، في أثناء قتاله ضد حملة لويس التاسع ، فأخفت جاريته شجرة الدر ، أو

(١) المقرئ: الخط ج ٢ ص ١٨٣

شجر الدر ، خبر وفاته ، وكانت أمّة تركية أو أرمنية من بين نساء الخليفة المستعصم العباسي ، ثم دخلت في خدمة الملك الصالح ، الذي أعتقها بعد أن أنجبت له ولدا يسمى خليل . وكانت امرأة أريية ، راجحة العقل ، بعيدة النظر ، كثيرا ما عهد اليها الصالح بإدارة الأحكام ، في أثناء غيابه في حملاته الحربية . فلما رأت دقة موقف الجيش المصري ، وهو يحارب الأعداء ، وخشيت وقوع الفرقة والاضطراب بين قواده إذا هم علموا بوفاة الملك الصالح ، كتبت هذا الأمر ، وأخذت البيعة لابنه الملك المعظم غياث الدين توران شاه ، واستقدمته على جناح السرعة ، وكان متغيبا بالشام . فحضر وقاد الجيش ضد الفرنسيين حتى هزم لويس التاسع ، واندحر جيشه

ولما أراد توران شاه أن يكافئ مماليكه الذين أحضرهم معه من الشام ، وقدم بعضهم على ممالك أييه ، وكان هؤلاء ذوى انفة وغطرسة ، لا يطاقئون الرأس لأحد ، ويرون أنفسهم أحق بملك مصر ، لما أحرزوه من نصر على الفرنسيين ، ولما اشتدت اهاناته وتحقيره لهم ، وثب به أربعة منهم وفتكوا به . ويمكن القول أنه منذ هذه اللحظة بدأت تبزغ الى الوجود دولة المماليك البحرية

فلما رأت شجرة الدر ما حل بتوران شاه ، ورأت كفة المماليك هي الراجحة ، توأطأت مع عز الدين ايبك التركمانى ، أتابك العسكر «القائد العام للجيش» ، وكان أقوى المماليك نفوذا ، وأعظمهم شأنًا ، وكان يربطها به ود قديم منذ أيام الملك الصالح ، فأخذت لنفسها البيعة من الأعيان والأمراء ، وقبضت على ناصية الأمور في ١٠ صفر سنة ٦٤٨ (مايو سنة ١٢٥٠) وتكنّت بعصمة الدين أم خليل ، وتقرش اسمها على النقود ، ودعى

لها على المنابر بعد الدعاء للخليفة بما نصّه : « احفظ اللهم الجهة الصالحة ، ملكة المسلمين ، عصمة الدنيا والدين ، ذات الحجاب الجميل ، والستر الجليل ، والدة المرحوم خليل المستعصمية ، زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب » (١) وعينت عز الدين اتابكا عندها ، لتدير المملكة

ولكن الأمر لم يستقم لها طويلا ، اذ لم يحدث قبل ذلك أن حكمت المسلمين امرأة ، وعاب الخليفة المستنصر العباسي ذلك على أهل مصر ، وقد كانت شجرة الدر كما تقدم ، احدى جواريه ، قبل أن يشتريها الصالح ، فبعث برسالة لاذعة الى أمراء مصر ، يقول لهم فيها : « ان كان الرجال قد عدموا عندكم ، فأعلمونا حتى نسير اليكم رجلا » ، فخلع الممالك طاعتها ، ووثب الى العرش عز الدين أيبك التركمانى ، وبويع بالسلطنة فى آخر ربيع الثانى سنة ٦٤٨ (يولية سنة ١٢٥٠) ولقّب بالملك المعز الجاشنكير التركمانى الصالحى . وتزوج من شجرة الدر ، وينسب اليها أنها أول من أرسلت المحمل من مصر الى مكة

عزّ على شجرة الدر أن ينفرد أيبك بالملك من دونها ، وأن يشرع فى الزواج من سيدة أخرى ، فيقضى على مركزها كسيدة مصر الأولى ، ويلقى بها فى زوايا النسيان ، فأكل الحسد أحشاءها ، وسرعان ما دبرت له مؤامرة ، فانقض عليه نفر من عبيدها ، وقتلوه وهو فى الحمام

فلما تولى الملك ابنه نور الدين على ، قبض على شجرة الدر ، وعهد بها الى نساء بيته ، فانهلن عليها ضربا بالقباقيب ، حتى لفظت أنفاسها ، وألقى بجثتها فى خندق بالقلعة ، وأخيرا دفنت قرب مدفن السيدة نفيسة

(١) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٧٤

القاهرة فى عهد المماليك البحرية

امتدت القاهرة فى عهد المماليك البحرية صوب الشمال ، فى الطريق التى رسمها لها صلاح الدين الأيوبي من قبل ، فهدموا ما تبقى من القصرين الفاطميين الكبيرين ، كذلك لم يتركوا قطعة أرض فضاء ، داخل حدود القاهرة ، من جنوبيها الى شماليها ، الا وأقاموا فيها الجوامع والمدارس والأضرحة والحمامات والوكالات والأسبلة ، ولم تقف فى وجوههم الأسوار الشمالية ، بل تخطوها وبنوا المساجد الفخمة . واقتفى أثرهم المماليك الشراكسة أو البرجية ، فعمرروا الصحراء وشيدوا فيها المساجد والأضرحة ، كما سيجىء شرح ذلك قريبا

والواقع أن القاهرة ازينت ، ولبست أبهج حللها فى عهد المماليك ، الذى يعتبر العصر الذهبى فى تاريخ العمارة بمصر . فقد كان الاقبال عظيما على الانشاء والتعمير ، ولا غرو فى ذلك ، فقد عم الرخاء فى عهدهم ، وامتألت خزائهم بالأموال ، لما كانت تدره عليهم التجارة الشرقية من ثروات ، وما كانوا يجبونه عليها من مكوس عند دخولها مصر أو خروجها منها . فعاشوا عيشة البذخ والترف ، وتسابقوا ، سلاطين ، وأمراء ، ووزراء ، فى اقامة المساجد الفخمة ، والقصور الشاهقة ، واقتنوا أجمل التحف وأغلاها ، وما تزال القاهرة تحتفظ بكثير من تحفهم ، التى تشهد ببراعة الصناع ، وتفوق الصناعة وتقدمها فى عهدهم ، وحياة الترف والبذخ التى كانوا يحيونها

كذلك امتدت القاهرة صوب الغرب والشمال الغربى ، بما طرحه النيل من أرض كونها الطمى الذى يأتى به النيل مع مياه الفيضان كل عام ، فنشأت أرض اللوق وجزيرة الفيل ، التى قامت عليهما فيما بعد أحياء

بولاق وشبرا وروض الفرج والاسماعيلية وباب اللوق

أراضي اللوق :

كان يطلق هذا الاسم على الأراضي الممتدة غربى القاهرة ، والتي يحدها اليوم شارع قنطرة الدكة من الشمال ، ومستشفى قصر العينى وشارع البستان الفاضل من الجنوب ، وشارع رمسيس « الملكة سابقا » من الغرب . وينحرف هذا الحد الى قصر النيل عند مبنى مصلحة المجارى ، ويسير بمحاذاة النيل ، حتى كوبرى محمد على . وتحد شرقا بشارع الخليج المصرى « شارع بورسعيد حاليا » ، فشارع نوبار (باشا) « الدواوين سابقا » ، وينثنى هذا الحد الى الشرق عند التقائه بشارع الشيخ ريحان ، حتى يتصل بشارع محمد (بك) فريد « شارع عماد الدين سابقا » ، ثم يستقيم شمالا حتى شارع قنطرة الدكة ، وهو الحد الشمالى السابق ذكره . وهذا الحد الشرقى لأرض اللوق ، كان الشاطئ الشرقى للنيل ، تجاه القاهرة حتى سنة ٦٩ هـ (٦٨٨ م)

وقد كان النيل يغمر هذه الأراضي وقت الفيضان . فاذا ما انتهى الفيضان تنكشف هذه الأراضي بعد صرف المياه عنها ، ويأخذ الناس فى زرعها دون حرث ، لليوتتها ، وانما تلاق لوقا ، كما يفعل بأراضي الملق بالوجه القبلى ، وهذا هو سبب تسميتها بأرض اللوق

وقد انحسر النيل عن هذه الأراضي فيما بين سنتى ٣٣٠ هـ ، ٥٦٠ هـ (٩٤١ - ١١٦٤ م) وأصبحت أرضا زراعية ، أنشئ بها كثير من البساتين والمنشآت مثل منشأة القاضى الفاضل ، وبستان ومنشأة ابن ثعلب ، وبستان ومنشأة الكتبة وغيرها . ولم يحدث بها بناء الا منذ عهد الظاهر بيبرس البندقدارى فى سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦١ م) . ومع أن ما شيد من الأبنية كان قليلا فقد تهدم فى نهاية القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) . وانما أخذت فى العمار فى عهد الخديو اسماعيل (القرن الثالث

عشر الهجرى = التاسع عشر الميلادى) حيث شيدت بها كثير من المباني
والعمائر الفخمة ، ونشأت أحياء الاسماعيلية والتوفيقية (١)

بولاق :

وظهر فى النيل سنة ٦٨٠ هـ (١٢٨١م) أمام أرض اللوق جزيرة كبيرة (٢)
أنشئت على جزء منها قرية بولاق سنة ٧١٣ هـ (١٣١٣ - ١٣١٤ م) . وما
لبثت أن اتصلت الجزيرة بشاطئ النيل ، وصارت الطريق من اللوق الى
بولاق « سالكة » ، وصرح الملك الناصر محمد بن قلاوون بالعمارة والبناء
فى تلك الأراضى ، فتسابق الأمراء والجند والكتاب والتجار والعامة فى
البناء ، وأنشأوا على النيل الدور والقصور والبساتين . وتكون من مجموع
ذلك بلدة جديدة هى بولاق . ولم تتصل بولاق بمدينة القاهرة الا فى زمن
الحديو اسماعيل ، حينما أخذت تتسع فيها العمائر وتمتد المباني صوب
الشرق

كذلك اتصل ما بين المقس (٣) « ثغر القاهرة اذ ذاك ، ويوجد مكانه
اليوم مسجد أولاد عنان بميدان رمسيس » وجزيرة الفيل ، بعد أن كان
النيل يجرى بينهما ، آتيا من الجنوب بمحاذاة شارع رمسيس « شارع
الملكة سابقا » وذاها الى الشمال من ميدان باب الحديد «ميدان رمسيس
حاليا » الى منية السيرج . لذلك حلت بولاق محل المقس ، وصارت بولاق
ميناء القاهرة النهري ، ترسو عندها البضائع ، وتبنى فيها السفن منذ ذلك
الوقت الى وقتنا الحاضر

جزيرة الفيل :

وهى التى قام عليها فيما بعد حى شبرا وروض الفرج كما سبق بيانه ،

(١) النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٣٠٨ حاشية رقم ١ من تعليق المرحوم العلامة محمد (بك)
ومزى

(٢) المصدر السابق ج ٧ ص ٣٠٧ حاشية رقم ١

(٣) النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٣٠٨ حاشية رقم ٢

وقد ظهرت هذه الجزيرة في النيل في أواخر الدولة الفاطمية ، وعرفت بجزيرة الفيل . وانما سميت كذلك لأن مَرَكِبًا يَثْبَتُهُ بالفيل غرق في النيل ، وترك مكانه ، فتراكت عليه الرمال والأعشاب ، وظلت تتكاثر الى أن أصبحت جزيرة ، يحيط بها الماء من جميع الجهات ، فزرعت أيام صلاح الدين الأيوبي وطرح البحر بجوارها سنة ٦٨٠ هـ (١٢٨١ - ١٢٨٢ م) ، فاتصلت بأرض بولاق وأرض الطبالة وأرض البعل وأرض منية السيرج . وفي أيام المنصور قلاوون أنشأ الأمراء والأعيان بجزيرة الفيل الدور والقصور والبساتين ، حتى صارت بلدا كبيرا ، به جامع وسوق كبيرة ، وعدة بساتين جليلة ، بلغ عددها مائة وخمسين بستانا ، من أحسن البساتين ، لجمال منظرها ، وكثرة ثمارها

وقد حقق المرحوم العلامة الأستاذ محمد رمزي موقع جزيرة الفيل فقال : « ان جزيرة الفيل ، مكانها الآن المنطقة التي يمر فيها شارع شبرا من الجنوب الى الشمال ، وكان يحدها وقت أن كانت في وسط الماء ، من الغرب النيل ، حيث يمتد الآن جسر طراد النيل القديم ، وشارع أبي الفرج . ومن الجنوب النيل ، حيث يسير الآن شارع جزيرة بدران وشارع بركات . ومن الشرق والشمال سيالة مياه ، كانت فاصلة في ذلك الوقت بين هذه الجزيرة وبين أرض الطبالة ، التي تشمل اليوم منطقة محطة كوبري الليمون والفجالة ، وبركة الرطلى ، وبين أرض البعل ، التي تعرف اليوم بالشرابية ومهمشة ، وبين منية السيرج ، ومنها الى فم ترعة الاسماعيليه » « وبالاطلاع على خريطة القاهرة ، رسم الحملة الفرنسية سنة ١٨٠٠ م ، تبين لى أن المنطقة التي بها الآن قسما شبرا وروض الفرج كانت كلها أرضا زراعية ، ولم يكن فيها من المباني في ذلك الوقت الا قرية صغيرة باسم جزيرة بدران ، قائمة في مكان البلدة التي أنشئت في جزيرة الفيل في أيام الملك المنصور قلاوون » (١)

(١) النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٣٠٩ حاشية رقم ٣

- ٣ -

السلطين البناءون

حكم مصر من الممالك البحرية أربعة وعشرون سلطانا ، تميز أربعة منهم بعظيم ما شيدوه من مبان ، حتى استحقوا أن يلقبوا بالسلطين البنائين وهم :

السلطان الظاهر :

هو السلطان الظاهر، ركن الدنيا والدين، بپرس البندقدارى الصالحى ، واليه ينسب حى الظاهر ، أحد أحياء القاهرة

كان مملوكا للصالح نجم الدين أيوب ، وما زال يترقى حتى وثب الى عرش مصر سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م) ، وظل يحكمها الى حين وفاته سنة ٦٧٦ هـ (١٢٧٧ م)

ويعتبر الظاهر المنشئ الحقيقى لدولة الممالك البحرية ، ومثبت أركانها. لم يكتف بأن تكون القاهرة عاصمة سلطنته ، بل جعل منها مقر الخلافة الاسلامية ، وذلك بأن استدعى أحد أولاد الخلفاء العباسيين الذين هجروا بغداد ، بعد أن هدمها المغول سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) ، ونادى به خليفة للمسلمين ، وأسكنه القلعة ، ثم استمد منه حكم مصر . وبذلك أضفى على نفسه صفة الشرعية والقانون فى حكم البلاد ، فأمن مكاييد الممالك ، وتحامى غدرهم . ولم يكتف بهذا بل وطد علاقاته بكثير من ملوك الشرق والغرب ، ووثق صلاته السياسية والاقتصادية بكثير من الدول

منشآت الظاهر :

وشيد كثيرا من المباني . من ذلك : مدرسة أنشأها سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦١ م) بجوار تربة سيده الصالح نجم الدين أيوب ، بشارع بين القصرين ، وقد تهدمت بسبب فتح شارع بيت القاضى . كذلك بنى فى

شمال القاهرة قناطر أبى المنجّا ، ومثلها بالقرب من محطة اللد على خط القنطرة فلسطين. ولا تزال بقية من عقود قناطر أبى المنجّا باقية حتى اليوم. وشيد مساجد كثيرة بالقاهرة وحلب وبصرى ودمشق والرملة . ولكن أهمها جميعا جامع العظیم الموجود بميدان الظاهر

وشيد أيضا قنطرة السباع (١) ، ونصب عليها سباعا من الحجارة لأن رنكه « شعاره » كان على شكل سبع . ومن هنا جاءت تسميتها بهذا الاسم . وكانت موجودة على الخليج المصرى ، وكانت تعرف أيضا باسم قنطرة السيدة زينب . ولقد اختفت هذه القناطر بعد ردم الجزء الأوسط من الخليج ، تحت ميدان السيدة زينب . وقد كانت هذه القناطر تتكون من قنطرتين : احدهما توصل بين شارعى الكومى والسد ، والثانية بين شارع الكومى ومراسينا

جامع الظاهر

بدىء فى بناء هذا المسجد سنة ٦٦٥ هـ (١٢٦٦ م) . وكان الفراغ منه سنة ٦٦٧ هـ (١٢٦٨ - ١٢٦٩ م) . وطوله ١٠٨ مترا ، وعرضه ١٠٥ مترا . ويتكون من صحن يحيط به أربعة أواوين : القبلى ويتكون من ستة أروقة . وكل من الايوانين الشرقى والغربى ويتكون من ثلاثة أروقة . أما الايوان البحرى فيتكون من رواقين . وجميع عقود الجامع محمولة على أعمدة من رخام ، ما عدا عقود المشرقة على الصحن ، وعقود الرواق الثالث فمحمولة على أكتاف

وواجهات الجامع الأربع مبنية بالحجر . أما من الداخل فالبناء جميعه بالآجر . والقبّة الموجودة أعلى المحراب مربعة ، طول ضلعها عشرون مترا ، بنيت على مثال قبة الامام الشافعى ، وهى أكبر قبة أقيمت فوق محراب .

(١) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٣٩ حاشية رقم ٣

وتمتاز عن غيرها من القباب بأنها محمولة على حجرة وليست على دعائم أو أعمدة

وتمتاز عمارة هذا الجامع بميزات لم يسبقه اليها جامع آخر . من ذلك : الأبراج الأربعة القائمة فوق نواصي الجامع . ثم الدعائم القائمة خارج واجهتيه الشرقية والغربية ، والأبواب الثلاثة البارزة ، ولم توجد قبل ذلك الا في باب جامع الحاكم ، واستعمال مداميك الحجر الأبيض والأحمر على التوالي

وقد كان هذا الجامع حافلا من الداخل بالزخارف الجصية والرخام الملون بالوزرات . والبقايا المخلفة من الشبايك الداخلية والكتابات الكوفية المحيطة بها وبالقبلة تدل على ما كان عليه من فخامة وبهاء

وقد هدم الفرنسيون ، في أثناء احتلالهم مصر ، المنارة التي كانت تعلو الباب البحرى ، كما هدموا مآذن ومساجد وبنيات أخرى بالقاهرة ، وسكنه بعض جنودهم ، فتخرب كثير من أجزائه . وحسّوله محمد على الى مصنع للصابون . ثم انتهك الانجليز حرمة في الحرب الأوربية الأولى ، فأحالوه الى مذبح ، ثم استعادته لجنة حفظ الآثار العربية سنة ١٩١٨ م . فرمت بعض أجزائه

السلطان قلاوون :

هو الملك المنصور سيف الدين أبو المعالى قلاوون . تولى عرش مصر سنة ٦٧٨ هـ (١٢٧٦ م) ، بعد أن عزل سلامس بن الظاهر بيبرس ، الذى كان قلاوون يقوم بالوصاية عليه . وهو أيضا من مماليك الصالح نجم الدين أيوب ، اشتراه بألف دينار ، لذا كان يلقب بالألفى . وأخذ يتقلب فى المناصب العليا حتى ظفر بحكم مصر . ويعتبر المنشئ الثانى لدولة المماليك البحرية ، فقد ظل الحكم فى بيته نحو من مائة عام

وقد كان قلاوون أعظم شخصية بين المماليك بعد بيبرس ، وقد ترسم خطى الأخير فى ربط مصر بما جاورها من الدول ، بصلات الود والصداقة ، كما يعزى اليه فضل صد المغول عن العالم الاسلامى ، فى الزحف الثانى الذى قام به أبغا وأخوه منكوتمر على الشام . فهزمهم قلاوون هزيمة ساحقة فى حمص فى سنة ٦٨١ هـ (١٢٨٢ م)

وهو من أربعة السلاطين العظام ، الذين زينوا القاهرة بمنشآتهم الضخمة ، ومبانيهم العظيمة ، التى ما تزال قائمة حتى اليوم ، تشهد بعظيم همتهم ، وقوى شكيمتهم ، ورفيع ذوقهم

منشآت قلاوون :

فقد أنشأ فى شارع بين القصرين ، تجاه تربة سيده الصالح نجم الدين أيوب مجموعة عظيمة من المباني ، تتألف من مارستان « مستشفى » ومدرسة وتربة ، غلب عليها اسم مارستان قلاوون

المارستان :

مرض قلاوون ذات مرة ، فى احدى غزواته بالشام ، فعولج بأدوية استحضرت له من مارستان نور الدين بدمشق . فنذر أن ينشئ مارستانا فى مصر كماستان نور الدين ، لعلاج المرضى من جميع الأديان والأجناس . فلما آل اليه عرش مصر وقى بنذره ، وأنشأ هذا المارستان ، وزاد عليه مدرسة وقبة يدفن فيها ، وحرص على أن يقيم هذه المنشأة تجاه قبر سيده الصالح نجم الدين أيوب ، ومدرسة سلفه الظاهر بيبرس ، الملاصقة لقبر الصالح

وتنفذا لخطته ، استولى على قصر الأميرة مؤنسة القطبية الأيوبية ، وكان يقع فى المكان الذى تخيره لانشاء المارستان عليه ، وعوضها عنه بقصر الزمرد ، برحبة العيد ، مع مبلغ كبير من المال . وعهد الى الأمير علم

الدين سنجر الشجاعى أن يشرف على بنائه ، فحشد خلقا كثيرا من الأسرى والصناع والمماليك ، وأنجز بناء هذه المجموعة الضخمة من المباني فيما لا يزيد على عامين ، وهى مدة لا يعقل أن يتم فيها مثل هذا العمل الضخم ، إلا اذا سخر فيه الناس ليل نهار ، وسامهم البطش وسوء العذاب . يؤيد ذلك ما حكى عنه أنه أوقف ممالكه بشارع بين القصرين ، فكانوا اذا مر أحد ، مهما عظم قدره ، ألزموه أن ينقل حجرا الى محل العمل ، حتى اضطر الناس الى تجنب المرور من هذا الشارع . ولم يكتف قلاوون بذلك ، بل انه أمر بهدم قلعة الصالح نجم الدين بالروضة ، ونقل أعمدتها الضخمة ، ورخامها البديع ليدخلها فى عمارة المارستان . وبهذا تنكر لسيده . ومن الغريب انه مع ذلك يحرص على بناء مارستانه وتربته تجاه تربة الصالح ، ثم يصادر الناس فى ممتلكاتهم

فهذا المارستان يقع فى شارع ما بين القصرين ، ولم يبق منه الآن غير جزءين من القاعتين الشرقية والغربية ، وجانب كبير من القاعة القبلىة . ويشغل مساحة كبيرة منه فى الوقت الحالى مستشفى قلاوون للرمذ ، ويذكر المؤرخون انه كان مكونا من جملة أجنحة ، يختص كل جناح منها بعلاج مرض من الأمراض ، وانه كانت تشرف عليه هيئة طبية منظمة ، كما كانت توجد به غرفة للمطالعة ، ومعامل كيميائية ، وصيدلية ، وحمامات ، ومطبخ . وبوجه عام توفرت فيه جميع معدات المستشفيات المعروفة وقتذاك . بل وكانت توجد جوقة موسيقية تخفف من آلام المرضى . بما تعزفه لهم من ألحان . وبجانب ذلك كان خمسون من القراء يرتلون القرآن الكريم . وكان هناك أمين للمكتبة يساعده أتباعه فى مناولة الكتب الطبية والمدنية وغيرها لمن يرغبون فى المطالعة . وفوق هذا كان هناك مكتب لتعليم القراءة والكتابة لعدد من أطفال المسلمين اليتامى

وينقسم البناء الى قسمين : قبلى وهو واجهة المدرسة ، وبحرى وهو

واجهة التربة التى تعلوها القبة ، وتوجد المئذنة فى نهاية القسم البحرى ، وهى مكونة من ثلاثة أدوار : الأسفل والأوسط منها مربعان ، والثالث مستدير ، وقد جددہ الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٣ - ١٣٠٤ م) ، عقب زلزال هدم هذا الجزء

وبين هذين القسمين يوجد الباب الرئيسى المحلى بالرخام ، وضلفته مكسوتان بالنحاس ، المقسم تقسيما هندسيا بديعا ، ويؤدى الى دهليز طويل . وللقبة بابان مفتوحان على الدهليز ، يَدْخُل من أولهما إليها مباشرة ، ومن الثانى الى البهو الذى أمامها

وتكون الواجهة فى مجموعها منظرا من أروع مناظر العمارة الاسلامية بالقاهرة ، فحناياها المحمولة على عمد رخامية تحتضن شبايك ذات أشكال هندسية بديعة . ويحلى الواجهة جميعا طراز مشحون بآيات قرآنية ، وغيرها من الكتابات المثبتة لتاريخ البناء (١)

القبة :

ويعلو تربة السلطان قلاوون قبة محمولة على أربعة أكتاف ، وهى مربعة الشكل ، ذات أسفال مكسوة بالنسيفساء البديعة ، ويتوسط هذه الأكتاف أربعة أزواج من الأعمدة الجرانيتية ، تيجانها مذهبة ، وتحمل ثمانية عقود . وهذه تحمل رقبة القبة ، المنشأة حديثا ، والسقف الخشبى المذهب حولها والجدران مكسوة بنسيفساء الرخام الدقيقة ، وكذلك المحراب تزينه ثلاث حطات من النسيفساء البديعة ، والشبايك ملونة بألوان براقة جميلة . ويتوسط القبة التربة ، وقد دفن بها المنصور قلاوون ، وابنه الناصر محمد ، وعليها تابوت من الخشب البديع . وحول المدخل الغربى للقبة زخارف جصية هندسية مورقة ، مصنوعة باليد ، تسترعى كثيرا من الاعجاب

(١) الدليل الموجز ص ١٠٢ - ١٠٧

وامام القبة وقاعتها توجد المدرسة بمحرابها البديع ، وبقايا زخارفها
الجمية المتقنة. وقد أعيد اصلاح ايوانها الشرقى، ولم تصلح بعدالأواوين
الأخرى (١)

ويوجد بقسم من واجهة المدرسة سبيل صغير ، أنشأه الناصر محمد بن
قلاوون على روح والده ، يرجح المرحوم الأستاذ محمود أحمد انشاءه سنة
٧٠٣ هـ (١٣٠٣ م) (٢)

السلطان الناصر محمد بن قلاوون :

توفى السلطان قلاوون فى ٥ ذى القعدة سنة ٦٨٩ (١٠ نوفمبر سنة
١٢٩٠) وهو فى السبعين من عمره ، وخلفه على العرش ابنه الأشرف خليل،
وأهم أعماله هدمه حصن عكا ، آخر معقل للصليبيين فى الشام ، فطويت
بذلك صفحاتهم ، بعد أن ظلت منشورة قرنين من الزمان ، ارتكبوا خلالها
كثيرا من الشرور والآثام ، وكانوا شوكة فى جنب مصر . غير أنه لم يعمر
طويلا ، اذ توفى فى المحرم سنة ٦٩٣ هـ (ديسمبر سنة ١٢٩٣) ، فخلفه
أخوه الناصر محمد

حكم السلطان الناصر محمد أربعة وأربعين عاما وبضعة شهور . ولكن
لم تكن مدة حكمه متصلة ، اذ عزل عن العرش مرتين :

الأولى : فى المحرم سنة ٦٩٤ (نوفمبر سنة ١٢٩٤) فتولى الملك
السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا . فعزل هذا أيضا وتولى مكانه
حسام الدين لاچين - المحرم سنة ٦٩٦ (اكتوبر سنة ١٢٩٦) - ثم قتل
لاچين فى ٦ جمادى الأولى سنة ٦٩٨ هـ (فبراير سنة ١٢٩٩) ، فأعيد الناصر
محمد الى العرش

(١) دليل موجز لاشهر الآثار العربية بالقاهرة لمحمود احمد ص ١٠٥ - ١٠٦

(٢) المصدر السابق ص ١٠٧

الثانية : وبقي الناصر محمد في دست الملك عشرين وخمسة أشهر وستة عشر يوما ، ثم اعتزله وسافر الى الكرك ، فانتخب ركن الدين بيبرس الجاشنكير سلطانا . غير أن مدة حكمه لم تطل عن عام واحد . ثم أعيد الناصر محمد الى العرش للمرة الثالثة ، وبقي به الى أن توفي في ذى الحجة سنة ٧٤١ (مارس سنة ١٣١٠)

ومع ذلك فيعتبر عصر الناصر محمد بن قلاوون من أزهى عصور العمارة الاسلامية ، لكثرة ما شيد فيه من مساجد ومدارس وقصور ، وانتشار طراز ثابت للواجهات ، تكثر بها الحنايا ، وتنتظم صفا واحدا ، وتحليها المقرنصات

أهم المنشآت في عصر الناصر :

وأهم ما أنشئ في عصر الناصر : مدرسة بالنحاسين ، والمدرسة الجاولية بشارع مراسينا ، وخانقاه بيبرس الجاشنكير بالجمالية ، وتربة حسن صدقه ، ومسجد الناصر محمد بالقلعة ، وسراى بشتاك بشارع بين القصرين ، وجامع المارداني بالدرب الأحمر

ويضيق المقام عن وصف هذه المساجد جميعا . لذلك نقصر الكلام على أهمها :

مدرسة الناصر محمد بشارع بين القصرين :

وهي ملاصقة لقبة السلطان قلاوون ، بشارع المعز لدين الله ، وبدأ في انشائها السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري ، فوضع أساسها ، وارتفع بينها الى الطراز المكتوب بواجهتها ، وذلك في سنة ٦٩٥ هـ (١٢٩٥ م) ، ثم خلع من الملك قبل اتمامها . فلما عاد السلطان الملك الناصر محمد الى ملك مصر للمرة الثانية ، اشترى هذه المدرسة ، وبنى بها قبة ، فأكملت في سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٣ م) ، وعين بها المدرسين للمذاهب الأربعة ، وألحق بها مكتبة حافلة ، ثم نقل الى القبة رفات

والدته ، كما دفن بها ابنه أنوك المتوفى فى ١٧ ربيع الأول سنة ٧٤١ هـ (١٣٤١ م) ولم يبق منها سوى الايوان الشرقى ، وبه محراب جصى نادر المثال ، والايوان الغربى ، وبه شباك من الجص غاية فى الدقة

ولهذه المدرسة واجهة جميلة ، حافلة بالزخارف ، والكتابات الكثيرة . وتوجد المنارة فوق الباب ، وهى موشاة بالزخارف الجصية الدقيقة . ويوجد بداخل القبة طراز من الخشب المنقوش يحيط بجدرانها ، وبين القبة والمسجد طريقة بها سقف من الخشب مزين بالزخارف والألوان المذهبة

مسجد الناصر بالقلعة :

أنشأه الناصر سنة ٧١٨ هـ (١٣١٨ م) ، وأعاد بناءه سنة ٧٣٥ هـ (١٣٣٤ م) . وهو من الجوامع الكبيرة . وقد خالف فى تخطيطه نظام الأواوين المتعامدة ، الذى كان سائدا فى عصر المماليك . وأقيم على النظام القديم من أربعة أواوين تحيط بالصحن المكشوف . وأكبر تلك الأواوين ايوان القبلة . ويوجد أمام محراب هذا المسجد قبة كبيرة حملت على أعمدة ضخمة من الجرانيت الأحمر

ويحيط بالجامع من أعلاه نوافذ كانت مغطاة من الداخل والخارج بشبايك من الجص . وكانت الجدران مغطاة بوزرة من الرخام الى ارتفاع خمسة أمتار ونصف ، كما كانت أرضه مفروشة بالرخام أيضا . وله مئذنتان وبابان : أحدهما غربى ، تجاوره المئذنة الأولى ، وهى اسطوانية الشكل . والباب الآخر بالواجهة البحرية ، وفى نهايتها المئذنة الثانية ، وهى مربعة القاعدة . ويغطى القاشانى قمة المئذنة الأولى ، كما يغطى الدورة الثالثة للمئذنة الثانية

قنطرة سنقر على الخليج الكبير :

وأنشأ الأمير «آق سنقرشاد العمائر السلطانية» فى أيام الملك الناصر محمد ابن قلاوون قنطرة سنقر ، وكانت موجودة على الخليج الكبير ، تجاه مدخل شارع قنطرة سنقر ، الموصل الى شارع درب الحجر ، بالقاهرة

وتولى السلطان حسن بن الناصر محمد بن المنصور قلاوون حكم مصر في ١٤ رمضان سنة ٧٤٨ (١٨ ديسمبر سنة ١٣٤٧) بعد أخيه المظفر حاجي ، وكان عمره وقتئذ ثلاث عشرة سنة . فقام بالوصاية عليه الأمير شيخون العمري ، ولم يمنعه ذلك من أن يزاول الحكم بنفسه ، فاستبد ، وبالنسبة في أسباب الطمع ، واستولى على أملاك بيت المال ، فاعتقل سنة ٧٥٢ هـ (١٣٥١ م) ، فخلفه أخوه الصالح صلاح الدين صالح ، ثم أعيد إلى الملك ثانية سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤ م) ، وظل متربعا في دست السلطنة ست سنين وسبعة أشهر إلى أن قتل

مسجد أو مدرسة السلطان حسن :

يقع هذا المسجد بميدان صلاح الدين ، تجاه القلعة ، في الجهة الغربية البحرية منها ، أنشأه السلطان الناصر حسن بن الناصر محمد بن المنصور قلاوون . وقد بدأ في انشائه سنة ٧٥٧ هـ (١٣٥٦ م) ، واستمر العمل به لحين وفاته في جمادى الأولى سنة ٧٦٢ هـ (١٣٦١ م)

حدوده وأبعاده :

وتبلغ مساحة هذا المسجد ٧٩٠٦ مترا ، وطوله ١٥٠ مترا وعرضه ٦٨ مترا ، وارتفاعه عند بابه ٣٧٧٠ مترا ، وواجهته البحرية ، وهي الواجهة الأصلية ، مشرفة على شارع القلعة « شارع محمد علي سابقا » ، وواجهته الجنوبية والشرقية مشرفتان على ميدان صلاح الدين . ومن الصعب تحديد شكله ، لأن في وضعه بعض الازورار . ويمكن أن يوصف بأنه كثير الأضلاع ، ممتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي (١)

والقادم نحو هذا المسجد يأخذه العجب من جدرانه العالية الضخمة ، والافرير الذي يتوجها ، وما تمتاز به من زخارف معمارية تشبه خلايا النحل ، وتخدع النظر ، فتبدو الجدران أعلى مما هي في الحقيقة . ويرى

(١) دليل موجز لمحمود احمد ص ١٣٧

المشاهد في واجهات الجامع ، ما عدا تلك التي تطل على القلعة ، تجاوب في الحيطان عمودية طويلة ضيقة ، وقد هيئت النوافذ فيها على ثمان طبقات

تخطيط المسجد :

وتخطيط هذا المسجد متفق مع الطراز المملوكي ، ذي أربعة الأواوين المتعامدة ، التي يتوسطها الصحن ، فتكون معه ما يشبه الصليب Cruciform فهو مكون من صحن مكشوف مساحته 32×24.60 مترا مربعا ، تتوسطه مiazza ، تعلوها قبة ، محمولة على ثمانية أعمدة من الرخام . ويقطع الصحن محوران متعامدان ، في نهاية كل منهما ايوان ، وفي كل زاوية من زوايا الأواوين الأربعة ، باب يوصل الى إحدى المدارس الأربع ، المخصصة لدراسة المذاهب الإسلامية الأربعة وهي : الشافعي والمالكي والحنفي والحنبلي . وأكبر هذه المدارس مدرسة الحنفية ، اذ تبلغ مساحتها ٨٩٨ مترا مربعا

وأكبر الأواوين الايوان الشرقي ، وجدرانه مكسوة بالرخام والأحجار الفاخرة الملونة ، يحيط به اطار جصي ، مكتوب به آيات من سورة الفتح ، بالخط الكوفي المزهر ، وسقفه معقود عقدا ستينيا ، ومبنى بالآجر ، ماعدا مبدأه من جهة الصحن ، فانه بالحجر ، وهو أكبر عقد مبنى على ايوان بمصر ، ويقال انه أكبر من ايوان كسرى الذي هو بالمدائن في العراق (١)

وفي هذا الايوان دكة من الرخام ، وفي وسط واجهته الشرقية المحراب المجوف ، وتزينه قطع من النقوش الذهبية والرخام المطعم ، وعلى يمينه محراب من الرخام الأبيض . وبابه من الخشب المصنح بالنحاس في زخارف من أشكال متعددة الأضلاع ، مرتبة في أوضاع نجمية . وعلى جانبي القبلة بابان يوصلان الى تربة السلطان ، وتعلوها قبة عظيمة ، وجميع جدرانها مكسوة بالرخام الفاخر الملون بارتفاع ثمانية أمتار ، وفوق ذلك شريط من خشب عرضه ثلاثة أمتار ، محلى بكتابة بالخط النسخ مؤرخة

(١) المصدر السابق ص ١٣٨

بسنة ٧٦٤ هـ (وتقابل سنة ١٣٦٢ - ٦٣ ميلادية) ، والمقرنصات التي في زوايا القبة الأربع تعتبر من أجل وأغرب ما صنع من نوعها . ومعلوم ان السلطان لم يدفن فيها ، لأنه قتل ولم يعثر لجثته على أثر

والمدخل مكون من ثلاثة أواوين ، ويوجد على يسارها الى الجهة الشرقية طريق مستطيل ، يصعد اليه بسلم ذى سبع درجات ، ثم ينشئ فيه الداخل الى الجهة الشرقية القبليّة ، فيصل الى صحن المسجد

وبالواجهة القبليّة الشرقية توجد المذبتان العظيمتان ويبلغ ارتفاع الكبرى منهما ٨١ر٦٠ مترا (١)

وظاهر أن هذا المسجد أضخم مساجد مصر عمارة ، وأعلاها بنيانا ، وأكثرها فخامة ، وأحسنها شكلا ، وأجمعها لمحاسن العمارة ، وأدلها على عظيم الهمة . وان المرء ليحار من كثرة ما أنفق على بنائه ، ولا عجب اذا قبل أن بناءه كان يكلف منشئه في اليوم الواحد ألف دينار

وقد كانت تتدلى من أسقف أواوين هذا الجامع مصابيح زجاجية « مشكاوات » مموهة بالميّنا ، وتنانير نحاسية ، مصنوعة من النحاس المفرغ ، والمكفت بالذهب والفضة ، ومحفوظة جميعها اليوم بالمتحف الاسلامى بالقاهرة .

وقال الأستاذ جاستون فييت ، المدير السابق للمتحف الاسلامى بالقاهرة في مقال له عن هذا الجامع : « انه لأبدع آثار القاهرة ، وأكثرها تجانسا وتماسكا وكمال وحدة ، وأجدرها بأن يقوم بجانب تلك الآثار المدهشة ، التي خلفتها مدنية الفراعنة » (٢) وقد كشف الأستاذ حسن عبد الوهاب في نوفمبر سنة ١٩٤٤ عن مهندس هذا المسجد - واسمه « محمد بن بيليك » (٣) - مكتوبا في الطراز الجصى بالمدرسة الحنفية

(١) انظر دليل موجز لاشهر الآثار العربية بالقاهرة لمحمود احمد

(٢) الأستاذ جاستون فييت : من مقال له في وصف جامع السلطان حسن نشر في مجلة La Revue du Caire ونقله الى العربية الاستاذ محمد وهبى ، ونشر في مجلة القطن عدد ديسمبر سنة ١٩٣٨

(٣) تاريخ المساجد الاثرية ص ١٧٦ - ١٨١

القاهرة فى عهد المماليك البرجية

قامت بعد دولة المماليك البحرية ، دولة المماليك البرجية ، ويسمون أيضا بالشراكسة ، لأن معظمهم كانوا من الشراكسة ، الذين اشتراهم قلاوون ، أحد المماليك البحرية ، وأسكنهم أبراج القلعة ، لذا سُمُّوا بالبرجية . وقد حكموا مصر من سنة ٧٨٤ هـ الى سنة ٩٢٣ هـ (من سنة ١٣٨٢ الى سنة ١٥١٧م) وكان عددهم ٢٣ سلطانا ، وجميعهم من الشراكسة كما قدمنا ، ما عدا اثنين هما خوشقدم ونغورينا ، فقد كانا روميين . أما المماليك البحرية فقد كانوا من التركستان ، وقد أجلاهم التتار عن بلادهم عند غزوهم لغرب آسيا

هذا المماليك الشراكسة حذو المماليك البحرية فى مد حدود القاهرة من ناحية الشمال ، وساروا بها شوطا بعيدا صوب الشمال الشرقى ، وعمرُوا صحراء الريدانية (العباسية) . وامتدت أبنيتهم مسافات بعيدة فى تلك الصحراء حتى وصلت الى ما يعرف الآن بكوبرى القبة ، حيث شيد الأمير يشبك الداوادر ، أحد أمراء الأشرف قايتباى قبة جميلة بكوبرى القبة ، والى جهة الخانقاه ، حيث شيد الأشرف برسباى جامعا

وقد استمر تقدم فن العمارة فى عهدهم ، وشيد كثير من سلاطينهم الأبنية الفخمة ، وأدخلوا كثيرا من التعديلات على هندسة العمارة ، فتميزت بميزات صارت علما على فن العمارة فى عهدهم . من ذلك : تغطية بعض صحنون المدارس بعد أن كانت عارية ، وزخرفة بعض المآذن والقباب بالفسيفساء والقاشانى والرخام . وانهاء بعض المآذن برأسين والبعض الآخر بأربعة رؤوس

ونتقى من آثار هذه الدولة ، على سبيل المثال ، وليس على سبيل
الحصر ، ما يأتى :

مسجد السلطان برقوق بالبحاسين :

الملك الظاهر أبوسعيد برقوق ، أول ملوك الجراكسة . كان مملوكا
للأتابك يلغا ، فأعتقه ، وظل يتقلب فى الوظائف الكبرى حتى ولى أمر
مصر سنة ٧٨٤ هـ (١٣٨٢ م) ، وبقي على عرش مصر الى أن توفى سنة
٨٠١ هـ (١٣٩٩ م)

وقد أنشأ فى الجهة البحرية لمدرسة الناصر محمد بن قلاوون هذا المسجد
سنة ٧٨٦ هـ (١٣٨٤ م) ، فصارت الواجهتان تكونان مجموعة من أجل
المباني الأثرية منظرا . ولهذا المسجد مئذنة ضخمة ، متناسبة الأبعاد ،
طعمت دورتها الوسطى بقطع متماثلة من الرخام ، وتعد الأولى من نوعها
من المآذن ، وتوجد فى الطرف البحرى للواجهة الشرقية ، المشرفة على
شارع بين القصرين

وللباب العمومى لهذا المسجد ضلقتان من الخشب ، مصفحتان بالبحاس
المكفت بالفضة ، ويؤدى الى طرقة ، توصل الى الصحن ، الذى تحيط به
أربعة أواوين متعامدة ، أكبرها ايوان القبلة . وينقسم هذا الايوان الى
ثلاثة أروقة ، أكبرها الرواق الأوسط ، وجميعها مسقوفة بأسقف خشبية
مموهة بالذهب . والمحراب مكسو بالرخام المختلف الألوان والمحلى
بفصوص من الصدف . أما الاواوين الثلاثة الأخرى فمسقوفة بقبوات
حجرية . وفى وسط الصحن فسقية ، تعلوها قبة محمولة على ثمانية أعمدة
رفيعة من الرخام . أما أرضية الصحن نفسه فمفروشة بترايع من الرخام
الأبيض

وبالركن البحرى الشرقى للصحن باب يؤدى الى التربة ، وتعلوها قبة
ذات أركان مقرنصة . ومما يستوقف النظر فى هذه التربة الوزرة الرخامية

المنتهية بطراز مكتوب بالذهب ، يتضمن تاريخ انشاء المدرسة . وقد بنى برقوق لنفسه تربة أخرى بجبانة الممالك دفن فيها

ومهندس هذا المسجد معروف ، بخلاف كثير من المساجد والمباني الأخرى ، واسمه شهاب الدين أحمد بن الطولوني

تربة برقوق بمقابر الممالك :

أنشأها السلطان برقوق سنة ٨٠١-٨١٣ هـ (١٣٩٨-١٤١١ م) بالقرافة الشرقية، وهى فى الواقع عبارة عن مدرسة تدرس فيها العلوم الشرعية، ومسجد للصلاة ، وخانقاه فخمة للصوفية ، جمعها السلطان برقوق فى صعيد واحد ، لذلك جاءت أضخم تربة وجدت فى جميع جبانات مصر والقاهرة . هذا بالإضافة الى اشتغالها على ميزات معمارية لا نظير لها فى سواها . فلا عجب أن يستغرق بناؤها حوالى اثنى عشر عاما. وقد أراد برقوق أن تكون هذه التربة نواة لمدينة عامرة ، تحيط بها الأسواق والخانات والحمامات

والواجهة الغربية متماثلة الأجزاء ، وفى طرفيها البحرى والقبلى سبيلان، يعلوهما مكتبان ، وتقوم على يمين المكتب البحرى وعلى يسار المكتب القبلى مئذنتان رشىقتان ، تزيدان هذه الواجهة جمالا

ويحيط بالصحن أربعة أواوين : الايوان البحرى والقبلى ، وهما متساويان ، وكلاهما مكون من رواق واحد ، وفوقهما خلوات وحجرات ومرافق ، يتوصل اليها من سلالم بالصحن والطرقات. أما الايوان الشرقى فأكبر من الغربى ، ومكون من ثلاثة أروقة ، يكتنفه من طرفيه قبتان كبيرتان مركب على بابهما حجابان من قطع الخشب تكون أشكالا هندسية منتظمة ، وسقوف الاواوين الأربعة مغطاة بقبوات نصف كرية مبنية بالآجر، ومحمولة على عقود مرفوعة مدببة ، وأطرافها متكئة على أكتاف من الحجر، قواعدها وتيجانها مربعة ، أما أبدانها فثمانية

والمنبر من الحجر المحلى بالزخارف الهندسية ، وقد أنشأه والدكة

الخشبية السلطان قايتباى سنة ٨٨٨ هـ (١٤٨٣ م) (١)

جامع المؤيد :

كان أبو النصر شيخ المحمودى مملوكا اشتراه برقوق من نخاس شركسى بثلاثة آلاف دينار ، فارتقى سريعا من مملوك فى القصر الى أمير الحج ، فأمر على ألف ، ثم حاكم على طرابلس . ثم اشترك فى قتل فرج بن برقوق ، وشق طريقه الى عرش مصر ، وتلقب بالملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى ، وكان ذلك سنة ٨٠٥ هـ (١٤١٢ م) ، وظل يحكم مصر الى حين وفاته فى المحرم سنة ٨٢٤ هـ (يناير سنة ١٤٢١)

والمحمودى نسبة الى النخاس محمود اليزدى ، الذى باعه الى برقوق . ومما يتصف به المؤيد انه كان شاعرا وموسيقيا ، وانه كان ورعا محبا للعلم ، يعاون طلابه ، ويشجعهم بالمال

وهذا الجامع من الجوامع الكبيرة ، أنشأه سنة ٨١٨ - ٨٢٣ هـ (١٤٠٥ - ١٤١٠ م) بجوار باب زويلة . ومدخله موجود فى الطرف البحرى للواجهة الشرقية . والباب المركب عليه مكسو بالنحاس المحلى بزخارف هندسية بديعة . وكان قبل ذلك مركبا على باب مسجد السلطان حسن ، واسمه منقوش عليه ، وما يزال يرى حتى الآن فى هذا الوضع

وقد تهدمت ثلاثة من أواوين هذا المسجد . ولم يبق سوى الايوان الشرقى ، وجزء من جدرانه مكسو بوزرة من الرخام ، المختلف الألوان . وبجوار المحراب منبر ، حشواته المجمة على هيئة أشكال هندسية مطعمة بالسن . والسقف محمول على أعمدة من رخام ، وكله محلى بنقوش زخرفية بديعة

ومنارتا هذا الجامع قائمتان على بدتى باب زويلة . وبأعلى الواجهة الشرقية يوجد افريز من الآيات القرآنية

(١) دليل موجز لاشهر الآثار العربية لمحمود احمد ص ١٥٠ - ١٥٢

تربة الاشرف أبى النصر قايتباى بصحراء قايتباى (القرافة الشرقية)

ينتمى قايتباى الى الأصل الشركسى . اشتراه چقمق بخمسين ديناراً . ولما كان فارساً ممتازاً تقرب الى البلاط ، وظل يتقلب فى الوظائف الكبرى حتى وصل الى وظيفة « اتابك العسكر » ومنها ارتقى الى عرش السلطنة فى ٣ رجب سنة ٨٧٣ (ديسمبر سنة ١٤٦٧) ، وبقي على العرش حتى وفاته فى ١٧ ذى القعدة سنة ٩٠١ (٢٩ يوليو سنة ١٤٩٦) . ويؤثر عنه أنه كان كثير التنقل بين أنحاء مملكته ، فشيّد كثيراً من المساجد والمدارس والمباني والقلاع ، من ذلك قلعته بالاسكندرية التى تحمل اسمه حتى اليوم ، وتربته التى نحن بصددّها

وهذه التربة هى فى الواقع مجموعة نادرة من المباني بديعة التصميم ، متناسقة المبنى ، لذلك يؤمها السائحون لاستجلاء بهجتها ، والاستمتاع بجمال زخارفها ، وتوجد بمقابر المماليك التى سميت خطأ بمقابر الخلفاء . وهى تتكون من مدرسة وملحقاتها ، وتربة ، وسبيل ، وكتّاب ، بدىء فى انشائها سنة ٨٧٧ هـ (١٤٧٢ م) . وتم بناؤها فى رجب سنة ٨٧٩ (نوفمبر سنة ١٤٧٤)

ومدخل هذه المجموعة موجود بالواجهة البحرية ، وقد حُلّى عتبه ومزّره بالرخام الملون والكتابات ، تغطيه مقرنصات منقوشة ، وطاقية ملبسة بالحجرين الأبيض والأحمر (١) . ومركب على المدخل باب مغشى بالنحاس فى الأركان والوسط . وعلى يسار المدخل سبيل يعلوه كتّاب . وعلى يمينه تقوم مئذنة رشيقة ، تعتبر من أجمل المآذن بالقاهرة . كما تعتبر القبة الموجودة فى نهاية الواجهة الشرقية من الجهة القبليّة من أجمل القباب أيضاً ، اذ أنها مغطاة بزخارف هندسية مزهرة بديعة

والصحن مغطى بسقف ذى (شخشيخة) جميلة ، ويحيط به أربعة أواوين ، البحرى والقبلى صغيران ، وهما متقابلان ، والشرقى أكبر منهما ،

(١) تاريخ المساجد الاثرية للاستاذ حسن عبدالوهاب ج ١ ص ٢٥١

ويتوسط جدران الشرقى محراب يجاوره منبر من الخشب المطعم بالسن
المدقوق أمة

وبهذا الايوان وباقي المسجد مجموعة كبيرة من الأسقف والشبابيك
الجصية ، غاية في الجمال ودقة الصناعة. وأرضية كل من الأواوين والصحن
والقبة ووزرة القبة مغطاة بنفسيفساء الرخام الدقيقة (١)

وتقع التربة قبلى الايوان الشرقى مباشرة ، ويتوصل اليها من باب شرقى
الباب القبلى . ويجرى داخل القبة وخارجها زخارف بديعة . ويوجد بها
كرسى للمصحف الشريف بلغ منتهى الدقة فى زخارفه . وقد دفن بهذه
القبة قايتباى وابنه

مسجد (مدرسة الغورى) :

تولى الملك الأشرف قانصوه الغورى فى شوال سنة ٩٠٦ هـ (ابريل
سنة ١٥٠١). وهو مملوك چركسى ، خدم قايتباى كغلام وتابع له . وقبل
أن يصير « رئيسا لعشرة » كانت سنه تزيد على الأربعين ، وبعد ذلك
رقى بسرعة الى قيادة « طرسوس » و « حلب » و « ملطية » . ثم صار
« أميرا لألف » ، ثم كبير الأمناء ، ثم رئيس الوزراء . وقد رفض العرش فى
أول الأمر ، ولكن الأمراء ألحوا عليه بقبوله ، بعد أن أقسموا له على
الاخلاص فى خدمته ، فقبله أخيرا ، وكانت سنه اذ ذاك ستين عاما

ولما استتب له الأمر ، أولى أعمال الاصلاح كل عنايته ، ولكنه اشتط
فى جمع الضرائب ، فلم يفلت منها انسان أقلته أرض مصر ، بل انها تعدت
الأحياء الى الأموات ، مما أثار ثائرة الناس ضده . وقد كان بلاطه مضرب
الأمثال فى عيشة البذخ والترف التى كان يحياها على حساب الفقراء
والمساكين ودافعى الضرائب البؤساء (٢)

(١) دليل موجز لاشهر الآثار العربية بالقاهرة لمحمود احمد ص ١٦٤
(٢) تاريخ دولة المماليك فى مصر تأليف وليم موير وترجمة محمود عابدين وسليم حسن ص
١٦٦ - ١٦٧

وقد ابتليت مصر في أواخر عهده بحادثين عظيمين : أولهما كشف طريق رأس الرجاء الصالح ، وتحول التجارة الشرقية عن مصر والشام اليه (١) ، فكان ذلك ضربة قاصمة أصابت الاقتصاد المصرى ، وأثرت أبلغ الأثر فى رخاء مصر و ثرائها ، اللذين كانت تستمدهما من الضرائب التى كانت تجبى على تلك التجارة عند دخولها مصر وخروجها منها . أما الحادث الثانى فهو غزو العثمانيين لمصر ، واستيلاؤهم عليها ، فقضوا بذلك قضاء مبرما على دولة المماليك

ويوجد مسجد الغورى بشارع الغورية ، فى مواجهة منشآت الغورى الأخرى ، وهى « المدفن والخانقاه والمكتب والمقعد » ، ويفصل بينهما شارع الغورية . وكان انشاؤه عام ٩٠٩ - ٩١٠ هـ (١٥٠٣ - ١٥٠٤ م) ويتألف من صحن ، يحيط به أربعة أواوين ، أكبرها الايوان الشرقى ، يغطيها جميعا سقف ذو نقوش مموهة بالذهب . وللصحن منور مستطيل ، محاط بدرابزين من الخشب المخروط الجميل ، على قاعدة مقرنصة بديعة . وليس لهذا المنور مثل . وأرضية الصحن والأواوين مغطاة بالرخام ، المختلف الألوان، البديع الصنع ، كما يكسو الجدران وزرات من الرخام ، الملون البديع

ومدخل هذه المدرسة فى الواجهة الشرقية ، ويقابل مدخل التربة والخانقاه ، الموجود على الضفة المقابلة من شارع الغورية . والمدخلان متماثلان فى الارتفاع ، فى كثير من التفاصيل والزخارف ، ويمتازان عن غيرهما بارتفاع شكل الشرافات، وبأن الكسوة الرخامية ، التى تعلو فتحات الشبايك مكونة من حطتين مزررتين تزريرا دقيقا ، بدلا من حطة واحدة فى غيرها (٢)

(١) الواقع ان كشف طريق رأس الرجاء الصالح حدث فى عهد قايتباى سنة ١٤٩٨ م ، وانما ظهر أثر هذا الكشف فى عصر الغورى (١٥٠١ - ١٥١٦ م) اذ حطم البرتغاليون السفن المصرية فى البحر الاحمر والمحيط الهندى واستولوا على ما بها من بضائع
(٢) دليل موجز لمحمود احمد ص ١٨٢ - ١٨٥

ومما هو جدير بالذكر أن السلطان الغورى قتل تحت سنابك الخيل في الموقعة التي حدثت بينه وبين السلطان سليم الأول العثماني، في مرج دابق بالشام سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) ، ولم يعثر لجثته على أثر . لذلك لم يدفن بتربته المقابلة لهذا المسجد

— ٥ —

الحياة الاجتماعية بالقاهرة في عصر المماليك

عرفنا أن المماليك كانوا من عناصر تركية وشركسية ورومية ومغولية ، بيعوا في أسواق الرقيق ، وجلبوا الى مصر حيث استخدمهم الأيوبيون ، فكانوا مادة جيوشهم . وكان منهم كبار موظفيهم ، ورؤساء دولتهم . ولم يكن عسيرا عليهم بعد ذلك أن يقفروا الى عرش مصر ، ويستولوا على مقاليد الحكم

وكان هؤلاء المماليك يدرّبون منذ حداثة سنهم على فنون الحرب والقتال ، وأساليب الصيد والفروسية ، وركوب الخيل ، وسائر أنواع الرياضة . وكانوا يتعلّمون بالاضافة الى ذلك اللغة العربية والقرآن والدين . وقد نبغ كثير منهم في الفقه والأدب ، ونظم الشعر والعزف على الآلات الموسيقية . ومع ذلك فقد وجد من بين هؤلاء المماليك من كان أميًا ، لا يعرف القراءة أو الكتابة ، بل يجهل العربية تمام الجهل

ومع أن هؤلاء المماليك كانوا في الأصل أرقاء ، بيعوا في أسواق النخاسة ، فيتشرفون بالانتساب الى أسيادهم الذين اشتروهم ، أوالتجار الذين باعوههم، فيلقب الواحد منهم بالصالحى نسبة الى الصالح نجم الدين أيوب ، والمؤيدى نسبة الى المؤيد شيخ الممودى ، والناصرى نسبة الى الناصر محمد بن قلاوون ، والأشرفى والعلائى وهكذا ، ويلقب بعضهم بالألفى لأنه اشترى بألف دينار ، مع كل ذلك فقد كانوا يتعالون على

المصريين، ويشمخون بأنوفهم ، فلا يخالطونهم، أو يتزوجون منهم . ويرجع ذلك دون شك الى مركب النقص الذى كان يملكهم ، والى سعيهم لاستكمال هذا النقص عن طريق الكبرياء والغلظة

وكان المجتمع المصرى بناء على ذلك منقسما الى طبقتين رئيسيتين : طبقة الحكام والأسياد ، أصحاب الحول والطول ، الذين كانوا بالأمس أرقاء بيعوا فى أسواق الرقيق والنخاسة ، وطبقة الشعب بفلاحيتها وزراعتها فى الريف وطوائف عمالها وتجارها فى كبريات المدن وخصوصا فى مصر والقاهرة ، الذين انقلبوا عبيدا ، يستغلهم المماليك لمصلحتهم ورفاهيتهم ، ويسومونهم الخسف وسوء العذاب . ويتزودون أموالهم ، ويمتصون دماءهم، ليعيشوا عيشة البذخ والنعيم

وكان أغلب هؤلاء المماليك غلاظ الأكباد ، شديدى المراس ، أهل مكر وخداع ، يشوب أخلاقهم كثير من الصلف والكبرياء ، لا يقيمون للمبادئ والمثل العليا أى وزن . ديندثهم الدس والوقية ، وقانونهم الذى يؤمنون به « الحق للقوة » . لذلك لم يكن غريبا أن ينقلب أحدهم على سيّده ، ويقب له ظهر المجن ، ويكيد له ، ويدس له السم فى الدسم ، أو يقتله شر قتلة ، ويسبى نساءه ، ويغتصب أمواله وكنوزه ، ويجلس على العرش مكانه

وقد كان من المناظر المألوفة لسكان القاهرة أن تنقلب شوارعها وأحيائها بين عشية وضحاها الى ميدان حرب ، بين أميرين وأنصارهما ، فتقف من المارة ، ويغلق التجار حوانيتهم ، خشية سلب ما بها من أموال وتجارة ، ويتملك الناس الخوف والفرع ، فيحتمون بأبواب الحارات والمساجد ، أو يقبعون فى بيوتهم الى أن تنجلي الغمة ، وتمر العاصفة ، وخيول الفريقين تروح وتغدو ، وتكر وتفر ، يطارد أحدهما الآخر ، والجثث والأشلاء تتناثر هنا وهناك ، والرماة يتحصنون بأسوار القلعة ، ويتحصن أعداؤهم بأسطح مسجد السلطان حسن المقابل لها ، يتراشقون

بالسهام والنبال . وما يزال سكان القاهرة نهبا للفرع والرعب عدة أيام ، حتى يزول الكرب بهزيمة أحد الفريقين ، وفراره الى الشام ، يجر أذيال الخيبة والفشل . فيعود الى المدينة عازب هذوئها ، وسابق سكونها ، ويرجع الناس الى مزاوله أعمالهم ونشاطهم

ويعجب الناس اليوم ، كيف تتفق هذه الشرور، التي كان يقتربها هؤلاء المماليك وما يقومون به من أعمال الخير والبر وفي مقدمتها بناء المساجد والتكايا والأضرحة والمدارس والكتاتيب وغيرها . اذ الواقع ان ما أنشأه المماليك من المساجد ودور العبادة قد فاق من حيث الكثرة والفخامة ما أنشئ في جميع العهود الاسلامية. ولكن الأمر لا يحتمل شيئا من العجب، اذا عرفنا ان هذه المساجد ودور العبادة انما كان ينشئها المماليك في كثير من الأحيان تكفيرا عن ذنوبهم ، وتقربا الى الله ، كيما يتجاوز عن سيئاتهم والأمثلة على ذلك كثيرة . ونكتفى بذكر المثل الآتي : فمعلوم أن الأمير حسام الدين لاجين اشترك في المؤامرة التي انتهت باغتيال الأشرف خليل. فلما خشي انتقام الأشرفية « مماليك الأشرف » ، اتخذ من جامع ابن طولون مخبأ له ، يتوارى فيه عن الأنظار ، وكان حينئذ خرابا لساكن فيه. ونذر الله ان هو سلم من هذه المحنة ، ومكّن له ، ليجددن عمارة هذا الجامع ، ويقفن عليه الأوقاف التي تفي بنفقاته ، وقد خرج من هذه المحنة سالما . ويرجع الفضل في ذلك الى الأمير زين الدين كتبغا المنصوري ، نائب السلطنة في ذلك الوقت ، والذي انتهى اليه الملك أخيرا ، وتلقب بالملك العادل . ولكن لاجين ، حائك المؤامرات ، ومدبر الفتن ، لم يحفظ هذه اليد لكتبغا ، ولم يذكر له هذا الفضل ، وتحركت عوامل الحسد والحقد في صدره ، فانقلب عليه ، وكاد يفتك به ، لولا أن فر كتبغا الى الشام ، فاغتصب لاجين الملك ، وصار سلطانا على مصر . فلما تم له ذلك ، وقى بنذره ، وجدد الجامع ، وما تزال آثار التجديد باقية الى اليوم وقليل من المماليك من لم تتلطح يداه بدماء الأبرياء ، ومع ذلك فقد

كانوا يتبارون في بناء المساجد والتكايا والأضرحة ، ويقومون بكثير من الخيرات والمبرات . غير أن هذه المبرات نفسها كانت تستخدم في انشائها كثير من أساليب الظلم والعسف ، فالأراضي تغتصب من أصحابها ، والضرائب يثقل بها كواهل الناس من أجلها ، والسخرة والتعذيب والجلد لا معدى عنها ولا مفر للشعب منها . فكيف يتفق ذلك مع أعمال البر والخير !!!

أما الشعب وكان أغلبه من الفلاحين ، الذين يكدون ويكدحون ، فلم يكن هناك من يهتم بأمره الاهتمام اللازم ، أو يعنى بشأنه . فقد كانت الأمراض تحصد أفرادهم حصدا ، لاسيما عندما ينخفض النيل ، وينتشر القحط ، ويعقب ذلك الوباء . هنالك تكون الطامة الكبرى ، التي يرزح تحتها الشعب عدة سنوات ، فتتقر الأرض من الزرع والنبات ، ويقل القوت ، ويفتك الجوع بالناس ، وتنهكهم الأمراض ، فينهك كيانهم ، وتخور قواهم ، ولا يعودون الى سابق نشاطهم وقوتهم الا بعد فوات سنوات عدة

ومن أعجب ما يذكر في هذه المناسبة أن البلاد رزئت في عهد برسباى ، أحد المماليك الشراكسة بوباء من تلك الأوبئة التي كانت تتناوب بين آن وآخر ، فلم يجد الناس السكر ، وكان الدواء الوحيد الذي يتداوى به المرضى اذ ذاك . ذلك لأن برسباى كان قد احتكر صناعة السكر ، وحرّم زراعة القصب ، كي يستنزف من الأرباح أقصى ما يستطيع استنزافه . كما كان قد أصدر أمرا بمنع استيراد التوابل من الهند ، بما في ذلك الفلفل . وقبل أن ترتفع أثمانها خزن لنفسه كميات كبيرة منها ، ثم باعها لرعاياه بأثمان فاحشة ، فجنى من وراء ذلك أرباحا باهظة . وقد نقص عدد القرى في عهد برسباى بسبب هذا الوباء من عشرة آلاف قرية الى ألفين ومائة وسبعين قرية ، وذهب ضحية هذا الوباء مائتا ألف نفس ، في مدى ثلاثة شهور ، في القاهرة وحدها

والممالك كغيرهم من العناصر الأجنبية التي حكمت مصر ، لم يكن يهمهم من أمرها ، أو من أمر أهلها شيء بقدر اهتمامهم بانتجاع خيرها ، والاستيلاء على ثروتها . حقيقة أنه وجد من بين الممالك سلاطين أولوا البلاد عناية طيبة ، ونصبوا ميزان العدل ، وعملوا على اسعاد العباد ، ولكنهم كانوا قلة اذا قيسوا بمجموع الممالك الذين حكموا مصر قرنين وثلاثة أرباع القرن ، وقد بلغ عددهم ثمانية وأربعين سلطانا ، والذين كانوا يرتعون في بحبوحة العز ، بينما كان الشعب يرسف في أغلال الجوع والمرض والفقر

كان الممالك ينعنون بأشخاصهم وأسرههم وأتباعهم وغلمانهم: يلبسون من الملابس أفخرها ، ويأكلون من الأطعمة أطيبها ، ويسكنون القصور الفخمة ، ذات القاعات البديعة النقوش ، الوثيرة الفراش ، الفسيحة الرحبات ، العالية الأشجار ، الغالية الرياش . وتزين أفنيتهما نافورات صنعت من الفسيفساء الرخامية ، الدقيقة الصنع . ويقتنون التحف الغالية، ويركبون الجياد المطهمة ، ويعيشون عيشة البذخ والنعيم ، ويحتفظون في دورهم بالعدد الوفير من الممالك. فكان لكل أمير رجاله وغلمانه ، يعتد بهم ، ويعتمد عليهم في ادراك مآربه ، ويرهب بهم عدوه ، ويستعين بهم على الوثوب الى العرش اذا مالاحت بادرة أمل فيه

ومن أمثلة حياة البذخ التي كان يحياها الممالك ما روى عن الناصر محمد بن قلاوون من أنه في أثناء عودته الى مقر ملكه في القلعة بالقاهرة ، بعد رحلة قصيرة ، كانت تفرش الأرض تحت قدميه بالبسط والمنسوجات الغالية لمساحة تبلغ أربعة آلاف ذراع . وفي طريقه الى الحج كانت مائدته تزود في جوف الصحراء بالحضر الطازجة من حديقة متنقلة ، يحملها أربعون جملا . وفي عرس ابنه استنفد ثمانية آلاف قمع من السكر . وذبحت عشرون ألف رأس من الماشية . وأشعلت في القصر الملكي ثلاث آلاف شمعة. وكان له اسطبل خيل عظيم . وما كان يتردد في أن يدفع ثلاثة آلاف دينار ثمنا

لحصان واحد اذا أعجبه . وبلغ من بذخ برقوق أنه أنشأ بين دمشق والقاهرة محطات لتسهيل نقل الثلج من الشام الى مصر على ظهور الجمال

وكانت القلعة محل اقامة السلطان ، وبها دواوينه وقصره وما يتبعه من أبنية وادارات . ومن أهم الدواوين ديوان الأعباس ويشبه وزارة الأوقاف، وديوان النظر ويشبه وزارة المالية ، وديوان الخاص ، وديوان الانشاء ، وديوان الاهراء « شون الغلال السلطانية » وديوان الطواحين « طواحين الغلال » وديوان المرتجعات « ديوان التركات » . ومن أهم ملحقات قصر السلطان بالقلعة الحوائج خاناه « أو خزانة الفراش » والطبلخانة « أو خزانة الأبواق والطبول » والركاب خاناه « أو الاسطبلات السلطانية » وقد كان البلاط السلطاني في عهد المماليك مليئا بكبار الموظفين :

كالخاج ، ووظيفته ادخال الناس على السلطان، والأسنادار، وكان يتولى ادارة البيوت السلطانية ، والداوادار ، وكان يبلغ السلطان الرسائل ، ويقدم اليه المنشورات للتوقيع عليها ، ورأس نوبة الأمراء ، وكان يتولى الرياسة على أمراء الدولة ومحاكمة المماليك السلطانية . وأمير المجلس ، وكانت مهمته حراسة السلطان داخل قصره ، وأمير السلاح ، وكان يتولى الاشراف على مخازن الأسلحة ، وأمير اخور ، وكان يشرف على الخيل ، وساقى خاص ، وهو حامل كأس السلطان ، وكان كل هؤلاء الموظفين من الأمراء والمماليك ، وليس من بينهم مصرى واحد ، كما كان لأغلب هؤلاء الأمراء أشعرة أو رنوك « مفرد لها رنك » ، ما زال كثير منها يرى على التحف الخزفية والزجاجية بالمتحف الاسلامى بالقاهرة

وكان المماليك يرتدون المنسوجات الهندية الرفيعة ، وفوقها القفاطين الحريرية المطرزة ، ثم الجيب ذات الفراء الغالية ، والسراويل الواسعة من الجوخ ، والأخفاف «الأحذية» المصنوعة من أجود أنواع الجلد البلغارى، ويتمنطقون بالأحزمة الحريرية ، يثبتون فيها الأسلحة المرصعة بالياقوت

والزمرد ، ويضعون على رؤوسهم عمامات من النسيج الرفيع « الشاش » ،
أو طواقى مزركشة مختلفة الألوان . وكانوا يعتطون الخيول العربية الكريمة
المطهمة ، وسروجها من القטיפه أو الجوخ ، المزركشة بالفضة والذهب
والأحجار الكريمة

وكانوا يمارسون أنواعا كثيرة من الألعاب الرياضية : كرمى الشباب ،
وقذف الرمح ، ولعب الأكرة « لعب الكرة بالمضارب من على ظهور الخيل
وهى اللعبة المعروفة اليوم باسم البولو » ، والقنص ، والصيد ، خصوصا
صيد الطيور الجارحة . وأنشأوا لهذا الغرض الساحات الواسعة والميادين
الكبيرة . فيخرج اليها السلطان فى جموع الأمراء ، وكبار رجال الدولة ،
فينصب وسط الساحة القبق « الهدف » ، وهو قطعة عالية من الخشب ،
تنصب فى برج من الأرض ، مرسوم فى أعلاها دائرة (١) ، فيصطف
المتبارون بقسيّهم ، ويصوبون سهامهم الى مركز الدائرة . فمن أصاب منهم
الهدف ، خلع السلطان عليه خلة نفيسة

ومن الميادين التى أنشأها السلاطين للعب الكرة « الميدان الصالحى »
بأراضى اللوق . أنشأه الصالح نجم الدين أيوب ، وصار يركب اليه ،
ويلعب فيه بالكرة ، وما برح هذا الميدان تلعب فيه الملوك بالكرة من بعد
الملك الصالح الى أن انحسر ماء النيل من تجاهه ، وبعد عنه . وكان انشاء
هذا الميدان سببا فى بناء قنطرة الحرق على الخليج الكبير ليجتازها السلطان
عند ذهابه الى الميدان ، وكان موضعها موردة سقائى القاهرة. وقد حُرّف
العامة هذا الاسم فصار يطلق على ذلك الموضع باب الخلق « وهو الذى
يعرف اليوم بميدان أحمد ماهر » (٢) . وأنشأ الملك الظاهر بيبرس «الميدان
الظاهرى» بطرف أراضى اللوق ، وما زال يلعب فيه بالكرة هو ومن أتى

(١) المقرئى الخطط ج ٢ ص ١١١

(٢) وقد شيد الصالح نجم الدين أيوب قنطرة أخرى على الخليج الكبير كانت تعرف بقنطرة
السد ، وكان المرور عليها من شارع مصر القديمة الى شارع قصر المعينى ، وموضعها اليوم تقطة
تقابل شارع مدرسة الطب بشارع الخليج

بعده من ملوك مصر حتى سنة أربع عشرة وسبعمائة . وأنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون « ميدان سرياقوس » شرقى ناحية سرياقوس ، بالقرب من الخانقاه . واستمر يتوجه اليه فى كل سنة ، ويقيم به الأيام ، ويلعب فيه بالكرة الى أن توفى، فعمل ذلك أولاده الذين ملكوا من بعده ، كذلك أنشأ الناصر أيضا « الميدان الناصرى » من جملة أراضى بستان الحشاب ، فيما بين مدينة مصر والقاهرة . أنشأه للعب الكرة ، وكان ركوبه الى هذا الميدان دائما يوم السبت (١)

وكان سلاطين المماليك يميلون الى اللهو والمرح ، ويعقدون مجالس الشراب ، ويقىمون الحفلات الكبيرة ، حيث تمد أسمطة الطعام ، ويكثرون من المواكب الرسمية فى شتى المناسبات ، كالخروج لصلاة الجمعة ، أو صلاة العيدين ، والاحتفال بجبر الخليج ، أو الخروج للعب الكرة أو الصيد . كما كان الأغنياء والأمراء يخرجون الى خارج القاهرة ، ليقضوا عطلة آخر الأسبوع ، للاستمتاع بالصيد أو السمر أو الطعام أو الشراب أو مشاهدة «خيال الظل» أو « طيف الخيال » ، الذى كان معروفا لديهم ، اذ يرجح انه نقل الى مصر من الشرق الأقصى ، وكانوا واسطة فى نقله الى الغرب ، حيث يرجح الكثيرون أنه الأصل الذى اشتقت منه السينما الحديثة (٢)

ومهما يكن من أمر ، فقد عاشت مصر طوال حكم المماليك عزيزة الجانب ، موفورة الحرية ، بفضل شجاعتهم وقوة بأسهم . واليهم يرجع الفضل فى صد المغول عن مصر وعن العالم الاسلامى ، والقضاء على فلول الصليبيين ، فلم تقم لهم من بعد ذلك قائمة . وهم الذين أبقوا على الخلافة الاسلامية ، بعد أن خرب التتار بغداد سنة ٥٦٦ هـ (١٢٥٨ م) ، فنقلوها الى القاهرة ، فصارت مصر قلب العالم الاسلامى النابض ، وقبله المسلمين

(١) المقريزى : الخطط ج ٣ ص ٣٢٠ - ٣٢٦

(٢) تاريخ العرب لفيليب حتى ترجمة المرحوم مبروك نافع ص ٨٩٤

من مشارق الأرض ومغاربها . وصارت القاهرة محط رحال التجار والعلماء والرحالة من كل حدب وصوب . وظلت مركز الخلافة الإسلامية الى أن انتزعها منها سليم الأول العثماني عند غزوه مصر سنة ١٥١٧ م

الحالة الاقتصادية

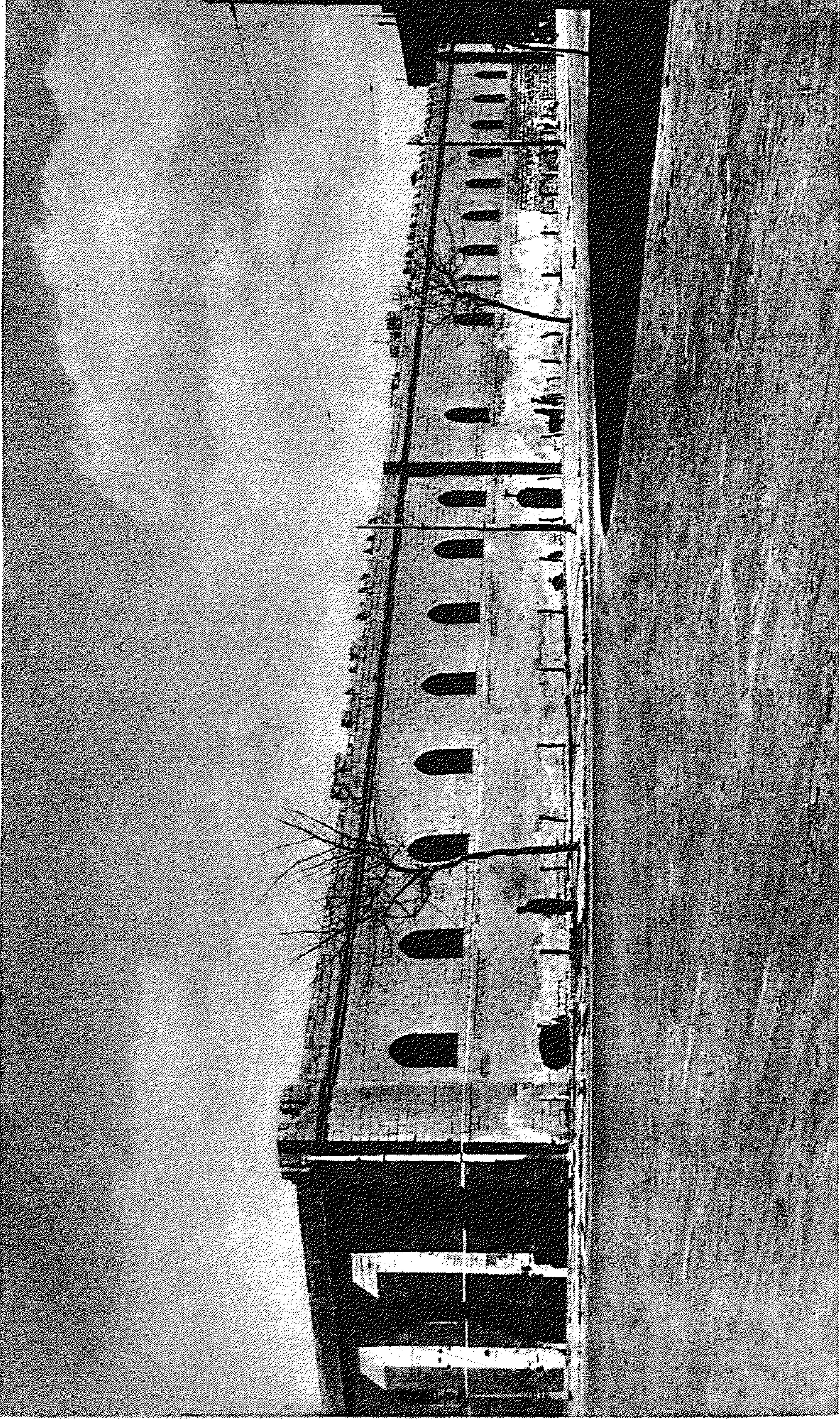
الزراعة :

كانت الزراعة مصدر الثروة الرئيسى فى عهد المماليك ، وكانت الأرض تنبت جميع المحاصيل المعروفة اليوم ، من حبوب وبذور وخضر وفاكهة وأزهار . ومما كان يعوق تقدم الزراعة وازدهارها كثرة الضرائب التى كان المماليك يثقلون بها كاهل الفلاحين والتجار ، واستعمال القسوة والتعذيب فى جبايتها ، لذلك كان الفلاحون يمتنعون أحيانا عن عرض محاصيلهم فى الأسواق ، ويخفى التجار متاجرهم فى الحواصل والمخازن ، فرارا من قسوة الجباة وظلمهم ، والحاح السلاطين فى جمع أكثر ما يمكن جمعه من الأموال ، لكى يحصلوا على المال اللازم لحملاتهم الحربية ونفقات بلاطهم ، وحفلاتهم ومواكبهم ومبانيهم العظيمة . ومن هذه الضرائب : ضريبة الأرض أو الخراج ، وزكاة الدولة ، والجوالى ، ومقرر جباية الدينار ، والمكوس ، والرسوم الجمركية ، وموارد الديوان الخاص ، وضريبة التراكات ، وما يتحصل من دار ضرب النقود بالقاهرة ، وما كان يجبى عند وفاء النيل (١)

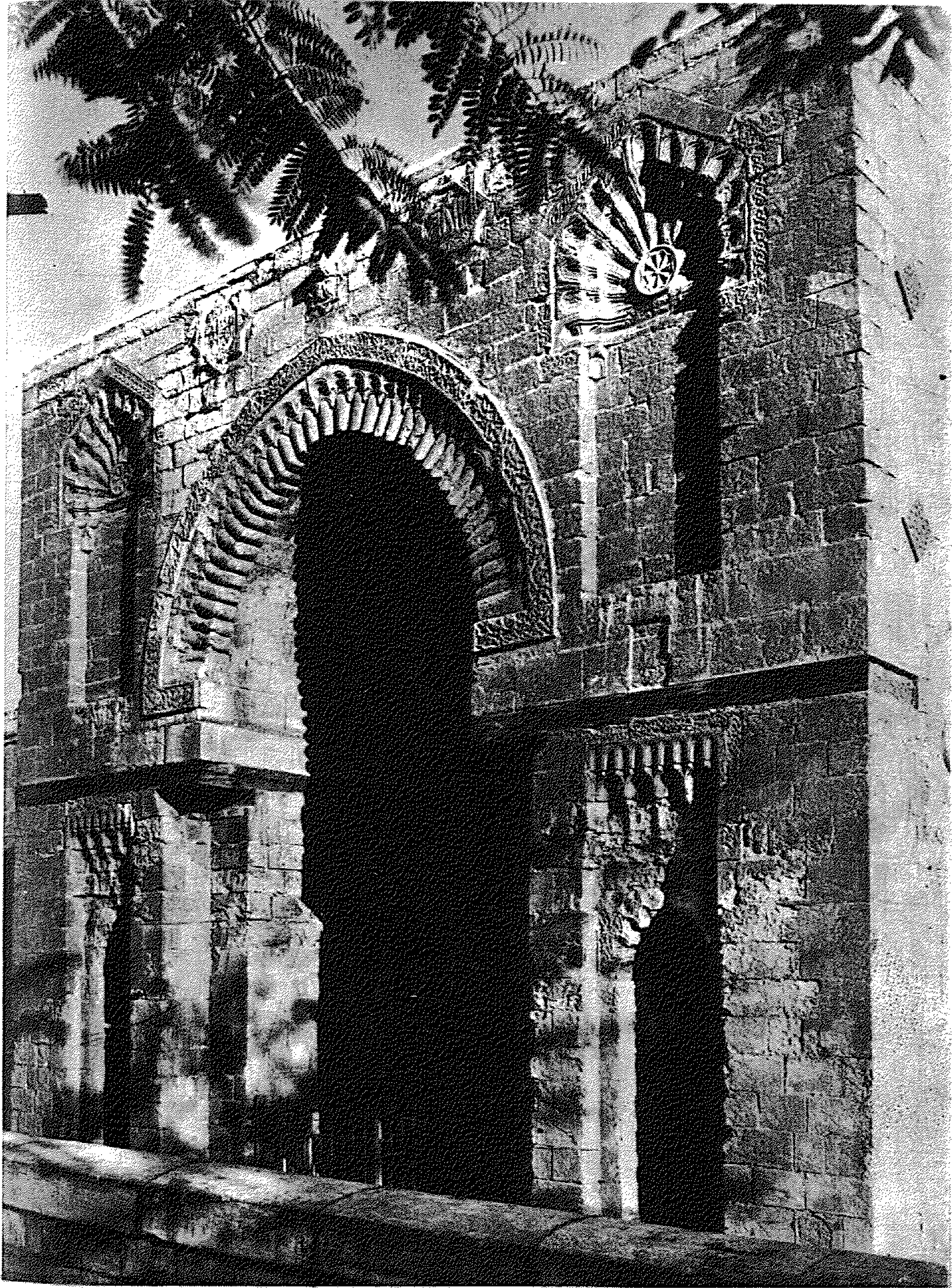
الصناعة :

وازدهرت فى عهد المماليك كثير من الصناعات أيمًا ازدهار ، وبلغت درجة عظيمة من التقدم والرقى . ولقد تركزت معظم هذه الصناعات فى مدينتى مصر والقاهرة . وأحرز الصناع مهارة تستحق الإعجاب . وإنما

(١) مصر فى العصور الوسطى للدكتور على إبراهيم حسن ص ٤٩٥ - ٤٩٧



الواجهة الشرقية بمسجد الظاهر بيبرس وهي مشيدة من الحجر المنحوت ، وتشاهد الشيايك ذات العقود المدببة ، وبقياسا الشرافات المسننة على الجدران ، ويظهر جزء من الواجهة القبليّة والاكتاف المشطوفة التي بنيت لتقوية الجدران ...

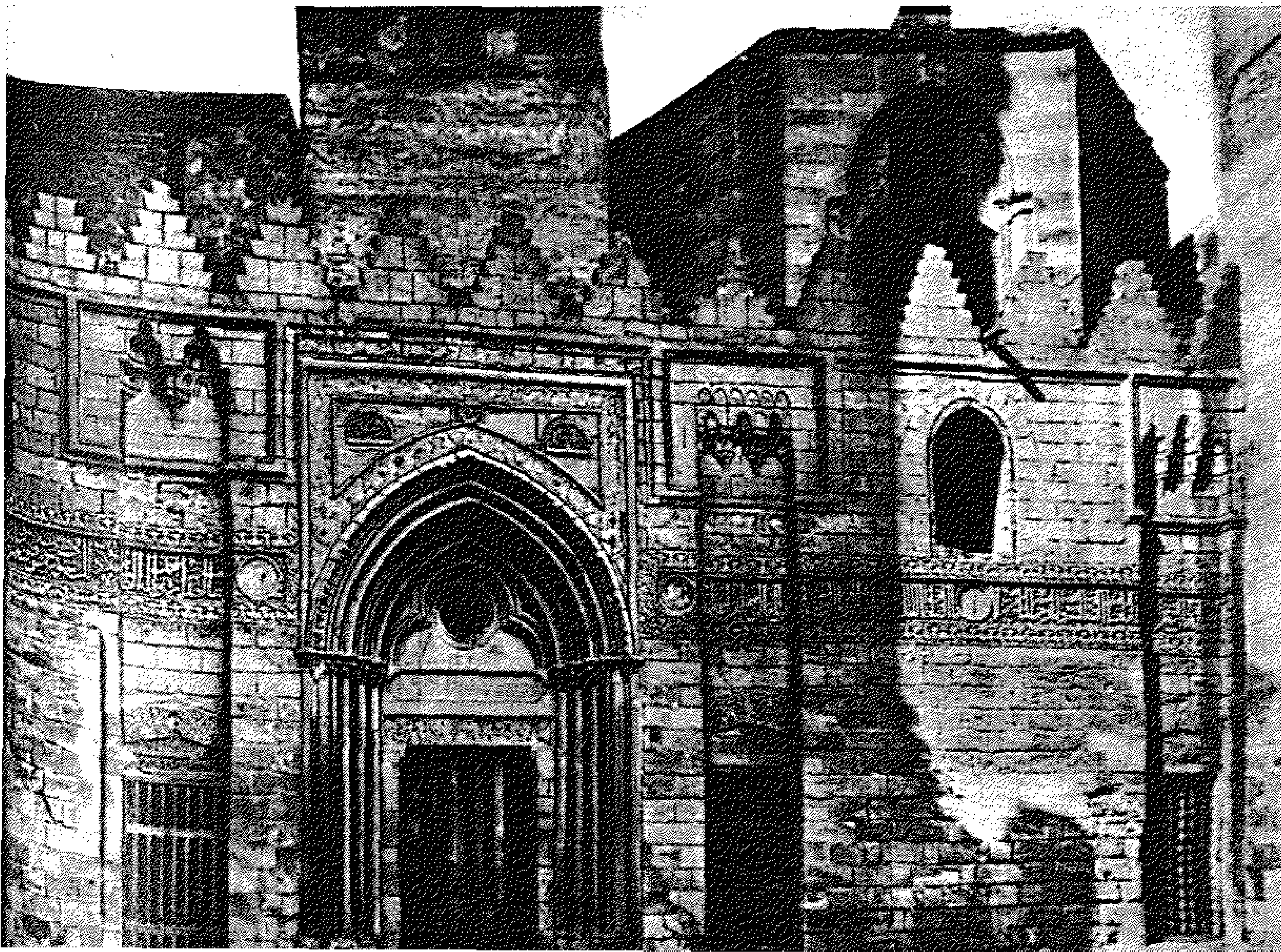
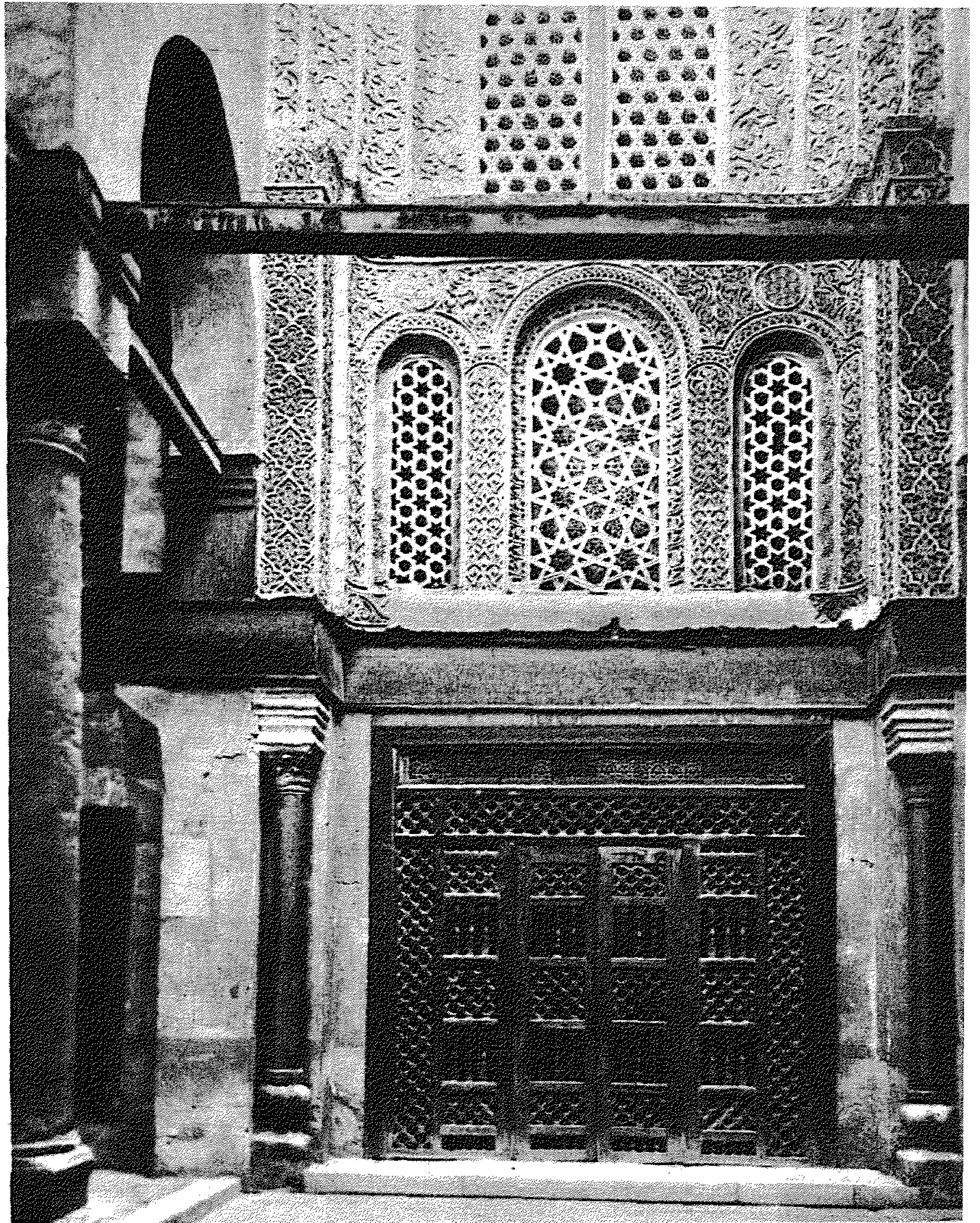


مدخل من المداخل الثلاثة المارّة بمسجد الظاهر ببغرس
تلاحظ فيه التجاويف ذات المقرنصات الزخرفية

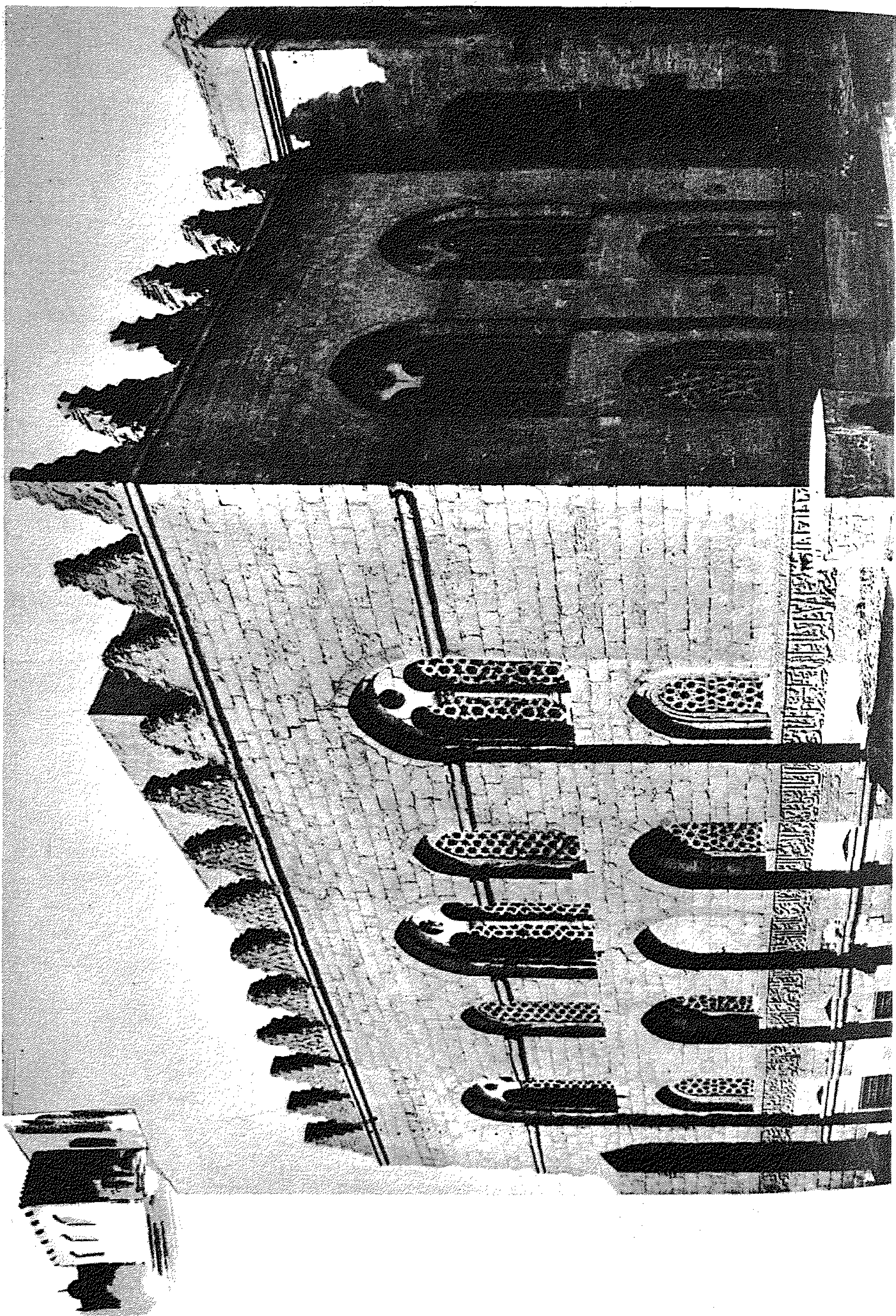


مدرسة وقبة وبیمارستان قلاوون بالبحاسین

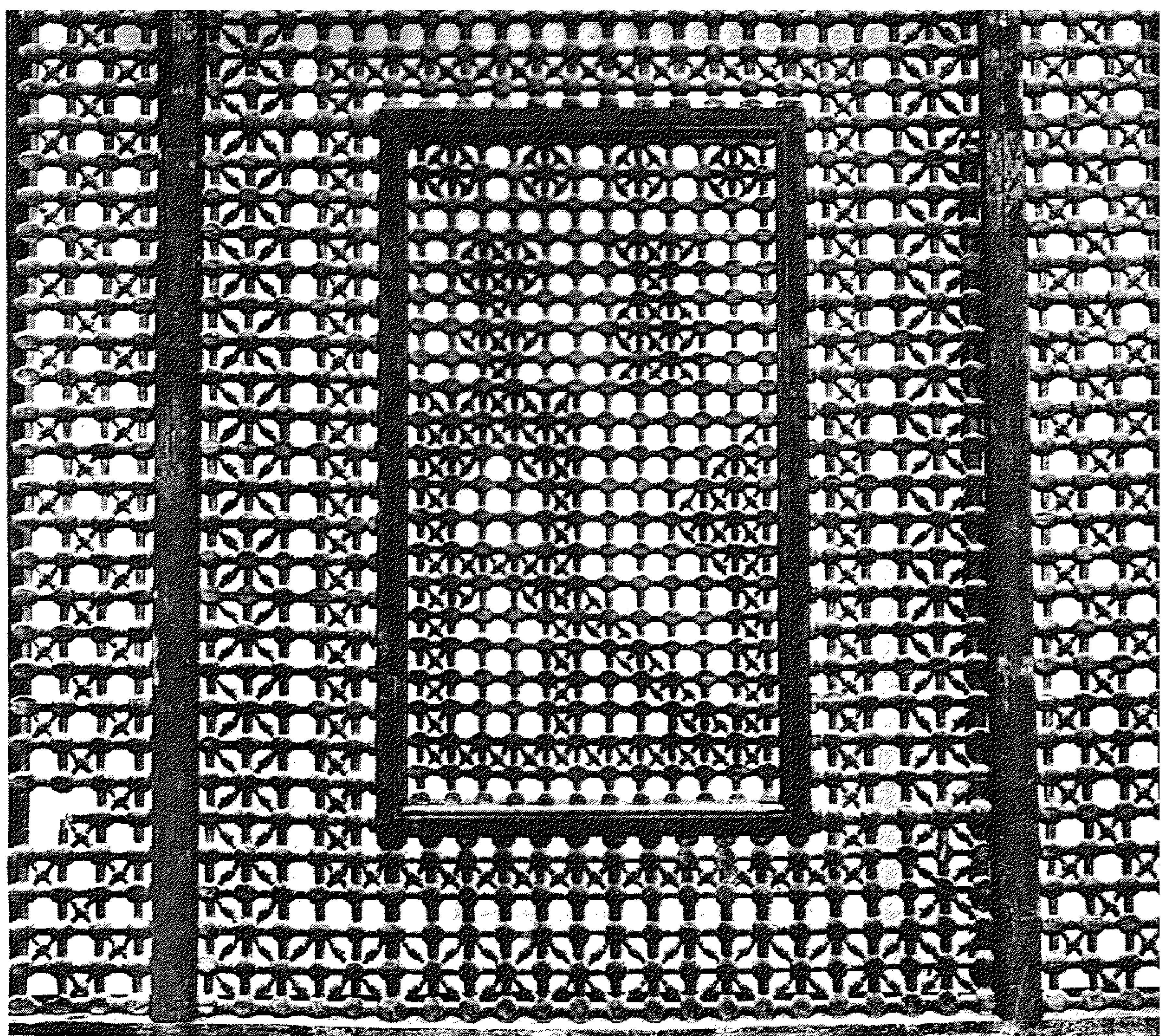
داخل قبة قلاوون
حيث ترى النوافذ
ذات الزخارف
الجزئية الهندسية
المغطاة بقطع من
الزجاج الملون،
ونماذج من الزخارف
النباتية الجميلة



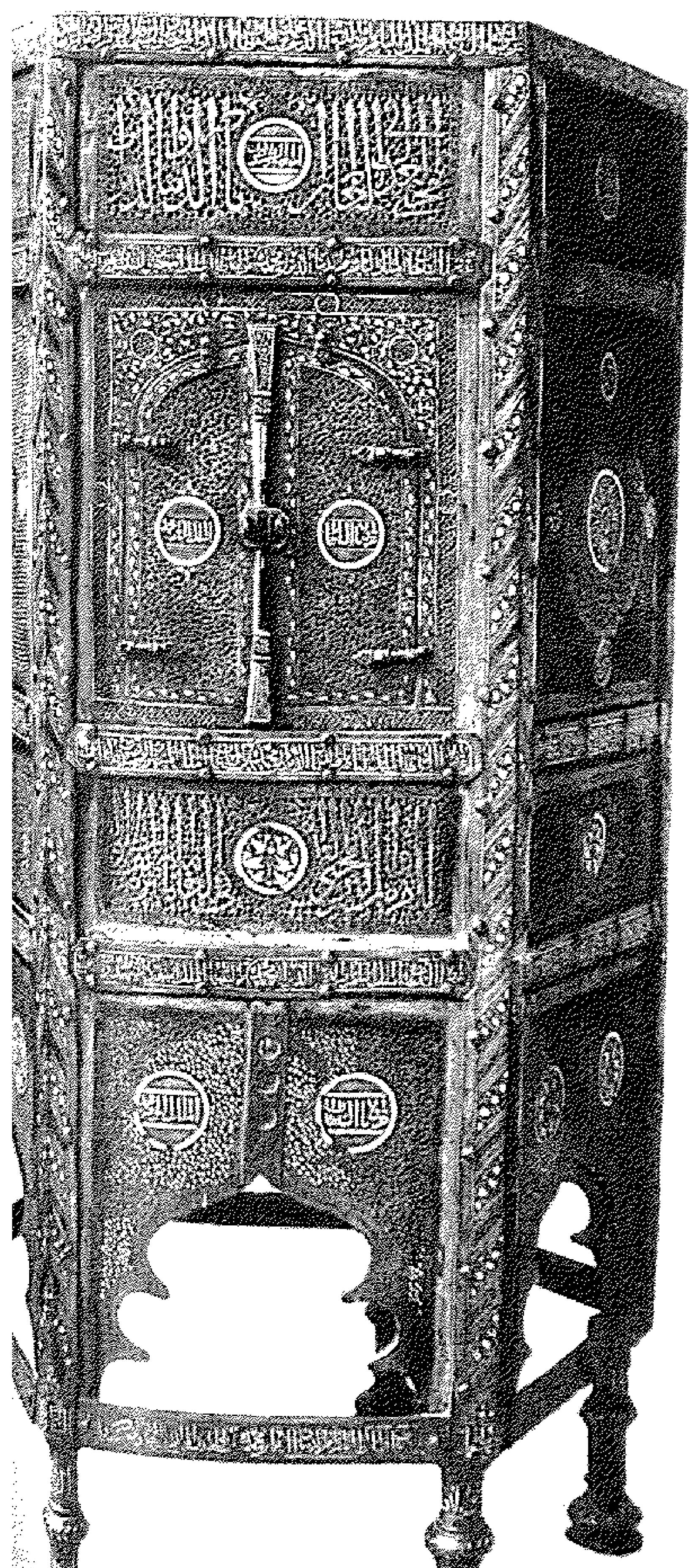
مدرسة الناصر
محمد بن قلاوون.
وترى الواجهة،
وهي مزينة
بالزخارف
والكتابات الكثيرة،
والمئذنة القائمة على
الباب الرخامي ..



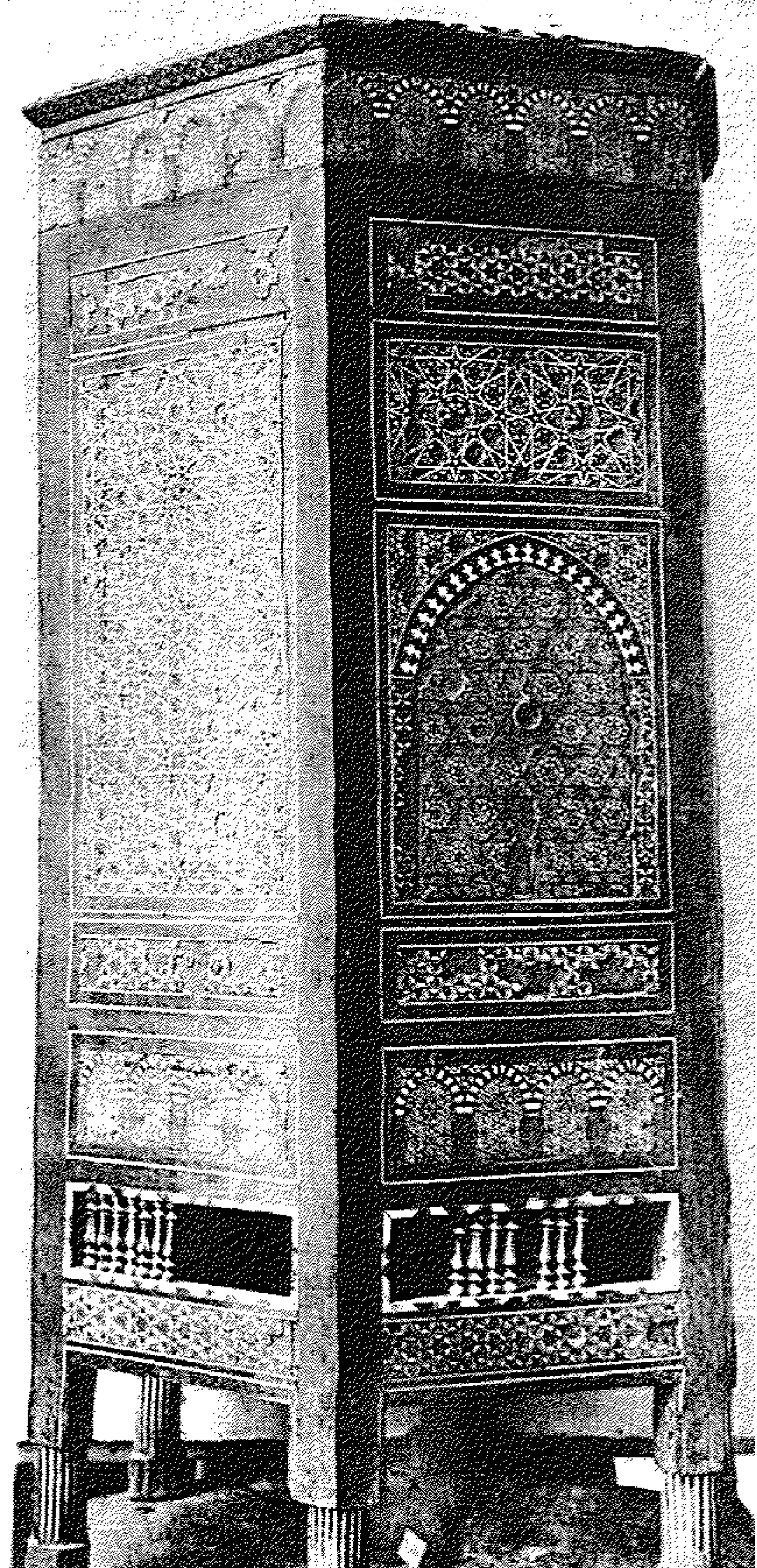
جائز من خشب محرق
(مشرقية) يرى فيه ر
منبر ومشكاة ، محفوظ
بالمتحف الاسلامى بالقاه

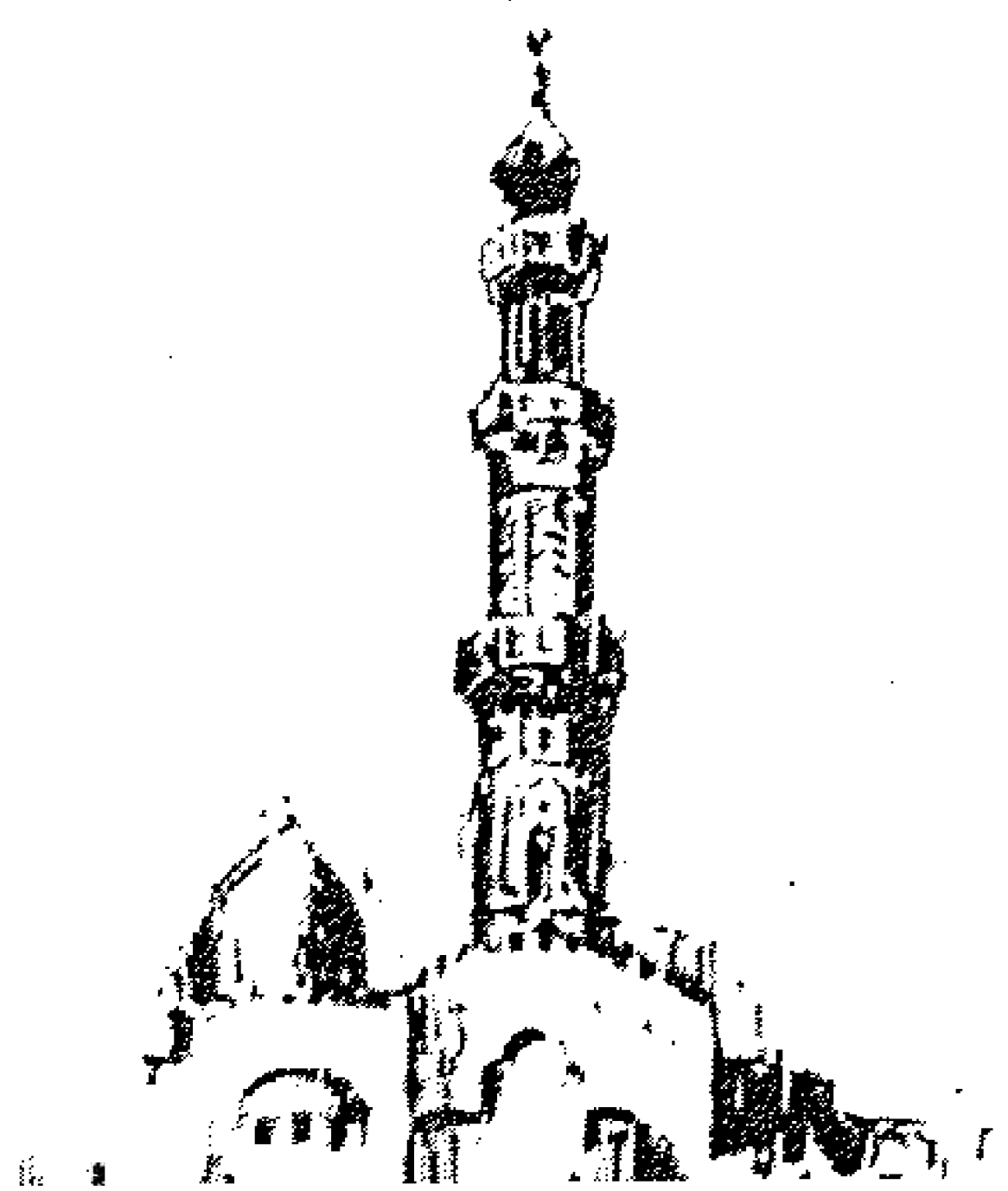
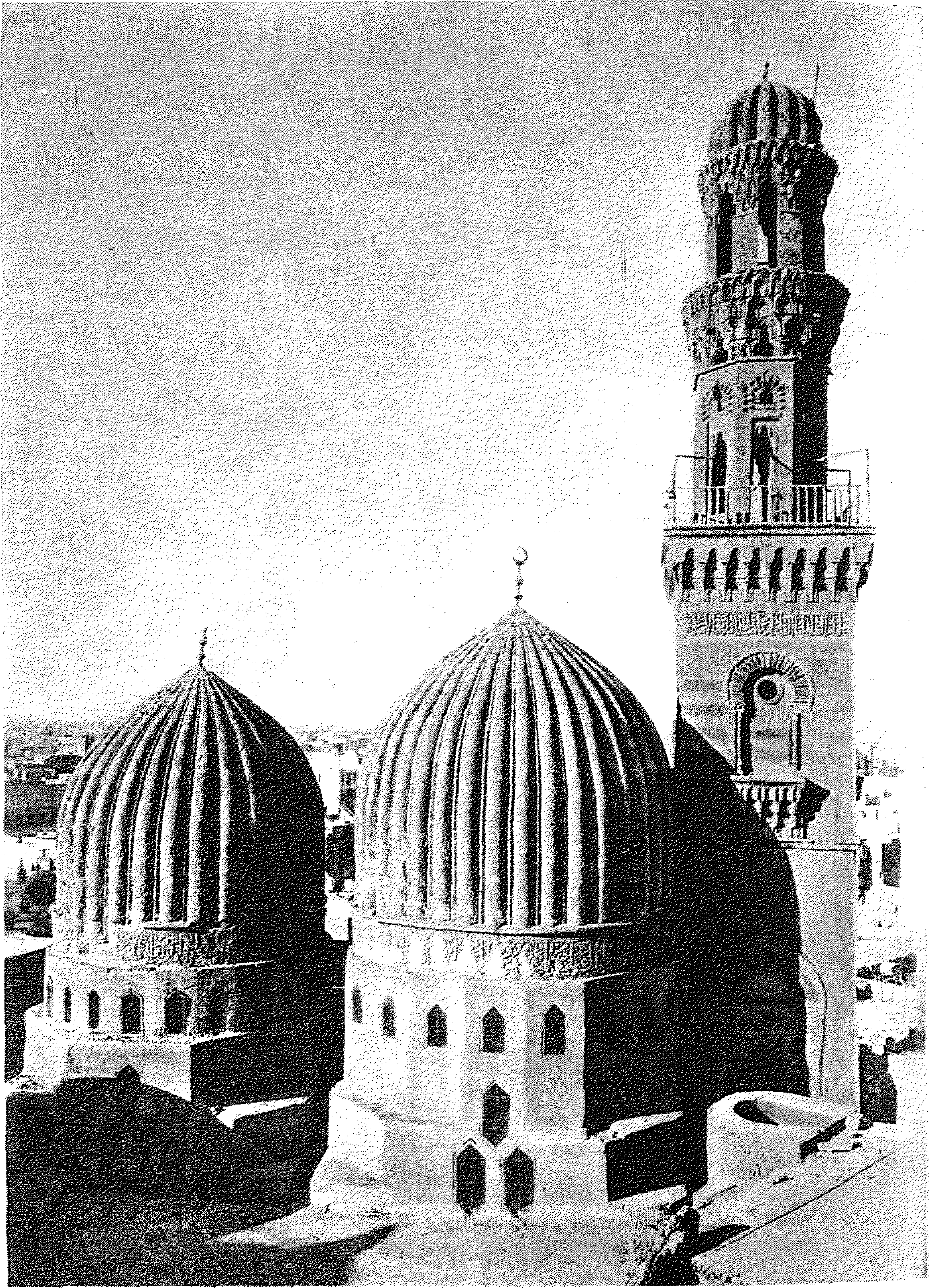


كرسى من نحاس مز
مكت بالذهب والفض
عليه كتابة برسم السل
محمد بن قلاوون محفوظ
بالمتحف الاسلامى بالقاه

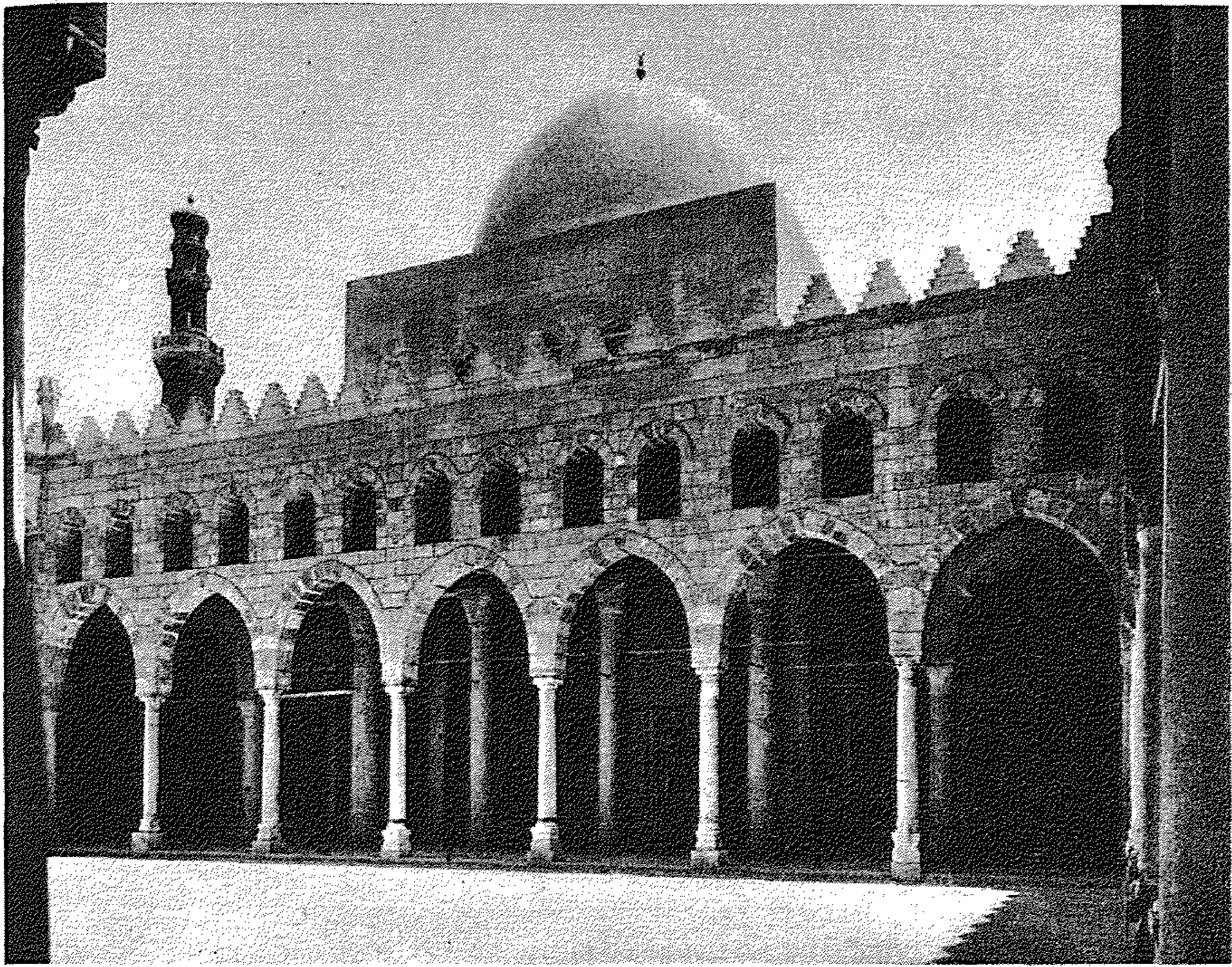


كرسى من خشب
(منضدة) مكسوة
بطبقة من
الفسيفساء من
جامع السلطان
شعبان الثانى ٧٧٠ هـ
(١٣٦٩ م) محفوظ
بالمتحف الاسلامى
بالقاهرة

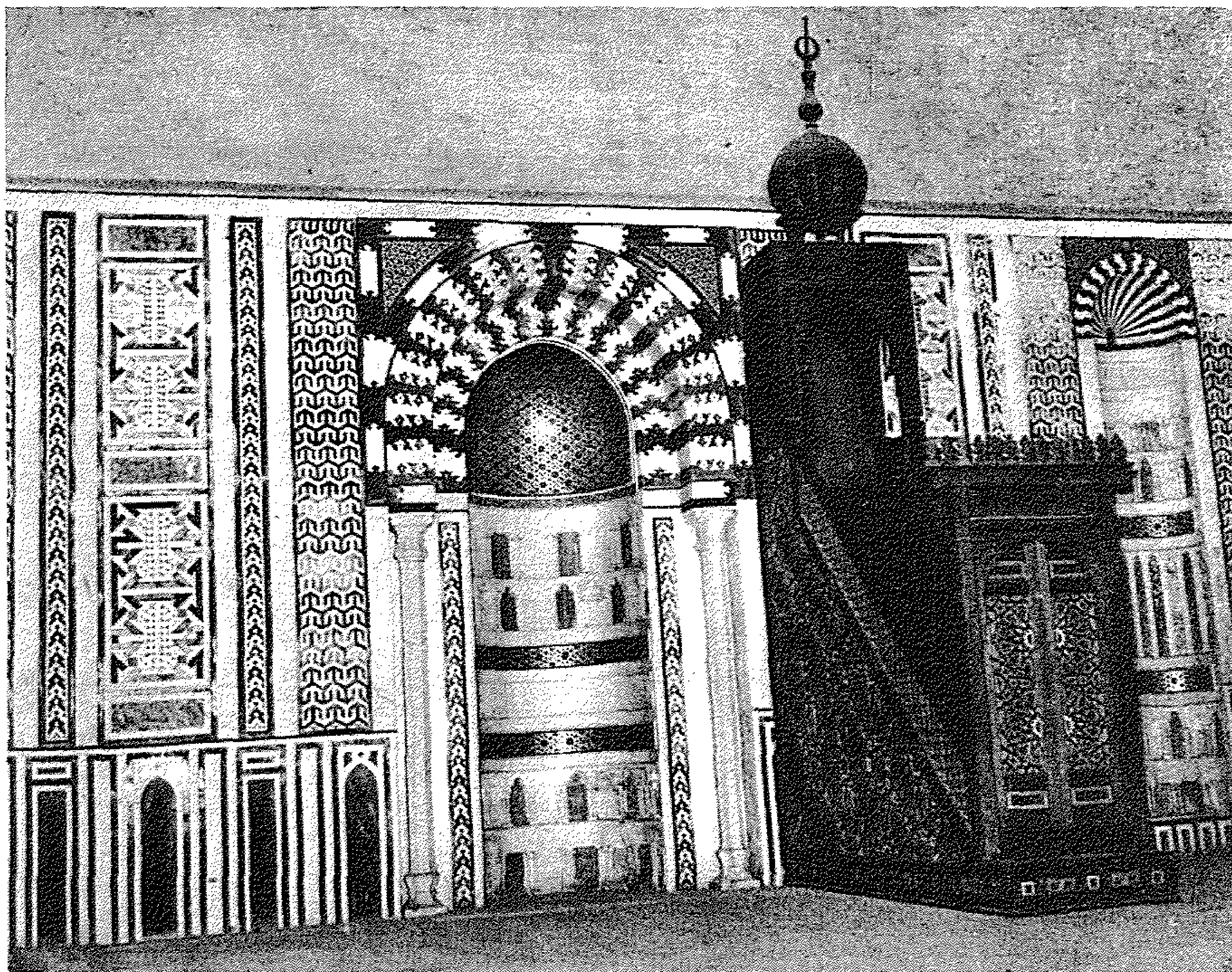




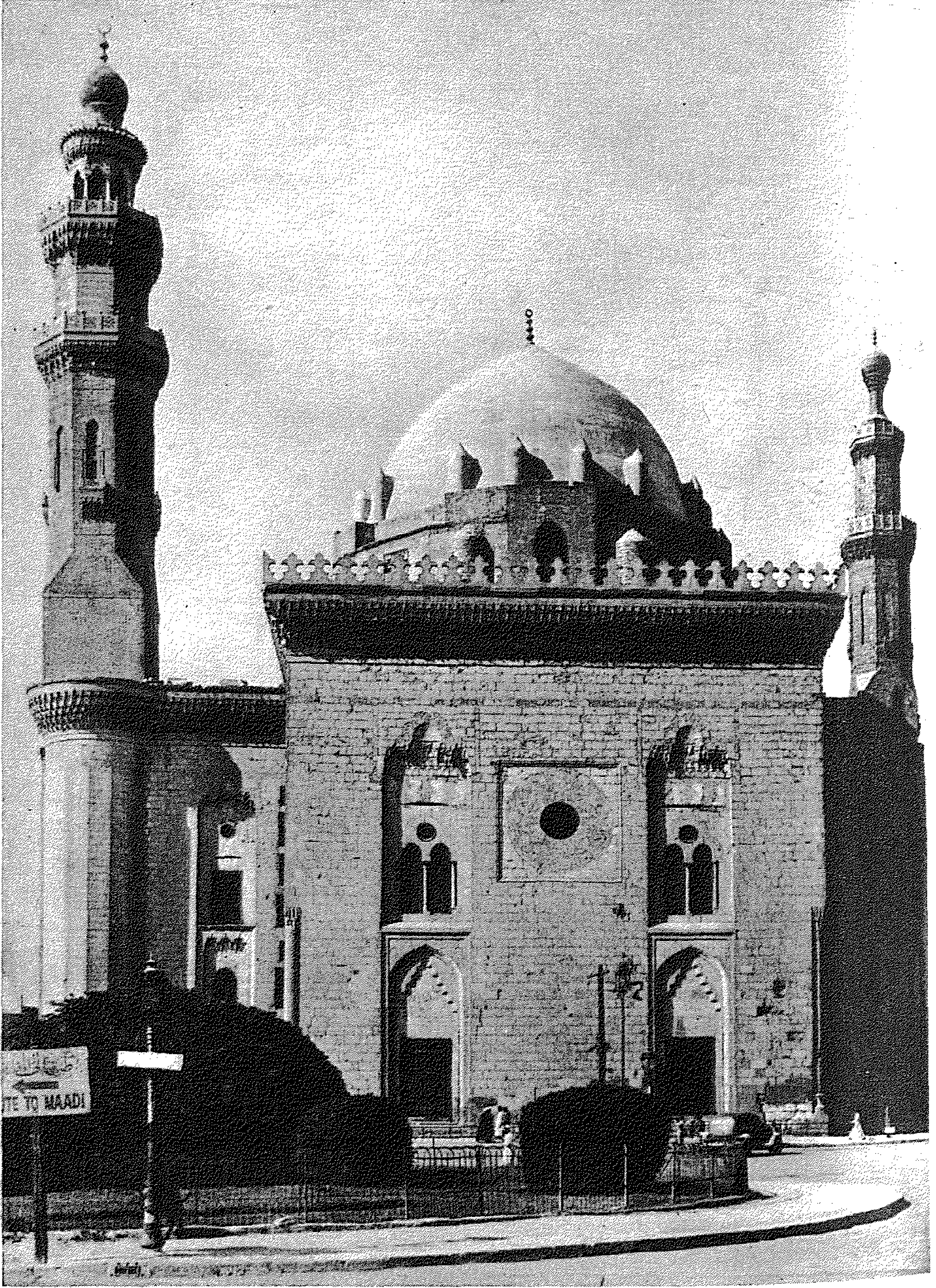
قبتا سلار وسنجر الجاولى ، بشارع مراسينا .
 والمنارة ذات القاعدة المربعة والتي تشبه المبخرة
 وهى طرفة فنية قليلة النظر جاءت متممة لجمال
 الواجهة البحرية للمسجد . والقبتان متماثلتان
 شكلا وزخرفة ، تعلو كبراهما مدفن الامير سلار
 وصفراهما مدفن الامير سنجر الجاولى . . .



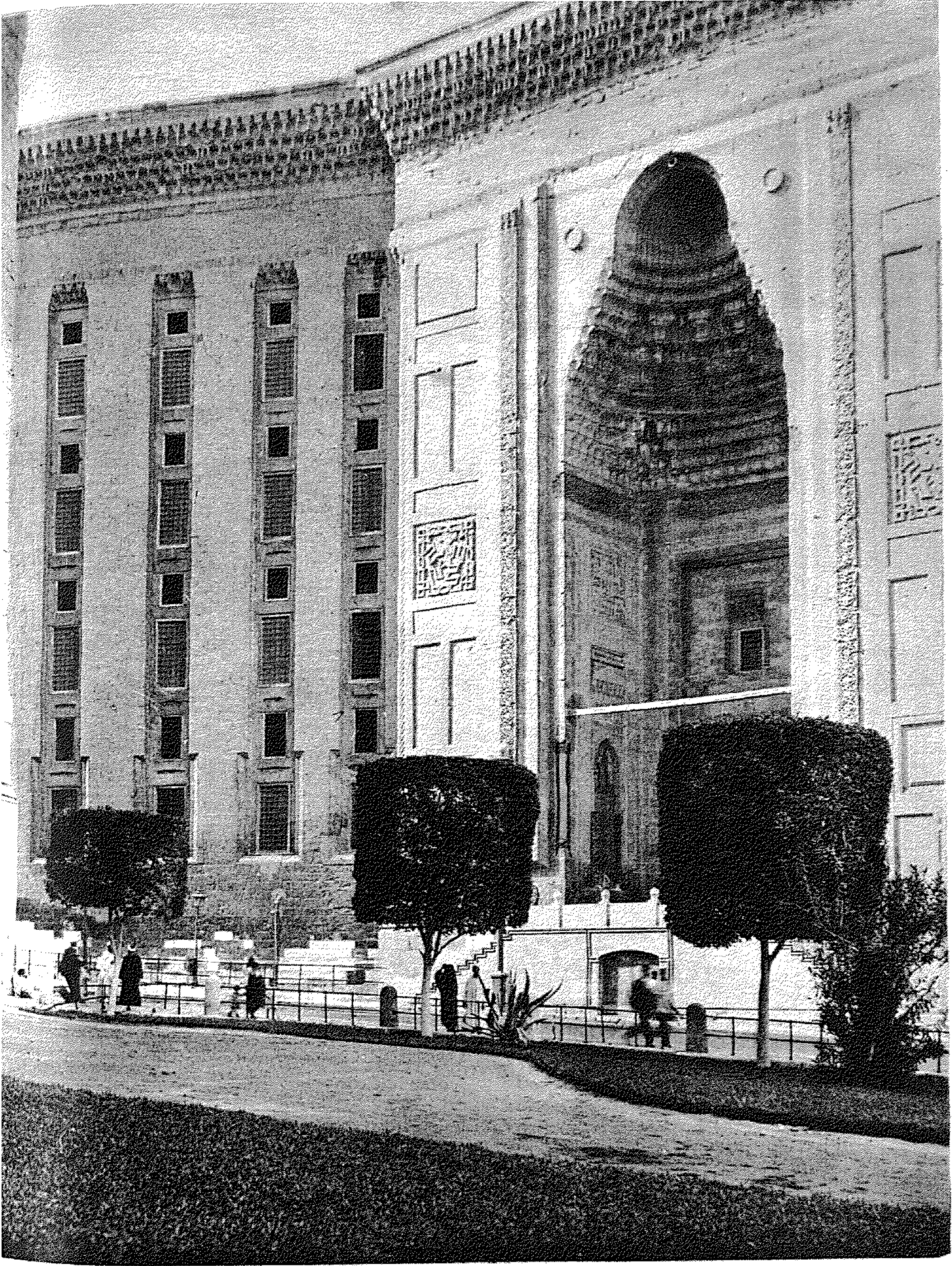
مسجد الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة



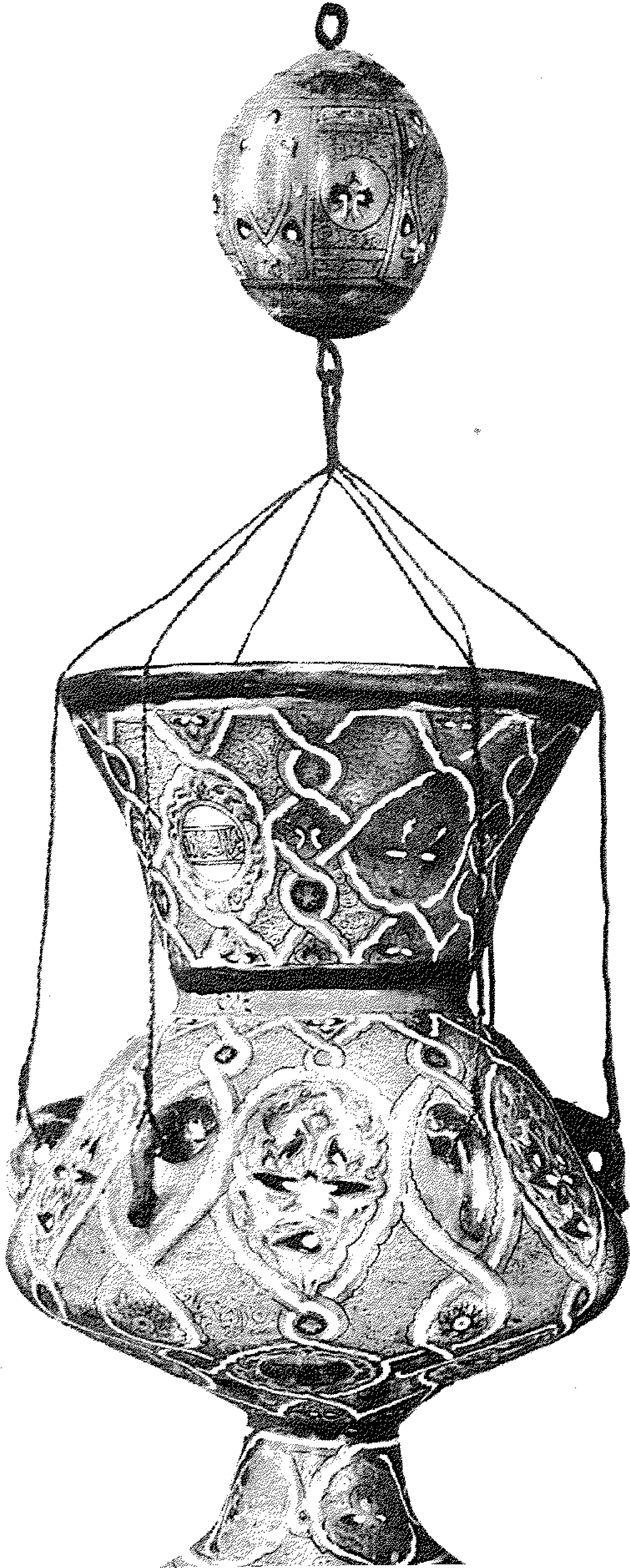
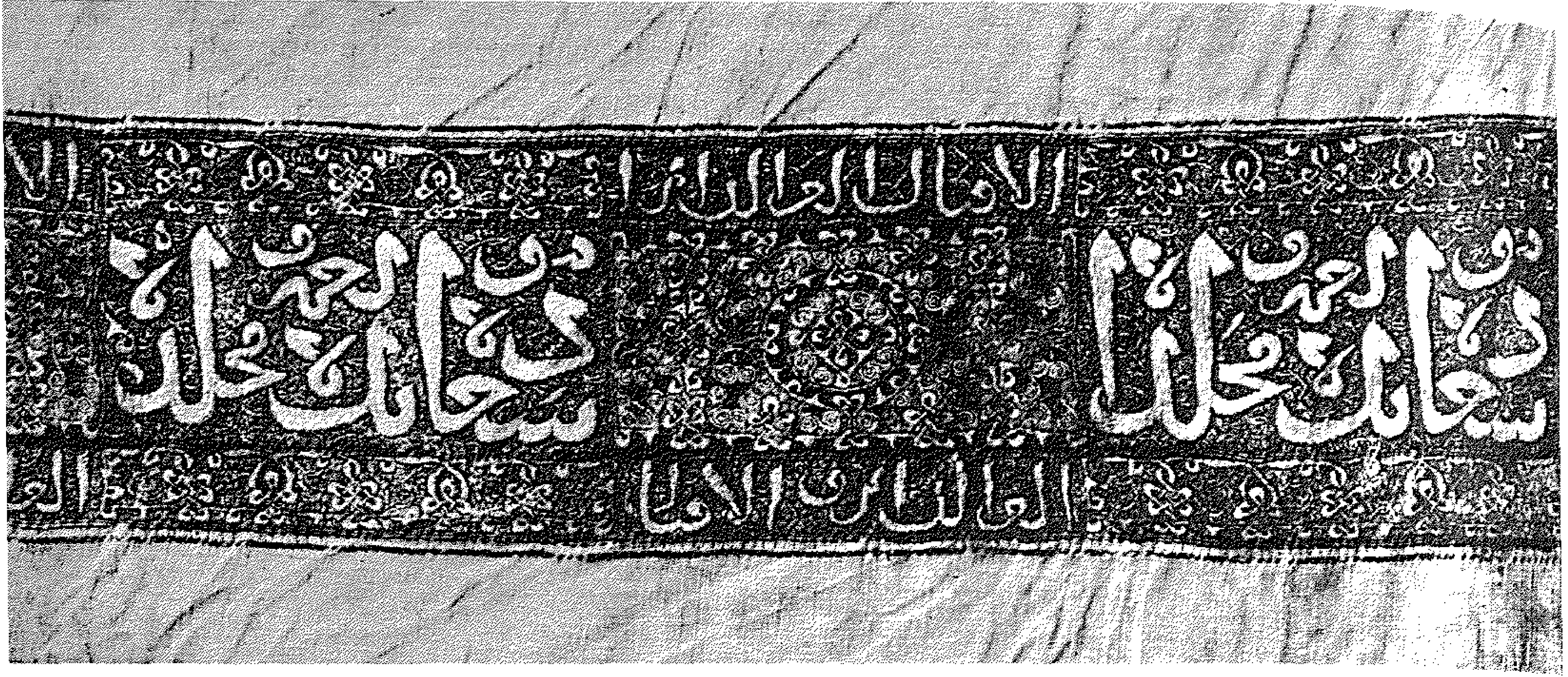
المحراب والمنبر بمسجد الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة



الواجهة الشرقية لمدرسة السلطان حسن، وتظهر فيها القبة والمنارتان وجانب من
الافريز الكبير المكون من عدة صفوف من المقرنصات والشرافات ذات الاشكال النباتية

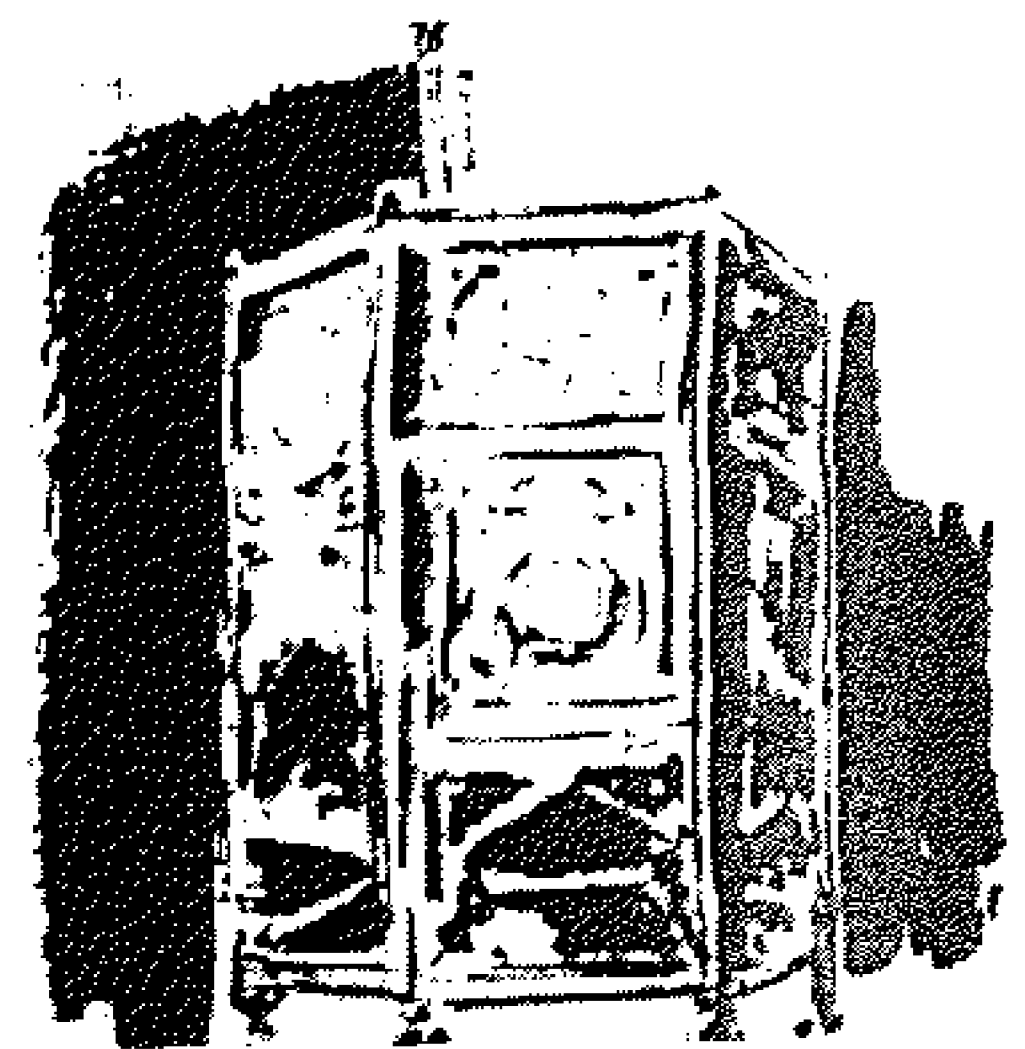


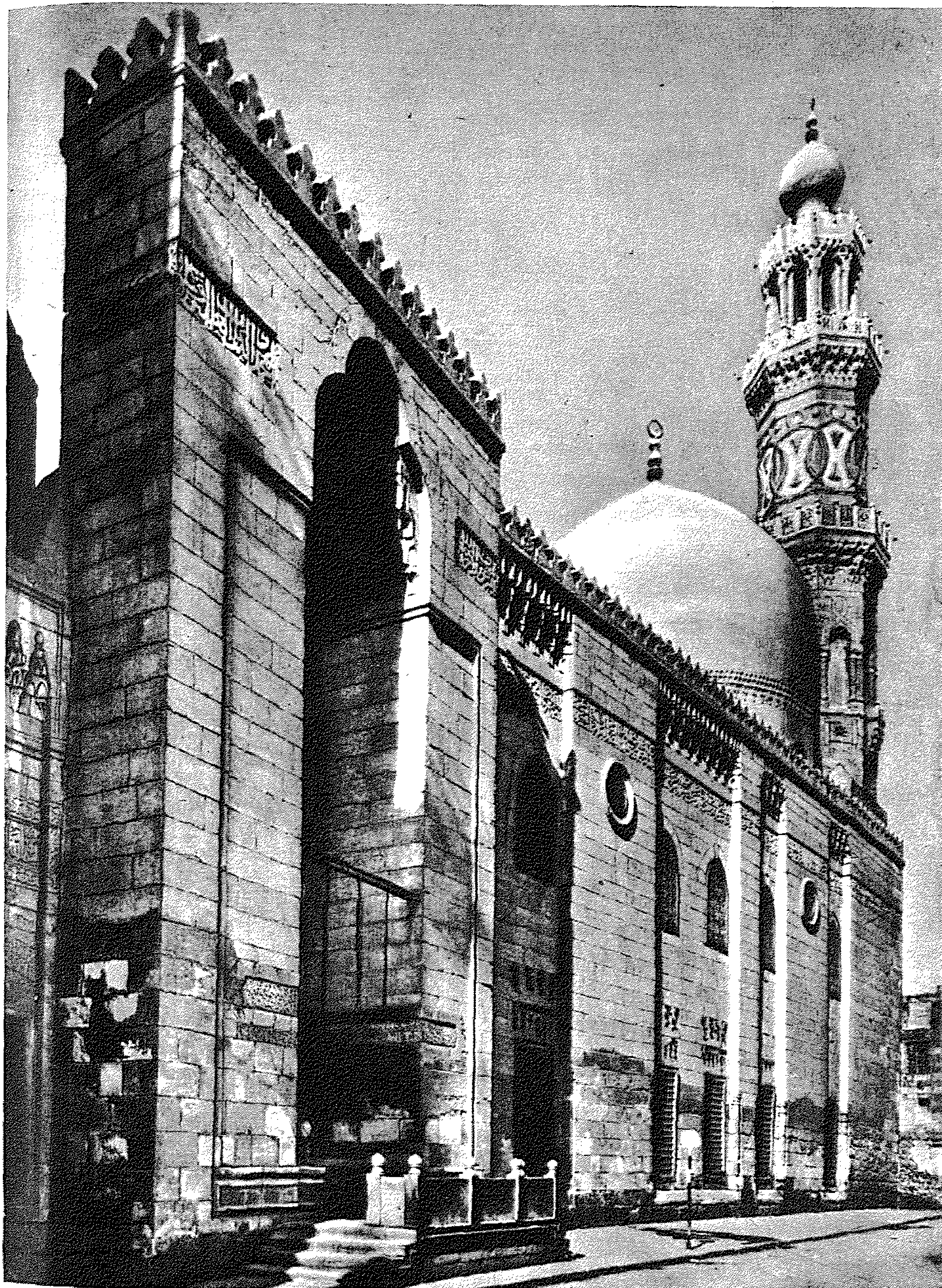
الواجهة الرئيسية لمدرسة السلطان حسن، وتشاهد فيها المقرنصات المدلاة التي
تزين عقد المدخل المرتفع، والتجاويف العديدة والنوافذ، ويعلوها أفريز المقرنصات



قطعة نسيج من كتان
مزيّنة بشريط من زخارف
وكتابات عبارة عن أدعية
(من القرن الرابع عشر
الميلادي) محفوظة بالمتحف
الإسلامي بالقاهرة

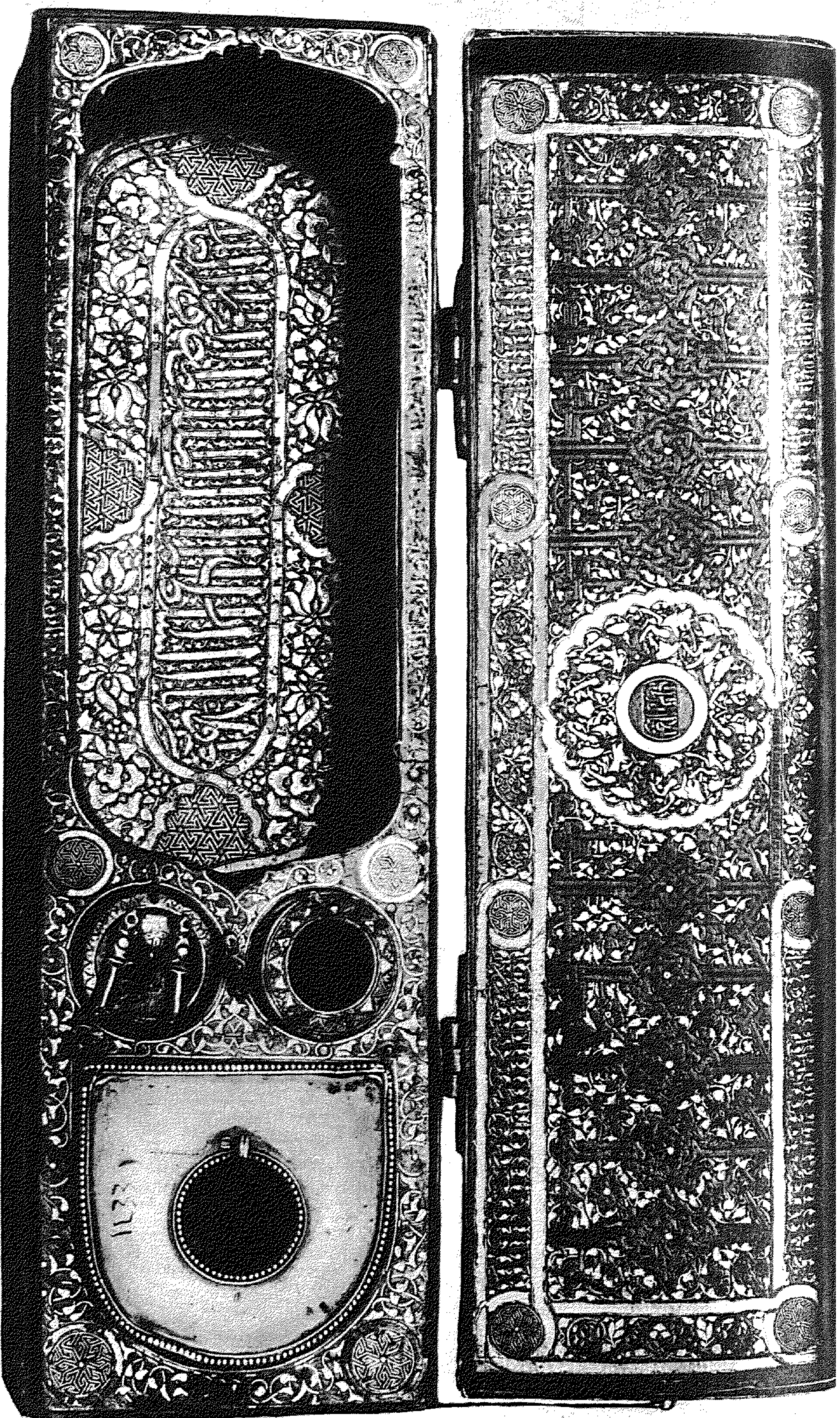
مشكاة وكرتها من زجاج
بالمينا تظهر كأنها محاطة
بشبكة من حبال مجدولة
معدّدة بالتمائل ، نشأمنها
جامات غير منتظمة ،
تحتوي على زهور أوراقها
مختلفة الألوان من أزرق
وأخضر وأحمر . والكرة
والمشكاة باسم السلطان
حسن ٧٦٤ هـ (١٣٦٣ م)
ومحفوظة بالمتحف
الإسلامي بالقاهرة

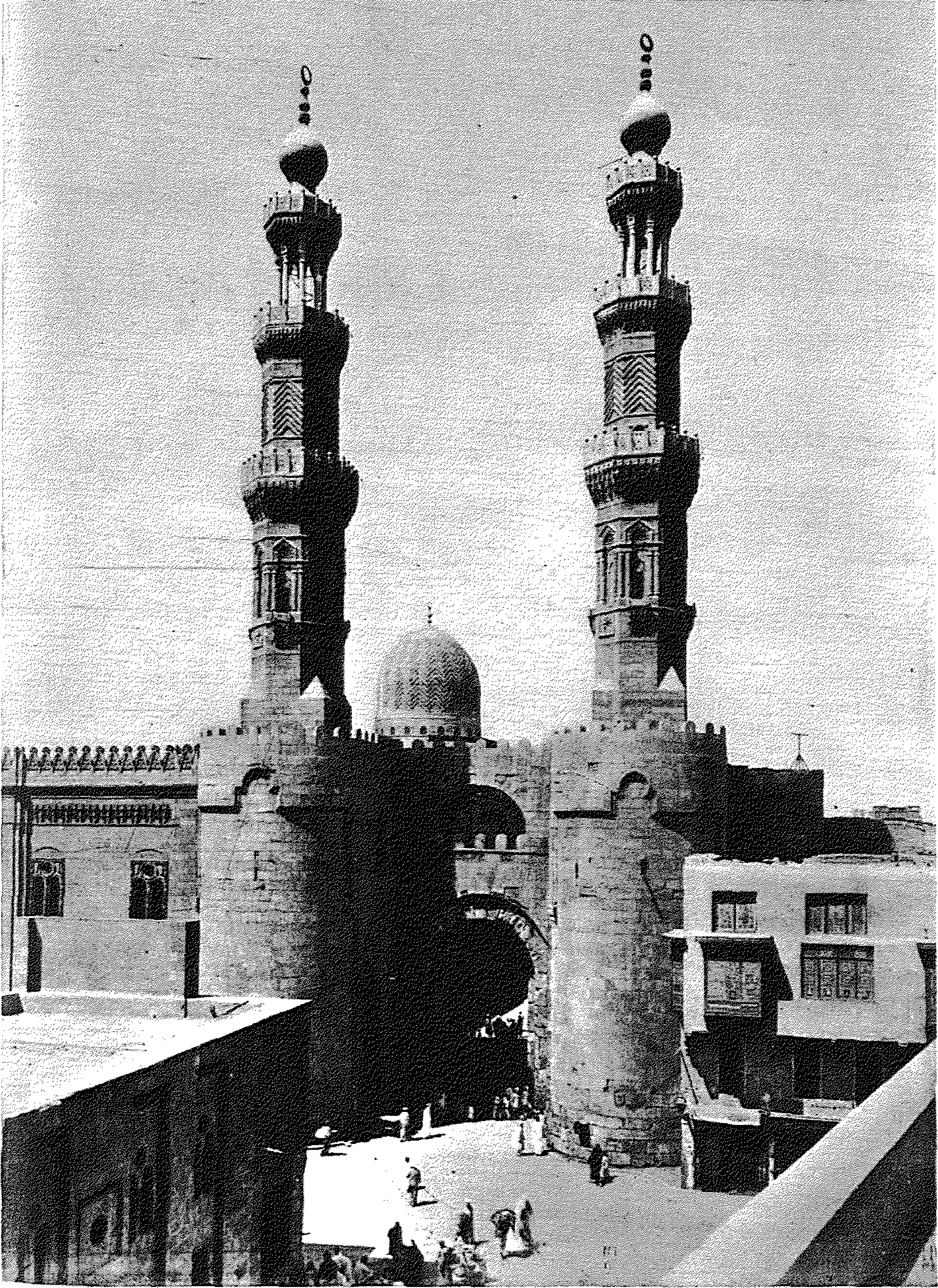




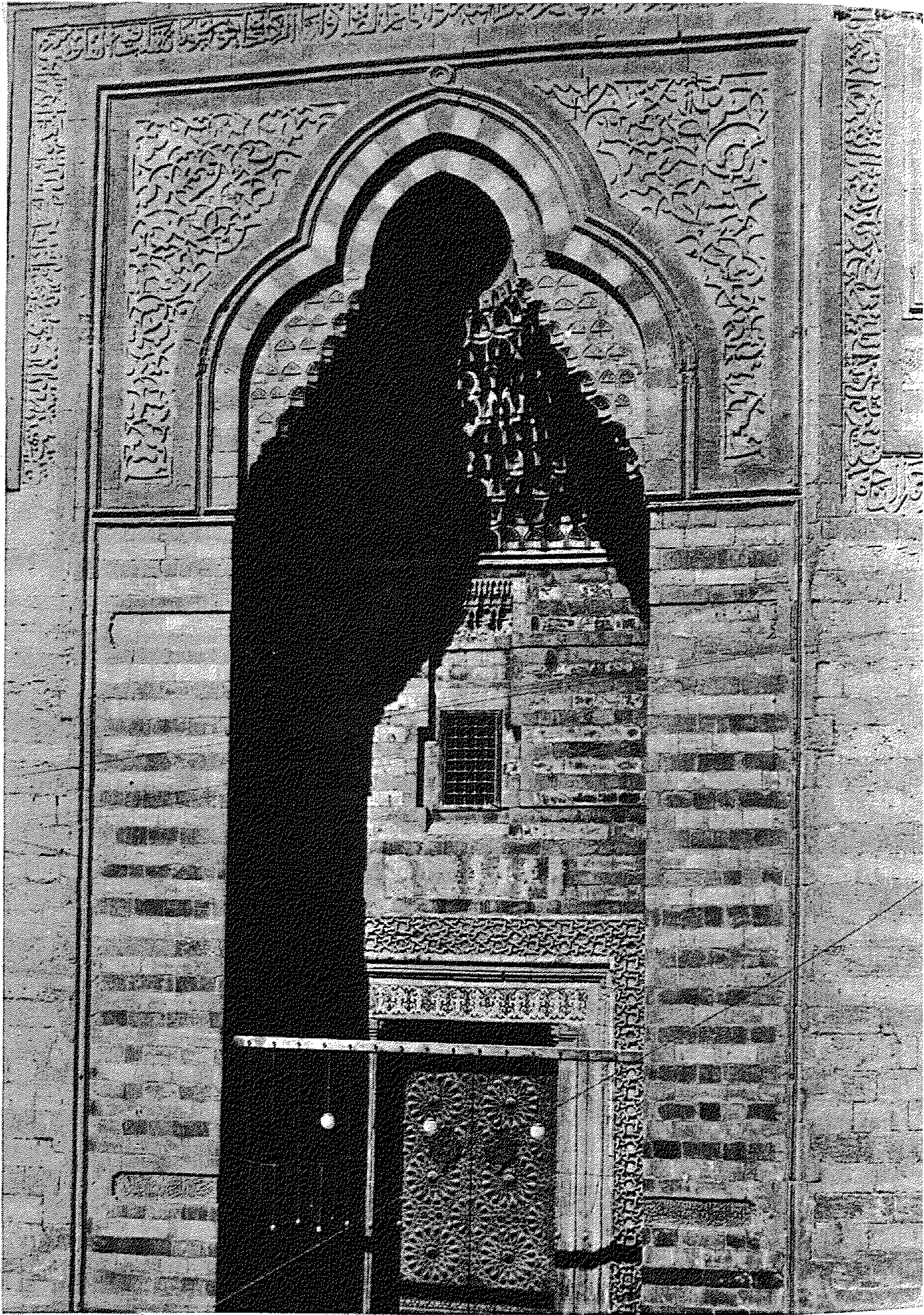
الواجهة الشرقية لمسجد (مدرسة) السلطان الظاهر برقوق
بالتجاسين وفي طرفها البحري المئذنة وفي القبلي المدخل الرئيسي

مقلمة من نحاس مطبق بالذهب والفضة ، مزينة بزخارف نباتية وهندسية وكتابات دقيقة نسخية وكوفية يتخللها فروع نباتية ، وهي أجمل مقلمة معروفة ، وتحمل اسم الملك المنصور محمد (١٣٦٣م) بالتحف الاسلامي بالقاهرة





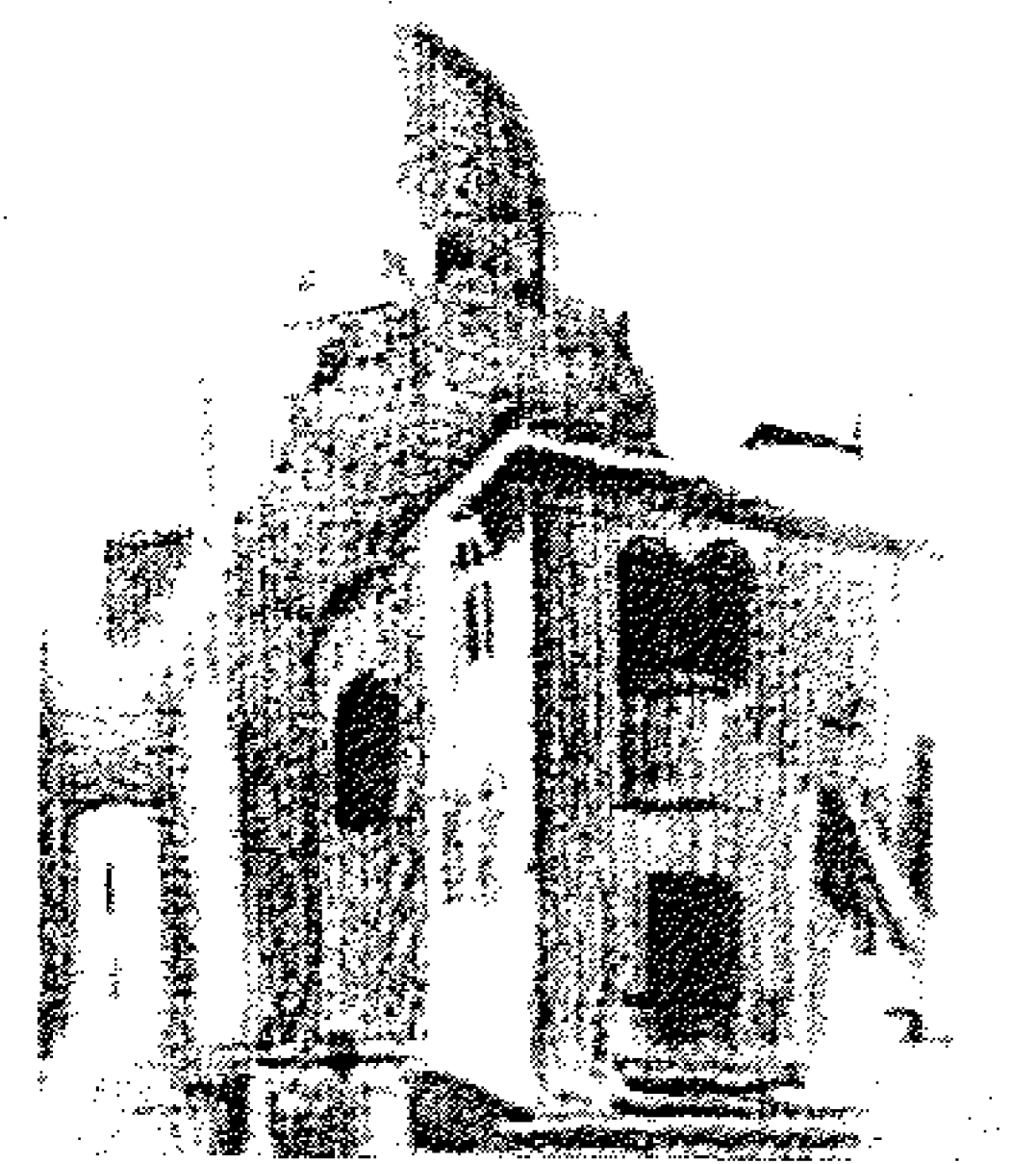
منارتا مسجد المؤيد الرشيقان المشيدتان فوق برجى باب
زويلة المستديرين ، وهما من اجمل منارات المساجد
بالقاهرة ، ويصلهما ممر ذو عقد دائرى على عقد الباب



الواجهة الرئيسية في مسجد المؤيد . وتبين المدخل الذي يعلوه
عقد مكون من ثلاثة فصوص ذات صنيج مختلفة الألوان



المئذنة والقبة بمدرسة قايتباي وكلاهما من
روائع الفن الاسلامي . ويشاهد السبيل الذي
يعلوه مكتب والشرافات التي على هيئة أوراق النبات



ساعدهم فى بلوغ ذلك شيوع نظام الطوائف ، فقد كان لكل حرفة طائفة ، ولكل طائفة شيخ يهيمن على شئون أفرادها ، ويوجههم التوجيه الفنى الصحيح ، ويرعى مصالحهم . ولا بد للصبي قبل أن يصبح صانعا ماهرا أن يسلك عدة خطوات ، ثم يحصل بعد ذلك من شيخ الطائفة على شهادة بأنه حذق الصنعة ، فينادى به الشيخ معلما ، ويصبح عضوا فى طائفة حرفته . وكان لكل حرفة مشايخها وأعلامها وطبولها ، وتمثل فى الاحتفالات العامة ، كمولد النبى ووفاء النيل ورؤية هلال رمضان . وتمثل هذه الطوائف اليوم نقابات العمال الى حد ما

ومن أهم الصناعات التى ازدهرت بالقاهرة فى عصر المماليك صناعة المنسوجات والفرش والستور والخيم والسروج ، وصناعة الأواني النحاسية المكففة كالأباريق والصحون والطسوت والموائد والثريات والمقالم ... الخ ، وصناعة الزجاج ، خصوصا المظلى بالمينا ، فصنعت منه المشكاوات والدوارق ، وصناعة الخزف والبلور الصخرى والتحف الخشبية المطعمة بالسن والأبنوس مما سيأتى ذكره عند الكلام على الفنون فى عهد المماليك هذا بالإضافة الى الصناعات الحيوية ، التى تتصل بمعاش الناس وحياتهم كصناعة السكر والحلوى وعصر الزيوت وصناعة القلل والأزيار والبرانى وصناعة الحصر والبناء وصبغ المنسوجات وغير ذلك من الصناعات التى لا تزال موجودة حتى اليوم

كذلك قامت بالقاهرة صناعة الأسلحة وأدوات الحرب كالسيوف والرماح والسهام والأقواس والدروع ، وأدوات الرياضة والصيد وصناعة السفن

التجارة :

ولقد نعمت مصر فى عهد المماليك بمصدر آخر من مصادر الغنى والثروة ، ملأ خزائنها بالأموال الطائلة ، وهى لهم حياة العز والنعيم ، وممكنهم من بناء القصور الفخمة ، والمساجد العظيمة ، ذلك هو التجارة

الشرقية ، التى كانت تخترق مصر أو الشام ، فى طريقها الى أوروبا ، وكان كلا الطريقين فى حوزة المماليك ، فيجبون على تلك التجارة ما شاءوا أن يجبوه من المكوس والضرائب الباهظة

ولم تكن فائدة مصر من مرور التجارة الشرقية بأراضيها قاصرة على الضرائب الفادحة ، التى كان المماليك يجبونها عليها ، بل انها كانت تعمّر الأسواق فى القاهرة ، فتنشط حركة البيع والشراء ، ويثرى التجار بدورهم . وقد نعم هؤلاء بالغنى والثروة أيضا ، حتى أصبح لهم مركز ممتاز بين طبقات الشعب ، ومكانة ملحوظة فى سياسة البلاد وسير الأمور فيها

وقد استلزم تفاقم حركة النشاط التجارى بناء الخانات والفسادق والأسواق . ففي الخانات والفسادق ينزل التجار ببضائعهم وسلعهم ودوابهم ، ويخزنون بضائعهم فى المخازن والحواصل ، وتؤدي لهم الأعمال المصرفية . وتفد عليهم تجار التجزئة لشراء حاجياتهم من البضائع التى يعرضونها للبيع فى حوانيتهم بالأسواق

الخانات :

ومن أشهر الخانات (١) « خان مسرور » ، وقد كان فى الحقيقة خائنين : أحدهما كبير والثانى صغير ، وكان موضعه خزانة الدرق ، احدى خزائن القصر الفاطمى الكبير ، وكان قبل تشييده ساحة لبيع الرقيق . وقد أدرك المقرئى هذا السوق « فى غاية العمارة ، تنزله أعيان التجار الشاميين بتجاراتهم » . ومسرور كان خادما لصلاح الدين ، وهو الذى بنى هذا الخان . و«فندق بلال المغيثى» ، فيما بين خط حمام خشبية وحارة العدوية ، أنشأه الأمير الطواشى الحبشى حسام الدين بلال المغيثى ، خادم الصالح نجم الدين أيوب ، وكثير من سلاطين المماليك بعده وآخرهم الناصر محمد

(١) انظر خطط المقرئى ج ٣ ص ١٤٩ - ١٥٣

ابن قلاوون « وما برح هذا الفندق يودع فيه التجار وأرباب الأموال صناديق المال ، المملوءة بالذهب والفضة » . و « خان منكورش » بخط سوق الخيمين بالقرب من الجامع الأزهر ، أنشأه منكورش أحد مماليك السلطان صلاح الدين الأيوبي ، وعرف بعد ذلك بخان النشارين . و«وكالة قوصون» ، وهذه الوكالة تدخل في عداد الفنادق والخانات ، ينزلها التجار بيضائع بلاد الشام من الزيت والشيرج والصابون والدبس (١) والفستق والجوز واللوز والخرنوب والرب (٢) ونحو ذلك ، وموضعها فيما بين الجامع الحاكمي ودار سعيد السعداء . وقد شهدها المقرئ ، ودهش لكثرة ما هنالك من أصناف البضائع وازدحام الناس وشدة أصوات العتالين عند حمل البضائع ونقلها لمن يبتاعها . ويعلو هذه الوكالة رباع تشتمل على ثلاثمائة وستين بيتا عامرة كلها بالسكان ، ويقدر سكانها بنحو أربعة آلاف نفس ، ما بين رجل وامرأة وصغير وكبير . و « فندق دار التفاح » ومكانه تجاه باب زويلة ، وكان يرد اليه الفواكه على اختلاف أصنافها ، مما ينبت في بساتين ضواحي القاهرة ، ومن التفاح والكمثرى والسفرجل الواصل من البلاد الشامية ، ومنها ينقل الى سائر أسواق القاهرة ومصر ونواحيهما . وأنشأ هذه الدار طقوز دمر ، بعد سنة أربعين وسبعمائة ، وبظاهر هذه الدار عدة حوانيت تباع فيها الفاكهة « تذكر رؤيتها وشم عرفها بالجنة ، لطيبها ، وحسن منظرها وتأنق الباعة في تنزيدها واحتفافها بالرياحين والأزهار ، وما بين الحوانيت مستقوف حتى لا يصل الى الفواكه حر الشمس » . و « وكالة باب الجوانية » ومكانها تجاه باب الجوانية من القاهرة ، فيما بين درب الرشيدى ووكالة قوصون . كان موضعها عدة مساكن ، فابتدأ الأمير جمال الدين محمود بن على الاستادار بهدمها سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة ، وبنها فندقا ، وربعا بأعلاه ، فلما كملت ، رسم (٣) الملك الظاهر برقوق أن تكون دار وكالة ، يرد اليها ما يصل الى

(١) عصارة الرطب (٢) دبس الرطب اذا طبخ (٣) أمر

القاهرة ، وما يرد من صنف متجر الشام في البحر كالزيت والرب والدبس ، وما يرد في البر يَدْخُلُ به على عادته الى وكالة قوصون . و«خان الخليلي» وقد أنشأه الأمير چهاركس الخليلي ، أميرأخور السلطان الظاهر برقوق ، المتوفى في سنة ٧٩١ هـ (١٣٨٩ م) في مكان تربة الخلفاء الفاطميين ، التي كانت تجاور القصر الشرقي الكبير ، والتي كانت تعرف باسم تربة الزعفران . فلما رغب چهاركس في بناء هذا الخان ، نبش تربة الزعفران ، وألقى بما كان بها من عظام على التلال ، الموجودة خارج القاهرة ، معتذرا عن ذلك بأن الفاطميين كانوا كفارا رفضة ، وهذه الدعوى من غير شك لا تنهض عذرا لهذا العمل الشنيع ، ولا لما يقتضيه جلال الموت من احترام للموتى ورفاتهم . ومع ذلك فقد أوقف هذا الخان وغيره من المباني على فقراء مكة ، وجعل ريعها خبزا يوزع عليهم ، ثم استبدل بالخبز تقودا ، وهذا مثل آخر من أعمال السوء التي كان يرتكبها بعض المماليك ، ثم يكفرون عنها بإنشاء المبشرات وأعمال الخير

وفي ربيع الثاني سنة ٩١٧ (يوليو سنة ١٥١١) هدم السلطان الغورى خان الخليلي ، وأنشأ مكانه حواصل وحوانيت وربوعا ووكالات يتوصل اليها من ثلاث بوابات (١) . وقد هدمت هذه الحواصل وتلك الحوانيت ، وأعيد بناء الخان بعد ذلك . ويفض اليوم بحوانيت التحف والطرف ، حيث يقوم الصناع بتقليد بعض الصناعات المملوكية ، خصوصا المصنوعات المعدنية المحلاة بالزخارف الهندسية والنباتية

ويحتل خان الخليلي مركزا عالميا اليوم ، فالسائحون الذين يقدون على مصر كل عام من شتى أنحاء العالم لا يغادرونها قبل زيارة هذا الخان لشراء بعض التحف ، تذكارا لزيارتهم القاهرة ، من البضائع الشرقية كالأقمشة

(١) دليل موجز لاشهر الآثار العربية بالقاهرة لمحمود احمد ص ١٨٥ - ١٨٦

الحريية المطرزة بالقصب ، والحليم ، والأواني النحاسية المكففة ، والتحف العاجية ، والأخفاف « المراكيب » والحقائب الجلدية ، والسجاجيد

الأسواق :

وقد عقد المقریزی فی خططه فصلا لأسواق القاهرة ، ذكر فيه أسواقها التي كانت موجودة في عصره ، وقد تتبعها منذ أيام الفاطميين ، ووصف أماكنها ، وذكر ما كانت تعج به من سلع ومتاجر . وقال في مفتتح هذا الفصل : « وقد كان بمدينة مصر « الفسطاط » والقاهرة وظواهرها من الأسواق شيء كثير جدا ، قد باد أكثرها ، وكفاك دليلا على كثرة عددها أن الذي خرب من الأسواق فيما بين أراضى اللوق الى باب البحر بالمقس اثنان وخمسون سوقا ، أدركناها عامرة ، فيها ما يبلغ حوانيته نحو الستين حانوتا . وهذه الخطة من جملة ظاهر القاهرة الغربى ، فكيف ببقية الجهات الثلاث مع القاهرة ومصر !! »

وسمع المقریزی ممن أدركهم من المعمرين أن بشارع القصبة ، وهو أعظم أسواق مصر ، والذي كان يمتد ما بين أول الحسينية والمشهد النفيسى ، كان يوجد اثنا عشر ألف حانوت . وقد أدرك هذه المسافة عامرة بالحوانيت . وسوق القصبة هذا هو عبارة عن الشارع الأعظم الذى كان يعرف بقصبة القاهرة ، أو شارع القاهرة ، ويمتد من باب الفتوح الى باب زويلة ، وكان أكبر شوارع القاهرة ، وأكثرها عمراناً بالحوانيت والخانات ، وأشدّها زحاما بالناس . وهذا الشارع هو المعروف اليوم باسم شارع المعز لدين الله ، ويدخل ضمنه من بحريه جزء من الفضاء العظيم الذى كان واقعا بين القصرين الفاطميين . وقد تضاءل هذا الفضاء بما أقيم على جوانبه من مساجد ومدارس وأضرحة ومبان أخرى في عهد الأيوبيين والمماليك ، وانتهى به الحال الى الطريق الضيق المعروف بخط بين القصرين . وقد كان يتفرع من شارع القصبة يمينا ويسارا عدة أسواق ، فهو يشبه في ذلك النهر الأعظم وما يتفرع منه من نهيرات وجداول

وقد تخرب بعض تلك الأسواق ، وقدر البقاء للبعض الآخر . ونجتزئ هنا بذكر أشهر تلك الأسواق ، معتمدين في ذلك على ما ورد في فصل أسواق القاهرة ، سابق الذكر :

« سوق باب الفتوح » في داخل باب الفتوح ، وبه حوانيت اللحامين ، والخضريين ، والفصامين ، والشرايحية وغيرهم . « سوق المرحلين » عند رأس حارة بهاء الدين ، وهو مملوء برحالات الجمال وأقتابها وسائر ما تحتاج اليه . ولو أراد الانسان تجهيز مائة جبل وأكثر في يوم لما شق عليه وجود ما يطلبه من ذلك . و « سوق خان الرواسين » على رأس سويقة أميرالجوش ، وكان يشتمل على نحو العشرين حانوتا ، مملوءة بأصناف المأكول . و « سوق حارة برجوان » وهى من حارة برجوان الى قريب الجامع الحاكمى . وكانت من أعظم أسواق القاهرة ، لوفرة الأطعمة بها ، نيئة ومطبوخة ، وأنواع المتاع المختلفة . وبها الحمامات والأفران . وكان فيه قبانى برسم وزن الأمتعة والمال والبضائع ..

و « سوق الشماعين » ، بالقرب من الجامع الأقمر ، وحوانيته عامرة بالشموع الموكبية والفانوسية . وكان به في شهر رمضان موسم عظيم ، لكثرة ما يشتري ويكترى من الشموع الموكبية ، التى تزن الواحدة منها عشرة أرطال فما دونها . ومن الشمع الذى يحمل على العجل ، ويبلغ وزن الواحدة منها القنطار وما فوقه ..

و « سوق الدجاجين » ، ويلى سوق الشماعين ، وكان يباع فيه الدجاج والأوز شئ كثير جليل للغاية . وفي كل يوم جمعة يباع فيه بكرة أصناف القمارى والهزازات والشحارير والبيغاء والسمان . ومن السمان ما يبلغ ثمنه المئات من الدراهم ، وكذلك بقية طيور المسموع ، يبلغ الواحد منها نحو الألف درهم ، لتنافس الناس فيها ، وتوفر عدد المعتنين بها ، وكان

يقال لهم غواة طيور المسموع ، سيما الطواشية ، فانه كان يبلغ بهم الترف أن يقتنوا السمان ، ويتأفقوا في أقفاصه ، ويغلوا في أثمانه ، حتى بيع طائر من السمان مرة بألف درهم فضة ، وآخر بنحو الخمسين دينارا من الذهب ، كل ذلك لاجبابهم بصوته . وكان صوته على وزن قول القائل طقطلق وعوع . وكلما كثر صياحه كانت المغالاة في ثمنه ..

و « سوق بين القصرين » ، وكان في الدولة الفاطمية براحا واسعا ، يقف فيه عشرة آلاف ، ما بين فارس وراجل ، ثم لما زالت الدولة ، ابتذل وصار سوقا يعجز الواصف عن حكاية ما كان فيه . وقد تضاعف بعد ذلك ، وقلّت حوانيته في عهد المقریزی ..

و « سوق السلاح » ، ويقع فيما بين مدرسة الظاهر بيبرس ، وبين قصر بشتاك . وقد استجد فيما بعد الدولة الفاطمية ، في خط ما بين القصرين ، وجعل لبيع القسي والنشاب والزرديات وغير ذلك من آلات السلاح ..

و « سوق القفصات » تجاه شبابيك القبة المنصورية ، حيث كان يجلس اناس على تخوت ، فوقها أقفاص صغار من حديد مشبك ، فيها الطرائف من الخواتم والفصوص « وأساور النساء وخلاخيلهن » وغير ذلك . وهذه الأقفاص يأخذ أجرة الأرض التي عليها مباشرة المارستان المنصوري ..

و « سوق باب الزهومة » ، وسمى كذلك تبعا لباب الزهومة ، أحد أبواب القصر الفاطمي . وكان من أجمل أسواق القاهرة وأفخرها ، موصوفا بحسن المآكل وطيبها ..

و « سوق المهامزين » ، وهو مما استجد من الأسواق بعد الدولة الفاطمية ، وكان بأوله سوق العنبر ، الذي أنشأ المنصور قلاوون ، ويقابله المارستان والوكالة ودار الضرب . وهذا السوق معد لبيع المهاميز. وقد

أدرك المقریزی الناس وهم يتخذون المهاز كله - قالبه وسقطه - من الذهب الخالص ، ومن الفضة الخالصة ، وهؤلاء هم المترفون ، والا فيتخذ القالب من الحديد ، ثم يطلى بالذهب أو الفضة ، ويتخذ السقط من الفضة . وكانت تباع بهذه السوق البذلات الفضة التي كانت برسم لجم الخيل ، وسلاسل الفضة ، والطرف التي فيها الفضة والذهب كسكاكين الأقلام ونحوها ..

و « سوق اللجمين » ، ويباع فيه آلات اللجم ونحوها ، مما يتخذ من الجلد والسروج ، وتعمل ملونة ، ما بين أصفر وأزرق ، وفيها ما يعمل سيورا من الجلد البلغاري الأسود، ويركب بهذه السروج السوداء القضاة ومشايخ العلم اقتداء بعادة بنى العباس في استعمال السواد . ولما تسلطن الملك الظاهر برقوق اتخذ سائر الجند السروج المفرقة ، وهي التي جميع قرايسها - جمع قربوس وهو حلقة تتركب في السرج - من ذهب أو فضة ، اما مطلية أو ساذجة . وكثر عمل ذلك حتى لم يبق من العسكر فارس الا وسرجه هكذا ..

و « سوق الجوخين » ويلي سوق اللجمين ، وهو معد لبيع الجوخ المجلوب من بلاد الفرنج ، لعمل المقاعد والستائر وثياب السروج وغواشيها . وقلما كان الناس يلبسون الجوخ ، وانما يلبسه الرؤساء والأكابر وقت المطر فقط ، فاذا ارتفع المطر ، نزع الجوخ

و « سوق الشرايشين » ، نسبة الى الشرايش - مفردا شربوش وهو شيء يشبه التاج ، مثلث الشكل ، يجعل على الرأس بغير عمامة - وكان السلطان برقوق اذا أمّر أحدا من الأتراك ، ألبسه الشربوش . وقد كان لباس الرأس يتغير شكله بتغير السلطان : ففي عهد المنصور قلاوون كان يلبس خاصكيته - خواصه - ومماليكه الكلوتات - الطواقى - الجوخ والصفر . وفي عهد الأشرف خليل استبدل بها الكلوتات المزركشة ، وفي عهد الناصر محمد بن قلاوون استجد العمائم الناصرية ، وهي صغار ، وفي عهد

الأمير يلغا العمرى الخاصكى عمل الكلوتات اليلغاوية ، وكانت كبارا ، واستجد الأميرسلار، فى أيام الملك الناصر محمد القباء الذى يعرف بالسلارى . فلما تملك الظاهر برقوق عمل الكلوتات الجركسية ، وهى أكبر من اليلغاوية ، وفيها عوج . أما الشربوش فكان برقوق اذا أمّر أحدا من الأتراك ، وخلع عليه ، ألبسه الشربوش ، كما تقدم ذكره ، وقد بطل الشربوش فى الدول الجركسية . وكان يباع فى هذه السوق الخلع التى يُلبسها السلطان للأمراء والوزراء والقضاة وغيرهم ..

و « سوق الحلاوين » وكان يصنع فيه من السكر أمثال خيول وسباع وقطط وغيرها ، تسمى العلاليق — واحدها علاقة — ترفع بخيوط على الحوانيت . فمنها ما يزن عشرة أرطال الى ربع رطل ، تشتري للأطفال ، فلا يبقى جليل ولا حقير حتى يبتاع منها لأهله وأولاده ..

و « سوق الشوايين » ، أى بائعى الشواء أو اللحم المشوى . و « سوق الشرايين » ، أى بائعى الشرائح ، وهى أحزمة الخيول وأدوات السروج . و « سوق الغرابلين » ، وفيه حوانيت لعمل مناخل الدقيق والغرابيل .

و « سوق أمير الجيوش » ، وبها حوانيت الرفائين والحياكين والرسامين — المطرزين — والغرايين — بائعى الغراء — والثياب المخيطة والأمتعة من الفرس ونحوها ، و « سوق الجمالون الصغير » ، وتباع فيه الثياب القطنية والكتانية ، وبه حوانيت لغسل الثياب وكيها . و « سوق المحارين » وفيه حوانيت لعمل المحاير — مفردها محارة — التى يسافر فيها الى الحجاز وغيره . و « الصاغة » ، وما تزال الى اليوم فى مكانها القديم . و « سوق الكتبيين » . و « سوق الصناديقين » . و « سوق الحريرين » . و « سوق الخراطين » ، لبيع المهد — مفردها مهد — الذى يربى فيه الطفل . و « سوق الفرائين » ، وتباع فيه أنواع الغراء كالسمور والوشق والعمائم والسنباب . و « سوق الخلعين » ، بالقرب من باب

زويله الكبير. والخلميون جمع خلمى وهو الذى يتعاطى بيع الثياب الخلع ، وهى التى قد لبست . وقد كانت من أعمار أسواق القاهرة ، لكثرة ما يباع فيها من ملابس أهل الدولة وغيرهم . و « سوق الاخفافيين » ، ويبيع فيه أخفاف « النسوان » ونعالهن . و « سوق الكفتيين » ، ويشتمل على عدة حوانيت لعمل الكفت ، وهو ما تطعم به أوانى النحاس من الذهب والفضة ، ولا تكاد تخلو دار بالقاهرة ومصر من عدة قطع نحاس مكفت. ولا بد أن يكون فى شورة العروس — أى جهازها — دكة نحاس مكفت . والدكة عبارة عن شئ يشبه السرير ، يعمل من خشب مطعم بالعاج والأبنوس أو من خشب مدهون ، وفوق الدكة دست طاسات من نحاس أصفر مكفت بالفضة ، وعدة الدست سبع قطع بعضها أصغر من بعض ، يبلغ كبرها ما يسع نحو الأردب من القمح ، وطول الأكفات التى نقشت بظاها من الفضة نحو الثلث ذراع فى عرض اصبعين ، ومثل ذلك دست أطباق ، عدتها سبعة ، بعضها فى جوف بعض ، ويفتح أكبرها نحو الذراعين وأكثر ، وغير ذلك من المنابر والسرر واحقاق الاشنان والطشت والابريق والمبخرة . فتبلغ قيمة الدكة من النحاس المكفت زيادة على مائتى دينار ذهباً ..

وكانت العروس من بنات الأمراء أو الوزراء أو أعيان الكتاب أو أمثال التجار تجهز فى شورتها عند بناء الزواج عليها سبع دك : دكة من فضة ، ودكة من كفت ، ودكة من نحاس أبيض ، ودكة من خشب مدهون ، ودكة من صينى ، ودكة من بلور ، ودكة كدهى وهى من ورق مدهون ، تحمل من الصين (١)

الحالة العلمية

قامت فى مصر ، فى عصر المماليك ، حركة علمية لا بأس بها ، وقد يبدو ذلك لأول وهلة غريباً بعض الشيء ، للأسباب التى بينها فيما مضى ،

(١) ملخص عن باب الاسواق ، الجزء الثالث ، من ص ١٥٢ الى ص ١٧٤ من الخطط للمقريزى

ومنها أن المماليك كانوا عناصر أجنبية عن سكان البلاد ، وانتشار الفتن والثورات طوال مدة حكمهم ، وتعرض البلاد للأوبئة والمجاعات بين آن وآخر . ولكن مع ذلك قامت حركة ثقافية وعلمية في مصر ، اذ كانت الظروف تحتم قيامها : فمعلوم أن المغول قضوا على بغداد سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) ، فأصبحت الحضارة العباسية الزاهرة بضربة قاصمة ، قضت على جهود قرون عديدة ، وقذف هولاء بالكتب التي كانت تملأ مكاتب بغداد في نهر دجلة ليعبر عليها جنوده النهر

وسبق القول أن الظاهر بيبرس نقل الخلافة الى مصر سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م) ، فصارت مصر بذلك قبلة المسلمين . وكان طبيعيا أيضا أن ينتقل مركز الثقافة الاسلامية من بغداد الى القاهرة ، التي لم تمتد اليها جحافل المغول وأسراهم ، وان كانت قد غرقت في نهر دجلة كنوز من العلم والمعرفة لا يمكن أن تعوض

غير أن الحركة العلمية في عهد المماليك لم تتميز بالابتكار والكشف والاختراع ، كما كان الحال في العصر العباسي ، وانما سارت الحركة سيرا هينا لينا . فنهج الكتاب والعلماء في العلم أيسر سبله ، وأقلها عناء وجهدا ، وان كان قد ظهر قليل من كتب الطب مثل كتاب « شرح تشريح القانون » لأبي الحسن علي بن النفيسي المتوفى سنة ٦٨٧ هـ (١٢٨٨ م) ، والذي كشف نبض الدورة الدموية ، قبل أن يكتشفها العالم البرتغالي سرفيتوس بثلاثة قرون . وكان أبو الحسن هذا عميدا لمستشفى قلاوون . و « كتاب كامل الصناعتين ، البيطرة والزراعة » لمؤلفه أبي بكر بن المنذر البيطار المتوفى سنة ٧٤١ هـ (١٣٤٠ م) ، وكان مشرفا على اصطبلات الناصر محمد بن قلاوون (١) وكتاب « فضل الخيل » تأليف عبد المؤمن الدمياطي المتوفى سنة ٧٠٦ هـ (١٣٠٦ م) ، والذي كان يحاضر في المدرسة المنصورية التي أسسها قلاوون

(١) تاريخ العرب : تأليف فيليب حتى وترجمة المرحوم مبروك نافع ص ٨٨٦ - ٨٨٧

ولكن اشتهر عصر المماليك بكتب الموسوعات ، وقد بقى لنا منها ثلاث موسوعات عظيمة هي كتاب « نهاية الأرب » للنويرى ، الذى ألفه فى ثلاثين مجلدا ، فى زمن الناصر محمد بن قلاوون ، وكتاب «صبح الأعشى» للقلقشندي فى أربعة عشر جزءا . والقلقشندي نسبة الى قلقشندة ، احدى قرى مديرية القليوبية . وقد توفى سنة ٨٢١ هـ (١٤٧١ م) وكتاب « مسالك الأبصار » لابن فضل الله العمرى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م) ويقع فى أكثر من عشرين جزءا ، وتعتبر هذه الموسوعات معينا خصبيا ينهل منه الكتاب والأدباء والمؤرخون فى عصرنا الحاضر

كذلك نشطت كتابة التاريخ ، وازدهر العصر المملوكى بمؤرخين محققين ، تعتبر مؤلفاتهم مصادر أصلية فى دراسة هذه الحقبة من تاريخ مصر . فى مقدمة هؤلاء ابن خلدون ، المتوفى سنة ٨٠٨ هـ (١٤٠٦ م) ، صاحب كتاب « العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر » وأبو الفدا ، المتوفى سنة ٧٣٢ هـ (١٣٣١ م) ، مؤلف كتاب « المختصر فى أخبار البشر » ، وابن تغرى بردى المتوفى سنة ٨٧٤ هـ (١٤٦٩ م) ، صاحب كتاب « النجوم الزاهرة » ، فى ذكر ملوك مصر والقاهرة » ، وهو يتضمن تاريخ مصر من الفتح العربى الى فتح القسطنطينية سنة ٨٥٧ هـ (١٤٥٣ م) ، وجلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ (١٥٠٥ م) ، مؤلف كتاب « حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة » ، وشيخ المؤرخين تقي الدين أحمد المقرئى ٧٦٦ هـ - ٨٤٥ هـ (١٣٦٤ - ١٤٤٢ م) ، حجة زمانه ، ونابعة عصره . ومن أهم مؤلفاته كتاب « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » وكتاب « السلوك لمعرفة دول الملوك » ، وابن اياس المتوفى سنة ٩٣٠ هـ (١٥٢٣ م) مؤلف كتاب « بدائع الزهور فى وقائع الدهور » ومن كتب التراجم كتاب « وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان » لمؤلفه ابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ (١٢٨٢ م) . وكتاب « الاصابة فى تمييز الصحابة » لابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٣ هـ (١٤٤٩ م)

وقد راج الأدب القصصى ، فى هذا العهد ، ومن أشهر القصص كتاب ألف ليلة وليلة ، الذى تصور قصصه عصر المماليك ، بطريقة جذابة ، وان انتحلت شخصية هارون الرشيد وشخصيات العصر العباسى الأول لأبطال تلك القصص . كما ذكرت بغداد عوضا عن القاهرة . ومن القصص المشهورة أيضا قصتا عنتره ، والظاهر بيبرس ، وتعتبران من القصص الشعبية التى أعجب بها الشعب كثيرا

الفنون فى عصر المماليك

أوضحنا فيما مضى كيف أن فن العمارة فى عهد المماليك بلغ شأوا عظيما لم يبلغه فى الزمن السابق أو الزمن اللاحق لعصر المماليك . وذكرنا أمثلة لذلك بعض المساجد الشهيرة التى خلدت ذكرهم ، وازدانت بها القاهرة وما تزال . ووصفناها وصفا موجزا بقدر ما سمحت به صحائف هذا الكتاب . ووصفنا ما حفلت به من نقوش وزخارف . وما اشتملت عليه من تحف فنية وطرف غالية

والواقع ان ما أدركه فن البناء من تقدم ، امتد أيضا الى بقية الفنون الاسلامية فى هذا العهد . فازدهرت وارتقت أيما ارتقاء . وغصت قصور المماليك وبيوتهم بالتحف الثمينة من خشبية وخزفية وزجاجية وبلورية وعاجية ونحاسية . وفرشت بالطنافس والأبسطة والرياش الثمينة . ولقد سلمت لنا نماذج كثيرة من كل ذلك ، محفوظة الآن بالمتحف الاسلامى بميدان أحمد ماهر بالقاهرة ، ننصح القارئ ألا يفوته زيارتها ، واستجلاء محاسنها ، والاستمتاع بجمالها الفنى . والآن نأتى على وصف نماذج من تلك التحف ، معتقدين ان ذلك سيستهوى القارئ لرؤيتها فى المتحف الاسلامى المذكور رأى العين

المتحف الخشبية :

اشتملت التحف الخشبية فى العصر المملوكى على المنابر والكراسى والدكك والمشربيات والسقوف والأبواب والصناديق . وتمتاز كل هذه

المتحف بالأشكال الهندسية البديعة المحفورة عليها ، من مربعات ومعينات ومنحرفات ونجوم تتداخل بعضها في بعض ، وهى وان كانت لا يتكون منها موضوع كامل متماسك ، الا انه يتكون منها تراكيب غاية فى الرشاقة والابداع

وقد نشأت فى العصر المملوكى بعض أساليب جديدة فى صناعة التحف الخشبية كتطعيم الحشوات بخيوط أو أشرطة رفيعة « مستريكات » من نوع آخر من الخشب ، أغلى ثمنا ، وأندر وجودا ، أو بالعاج والعظم ، كما كانوا فى بعض الأحيان يكسون الخشب بطبقة دقيقة من الفسيفساء أو الزردشان مكونة من قطع صغيرة من الأبنوس والسن والقصدير

ويوجد فى المتحف الاسلامى بالقاهرة نماذج كثيرة لكل من الأنواع السابقة من أجملها الكرسي المستحضر من مسجد السلطان شعبان (٧٧٠ هـ - ١٣٦٩ م) وهو على شكل منشور سداسى من خشب شوح تركى ، مكسو بالفسيفساء الدقيقة من السن والأبنوس ، وزخرفته على شكل عقود فى الحشوات العليا والسفلى من الجوانب . والقاعدة فيها برامق مخروطة من أبنوس وسن ، تشاهد على أرجله كذلك

وكانت هذه الكراسى تستعمل فى قصور الممالك لوضع موائد الطعام عليها . وفى المساجد لحمل الشموع التى توجد بجانب المحراب عند الصلاة

وبشاهد عصر الممالك ازدهار صناعة المشربيات (١) ، المصنوعة من الخشب المخروط الدقيق الصنع . وقد كانت المشربيات تمتد من جدران البيوت الى الطريق ، فيختفى النساء وراءها عن أعين المارة فى الطريق ، كما ساعدت على تجميل بعض شوارع القاهرة وطرقاتها ، وعلى اكسابها طابعا فنيا جميلا

(١) دليل موجز لمروضات دار الآثار العربية تأليف فييت وتعريب زكى محمد حسن ص ٥٧

ويفسر بعض المشتغلين بالفنون الاسلامية كلمة مشربية بأنها مشتقة من الشرب ، ويذكر أن القلل كانت توضع خارجها فيبرد مأؤها (١) . ولكن لأستاذنا الجليل ، الأستاذ محمد فؤاد مرابط ، أستاذ تاريخ الفنون بجامعة القاهرة ، تفسيراً مقبولا ، فهو يذكر أن كلمة مشربية قد حرفت عن كلمة مشرفية ، التي تشتق من الشرافات التي تعلو البناء وتشرف عليه ، كالشرافات التي تعلو أسوار الجامع الطولوني . وكلمة مشربية أيسر في النطق عند العامة من كلمة مشرفية . ومن هذا القبيل تحريفهم اسم « باب الخرق » الى « باب الخلق » وقد أشرنا الى ذلك عند الكلام على الميادين التي أنشأها المماليك للعب الكرة ، اذ ان الاسم الاخير أكثر سهولة في نطقه ، وأكثر تداولاً ، وان كان أبعد عن المعنى المقصود من التسمية

التحف النحاسية :

وقد امتد تطور الزخرفة في التحف النحاسية الى الزخارف النباتية والهندسية ، التي رأيناها في الحفر على الأخشاب ، ولكن فضلا عن ذلك يشهد عصر المماليك تطورا آخر في التحف النحاسية ، وذلك بتطبيقها أو تكفيتها بالذهب والفضة . وسبق أن ذكرنا في أسواق القاهرة انه كانت بها سوق خاصة لهذه الصناعة هي « سوق الكفتين » ، وذكرنا طرفا من المصنوعات النحاسية المكففة . ولاشك أن القرن الثالث عشر الميلادي هو العصر الذهبي للتحف (٢) النحاسية الفاخرة المكففة . وزخارف هذه التحف ذات نضرة وبهاء ، يكسبان التحفة بريقا ولمعانا ، تظهر فيها الأساليب الفنية الايرانية . ولقد انتقلت هذه الصناعة الى القاهرة من الموصل ، بعد سقوطها في يد المغول ، ولقيت في مصر رواجاً عظيماً ، حتى أن كل شخص كان يحرص على اقتناء بعض الأواني النحاسية . ويقول

(١) انظر فهرس مقتنيات دار الآثار العربية تأليف مكس هرتس وتعريب المرحوم على (بك) بهجت ص ١١٢ - ١١٣

(٢) الدليل الموجز لمروضات دار الآثار ص ٦٤ - ٦٥

المقريزى : « انه كان لا يخلو بيت بالقاهرة ومصر من عدة قطع نحاس مكفت »

وبالمتحف الاسلامى بالقاهرة مجموعة كبيرة من تلك الأواني ، بمختلف أنواعها ، من صوان وكراسى وشماعد ومقالم وتنانير وشبايك وأبواب. ومن أجمل هذه التحف كرسيان من عهد الناصر محمد بن قلاوون مصنوعان من النحاس المخرم والمنقوش ، ويحمل أحدهما اسم صانعه محمد بن سنقر البغدادى السنانى ، وتاريخ صنعه وهو سنة ٧٢٨ هـ (١٣٢٧ م) فى عهد الناصر محمد بن قلاوون

ولما كانت وسائل الاضاءة قديما تعتمد على استعمال الزيوت والشموع فقد قامت صناعة المشكاوات والشماعد والتنانير « الثريات » وكلها قد تناولها الصناع بالنقش والزخرفة ، فصارت كل قطعة منها تحفة فنية رائعة. ومن أجمل الشماعد المحفوظة بالمتحف الاسلامى بالقاهرة شمعدان صنع بأمر السلطان قايتباى سنة ٨٨٧ هـ (١٤٨٢ م) ليهدى الى الحرم النبوى الشريف بالمدينة . وقوام زخارفه كتابات تظهر بوضوح على أرضية من سيقان وفروع نباتية وزهور . وتنتهى حروف الكتابة بأشكال تشبه المقص

ومن أجمل المقالم مقلمة من النحاس مكفتة بالذهب والفضة باسم السلطان الملك المنصور محمد المتوفى سنة ٧٦٤ هـ (١٣٦٣ م) . ومن أجمل التنانير تنور باسم السلطان حسن مؤرخ سنة ٧٦٣ هـ (١٣٦١ م) مصنوع من النحاس على شكل منشور مشمن . وفوق التنور قبة صغيرة وهلال ولا تزال كثير من مساجد الممالك تحتفظ بشبايكها وأبوابها المكفتة بالذهب والفضة ، كأبواب مدرسة السلطان حسن ومصراعى باب جامع السلطان برقوق

الخزف والقاشانى :

ولقد تأثرت صناعة الخزف فى عصر المماليك بصناعة الخزف الايرانى . فبعد أن كانت الطريقة السائدة هى صناعة الخزف ذى البريق المعدنى انتشرت صناعة الخزف ذى الزخارف تحت الطلاء ، واللونان المفضلان هما الأخضر أو الأسمر . والزخارف متنوعة جدا والصور الآدمية نادرة جدا أما الحيوانات فمرسومة فى أوضاع جامدة

ومن أشهر صناعات الخزف فى هذا العصر غزير وغزال ودهين وغيبى والأستاذ المصرى ، ولكل من هؤلاء بالمتحف الاسلامى قطع من آنية تنسب اليه ، وجدت فى حفائر القسطاط ، حيث كانت توجد مصانع الخزف ، وعلى أكثرها زخارف نباتية من أوراق شجر وغصون مختلفة الأشكال ، محفورة تحت الطلاء ، مما امتازت به زخرفة الخزف فى هذا العصر

وفى نهاية القرن الخامس عشر تظهر فى مصر صناعة القاشانى الذى تكسى به الجدران . ومن أمثلة هذا القاشانى قرص مصنوع فى مصر ، وهو باسم السلطان قايتباى سنة ١٤٩٦ م ، وحروف كتابته بيضاء على أرضية زرقاء . والاطارات المستديرة ، والمقسمة الى ثلاث مناطق بوساطة خطين أفقيين فيها ، توجد كثيرا على العمارات والتحف الفنية فى عصر المماليك ، ومثلها قرص السلطان قايتباى السابق ذكره ، ونص الكتابة عليه « عز لمولانا السلطان ، الملك الأشرف أبو النصر قايتباى ، عز نصره »

التحف الزجاجية :

ولقد صنع الفنانون فى عصر المماليك من الزجاج القوارير والأباريق والكؤوس والمصابيح والزجاجات . وكانت صناعته منتشرة فى مصر وبلاد الشام ، خصوصا فى حلب ودمشق . ولكن أجمل ما صنع منه فى ذلك العصر المشكاوات ، وتعد بحق فخر عصر المماليك فى صناعة الزجاج .

ومن حسن الحظ أن أبقى الزمان على مجموعة كبيرة منها ، محفوظة بالمتحف الاسلامى بالقاهرة ، تعد أكبر وأنفس مجموعة من المشكاوات فى العالم وهذه المشكاوات مطلية بالمينا ، وعليها زخارف قوامها أشربة تملؤها كتابات أو جامات وفروع نباتية تقليدية ، ولكن بعضها تغطى سطحه بأكمله رسوم زهور ونباتات شبيهة بما يرى فى زخارف الديباج ، فتبدو كأنها ملفوفة فى زخارف فاخرة من الزهور والأوراق النباتية . ويرى منقوشا على بدن المشكاة وغيرها من التحف الخزفية والمعدنية رسوم أشربة أو « رنوك » تحمل شارات السلاطين والأمراء ورؤساء الجند فى دولتى المماليك الذين صنعت لهم هذه التحف ، كالكأس والدواة والسيف والصولجان . وقد وردت على كثير من المشكاوات الآية القرآنية الكريمة : « الله نور السماوات والأرض . مثل نوره كمشكاة فيها مصباح . المصباح فى زجاجة . الزجاج كأنها كوكب درى »

وأكثر أسماء السلاطين ورودا على هذه المشكاوات اسم السلطان حسن ، الذى جلب من مسجده أكبر عدد منها ، ثم الناصر محمد بن قلاوون ، ثم السلطان برقوق ، والأشرف أبو النصر قايتباى . ومن الأمراء الأمير سلار ، والأمير ألماس ، وآق سنقر ، وطغيتمر ، وشيخو

ومن بين هذه المشكاوات مشكاة وكرتها من زجاج بالمينا ، تظهر كأنها محاطة بشبكة من حبال مجدولة ، معقدة ، بالتماثل ، نشأ منها جامات غير منتظمة ، تحتوى على زهور ، أوراقها مختلفة الألوان من أزرق وأخضر وأحمر . والكرة والمشكاة هما باسم السلطان حسن سنة ٧٦٤ هـ (١٣٦٣ م) (١)

المنسوجات (٢) :

اضمحل نسج الكتان بمصر فى عصرى الأيوبيين والمماليك ، وزادت

(١) اليوم دار الآثار العربية ، تأليف جستون فييت ، ترجمة الاستاذ حسن الهوارى من ١٦
(٢) فنون الاسلام ، الدكتور زكى محمد حسن من ٣٦٥

العناية بنسج الحرير وتطريزه ، وبتزيين المنسوجات بالزخارف المطبوعة المتنوعة التي تشبه الزخارف التي نراها على التحف الخزفية والمعدنية في العصر نفسه . ومما تجب ملاحظته أن نسج الحرير في عصر المماليك قد تأثر الى حد كبير بمنتجات الشرق الأقصى التي أدخلها المغول في العصر الاسلامى الى الأقطار الاسلامية اما عن طريق التجارة أو عن طريق الهدايا ، فقد ذكرت المصادر التاريخية أخبار بعثات تبودلت بين المماليك والمغول تحمل الهدايا القيمة من المنسوجات النفيسة . لذلك توجد قطع عليها أسماء سلاطين المماليك ، ولكن يصعب الجزم بأنها من صناعة مصر أو عمال مصريين

ومع انحطاط المنسوجات الكتانية في عصر المماليك ، وجد قليل منها ، مثال ذلك قطعة محفوظة بالمتحف الاسلامى من القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) يبدو في زخرفتها ما امتاز به هذا العصر من استعمال خط النسخ في كتابة العبارات الدعائية مثل «العز الدائم والاقبال» و « سيادة مؤبدة ، ونعمة مخلدة » فضلا عن الاقبال على الزخارف النباتية ، والأشكال الهندسية من مثلثات ودوائر ومعينات ، ورسوم القطعة المذكورة مطرزة بالحرير الأسود والأزرق

الباب السابع

المتاهة في عهد العثمانيين

من ٩٢٢ - ١٢١٣ هـ (من ١٥١٧ - ١٧٩٨ م)

- ١ -

لم يفت العثمانيين ، بالرغم من توغلم في شرق أوروبا ، واستيلائهم على كثير من أقطارها ، ما عليه دول الشرق الاسلامية من رغد وغنى ، وما تجنيه الدولة العثمانية من قوة ، وشدة بأس وثبوت قدم ، من وراء الاستيلاء عليها ، بالاضافة الى الغنى والثروة ، التي كانت تزخر بهما تلك الدول . ولم يغب عن العثمانيين ما كان للشرق من حضارة عظيمة ، استضاء العالم بنورها ردحا من الزمان ، وأن مصر كانت مركز تلك الحضارة

فما أن تولى السلطان سليم الأول عرش آل عثمان سنة ٩١٨ هـ (١٥١٢ م) ، الا وأخذ يعد العدة ، وينتحل الأسباب لغزو الدولتين العظيمتين في الشرق الاسلامي ، ألا وهما مصر وايران . فبدأ بالثانية باعتبارها زعيمة الشيعة ، ومحرضة رعاياه الشيعيين على التمرد والعصيان . وجهز في سنة ٩٢٠ هـ (١٥١٤ م) جيشا قاده بنفسه ، واستولى على ديار بكر وكردستان ، وتوغل في ايران ، حيث تقابل مع الشاه اسماعيل الصفوى في جمادى الثانية سنة ٩١٨ هـ (أغسطس سنة ١٥١٢) بالقرب من تبريز ، وأنزل بالشاه اسماعيل هزيمة ساحقة ، ثم رجع الى بلاده غالبا منصورا

ثم يكن هناك بعد ذلك ريب في أن سليما سيكر الكرة على مصر ، ولم

يصعب عليه أن يتصيد بعض المعاذير للاعتداء عليها ، والفتك بها ، والاستيلاء على وادى النيل وبلاد الشام . فهو ينعى على السلطان الغورى ارتباطه مع الشاه اسماعيل الصفوى بمخالفة سرية ، كما يتهمه بايواء الأمراء العثمانيين ، الفارين من بطشه وجبروته . ولكى يظهر استهائته بحكومة مصر ، استولى على احدى الإمارات الواقعة على حدود الشام ، التى كانت تستظل بحماية المماليك ، وهى اماره ذى الغادر « دلغادر » سنة ٩٢١ هـ (١٥١٥ م)

ولما أحس الغورى بشرر العدوان يتطير من القسطنطينية ، خرج وكانت سنه قد أوفت على السبعين ، فى جيش كبير لملاقاة سليم على حدود الشام ، قبل أن يتوغل فى أرض مصر ، فتعذر مقاومته . وكان سليم قد جهز جيشا كبيرا ، كامل العدد والعدة ، واصطحب معه ، فضلا عن ذلك ، شرذمة من الجواسيس والخونة المارقين من المماليك ، ليدلوه على مواطن الضعف فى الجبهة المصرية ، وليستميلوا قواد الجيش الى جانب العثمانيين ، فتتحقق هزيمة الجيش المصرى بقوة السلاح ، وبفعل الختل والخديعة . ولقد استطاع سليم فعلا أن يشتري ذمم بعض المماليك أمثال خيربك الجركسى نائب حلب ، وچان بردى الغزالى ويونس العادلى ، والسمرقندى بأن مناهم بأجل المناصب وأرفعها

وتقابل الطرفان فى مرج دابق ، على مسيرة يوم شمالى حلب ، فى ٣٠ رجب سنة ٩٢٢ (٢٩ أغسطس سنة ١٥١٦) والتحم الجيشان فى وقعة حامية ، وكادت الدائرة تدور على العثمانيين ، لولا أن سعى الجواسيس بالفتنة بين صفوف الجيش المصرى ، ولولا أن تقهقر خيربك بميسرة الجيش ، وانهزام ميمنته . فبقى الغورى فى المعركة بمفرده ، وانفض الجميع من حوله ، وقتل تحت سنابك الخيل ، وانجلت الوقعة عن انتصار العثمانيين انتصارا حاسما . فتقدم سليم الى حلب واستولى عليها ، ثم الى دمشق التى فتحت له أبوابها ، وأصبح الطريق الى مصر ممهدا ميسورا

وصلت أخبار الهزيمة الى القاهرة ، فأخذ طومان باى نائب السلطنة يستحث المماليك على الخروج لملاقاة العثمانيين قبل أن يطبقوا عليهم في القاهرة ، ويستنفروهم للقتال ، ولكنه لم يلق منهم الا تقاعسا وصدودا . وأخيرا وصلت مقدمة الجيش العثماني الى الصالحية ، وأصبح الخطر ماثلا لعيونهم ، فهبوا لملاقاة الغزاة الفاتحين ، ودارت بين طوماى باى وسليم وقعة أعظم من وقعة مرج دابق ، بميدان الريدانية ، في ٢٨ ذى الحجة سنة ٩٢٢ (٢٢ يناير سنة ١٥١٧) ، قتل فيها من العثمانيين خلق كثير، ولكنهم استماتوا في القتال ، وانقسموا الى فريقين : أحدهما جاء من تحت الجبل الأحمر ، وهاجم القسم الآخر معسكر الريدانية ، ولم تمض سوى ساعات معدودات حتى حاقت الهزيمة بالمماليك ، فولوا الادبار . وظل طوماى باى يحارب في نفر قليل من العبيد والمماليك السلحدارية ، ولما لم تجد المقاومة ، ولتى هو الآخر هاربا . وقد عمل الخونة عملهم في هذه الواقعة أيضا ، ونقلوا الى العثمانيين أسرار الجيش وأخباره

وفي ٢٥ يناير نقل سليم معسكره من شمال الريدانية الى بولاق ، ثم دخل القاهرة في اليوم التالي من باب النصر ، ودهم طومانباى المعسكر العثماني مرتين ، ولكن دون جدوى ، فاضطر أخيرا للتسليم بالهزيمة ، واختبأ لدى أحد مشايخ العربان في البحيرة وكان لطوماى باى عليه أيد كثيرة ، وفضل سابق ، الا انه لم يرع شيئا من كل ذلك ، وسلم طومان باى للعثمانيين . فشنقه سليم على باب زويله في ٢٣ ربيع الأول سنة ٩٢٣ (١٥ ابريل سنة ١٥١٧) ، وترك جثته معلقة ثلاثة أيام، تشفيا منه وانتقاما . ثم دفنت بعد ذلك . ولقد بكاه الناس كثيرا ، لشجاعته وابائه ونبله ، وكان عمره اذ ذاك أربعين عاما

استتب الأمر اذن لسليم الأول ، وخلص له مثلك مصر ، وقضى على دولة المماليك ، وكافأ خاير بك ، جزاء خيائه ونذالته ، بالولاية على مصر، كما تولى النذل الآخر، جان بردى الغزالي ، أمر بلاد الشام . وشرع سليم

بعد ذلك يضع لها نظاما لادارتها ، بحيث تظل أبد الدهر مستعمرة عثمانية ،
وكبلها بالقيود التي لا فكاك لها منها ، والتي تقضى على حضارتها الغابرة ،
وتزج بها في دياجير البؤس والشقاء . ولا عجب أن يصف المؤرخون عهد
الاحتلال العثماني لمصر ، الذي استمر قرابة ثلاثة قرون ، بالعهد المظلم
في تاريخ مصر

وكان من نتائج سقوط مصر في أيدي الأتراك العثمانيين ، أن قبض
السلطان سليم على الخليفة العباسي ، وأجبره على الرحيل معه الى
القسطنطينية . وبذلك لم تفقد مصر استقلالها وحريتها فحسب ، بل قضى
أيضا على الخلافة التي انتقلت الى مصر منذ عهد الظاهر بيبرس ، وأصبح
السلطان العثماني يلقب منذ ذلك الحين « بمالك البرين والبحرين ، وكاسر
الجيشين ، وسلطان العراقين ، وامام الحرمين الشريفين »

ظلت مصر خاضعة للعثمانيين منذ سنة ١٥١٧ م حتى سنة ١٧٩٨ م ،
حين غزاها الفرنسيون بقيادة نابليون بونابارت ، ولم تدخر وسعا طوال
هذه القرون الثلاثة في نفص السيطرة العثمانية عن كاهلها ، واستعادة
حريتها واستقلالها . ولكن تعذر ذلك عندما كانت الدولة العثمانية مازال
في عنفوانها وكامل قوتها ، فلما دب الضعف في أوصالها ، سنحت لها
الفرصة لادراك بغيتها ، وكان البطل الذي نادى باستقلالها هو علي بك ،
الذي لقب فيما بعد بعلي بك الكبير

علي بك الكبير :

كان علي بك مملوكا يبيع في سوق الرقيق بالقسطنطينية ، ثم اشتراه
ابراهيم كتخدا أحد أمراء المماليك في مصر سنة ١١٥٧ هـ (١٧٤٤ - ١٧٤٥ م) .
وامتاز بقوة الشخصية ، والطموح ، لذلك ظل يتغلب على منافسيه من
المماليك حتى وصل الى وظيفة شيخ البلد ، سنة ١٧٦٣ م ، وتلى وظيفة
الوالي العثماني في الأهمية . وانتهاز فرصة اشتباك الدولة العثمانية في
حرب مع روسيا سنة ١١٨٢ هـ (١٧٦٩ م) فأعلن استقلاله بمصر

وأخذ على بك بعد ذلك في تحقيق الأمنية التي كانت تكمن في نفسه ، وهي تحقيق السلطنة المملوكية ، واستعادة مجد المماليك الغابر ، فأرسل سنة ١١٨٤ هـ (١٧٧٠ م) حملة كبيرة بقيادة محمد أبى الذهب استولت على الحجاز . وأرسل في سنة ١١٨٥ هـ (١٧٧١ م) حملة أخرى ، بقيادة محمد أبى الذهب أيضا للاستيلاء على الشام ، فدخل أبو الذهب دمشق ، وعادت الشام بذلك الى حكم مصر ، كما كان الحال في عهد المماليك

ولكن العثمانيين الذين لم يكن لديهم من القوة ما يقهرون به على بك ، كانت لديهم أسلحة أخرى لا تقل مضاء عن السيف والمدفع ، تلك هي أسلحة الدس والوقيلة ، التي انتصروا بها على الغورى في مرج دابق ، وعلى طومان باى في الريدانية. فأخذوا يستميلون اليهم أبا الذهب، ويمنونه بحكم مصر ، وشق عصا الطاعة على سيده على بك . فعاد أدراجه بجيشه الى مصر ، وهزم على بك ، واستولى على مصر . ففر على بك الى الشام ، حيث أعد جيشا يستعيد به مصر ، ويحارب به أبا الذهب ، ولكنه هزم عند الصالحية وأخذ أسيرا الى القاهرة ، حيث مات متأثرا بجراحه في صفر سنة ١١٨٧ هـ (مايو سنة ١٧٧٣) وبذلك رجعت مصر ثانية الى جبروت العثمانيين

حكم مصر محمد أبو الذهب نائبا عن السلطان العثماني ، جزاء له على نذاته وخيافته لسيده على بك ، ولكنه لم ينعم بحكمها أكثر من عامين ، توفي بعدهما ملوما مدحورا . وخلفه على عرش مصر ثلاثة من المماليك هم البكوات : اسماعيل ، وابراهيم ، ومراد ، ولكن الآخرين اتحدا ضد الأول ، واستأثرا بالسلطة ، وصارا يتناوبان مشيخة البلد وامارة الحج ، وهما السلطان الادارية والحربية ، فكان ابراهيم عادة شيخ البلد، ومراد بك أمير الحج وقائد الجيش . وظل الحال كذلك الى أن دهمت الحملة الفرنسية مصر في يوليو سنة ١٧٩٨ ، فاتتهى حكم البكوات المماليك نهائيا من مصر ، وتقلص ظل الدولة العثمانية منها أيضا

- ٢ -

لم يطرأ على القاهرة فى العهد العثمانى أى تغيير أو تبديل فى تخطيطها ، ولم تتسع مساحتها أو تزداد رقعتها عما كانت عليه فى عهد المماليك . ولم تسير الزمن فى تقدمه . بل ظلت طوال الاحتلال العثمانى جامدة صامدة . ولا نغالى اذا قلنا انها رجعت القهقرى كما أراد لها سليم الأول . وظلت تتلاشى تدريجيا (١) بسبب الفقر الذى خيّم على البلاد ، وسوء حكم الباشوات ، وعبث البكوات المماليك ، وكثرة ما كان يشتعل فى أنحاء القاهرة من فتن وثورات ، يتخذ الثوار خلالها من المساجد حصونا ومهاقل ، خصوصا مساجد أحمد بن طولون ، والسلطان حسن ، والمحمودية ، والماس ، ويطلقون قذائف المدافع من الأسطح والمآذن ، فتصدعت جدرانها ، وأصابها كثير من التلف والدمار . فتسبب عن ذلك أن أقفر حى القلعة من سكانه ، وتحولت قصور الأغنياء فيها الى أحواش سكنها الرعاع . اذ هجرها أصحابها الى حىّ بركة الفيل والأزبكية ، اللذين أصبحا المقرين المفضلين لدى الأمراء والخاصة

وظلت القاهرة بحدودها القديمة المعروفة ، وكان باب الحديد نهاية حدود مبانيها جهة الشمال الغربى ، والأزبكية وما حولها من مبان نهاية العمران غربا . والطريق بينها وبين بولاق مقفرة ، خالية من العمران . لذلك كانت بولاق تعد من ضواحي القاهرة فى ذلك العهد . كذلك كانت مصر القديمة أيضا . وكانت الطريق بين الناصرية ومصر القديمة مقفرة من المساكن ، ليس بها الا مزارع وحدائق . ولم يكن على شاطئ النيل سوى بعض مبان قليلة ، كقصر ابراهيم بك « قصر العينى » ، تجاه الروضة ، وبجواره بيت لمحمد كاشف الأرناءوطى ، وعن شماله بيت لمصطفى بك

وكانت بولاق مرفأ القاهرة فى الشمال ، ومقرا للجمارك ، ومصر القديمة

(١) سيرة القاهرة لستانلى لين بول ص ٢٢٢

مرفأها فى الجنوب . والأولى فرضة تجارة الوجه البحرى ، والثانية
فرضة تجارة الوجه القبلى

وأطول شوارع القاهرة هو الموصل بين باب الحسينية وباب السيدة
نقيسة . ولم يكن بها سوى أربعة ميادين هى : قره ميدان ، تحت القلعة ،
وميدان الرملة ، المجاور لقره ميدان ، ويفصلهما باب اسمه قره ميدان ،
وميدان بركة الفيل ، وميدان الأزبكية أو ميدان بركة الأزبكية ، لامتلأه
بماء النيل وقت الفيضان ، فيصبح بركة يتنزه فيها الناس بالزوارق ليلا
ونهارا ، وتوقد المصاييح فى البيوت المطلة عليها ، فيكون المنظر بهيجا ،
ولا سيما فى الليالى القمرية

وقد وصف الشيخ حسن العطار أحد أدباء ذلك العصر بركة الأزبكية (١)
فقال : « وأما بركة الأزبكية فهى مساكن الأمراء ، وموطن الرؤساء ، قد
أحدقت بها البساتين الوافرة الظلال ، العديعة المثال ، فترى الحضرة فى خلال
تلك القصور المبيضة ، كثياب سندس خضر على أثواب من فضة ، يوقد
بها كثير من السرج والشموع ، فالأنس بها غير مقطوع ولا ممنوع ،
وجمالها يدخل على القلب ، ويذهل العقل ، حتى كأنه من النشوة مخمور »
ومن بين قصور الأمراء المشرفة على بركة الأزبكية قصر « رضوان
بك الجنقى » وقصر « أحمد الشرايبي » وكان من أغنى تجار القاهرة اذ ذاك ،
وقصر محمد بك الألفى ، الذى أصبح فى عهد الحملة الفرنسية دارا للقيادة
العامة للجيش الفرنسى ، ومسكنا للقائد العام . وفى حديقته قتل كليبر ،
خليفة نابليون ، اذ قتله سليمان الحلبي بتحريض من العثمانيين

وكثرت بأحياء القاهرة الأخرى الأبنية المتخربة ، اذ عفت الميادين
والرحاب والمتنزهات ودرست قصور الخلفاء والسلاطين ، وما شيدوه من

(١) الأزبكية نسبة الى الأمير أزبك من طوط ، مشيد جامع أزبك ، الذى كان قريبا من البركة
وقد هدم عام ١٨٦٩ م

العمائر والمناظر والدواوين والمدارس ودور الكتب وغيرها من معالم الحضارة والعمران ، ولم يقف الهدم والتخريب عند هذا الحد ، بل لقد ازدادا تفاهما في عهد الاحتلال الفرنسي ، كما سيأتى شرح ذلك فى موضعه وفى الجهة البحرية لبركة الأزبكية قام الحى القبطى ، وكان جزءا من خط المقس ، وفى سنة ١٧٩٩ م نقلت اليه البطرياركية القبطية من حارة الروم بالدرب الأحمر ، وشيدت الكنيسة المرقسية الكبرى

وفى شرقى البركة كان يوجد حى الافرنج ، حيث أنشأوا مساكنهم ، وأقاموا متاجرهم ، وبنوا الفنادق لينزل فيها السائحون الأوربيون ، الذين يزورون القاهرة . وفيه كانت توجد دور قناصل الدول الأوربية . وشرقى هذا الحى كان يوجد حى اليهود ويعرف بحارة اليهود ، وما يزال يوجد الى اليوم فى موضعه . ويمتد جنوبى هذين الحين شارع الموسكى ، وكان يصل بين بركة الأزبكية والخليج المصرى الكبير . وقد سمي كذلك ، لأنه كانت توجد فوق الخليج ، تجاه هذا الشارع ، قنطرة شيدها عز الدين موسك ، أحد قواد صلاح الدين

وكانت القاهرة مقسمة الى اثمان وأخطاط . وكان كل خط يحتوى على شوارع . وتنقسم الشوارع الى دروب وحارات وعطفات . وأغلب الحارات والعطفات غير نافذة ، الا الى الدروب . فكانت المدينة أشبه شىء بعدة قرى مجتمعة . والدروب والعطفات والحارات عليها « بوابات » ، وتغلق كل بوابة بعد العشاء ، وينام خلفها بواب ، يستأجره أهل الحارة . ولا يتأخر أحد بعد العشاء عن الحضور الى بيته الا للضرورة (١)

وبالرغم مما أصاب القاهرة من ركود ، وما قصد بها من شر ، وما حل بمبانيها ودورها من خراب ودمار ، فقد ظلت محتفظة بمكاتها التاريخية . اذ ما زالت تعتبر بالرغم من كل ذلك أعظم مدن الشرق قاطبة ، وما زالت

بها المساجد والمدارس ، وتزخر بالحمامات والخانات والتكايا والخوانيت والوكالات التى تجلب اليها البضائع من مختلف الأقطار

— ٣ —

العمارة فى عهد العثمانيين :

وصفنا فيما سبق كثيرا من المنشآت فى عصر المماليك ، وشرحنا مبلغ ما وصل اليه فن البناء من تقدم وازدهار . ولا نغالى اذا قلنا انه وصل الى قمة التقدم وذرورة الرقى

فلما وقعت مصر تحت سيطرة العثمانيين ، دخل فن البناء فى فترة ركود عميق ، وانحطاط ظاهر . وليس فى ذلك شىء من الغرابة ، فالمشاهد أن تقدم فن البناء وغيره من الفنون رهن بتشجيع القادة والأمراء وذوى اليسار . فاذا ما انقطع هذا التشجيع ، أدرك الركود والانحطاط تلك الفنون

والسلطان سليم ، فيما وضعه من أنظمة للبلاد ، بعد أن تمت له السيطرة عليها ، لم يكن ليعنى برفاهيتها وتقدمها ، بقدر اهتمامه بربطها بعجلة الإمبراطورية العثمانية ، واستنزاف مواردها ، وابتزاز أموالها ، واذلال أهلها . ولم يكن ليهمه مطلقا أن تتابع القاهرة تقدمها ، وأن تزدهر العمارة فيها ، وتسير فى الطريق التى رسمها لها صلاح الدين ، والمماليك من بعده . بل أكثر من هذا كان يهيمه أن يأفل نجم القاهرة ، وأن ينحط شأنها ، وألا يتحدث الناس بأخبارها فى مشارق الأرض ومغاربها ، وأن ينزع من بديها مشعل الحضارة الذى ظلت تحمله عدة قرون ، وأن يتحول اهتمام الناس عنها الى القسطنطينية ، مركز السلطنة الجديد ، ومستقر خلافة المسلمين الحديث . يؤيد ذلك ما ذكره ابن اياس (١) ، المؤرخ المصرى

(١) ولد محمد بن اياس بالقاهرة سنة ٨٥٢ هـ ، وتوفى بها سنة ٩٣٠ (١٤٤٨ - ١٥٢٣ م) وقد ألف كتابا فى تاريخ مصر هو (بدائع الزهور فى وقائع الدهور) وهو ثلاثة أجزاء

الذى عاصر حوادث الغزو العثماني لمصر ، من أن سليما عندما عزم على العودة الى القسطنطينية ، وسافر الى الاسكندرية ، أمر بحبس ألفين من المصريين ، من رجال الحرف والصناعات ، وكبار المباشرين والتجار ، الى جانب من القضاة والأعيان والأمراء والمقدمين ، حبسهم في أبراج الاسكندرية وخاناتها ، انتظارا لقيام المراكب بهم الى القسطنطينية . وكان قد نزع من بيوت مصر والقاهرة أثمن ما فيها من منقول وثابت ، حتى الأخشاب والبلاط والرخام والأسقف المزينة والأعمدة السماقية بألوان القلعة ، ومجموعة المصاحف والمخطوطات والمشاكي والكراسي النحاسية والمشربيات والشمعدانات والمنابر

فعل سليم السفاح بالقاهرة ما فعله هولاء الجبار ببغداد في منتصف القرن الثالث عشر ، وتيمورلنك العاتي بالشام في أواخر القرن الرابع عشر ، من سلب ونهب ، وازهاق للأرواح وسفك للدماء . وعمل على طمس معالم الحضارة في القاهرة كما طمسها التتار البرابرة في بغداد من قبل . وكان الولاة الذين تبعث بهم القسطنطينية الى القاهرة في الغالب طغمة من الأتراك القساة ، الذين يجهلون ألوان الحضارة الاسلامية ، ولا يقيمون لها وزنا ، ولا ينتظر منهم تشجيع لها ، أو الاسهام في تقدمها . هذا فضلا عن قصر مدة بقائهم في ولاية مصر ، حتى لا يثحّث الواحد منهم نفسه بالاستقلال بها عن الأمبراطورية . لذلك لم يكن للوالى التركى هم سوى جمع المال وابتزاز التحف والهدايا من الناس . فلم يكن يعنى بتخليد ذكره ، بإنشاء أية مبرة في القاهرة ، تذكر المصريين بعهد السعيد !! ، لأنه راحل عما قريب الى وطنه ، مشيعا باللعنات ، لما اقترف من جرائم وآثام

ومهما يكن من أمر فقد ظل قبس من نور الماضى يلمع في أفق القاهرة ، وتشبه قليل من الولاة وبعض السراة والتجار والأعيان برجال مصر في العهد السابق . وشيدوا بعض المساجد والقصور والوكالات والختقاوات والأسبلة والكتاتيب ، ولكنها كانت دون مثيلاتها المملوكية روعة وجمالا ، ولا تدانيها في فخامتها وأبهتها

مميزات العمارة في هذا العهد :

ويغلب الطابع البيزنطى على مساجد هذا العهد ، هذا الطابع الذى جلبه الولاة الأتراك معهم من القسطنطينية ، والذى كان يتمثل فى كنيسة آيا صوفيا ، التى حولها الأتراك الى مسجد ، بعد فتحهم القسطنطينية فى عهد محمد الفاتح سنة ٨٥٧ هـ (١٤٥٣ م) . ويتجلى بصفة خاصة فى جامع سليمان باشا بالقلعة ، وجامع سنان باشا ببولاق ، وجامع الملكة صفية ، وجامع محمد أبى الذهب ، وجامع محمد على بالقلعة

ففيها نرى المآذن المشوقة الرفيعة ، الاسطوانية الشكل ، والتى تنتهى دائما بمسلة مخروطية ، مكسو ظاهرها بألواح من رصاص ، وكثرة القباب . والمسجد غالبا عبارة عن قبة كبيرة ، أمامها حوش مكشوف ، تحيط به أروقة ذات قباب صغيرة ، ولكن مع ذلك وجدت عدة تصميمات جديدة للمسجد ، فمن مربع تتوسطه أربعة أعمدة تحمل السقف ، الى مستطيل مكون من ايوانين ، تتوسطه درقاعة ، الى مساجد مثل المساجد الجامعة ، يتوسطها صحن مكشوف (١) ووجدت عناصر جديدة للزخرفة ، لم تكن شائعة قبل ذلك ، من هذا كسوة القباب والجدران بالقاشانى ، وتغطية الأرضية والوزرات بالرخام الملون ، ونقش الأسقف بالألوان البراقة . وانتشر انشاء السبيل يعلوه الكتاب منفردا ، وغير ملتحق بالمسجد . كما انتشر انشاء الدور ذات المقاعد والمشربيات الجميلة

أهم المنشآت

ومن أهم المساجد التى شيدت فى هذا العهد :

مسجد المحمودية : ويوجد بميدان صلاح الدين ، أمام باب العزب ، أحد أبواب القلعة ، وشرقى مسجد السلطان حسن ، وقبلى مدرسة قانى باى الرماح

(١) العمارة فى عصر محمد على (باشا)، من مقال للاستاذ حسن عبد الوهاب بمجلة العمارة ، العدد ٣ - ٤ سنة ١٩٤١

أنشأه محمود باشا ، أحد الولاة الأتراك سنة ٩٧٥ هـ (١٥٦٧ - ١٥٦٨ م) . وهو مرتفع عن مستوى الشارع ، ويصعد اليه بسلم . وداخل هذا المسجد عبارة عن مربع ، يتوسطه أربعة أعمدة كبيرة من الجرانيت ، تحمل منورا كبيرا مرتفعا عن السقف . وحول الأعمدة أسقف المسجد ، وهي مموهة بالذهب والألوان

وفي جدار المحراب باب يوصل الى قبة ملحقة بالمسجد ، وبارزة عنه . وهذا التصميم مقتبس من مسجد السلطان حسن ، كما اقتبس منه أيضا قاعدة المئذنة من حيث الوضع والشكل ، وان كان جزؤها العلوى تركى الطراز (١)

مسجد الملكة صفية : بشارع القلعة « شارع محمد على سابقا » . وقد أمرت بإنشائه الملكة صفية ، والدة السلطان محمد خان الثالث سنة ١٠١٩ هـ (١٦١٠ م) . وهو مرتفع عن مستوى الشارع ، كالمسجد السابق ، ويصعد اليه بسلاسل دائرية . ويتكون من جزئين : أحدهما الصحن ، والثانى القبة ، التى توجد شرقى الصحن . وهى محمولة على ستة عقود تحملها ستة أعمدة من الجرانيت . وبوسط الجانب الشرقى فجوة بها محراب ومنبر من الرخام المزخرف

والجامع كبقية المباني التركية فى مصر مبنى بالحجر الأحمر (٢)

مسجد البردينى : وهو بشارع الداودية . أنشأه كريم الدين أحمد البردينى سنة ١٠٢٥ - ١٠٣٨ هـ (١٦١٦ - ١٦٢٩ م) . وقد بلغ بناء هذا المسجد درجة من الاتقان لا تشاهد فى العصر التركى ، وانما ترجع الى العصر المملوكى الزاهر : فالجدران مكسوة بوزرة من الرخام الدقيق المختلف الألوان بها كتابات بالخط الكوفى المربع ، ومنتهى بطراز من الرخام الدقيق ، والمحراب من الرخام البالغ حد الاتقان والشبابيك من

(١) دليل موجز لاشهر الآثار العربية بالقاهرة ص ١٨٨

(٢) المصدر السابق ص ١٩٢

الخص المحلى بزجاج ملون . وبجوار المحراب منبر صغير مطعم بالصدف والسن . وبالجهة الغربية دكة المبلّغ ، ودرازينها من الخرط اللطيف ، وسقف الجامع محلى بنقوش مذهبة

وتختلف المئذنة عن مآذن المساجد التركية بأنها مكونة من ثلاث دورات ، مملوءة بالكتابات والنقوش (١) فهي والحالة هذه مصرية الطراز مسجد سنان باشا : وهو موجود بشارع السنانية ، ببولاق ، أنشأه سنان باشا بن على بن عبد الرحمن ، أحد ولاية مصر الأتراك سنة ٩٧٩ هـ (١٥٧١ م) . وهو يتكون من قاعة واسعة ، تعلوها قبة شاهقة ، يحيط بها من ثلاثة جوانب ، أوأوين ، صنعت أسقفها من قبوات صغيرة محمولة على عقود متكئة على أعمدة رخامية . ويحلى القبة من داخلها ومن خارجها شبايك جصية ، بها زجاج ملون ، وزواياها الأربع مكونة من طاقة كبيرة بداخلها مقرنص يتوسطه لفظ الجلالة

والمحراب من الرخام الدقيق ، يجاوره منبر من الخشب ، ومئذنة هذا المسجد بسيطة الشكل ، مقامة في الطرف الشرقى القبلى للواجهة (٢)

جامع محمد أبو الذهب : وشيده محمد بك أبو الذهب سنة ١١٨٧ هـ (١٧٧٣ م) وله واجهتان : احدهما شرقية ، وتواجه الجامع الأزهر ، والثانية بحرية تطل على ميدان الأزهر . وبكل من الواجهتين باب يصعد اليه بسلم حجرى

والمسجد عبارة عن قبة يحيط بها ثلاثة أروقة مسقوفة بقبوات محمولة على عقود متكئة بأطرافها على أعمدة من رخام . ويحيط بالأروقة الثلاثة طرقة مكشوفة، وبالقبة محراب مكسو بالرخام يجاوره منبر مطعم بالصدف. وبرقة القبة مجموعة من النوافذ المغطاة بشبايك من الجص والزجاج الملون ، وباطن القبة محلى بنقوش مذهبة

(١) دليل موجز لاشهر الآثار العربية ص ١٩٣

(٢) المصدر السابق ص ١٩١

وتختلف مئذنة هذا المسجد الموجودة بنهاية الطريقة القبلية عن المآذن التركية كل الاختلاف ، اذ أنها مربعة ومنتبهة بخمسة رءوس . وغربى دورة المياه سبيل وتكية ملحقان بالجامع . وقد عمل هذا المسجد على مثال جامع سنان باشا (١)

تجديد المساجد واصلاحها : بالاضافة الى ما ذكر آنفا من المساجد التى تم انشاؤها فى العهد التركى ، فقد حظيت بعض المساجد القديمة برعاية الأمراء والولاة الأتراك ، فتعهدوها بالتجديد والاصلاح . ولم يكن اصلاح المباني مما ينجح دائما ، فكثيرا ما كانت التعديلات التى أدخلها الأتراك على التحف والروائع القديمة سببا فى تشويهها

ومن المساجد التى جددت مسجد المؤيد الذى كان متهدما فقد أصلحه أحمد باشا أحد الولاة الأتراك سنة ١١٠٢ هـ (١٦٩٠م) . كما جدد مسجد الظافر الفاطمى المعروف باسم الفكهانى سنة ١١٤٨ هـ (١٧٣٥ م)

تجديد الجامع الأزهر : ولكن أضخم تجديد حظى به مسجد فى القاهرة هو ما قام به الأمير عبد الرحمن كتحدا من اصلاحات بالجامع الأزهر ، وما رتبته من خيرات ومبرات ، مما استحق معه أن يطلق عليه اسم « المصلح الكبير والمحسن العظيم » . وقد جراه فى هذا المضمار الأمير عثمان كتحدا القزدوغلى (٢) . فقد بنى هذا أيضا سنة ١١٤٨ هـ (١٧٣٥م) زاوية بالأزهر ، بصلى فيها العميان سميت بزاوية العميان ، وجدد رواق الأتراك ورحبته ورواق السلیمانية « الأفغانين » وأنشأ مسجده بميدان الأوبرا

أما عبد الرحمن كتحدا فقد أجرى فى الأزهر عمارات وخيرات عظيمة ، فزاد فى سعة الجامع بمقدار النصف تقريبا ، خلف المحراب القديم ، وأنشأ

(١) دليل موجز لاشهر الآثار العربية ص ٢٠٨

(٢) جاء فى سيرة القاهرة لستانلى لينبول ترجمة الدكتور حسن ابراهيم وآخرين ص ٢٤٣ أن الأمير عبد الرحمن كتحدا ابن الأمير عثمان كتحدا القزدوغلى وهذا غير صحيح

قبلة للصلاة ومنبرا للخطابة ، وشيد مدرسة لتعليم اليتامى وعمل صهريجاً للمياه ، وشيد له قبرا دفن فيه ، وتصدق على فقراء المجاورين بالطعام والكساء . ويقول الجبرتي انه « أنشأ مقصورة في الجامع مقدار النصف طولاً وعرضاً ، وتشتمل على خمسين عموداً من الرخام ، تحمل مثلها من البوائك المقصورة المرتفعة المتسعة من الحجر المنحوت ، وسقف أعلاها بالخشب النقي ، وبنى محراباً جديداً ومنبراً . وأنشأ له باباً عظيماً جهة كتامة » المعروفة بالدواداري « وهو المشهور بباب الصعايدة ، وبنى بأعلاه مكتباً ، له قناطر معقودة على أعمدة له من الرخام ، لتعليم الأيتام من أطفال المسلمين القرآن الشريف ، وجعل بداخله رحبة متسعة وصهريجاً عظيماً وسقاية لشرب العطاش ، وعمل لنفسه مدفناً بتلك الرحبة ، وجعل عليه قبة معقودة ، وتركيبية من الرخام البديع الصنع ، منقوش عليها أسماء العشرة المبشرين بالجنة ، ووصف للنبي عليه الصلاة والسلام وبعض الأشعار »

« وبنى أمام المدفن المذكور رواقاً مخصوصاً بمجاوري الصعايدة المنقطعين لطلب العلم ، وبه مرافق ومنافع ومطبخ ومخادع وخزائن كتب ... وبنى بجانب ذلك الباب منارة ، وأنشأ باباً آخر جهة مطبخ الجامع » وهو المشهور بباب الشورية « وجعل أيضاً عليه منارة ، وجدد المدرسة الطبرسية ، وجعلها مع المدرسة الأقبغاوية المقابلة لها من باب المزينين الكبير الذي أنشأه خارجها جهة القبو الموصل الى شارع السكة الجديدة بجوار المشهد الحسيني . وهذا الباب مؤلف من بايين عظيمين ، كل باب بمصراعين . وجعل على يمينه منارة « وقد تهدمت سنة ١٣١٥ هـ » وفوقه مكتب . وبداخله ميضأة . ووراء ذلك درج المنارة ، ورواق البغداديين والهنود . وقد جاء هذا الباب الكبير وما بداخله من المدرسة الطبرسية والأقبغاوية والأروقة من أحسن المبانى في العظمة والفخامة . وزاد في رواق الشوام ، ووقف عليه ، وجدد رواق المكين والتكرورين ، وأجرى

زيتا للمصاييح ، وزاد في مرتبات الجامع وأخبازه ، ولاسيما في يومى الاثنين والخميس ، فضلا عما رتبته لرمضان من وسائل الرفاهة والتوسيع ، فكان مجموع ما عمله في الأزهر مما تقصر عنه همم الملوك »

ولقد بلغ ما بناه عبد الرحمن كتحدا أو أعاد بناءه ثمانية عشر مسجدا ، الى جانب الأضرحة والسبل والمدارس والجسور وغير ذلك من الأبنية ، ومع هذا فقد نفاه على بك الى بلاد العرب ، غيرة منه وحسدا لتعلق الناس به وحبهم اياه ، وبقي في منفاه اثنتى عشرة سنة ، وأخيرا أعيد الى مصر ، حيث لم يعيش سوى أيام قلائل ، وتوفى في سن السبعين ، سنة ١١٩١ هـ (١٧٧٦ م) ودفن بمدفنه السابق الذكر

ومن أهم القصور التى شيدت فى هذا العهد :

منزل جمال الدين الذهبى : بحارة خوشقدم بالغورية ، أنشأه جمال الدين الذهبى كبير التجار بمصر سنة ١٠٤٧ هـ (١٦٣٧ م) . ويدل تخطيطه وتناسق أجزائه على براعة مهندسه ، فقد راعى أن تحيط جميع غرفه بالحوش الذى توجد بوسطه الآن فسقية من الرخام ليستمتع سكانه فى كل فصل من فصول السنة بمزاياه الخاصة . فيوجد فى الجهة القبلىة مقعد ذو عقدتين متكئين على عمود من الرخام ، وفى الجهة الشرقىة قاعة كبرى ذات ايوانين وبالجهة البحرىة ايوان ذو مشربيات

وأسفال جدران القاعة الكبرى مكسوة بوزرة جميلة من الرخام الدقيق الصنع المختلف الألوان وبها جزء على هيئة محراب . وبصدرها مشربىة لطيفة مظلة على الشارع تعلوها شبابيك صغيرة من الجص المحلى بقطع من الزجاج الملون . وسقفا القاعة والمقعد محليان بالدهان المملوء بالذهب

منزل الشيخ عبد الوهاب الطبلاوى : بالدرب الأصغر ، وهو المشهور بيت السحيمى ، وهو مكون من قسمين : القبلى وقد أنشأه الشيخ عبد الوهاب الطبلاوى سنة ١٠٥٨ هـ (١٦٤٨ م) ، وأهم مشتملاته القاعة

الكائنة على يمين الداخل ، ثم القاعة الكائنة على اليسار ، وأرضيتها مغطاة بالرخام الدقيق . وواجهة المنزل المشرفة على الدرب الأصفر مكونة من مجموعة قيمة من المشربيات والشبابيك الخراط ، الدقيقة الصنع

أما القسم البحرى فقد أنشأه الحاج اسماعيل بن الحاج اسماعيل شلبى سنة ١٢١١ هـ (١٧٩٦ - ١٧٩٧ م) ، وأدججه فى القسم الأول ، وجعل منهما منزلا واحدا . وأفخم حجرات هذا القسم الحجرة البحرية الكبرى الراكبة على « تختبوش » محمول على عمود من الرخام ، وهى مكونة من ايوانين ، تتوسطهما « درقاعة » ، والأجزاء السفلية من جدرانها مكسوة بالقاشانى المنوع . وبصدرى الايوانين دواليب دقيقة تعلوها أرفف ، وضعت عليها مجموعة لطيفة من الأوانى الخزفية

منازل أخرى : ومن منازل هذا العهد أيضا منزل محمد بن الحاج سالم الجزار المعروف بمنزل الجريدلية ، وقد أنشئ سنة ١٠٤١ هـ (١٦٣٢ م) . ويتصل به منزل آخر بواسطة سباط « ممر » ذو سقف محمول على عقد ستينى ، يعرف بمنزل آمنة بنت سالم . ويقعان شرقى جامع أحمد بن طولون . وقد استأجره سنة ١٩٣٥ م « جاير أندرسون » ، أحد الضباط الانجليز الذين كانوا يعجبون بالفن الاسلامى . وقد جمع فيه مجموعة نفيسة من التحف والطرف الاسلامية ، ويعرف الآن بمختلف جاير أندرسون . وسراى المسافر خانة بدرب الطبلاوى ، وقد أنشأها محمود محرم ، أحد أعيان التجار سنة ١١٩٣ هـ (١٧٧٩ م) . ومنزل ابراهيم كتخدا السنارى ، بحارة منج بالسيدة زينب . وقد أنشأه ابراهيم كتخدا السنارى سنة ١٢٠٩ هـ (١٧٩٤ م) . وسميت الحارة بهذا الاسم ، نسبة الى منج أحد علماء الحملة الفرنسية ، الذين أقاموا بهذا المنزل عند احتلالها مصر

ومن منازل ذلك العهد ، التى اندثرت ، منزل رضوان بك الجلفى ، وكان يشرف على بركة الأزبكية ، وكانت تعلو ردهاته قباب بديعة الزينة ، فيها نقوش عربية من الذهب . وكانت له حديقة غناء تناثرت فيها الأكشاك

الجميلة . وبجانب منزل رضوان بك كان هناك على بحيرة الأزبكية منزل آخر يملكه أحمد الشرايبي ، أحد مشهورى التجار فى ذلك العهد ، وقصر محمد بك الألفى الذى اتخذته قيادة الجيش الفرنسى مقرا لها فى أثناء احتلالها مصر ، وقتل فيه كليبر خليفة نابليون كما تقدم

— ٤ —

الحالة الاقتصادية

ذكرنا أن تحول التجارة الشرقية عن مصر الى جنوبى افريقيا كان له أثر بارز فى تدهور الحالة الاقتصادية فى مصر . فقد كانت هذه التجارة ينبوع ثروة لا ينضب معينه فى عهد المماليك ، سواء مما كان يجبى عليها من ضرائب أو مما كان يجنيه المصريون من وراء الاتجار فيها من أرباح . وقد تبع هذا الحادث غزو الأتراك العثمانيين مصر، وما كان يبتزه السلطان والولاء الأتراك والبيكوات المماليك من أموال ، ناء بها كاهل الشعب ، وعم بسببها البؤس ، وانتشر الفقر

وقد كانت أمارات الفقر أكثر ما تكون ظهورا فى القاهرة ، حيث يقيم الوالى وأعضاء الديوان وجنود جيش الاحتلال التركى والبيكوات المماليك ، والجميع فى تطاحن مستمر ، خصوصا البيكوات المماليك الذين كان القتال بينهم وبين بعض لا يخمد أواره ، فلا تلبث الشوارع والحارات والدروب أن تنقلب الى ميدان قتال ، فيتخلل ذلك نهب المنازل وسلب الحوانيت والمتاجر ، ووقوف حركة البيع والشراء ، وكساد التجارة

ولم يمك المسريون عن الثورة طوال الحكم التركى من فساد هذا الحكم واستبداد الحكام الأتراك والبيكوات المماليك ، وانتشار الرشوة ، وكثرة ما أثقلوا به كاهل المصريين من ضرائب واثاوات . وكان أهل القاهرة يتزعمون الثورة ضد العثمانيين ، ويرفعون راية العصيان فى وجوههم كلما اشتد بهم الضيق وازداد بهم الضنك . ومن أمثلة ذلك ما حدث فى

أوائل ذى الحجة من سنة ١٢٠٩ (يونه ١٧٩٥ م) . عندما اشتدت مظالم مراد بك و ابراهيم بك فى فرض الاتاوات وجمع الجبايات ، فاجتمع علماء الأزهر وأغلقوه ، وأبطلوا الدروس وأمروا الناس فأغلقوا الحوانيت والأسواق ، وتجمعوا فى بيت الشيخ السادات ، وحضر اليهم مندوب ابراهيم بك فطالبوه برفع المظالم ، وابطال المكوس والضرائب ، والحكم بمقتضى الشرع والعدل ، فأبى وقال : « لا يمكن الاجابة الى هذا كله ، فاننا ان فعلنا ذلك ضاقت علينا المعاش » . فقال له المشايخ : « ان هذا ليس بعذر عند الله ، ولا عند الناس . وما الباعث على الاكثار من النفقات وشراء الممالك ، والأمير يكون أميرا بالعطاء لا بالأخذ » وتجمع الناس ، وركب المشايخ الى الأزهر ، وبات الجميع بالمسجد ، وانتشرت الثورة فى كل مكان ، فخشى مراد بك ، و ابراهيم بك عاقبة الأمر ، ولاطفا المشايخ والتمسا منهم الصلح ، واجتمع الوالى والأمراء بالمشايخ وأعلن الأمراء أنهم تابوا ورجعوا ، والتزموا بما شرطه العلماء عليهم ، وتعهدوا برفع المظالم والضرائب والمكوس والكشوفيات والتفاريذ ، وأن يكفوا اتباعهم عن امتداد أيديهم الى أموال الناس ، ويسيروا فى الناس سيرة حسنة . ولم يقتصر الأمر عند حد الوعد ، بل ان القاضى — وكان حاضرا — كتب وثيقة بهذه المبادئ الدستورية ، وقعها مراد بك ، و ابراهيم بك ، وفرمَن عليها الباشا — أى وقع الوالى عليها » (١)

الحالة الاجتماعية

استمرت الحياة الاجتماعية فى العصر العثمانى كما كانت فى عهد المماليك . وكان نظام الطبقات هو نفس النظام السابق . غير أنه دخل على المجتمع المصرى عنصر جديد ، هو العنصر التركى العثمانى ، ويتمثل فى جنود جيش الاحتلال العثمانى والولاة الأتراك وأعضاء الديوان . وقد استمر

(١) الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والاخبار . الجزء الاول ص ١٤٧

البيكوات المماليك كأسلافهم من المماليك الشراكسة ، يترفعون عن المصريين ، ويتباعدون عنهم ، اذ لا تربطهم بالبلاد أية روابط وطنية أو أسرية ، فكانوا يعتمدون على ما كانوا يبتاعونه من الرقيق ، ولم يصاهروا الأهالى . وقد شاركهم الأتراك العثمانيون فى ذلك . ولم يكونوا أقل ترفعا وتكبيرا على المصريين من المماليك ، بل زادهم كبرياء وتعاليا انهم استولوا على البلاد عنوة ، وبقوة المدفع والسيف . ونظروا الى مصر وما فوق أرضها من حيوان وانسان كأنه ملك حلال لهم ، وكان المصرى مهما علا شأنه فى نظر التركى العثمانى ليس الا « فلاحا !! »

وذكرنا أن العثمانيين فيما وضعوه للبلاد من أنظمة لم يعنوا الا بأن تدوم تبعيتها لهم ، ولا تنفك عنها الأغلال التى تربطها بذيلهم ، لذلك لم يهتموا برفع المستوى العلمى أو الاجتماعى للشعب . كذلك البيكوات المماليك لم يرعوا غير مصالحهم الشخصية ، ولم يعملوا لاستغلال ثروة البلاد ومواردها الا لمنفعتهم الخاصة ، وارضاء ملاذهم وشهواتهم

لذلك انحط المستوى الاجتماعى للشعب ، الى أقصى دركات الانحطاط ، وانتشرت الخرافات والبدع ، وراجت سوق السحرة والمشعوذين . فقد حدث فى عام ١١٤٧ هـ (١٧٣٥ م) أن راجت اشاعة أن يوم البعث سيكون يوم الجمعة فى السادس والعشرين من ذى الحجة ، وأخذ الناس يودع بعضهم البعض الوداع الأخير ، ويهيئون على وجوههم فى الحقول والطرقات ، وانقضى اليوم الموعود والناس أحياء يرزقون ، وكانوا يرددون فيما بينهم أن سيدى أحمد البدوى والدسوقى والشافعى تشفعوا للناس عند الله أن يؤجل قيام القيامة فقبل شفاعتهم !!

وفى سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩٢ م) أشيع بين الناس أنه فى ليلة السابع والعشرين من شهر جمادى الأولى ، فى نصف الليل ، ستحدث زلزلة قوية تستمر سبع ساعات . فلما كانت الليلة المذكورة ، خرج الناس الى الصحراء ، والى الأماكن الفسيحة ، مثل بركة الأزبكية ، وبركة الفيل ، وغيرها . ونزلوا فى السفن ، وباتوا ينتظرون الى الصباح ، فلم تحدث

زلزلة ، وأصبحوا وهم يتضحكون بعضهم على بعض

ومن الأعياد والاحتفالات الشعبية في ذلك العهد الاحتفال بمقدم شهر رمضان . ففي آخر ليالى شعبان يوفد الى الصحراء عدد من الرجال ليحاولوا رؤية الهلال الوليد ، ويسير موكب المحتسب ، من القلعة الى بيت القاضي ، يتبعه مشايخ الحرف والجنود والمنشدون والموسيقيون ، ويمكثون عند بيت القاضي ، حتى يعود واحد ممن أوفدوا لمشاهدة الهلال ، أو يتقدم من يؤكد رؤيته . واذ ذاك ينطلق الموكب ، فيتفرق الى جماعات ، تجوس خلال المدينة ، وهي تنادى : « يا أمّة خير الأنام ... غدا صيام ! صيام ! » أما اذا لم تكن الرؤية قد تأكدت ، فانهم يصيحون قائلين : « غدا من شهر شعبان ... افطار ! افطار ! » (١)

ومنها أيضا الاحتفال بعودة الحاج والمحمل من بلاد الحجاز ، فيخف الشعب بجميع طبقاته في القاهرة لاستقباله ، ويخرج الناس بالطبول والزمور للقاء أقاربهم وذويهم ، العائدين من الحج ، حاملين اليهم الطعام الوافر ، والملابس الجديدة . ويحضرون لهم الحمير عوضا عن الجمال المنهكة . وتدخل قافلة الحج الى القاهرة من ثلاثة أبواب ، قسم يدخل من باب النصر ، والثاني من باب الفتوح ، والثالث من باب العدوى (٢)

ومنها الاحتفال بيوم عاشوراء (٣) «العاشر من شهر المحرم» ، فتزدحم الطرقات المؤدية الى مسجد الحسين بالناس ، ويزخر المسجد نفسه بالدراویش حيث يقيمون حلقات الذكر . وأهم الاحتفالات جميعا الاحتفال بمولد النبی صلی الله عليه وسلم ، حيث تقام السراقات الواسعة ، في منطقة بركة الأزبكية . وتمتلىء هذه السراقات بحلقات الذكر ، بينما يلتف الناس في الطرقات المحيطة حول الشعراء والقصاصين الذين يقصون

(١) ادوارد وليم لين Manners and Customs of the Modern Egyptians ترجمة عدلى طاهر نور ص ٣٥٣

(٢) المصدر السابق ص ٣١٩

(٣) المصدر السابق ص ٣١٤ - ٣١٩

عليهم مغامرات أبى زيد الهلالي ، والظاهر بيبرس ، وعنترة بن شداد ، وسيف بن ذي يزن مصحوبة بأنعام الرباب . هذا فى النهار ، أما فى الليل فتتوافد على المكان مواكب الدراويش « وتسمى مواكب الاشارة » حاملة المصاييح مرفوعة على عصى طويلة بدلا عن الأعلام التى يحملونها نهارا ، ومن غريب ما كان يحدث فى المولد النبوى انبطاح بعض الدراويش على الأرض ، فى طريق امام مسجد الحسين ، فيسير بجواده على أجسامهم ، راجين البركة من هذا العمل ، وهو ما كان يعرف عند العامة « بالدوسة » (١) ، وقضم بعض المشعوذين رؤوس الثعابين بأسنانهم ، وابتلاع الجمر الملتهب ، وغير ذلك من العادات الغريبة الضارة

ومن الاحتفالات الهامة استقبال الولاة الأتراك عند قدومهم الى القاهرة ، حيث سير الوالى فى موكب تتقدمه فصائل الجنود المشاة بموسيقاهم وأعلامهم ، يليهم الفرسان ويبلغ عددهم خمسة آلاف فارس أو ستة آلاف ، يحملون الرماح الطويلة ويلبسون الملابس الفضفاضة اللامعة ، يلى هؤلاء البكوات المماليك مرتدين الملابس البديعة ، وحولهم حاشيتهم من المماليك يمتطون صهوات الجنود العربية الأصيلة وعليها سروج موشاة بالذهب والفضة ، وأعنتها مرصعة باللؤلؤ والأحجار الكريمة ، يليهم الباشا ، يسير الهوينا تتقدمه كوكبة من مائتى فارس وفرقة موسيقيين ، وأمامه أربعة جياد ، يقودها أربعة من السواس . ويمتطى الباشا جوادا كريما ، ويضع على عمامته ريشة من قطع الماس الكبيرة ، يتوهج سناها فى أشعة الشمس . ويبدأ الموكب من بولاق فى الساعة الثامنة صباحا ، حيث تكون قد رست السفينة المقلدة للوالى ، ويسير فى شوارع القاهرة الى أن يصل القلعة عند الظهر . وفى اليوم التالى يعقد الديوان بالقلعة ، ويدعى البكوات المماليك الى حضوره ، ويجلس الباشا على منصة ، ويتلو كخياه « وكيله » كتاب الباب العالى ، فيطأطأ السناجق « البيكوات » رؤوسهم احتراماً لولى

(١) ادوارد وليم لين : احوال المصريين المحدثين وعاداتهم ترجمة عدلى طاهر نور ص ٢٢٢

الأمر ، ويتعهدون بالطاعة . هذا الباشا بعد هذه الحفلة العظيمة لا يستطيع الخروج من القلعة الا باذن من شيخ البلد (١)

ويتم عزل الوالى فى احتفال أيضا ، ولكنه احتفال متواضع ، يتفق ومقتضى الحال . ذلك انه اذا لم يحضر رضا شيخ البلد ، فلا يلبث أن يجتمع الأخير برجاله اجتماعا عموميا ، فيقرروا عزل الباشا ويكتبوا بذلك أمرا يسلمونه الى « الأوطه باشى » ليوصله الى الباشا فيحمله ، ويسير على حمار - لأن القانون لا يسمح له بركوب الخيل أو البغال ! - وبين يديه فرمان العزل .. فاذا مر فى الأسواق على هذه الصورة ، علم الناس انه ساع فى أمر هام ، فيه عزل ، فيهرولون وراءه . ولا يزال سائرا فى عرض الطرق ، قائدا لتلك الجماهير حتى القلعة . ومن واجبات أى جندى يلقاه فى تلك الحال أن يرافقه ، اتقاء ما يخشى حدوثه عند وصوله الى القلعة

فاذا وصل القلعة ، فانه يدخل على الباشا ، ثم يجثو أمامه باحترام ووقار . وعندما ينهض ، يطوى السجادة التى كان جاثيا عليها وينادى بأعلى صوته : « انزل يا باشا » . وعند طى السجادة ، والتلفظ بهذه العبارة تسقط كل حقوق ذلك الباشا ، ولا تعود له أقل سلطة على الجنود التى كانت قبل بضع دقائق رهن اشارته ، وتصير تحت أوامر الأوطه باشى . وكان العامة يسمون الأوطه باشى بأبى طبق لأنه كان يلبس قبعة ذات حافة عريضة تشبه الطبق . والى أن يصل الى القاهرة وال جديد ، يتسلم شيخ البلد زمام الأمور ، ويصبح هو صاحب الأمر والنهى فى البلاد (٢)

وأخيرا فقد أدى سوء الادارة التركية الى انحطاط المستوى الحلقى ، فانصرف الناس الى الرذائل ، والتخلق بالعادات الذميمة ، فشاع شرب الخمر، وتعاطى المسكرات ، والاستهتار بالفضائل، وانغمس سكان القاهرة فى عهد « رضوان الجلفى » فى أواخر العهد العثمانى فى حمأة الرذائل ،

(١) عن سافارى : رسائل عن مصر . ملخص من كتاب تاريخ الحركة القومية للاستاذ عبد الرحمن الرافعى ص ٢٤ - ٢٧ وكان سافارى قد زار مصر عام ١٧٧٧ م
(٢) تاريخ مصر الحديث ج ٢ ص ٧٠ لجرى زيدان

وكانوا يحتسون كؤوس الشراب واللذة حتى الثمالة (١) ، ولم يكن في ذلك شيء من الغرابة « فالناس على دين ملوكهم » . ولولا انتشار الطرق الصوفية في القاهرة وسائر البلاد المصرية ، وما كانت تذيعه بين الناس من المعارف الدينية والأخلاقية ، وما يحفظون من قصائد المديح والأدعية والأوراد ، لما وصل الى عامة الشعب أى بصيص من النور (٢)

الحالة العلمية

عظم شأن العلم والثقافة في العصر المملوكي ، لأن القاهرة ، كما ذكرنا قبلا ، خلفت بغداد في مضمار العلوم والمعرفة والفنون ، فصارت مهبط العلماء ، ومقصد الأدباء ، ومحط رحال الرحالة والرواد ، يفدون عليها من مختلف بقاع العالم . فلما غزا الأتراك العثمانيون مصر ، وجّه السلطان سليم كل جهوده للقضاء على الحضارة المصرية ، وتحويل القاهرة الى مدينة ثانوية ، قليلة الخطر ، وأراد لها أن تكون فقط عاصمة ولاية ، بعد أن كانت مقر الخلافة وقصبة السلطنة ، واحلال استانبول « القسطنطينية » محلها ، وجذب انتباه العالم اليها

لذلك أخذ شأن العلم في الانحطاط ، حتى وصل في نهاية العهد العثماني الى أبعد دركات الانحطاط ، وأفل نجم الثقافة ، ودخلت مصر في ليل من الظلام لا يتخلله شعاع من نور

ولا يغيب عن البال أن الأتراك العثمانيين لم يكن لهم ماض في العلم أو الثقافة ، وليس لهم علم يذيعونه في البلاد التي وقعت تحت سيطرتهم . وكان صلفهم وكبرياؤهم يبيان عليهم التعاون مع المصريين في ميدان العلم ، لأن هؤلاء قد ضرب عليهم الاستعمار الذلة والمسكنة . والمستعمرون يعتصمون دواما بأهداب القوة والجبروت ، ويتخذون منها درعا واقيا

(١) سيرة القاهرة ص ٢٣٨

(٢) التاريخ القومي تأليف الدكتورة عزت عبد الكريم وابى الفتوح رضوان وأمين عبد اللاه ص ١٠١

أمام الجهل والضلال ، وترفعون عن النزول الى مستوى المصريين مهما كان نصيبهم من العلم والمعرفة ، اذ هم جميعا في نظر الأتراك العثمانيين فلاحون ! ! ، ولم يكن الأغا « التركي » ينادى المصرى الا بالعبارة المعروفة : « جنس فلاح ! ! » تحقيرا له ، وازدراء به

ولقد كان أغلب المماليك يعرفون العربية ، ويجيدون كتابتها والتحدث بها ، ويحررون رسائلهم وكتبهم بهذه اللغة ، ويشجعون العلم والثقافة ، ويجتذبون العلماء والباحثين والمحدثين من شتى أنحاء العالم الاسلامى للاقامة بالقاهرة ، ويغدقون عليهم الجوائز والهبات . أما الأتراك العثمانيون فكانوا يجهلون العربية ، بالرغم من تدينهم بالدين الاسلامى ، وكانت اللغة التركية هى لغة المكاتبات الرسمية والمراسلات ، ولغة الدواوين . لذلك لم يكن غريبا أن ينحط شأن اللغة العربية فى مصر ، فى العهد العثمانى ، ويعتورها الضعف والركود ، وتنتابها الركاسة ، وينحط الأدب ، ويفتر الشعر ، ويصبح مجرد كلام منظوم مقفى ، خاليا من المعانى الرصينة مقفرا من الخيال الخصب . ولولا أن اللغة العربية هى لغة القرآن والحديث والدين التى لا يستغنى عنها مسلم لتعرف أمور دينه ودنياه ، ولولا قيام الأزهر ، وحمايته تلك اللغة ، بالرغم مما كان يدرس فيه من مواد ضئيلة ، لولا ذلك لأصابها الانهيار والزوال . لذلك أصبح لشيوخ الأزهر مركز مرموق ، يتزعمون الشعب فى الثورات ، ويتكلمون باسمه عند الولاة والحكام ، وينوبون عنه فى الاحتجاج على فداحة الضرائب واستبداد الموظفين الأتراك . كذلك كانوا يتكلمون باسمه وينوبون عنه عند نابليون وخلفائه فى عهد الحملة الفرنسية . وأخيرا هم الذين انتخبوا محمد على واليا على مصر باسم الشعب مشترطين عليه أن يحكم بالعدل والقسطاس المستقيم

كذلك ندر نبوغ العلماء والمفكرين ، وأكثر ما كتب فى هذا العصر انما هو من قبيل الشروح ونحوها ، ويصح أن يسمى هذا العصر بعصر

الشروح والخواشي . وانحط أسلوب الانشاء حتى أوشك أن يكون عاميا ، كما في قصص بنى هلال ونحوها ، مما وصل إلينا من القصص الموضوعة ، في عصور الانحطاط ، بعضها وضع في أواخر العصر المغولي ، والبعض الآخر في العصر العثماني (١) . وكان للانحطاط الذي أصاب المستوى الخلقى آثاره على الكتابة والتأليف ، فزاد الكتاب جرأة على التعابير البذيئة ، حتى في كتب التاريخ ، كما فعل الاسحاقى في كتابه أخبار الأول ، وظهرت كتب خاصة بالخلاعة والفحشاء « كرجوع الشيخ الى صباه » ، و « عشرة النساء » وغيرها

ويروى الجبرتي قصة حدثت بين أحمد باشا أحد الولاة الأتراك عام ١٧٥٠ م وبين الشيخ عبد الله الشبراوى شيخ الجامع الأزهر اذ ذاك ، تصور لنا حالة التعليم في الأزهر . فقد لاحظ الباشا - وكان عالما في الرياضيات - أنه طالما سمع عن مزايا مصر العجيبة ، ومحاسنها كمنبع للعلم والمعرفة ، ولكنه كان يود كثيرا أن يرى النتائج ، بنفسه . ومن ثم قال له الشيخ : « حقيقة ياسيدى أن مصر كما سمعت ، منبع العلوم والمعرفة » . وهنا سأله الباشا : « ولكن أين هي ؟ انك - على قدر ما أستطيع أن أرى - لا تعرف شيئا سوى الشريعة والعلوم الالهية وغير ذلك من الدراسات القليلة الأهمية ، وتحقر العلوم العملية كلية » . وكان على الشيخ أن يعترف بأن الجامع الأزهر لم يكن يعلم الرياضيات ، اللهم الا الحساب الذى كان ينفع في ضبط أحكام المواريث . وبعد ذلك عاد الباشا الى أسئلته فقال : « وماذا عن علم الفلك ؟ انه يلزم لساعات الصلاة والصوم ، وأشياء أخرى كثيرة » وهنا صرح الشيخ بأن قليلين كانوا يدرسون علم الفلك ، الذى يتطلب كفاية خاصة ، وأجهزة دقيقة ، وشروطا جسمانية معينة ، وميلا الى الهدوء والدعة ، وذلك لمواصلة أبحاثه . ثم قال للباشا ان في مقدوره أن يرشد الى عالم من النوع الذى يريد ، ولكن

(١) تاريخ آداب اللغة العربية للمرحوم جرجى زيدان > ٢ ص ٢٧٢ ، ٢٧٣

ليس من شيوخ الأزهر ، وكان والد الشيخ عبد الرحمن الجبرتي ، المؤرخ المشهور . وقد أعجب به الباشا كثيرا ، ولأزمه طوال مدة ولايته ، وخلع عليه خلعة من الفرو ، باعها الشيخ فيما بعد بثمانئة دينار (١)

وفيما عدا الكتاتيب التي كان الصبية يتعلمون فيها القرآن ومبادئ القراءة والكتابة والحساب ، لم يكن هناك مدارس يتلقى الطلاب فيها العلم ، غير الأزهر . أما المدارس التي أنشئت في عهد المماليك ، لتعليم المذاهب الأربعة فقد اندثرت جميعا . وقلَّ من المساجد في العهد العثماني ما كان يدرس فيه الدين ، نخص بالذكر من تلك المساجد مسجد محمد بك أبي الذهب ، الذي قرر منشئه أن يدرس فيه مذاهب الحنفى والمالكي والشافعي

أما دور الكتب ، التي كانت تزخر بها القاهرة في عهد المماليك ، في المساجد والتكايا والأضرحة والمدارس والمستشفيات والقصور ، فقد اندثرت هي الأخرى ، وعفت آثارها ، اللهم الا مكتبة الجامع الأزهر ، التي كانت تحتفظ بعدد غير قليل من الكتب . ومع ذلك فقليل من الأسرار كانت تشغل بالعلم ، وتسعفها امكانياتها لجمع الكتب ، من ذلك تاجر غنى يدعى الشيخ أحمد الشرايبي ، كان له على بركة الأzbekية قصر منيف بين قصور الأمراء ، التي كانت تطل على تلك البركة . وقد شغف الشيخ الشرايبي وأفراد أسرته بجمع الكتب ، خصوصا النادر منها ، ولم تكن لتدع كتابا يظهر دون أن تقتنى نسخة منه - مهما غلا ثمنه - حتى ان العلماء كانوا يجدون بغيتهم في مكتبة الشرايبي دون شك ، وكان لأحدهم أن يستعير الكتاب أو يحتفظ به لنفسه (٢) ، فيسعى الشرايبي لشراء نسخة أخرى منه ، وهذا أمر يندر حدوثه في أية مكتبة ، وفي أي زمان

قلنا انه ندر نبوغ العلماء والمفكرين ، وقل ظهور الشعراء والأدباء

(١) سيرة القاهرة لستانلى لين بول ص ٢٤٠
(٢) المصدر السابق ص ٢٣٩

المجيدين . واذا أجهد الباحث نفسه ، فلن يجد الا قلة قليلة من هؤلاء وهؤلاء . فمن المؤرخين نجد ابن اياس : أبا البركات محمد بن اياس زين الدين الناصري المولود بالقاهرة سنة ٨٥٢ هـ (١٤٤٨ م) والمتوفى سنة ٩٣٠ هـ (١٥٢٣ م) مؤلف كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ويعتبر مصدرا أصليا في حوادث الفتح العثماني التي عاصرها المؤلف ، فوصفه لها يعتبر والحالة هذه وصف شاهد عيان، وشمس الدين بن أبي السرور البكري المتوفى بالقاهرة سنة ١٠٦٠ هـ (١٦٥٠ م) مؤلف كتاب الكواكب السائرة في أخبار مصر والقاهرة ، ويعتبر كتابه من المصادر الأصلية أيضا في تاريخ الدولة العثمانية بمصر . والجبرتي : الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن برهان الدين الجبرتي ، المولود بالقاهرة سنة ١١٦٨ هـ (١٧٥٦ م) مؤلف كتاب عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، وهو حجة في الحوادث التي وقعت في مصر بين عامي (١٧٥٧ م و ١٨٢١ م) أي من نهاية العصر العثماني بمصر الى أوائل حكم محمد علي ، ويدخل ضمن ذلك غزو الحملة الفرنسية لمصر أما الشعراء أو الأدباء فليس من بينهم من يستحق الذكر أو التنويه

الفنون والصناعات

كذلك أصاب الفنون والصناعات ما أصاب العلم والثقافة من تأخر وانحطاط ، وحسبنا ما ذكرناه من ترحيل ألفين من مهرة الصناع والفنانين الى القسطنطينية ، واغتصاب التحف الثمينة والطرف النادرة من القصور والمساجد لنصور الضربة القاصمة التي كالحا سليم الأول للصناعات والفنون التي ازدهرت في عصر المماليك . أضف الى ذلك الفقر والفاقة ، اللذين أذلا أعناق المصريين على أيدي العثمانيين . فكيف تقوم للفن قائمة بعد ذلك ، والمعروف أن الفن متعة ورفاهية وذوق ، لا يستقيم مع الفقر والفاقة . ولا ينتعش الا بالتعزيد والتشجيع . وهيئات أن يتفق له شيء من ذلك في العصر العثماني المظلم الكريه

وقد رأينا أن الفنون تسير جنبا الى جنب مع النهضة في فن البناء ، فلما أدرك الضعف والتأخر فن البناء في عصر الاحتلال التركي ، أصيبت الفنون بالركود والتأخر ، تبعا لهذا . من ذلك تجد انعدام التماثل مثلا في الزخارف المحفورة التي كانت تحلى التحف الخشبية . وصارت الحشوات الدقيقة ، التي كان يتكون منها الموضوعات الزخرفية البديعة في عهد المماليك ، كالمربعات والمعينات وشبه المنحرف والأطباق النجمية ، وصارت عبارة عن حشوات مربعة أو مثلثة الشكل ، مفصلة في خشب التحفة نفسها (١) ، بل وانتهى الأمر بأن حلت الألوان محل الحشوات ، فصارت أسقف المساجد والقصور تدهن بالألوان البراقة . كذلك استبدل بالسن العظم في حشوات بعض الأبواب والمنابر

ومن أساليب الزخرفة التي ذاعت في مصر في العهد العثماني كسوة الجدران بألواح القاشاني . على أن القاشاني كان مستعملا بنسبة ضئيلة في نهاية عصر المماليك ، يؤيد ذلك ما ذكره Prisse d'Avennes في كتابه الفن العربى من أن قبة السلطان الغورى كانت مبنية بالحجر ، المكسو من الظاهر بالقاشاني الأزرق كالمئذنة . ولكن لم يذع استعماله الا في أوائل القرن السادس عشر ، وكان ذيوعه مقرونا باستيلاء الأتراك العثمانيين على مصر ، فصارت تزين به جدران المساجد والقصور ، وأسبلة الكتاب بوجه خاص . ولم يقتصر استعمال القاشاني في مصر على المباني الجديدة ، بل امتد الى المباني القديمة . فمثلا جامع آق سنقر المشيد في القرن الرابع عشر الميلادى ، عندما تداعى وأصلحه ابراهيم أغا مستحفظان سنة ١٠٦٤هـ (سنة ١٦٥٣ م) ، كسا صدر الايوان الشرقى بالقاشاني الأزرق الجميل ، ومن ثم أطلق عليه اسم الجامع الأزرق (٢) . وأغلب القاشاني الذي كانت تكسى به الجدران في هذا العهد مستورد من تركيا غالبا . أما القاشاني المصنوع

(١) فهرس دليل الآثار العربية تأليف مكس هرتس (باشا) وتعريب المرحوم على (بك) بهجت ص ١٦٢

(٢) دليل موجز لاشهر الآثار العربية بالقاهرة ص ١٢٩

فى مصر فقد كان أقل جودة فى صناعته وأقل لمعانا من القاشانى التركى كذلك أصاب صناعة التجليد ركود ظاهر ، واختفت بعد الفتح العثمانى الجلود المصرىة الحقيقية ، وصارت الزخرفة على جلود المصاحف تزاوُل بواسطة القوالب ، لينتج عنها زخرفة نباتية بارزة ، بعد أن كان يستعمل فى ذلك المكاوى الحديدية المحماة بالنار ، والتى كان يستعملها الفنان بحرية فى اخراج زخارف هندسية بديعة يملأها بالذهب الخالص . ومن أجمل نماذج المصاحف التركية المصحف الذى أوقفته الملكة صفية أم السلطان محمدخان سنة ١٠٣٢ هـ (١٦٢٢ م) على جامعها الذى شيدته بالقاهرة ، وهو محفوظ فى الوقت الحاضر بدار الكتب المصرىة (١)

وقد اندثرت صناعة المنسوجات التى ازدهرت فى العصرين الفاطمى والملوكى ، وكذلك صناعة السجاد ، وانتقلت هاتان الصناعتان الى تركيا بعد أن قبض سليم على مهرة الصناع ورحلهم الى بلاده . لذلك صار لتركيا شهرة فائقة فى السجاد والمنسوجات فى القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين

أما الصناعات التى لم يكن منها بُد كى تستقيم حياة الناس ، ولا غنى لهم عنها فى معاشهم، فقد ظلت باقية فى عصر الاحتلال العثمانى أيضا ، منها: صناعة النسيج ، وطحن الغلال ، وضرب الأرز وتبييضه ، واستفراخ البيض ، وصناعة السكر ، وعصر الزيوت ، ودباغة الجلود ، وصناعة الأحذية ، والصناعات الخاصة بالبناء ، وصناعة البسط والقلوع والحصار وبناء السفن وصناعة النحاس وتبييضه والصابغة وسك النقود ، وكانت القاهرة أهم مركز صناعى فى القطر ، غير أن معظم هذه الصناعات كانت رديئة النوع ، وكان معظمها يستهلك فى الأسواق المحلية . أما المصنوعات الجيدة النوع فكانت تستورد من الخارج (٢)

(١) فهرس دليل الآثار العربىة تأليف مكس هرتس تعريب على بهجت ص ١٦٢

(٢) التاريخ القومى ص ٤٥

الباب الثامن

المتاهرة في القرن التاسع عشر

١ - عصر الحملة الفرنسية

من ١٢١٣ - ١٢١٦ هـ (١٧٩٨ - ١٨٠١ م)

كثرت المظالم في أواخر العهد العثماني كثرة لم تبلغها في أى وقت مضى. واشتد استبداد مراد و ابراهيم بالناس ، واثقال كاهلهم بالضرائب ، غير مفرقين بين المصريين والأجانب . وكان الملثمون يستخرجون جميع ما في جيوب الناس من نقود ، متوسلين الى ذلك بمختلف الحيل والوسائل ، فأخفى التجار بضائعهم ، وهجر الفلاحون أراضيهم ، فأفقرت الأرض من الزرع والنبات ، وعم الفقر ، واشتد البؤس ، وتمنى الناس لو أن هذا العهد انقضى الى غير رجعة

ولم يقتصر ابتزاز الأموال واثقال كاهل الناس بالضرائب على الأهالي، بل تعداهم الى الأجانب ، الذين كانوا يقيمون بمصر . فعلت شكوى هؤلاء من البيكوات المماليك ، وتوجهوا بشكواهم الى دولهم ، ومنها فرنسا . وأخذوا يصفون لها ضعف المماليك وعجزهم عن الدفاع عن البلاد ضد أى غزو خارجى . فأخذت فرنسا تفكر فى احتلال مصر والاستيلاء عليها ، وتوفرت على دراسة تقارير الرحالة والمبعوثين الفرنسيين الذين كانت ترسلهم الى مصر لدراسة أحوالها ، وتعرف قوتها ، أمثال البارون ده توت Baron de Tott الذى زار مصر سنة ١٧٧٧ م وقلنى Volney الذى نشر رحلته سنة ١٧٨٧ م ومجالون Magallon قنصل فرنسا فى الاسكندرية الذى ألح على حكومة فرنسا فى غزو مصر ، موضحا الفوائد العظيمة التى

تعود عليها من الاستيلاء على مصر (١)

وقد سنحت الفرصة لذلك بقيام الخلاف بين إنجلترا وفرنسا عقب ثورتها في سنة ١٧٨٩ م ، وانشاء الأولى الأحلاف ضد الثانية . ولما لم تستطع فرنسا أن تضرب إنجلترا في عقر دارها ، لموقعها الحصين ، أخذت تفكر في ضربها في الهند ، أعظم مستعمراتها اذ ذاك . وتمهيدا لذلك قررت الاستيلاء على مصر ، التي تقع على الطريق الموصل بين إنجلترا والهند ، ومنع وصولها الى مستعمراتها العظيمة ، التي كانت تعتبر درة في تاج بريطانيا

وقد عهدت الحكومة الفرنسية بتنفيذ خطة غزو مصر الى نابليون بونابرت ، الذي كان نجمه آخذا في التآلق حينئذ ، وصار بعد قليل امبراطور فرنسا العظيم . فأخذ يدبر أمور الحملة ، وجمع جيشا بلغت عدته نحو ثلاثين ألف جندي ، مزودين بالعدد وأدوات الحرب الحديثة ، يعاونه في قيادته كثير من خيرة قواد فرنسا أمثال كليبر ومينو وديزيه وكفارللي ، واصطحب معه مائة من أشهر علماء فرنسا ، ليكشفوا عن ثروات مصر ، ويستغلوا خيراتها أحكم استغلال ، من بينهم منج وبرتليه وليبير . وأقلعت الحملة من موانئ طولون ومرسيليا وحنوة في ١٩مايوسنة ١٧٩٨ ووصلت الى الاسكندرية في أول يوليو سنة ١٧٩٨

كان المماليك يعيشون في عزلة عن بقية الأمم الأخرى ، منغمسين في لهوهم وملذاتهم ، يعتمدون في حروبهم على أساليب الفروسية القديمة ، وقوامها الكر والفر السريع ، وعلى النزال الفردي ، ويجهلون مدى تقدم فنون الحرب والقتال في أوربا ، والأسلحة الحديثة الفتاكة ، التي لا تبقى ولا تذر . فلما علم المماليك بنزول الحملة في الاسكندرية في ٥ يوليو ، قابلوا الخبر بغير اهتمام أو اكتراث ، مزدربين شأن الافرنج عامة ، ومحتقرين كفايتهم الحربية ، وأقسموا أنهم سيحصدون رءوسهم حصدا اذا قاتلوهم (٢) ولكن لم تلبث مدافع الفرنسيين وبنادقهم أن حصدت جموع المماليك في

(١) تاريخ مصر السياسي تأليف الاستاذ محمد رفعت ح ١ ص ٣٣ - ٣٥

(٢) المصدر السابق ح ١ ص ٥٤

شبراخيت ، وكان قد حضر اليها مراد بك على رأس قوة تبلغ ستة آلاف من فرسان المماليك والجنود التركية . لذا تقهقر الى امبابة وأخذ يقيم الحصون والاستحكامات ، في انتظار الفرنسيين ، بينما بقى ابراهيم بك على الضفة المقابلة للنيل ، في بولاق ، ومعه ما أمكن حمله من الثروة والتحف والكنوز التي جمعها المماليك وحملوها ظهور الدواب أو السفن في انتظار نتيجة المعركة . ولكن كان الاندحار والهزيمة نصيب المماليك في امبابة أيضا ، ففر مراد الى الوجه القبلى بينما هرب ابراهيم الى سوريا . وقد تقرر في موقعة امبابة « أو موقعة الأهرام كما يسميها الفرنسيون » مصير المماليك ، فكانت ولاشك القاضية الفاصلة ، التي أذنت بزوال دولتهم ، وتقلص ظلهم ، الى الأبد

فلما نفى الأتراك والمماليك عن أكتافهم واجب الدفاع عن البلاد ، واجلاء الفرنسيين عنها ، وهذا ما كان ينتظر منهم من غير شك ، أخذ المصريون على عاتقهم النهوض بهذا الواجب ، فهاضوا الفرنسيين ، وشنوا عليهم الغارات ، وأشعلوا نار الثورة ، وحمل أهل القاهرة هذا العبء نيابة عن المصريين جميعا . وكانت أول ثورة قاموا بها ضد الفرنسيين ثورة ٢١ أكتوبر سنة ١٧٩٨ ، تلك الثورة التي قصدوا من ورائها القضاء على الفرنسيين بعد أن حطم الانجليز الأسطول الفرنسى فى واقعة أبى قير البحرية ، فانقطعت أسباب الاتصال بينهم وبين فرنسا . وقد أخذ أهل القاهرة الفرنسيين فى هذه الثورة على غرة ، وحملوا عليهم حملة صادقة ، وأحرز فيها أهل الحسينية قصب السبق ، وقتلوا حاكم القاهرة الفرنسى ورئيس أركان حرب نابليون . ولكن نابليون أخذ يلاينهم ريثما يعد للأمر عدته ، وينصب مدافعه على جبل المقطم ، وشرع يطر بعد ذلك هذا الحى بنيران مدافعه ، ويصوب قذائفه على الأزهر ، بدعوى أن شيوخه كانوا يتزعمون الثورة . فوقع الرعب فى صدور الناس ، واضطروا الى وقف

القتال ، خصوصا بعد أن انتهت الذخيرة من أيدي أهل الحسينية . وبعد أن قبض نابليون على ناصية الموقف ، أذاق أهل القاهرة كثيرا من ألوان العذاب ، ودخل الجنود الفرنسيون بخيولهم الجامع الأزهر ، فزادت هذه الاهانة من حفيظة المصريين وغضبهم على الفرنسيين ، وحفزتهم الى ترقب فرصة أخرى يقضون فيها على الفرنسيين

شرع نابليون بعد ذلك في تأمين حدود مصر من ناحية الشام ، وذلك بإيقاف زحف الحملة التي أعدها تركيا لغزو مصر من هذه الناحية ، فخرج على رأس جيش استولى به على العريش ثم غزة وإفا ثم تقدم بعد ذلك الى عكا ، وظل يحاصرها أكثر من شهرين (من مارس الى ١٤ مايو سنة ١٧٩٩) ولكن دون أن يستطيع الاستيلاء عليها ، لشدة مقاومتها ، ومساعدة الانجليز لها من طريق البحر . وانهى به الأمر الى الانسحاب ، بعد أن فقد من رجاله ما يقرب من ثلاثة آلاف رجل ، ورجع الى مصر ، ليجد جيشا تركيا بانتظاره في أبي قير ، ف وقعت هنا واقعة في أغسطس سنة ١٧٩٩ ، انتهت باندحار الجيش العثماني . وفي أواخر هذا الشهر نفسه ، رحل نابليون الى فرنسا ، بعد أن تألبت ضدها بعض الدول الأوروبية ، وصار مركزها محفوفا بالمخاطر

خلف كليبر نابليون في قيادة الحملة في مصر ، ولكنه أدرك خطورة الموقف ، فدخل في مفاوضات مع انجلترا ، بقصد الرحيل عن مصر، انتهت بعقد اتفاق العريش في ٢٤ يناير سنة ١٨٠٠ ، الذي تعهد الفرنسيون بمقتضاه أن يغادروا مصر بأسلحتهم الى فرنسا على ظهر مراكب تركية. وبذلك أخذ الأتراك يحتلون المراكز التي كان يخليها الفرنسيون واحدا بعد الآخر . ولكن ما لبث الانجليز أن نقضوا الاتفاق ، لما تبينوا سوء حال الحملة في مصر ، وأصروا على أن يسلموا أسلحتهم وعتادهم ، ويغادروا مصر كأسرى حرب . فرفض كليبر ذلك ، وطارد الأتراك خارج مصر وهزمهم

هزيمة ساحقة في واقعة المطرية أو عين شمس في ٢٠ مارس سنة ١٨٠٠

انتهز أهل القاهرة اشتباك كبير مع الأتراك في عين شمس ، وخروج الجزء الأعظم من الجيش الفرنسى لمقاتلة العثمانيين ، فقاموا في ٢١ مارس سنة ١٨٠٠ بثورة أشد وأعظم من ثورة القاهرة الأولى وكان من قواد هذه الثورة السيدان عمر مكرم نقيب الأشراف ، وأحمد المحروقى كبير التجار ، وقد حلت بولاق فيها محل الحسينية في ثورة القاهرة الأولى ، وحمل أهلها كل ما وصلت اليه أيديهم من السيوف والبنادق والرماح والعصى ، وسرعان ما امتدت الثورة الى بقية الأحياء ، حتى عمت المدينة جميعها ، وامتلأت بهم الشوارع والميادين وأسطح المنازل ، وانضم اليهم النساء والأطفال فكان لهم نداءات وصيحات تصم الآذان ، وأقاموا المتاريس على أبواب المدينة ، وفي معظم أحيائها كباب اللوق ، وناحية المدابغ ، والمحجر ، والشيخ ريحان ، والناصرية ، وقصر العينى ، وقناطر السباع ، وسوق السلاح ، وباب النصر ، وباب الحديد ، وباب القرافة ، وباب البرقية ، والسويقة ، والرويعى ، وكانت المتاريس على جانب كبير من المناعة فقد بناها الثوار في الشوارع ، وبلغ علو بعضها اثنى عشر قدما ، وتحصن الناس حولها وتحمسوا للقتال . ومما يثير الدهشة والاعجاب انشاؤهم في أربع وعشرين ساعة معملا للبارود في بيت قائد أغا بالخرنقش ، ومعملا لاصلاح الأسلحة والمدافع ، وآخر لصنع القنابل وصب المدافع ، جمعوا له الحديد من المساجد والخوانيت ، وتطوع الصناع للعمل فيه ، وقدموا ما لديهم من الحديد والآلات والموازين ، هذا فضلا عما استخرجوه من المدافع التى كانت مطمورة في بيوت الأمراء والمماليك ، بلغ عدتها عشرين مدفعا (١) ، مما أذهل الفرنسيين ، وألقى في قلوبهم الرعب والفرع ، وأكد لهم أن بقاءهم بمصر صار أمرا مستحيلا ، حتى ولو أخذوا هذه الثورة ، وأخضعوا المصريين لحكمهم بقوة الحديد والنار

هاجم الثوار قلاع الفرنسيين ومراكزهم الحصينة ، بل وهاجموا معسكر القيادة العامة للجيش الفرنسى بسرأى الألفى بك بالأزبكية ، فقتلوا من الفرنسيين عددا كبيرا ، ولكن مدافع الفرنسيين كانت تحصدهم حصدا . وأخذت القلاع تضرب المدينة بالمدافع ، وتسلبت قنابلها على الأحياء الثائرة ، واشتد أذى الفرنسيين عندما حضر كليبر الى القاهرة فى ٢٧ مارس سنة ١٨٠٠ ، بعد الانتهاء من واقعة عين شمس ، وأخذ فى وضع الخطط لتطويق القاهرة من جميع جهاتها ، وضرب الثوار ضربة قاصمة . ومهد لذلك بايقاع الفرقة فى صفوف الثوار واجتذاب العناصر التركية والمماليك الى صفه ، تلك العناصر التى لم تكن تبغى شيئا من وراء الانضمام للثوار سوى استعادة نفوذها القديم ، وسلطانها البائد ، وعزها الزائل . وقد نجح كليبر فى سياسته ، ولم يبق فى الميدان سوى المصريين ، وعندئذ أخذ يصلى المدينة نارا حامية ، ويضرم النيران فى الأحياء الآهلة بالسكان . فأحدثت الحرائق تخريبا مروعا فى القاهرة ، واحترقت أحياء برمتها ، وتهدمت بيوت عامرة ، ودفنت تحت أنقاضها عائلات بأكملها ، ومن الأحياء التى التهمتها النار خط الأزبكية وخط الساكت والفوالة والرويعى وبولاق وبركة الرطلى وما جاورها ، وباب البحر والخروبي والعدوى الى باب الشعرية

ويصف الجبرتى ما نزل بأهل القاهرة من مصائب وأهوال فيقول : « واستمر الحال على ما هو عليه من اشتعال نيران الحرب ، وشدة البلاء والكرب ، ووقوع القنابل على الدور والمساكن من القلاع ، والهدم والحرق ، وصراخ النساء من البيوت ، والصغار من الخوف ، والجزع والهلع ، مع القحط وفقد المآكل والمشارب ، وغلق الحوانيت والطواوين والمخابز ، ووقوف حال الناس من البيع والشراء ، وتفليس الناس وعدم وجدان ما ينفقونه ان وجدوا شيئا ، واستمر درب المدافع والقنابر والبنادق والنيران ، ليلا

ونهارا ، حتى كان الناس لا يهناً لهم نوم ولا راحة ، ولا جلوس لحظة واحدة من الزمن، ومقامهم دائماً أبدا بالأزقة والأسواق ، وكأن على رؤوس الجميع الطير. وأما النساء والصبيان فمقامهم بأسفل الحواصل، والعقودات، تحت طباق الأبنية الى غير ذلك »

ولم يصب حيّاً من أحياء القاهرة مثلما أصاب حى بولاق ، فقد جلت نكبته عن كل وصف ، وارتكب فيه الفرنسيون من الفظائع والمنكرات ما يشيب من هوله الولدان ، ولا يرتكبه سوى البرابرة المتوحشين الأندال وهنا ترك الكلام لشاهد عيان ، هو المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي اذ يقول : « هجموا على بولاق من ناحية البحر (النيل) ، ومن ناحية بوابة أبى العلاء ، وقاتل أهل بولاق جهدهم ، ورموا بأنفسهم فى النيران ، حتى غلب الفرنسيس عليهم ، وحصروهم من كل جهة ، وقتلوا منهم بالحرق والقتل، وبلوا بالنهب والسلب ، وملكوا بولاق ، وفعلوا بأهلها ما تشيب من هوله النواصي ، وصارت القتل مطروحة فى الطرقات والأزقة ، واحترقت الأبنية والدور والقصور ، وخصوصا البيوت والرباع المطلة على البحر ، وكذلك الأطراف ، وهرب كثير من الناس عندما أيقنوا بالغلبة ، فنجوا بأنفسهم الى الجهة القبليّة ، ثم أحاط الفرنسيس بالبلد ، ومنعوا من يخرج منها ، واستولوا على الخانات والوكائل والحواصل والودائع والبضائع ، وملكوا الدور وما بها من الأمتعة والأموال والنساء والخوندات والصبيان والبنات ، ومخازن الغلال والسكر والكتان والقطن والأبازير ، والأرز والأدهان والأصناف العطرية ، وما لا تسعه السطور، ولا يحيط به كتاب ولا منشور »

أمام هذه الكوارث التى حلت بجميع أحياء القاهرة لم يسع الناس الا التسليم ، فشرع العلماء يفاوضون كليبر فى الصلح حقنا للدماء ، فتم ابرام الاتفاق يوم ٢١ ابريل سنة ١٨٠٠ ، وهكذا انتهت ثورة القاهرة

الثانية بعد قتال دام شهرا كاملا ، وفرض كليبر على سكان القاهرة غرامة حربية قدرها اثنا عشر مليون فرنك ، يوثقى نصفها نقدا ، ونصفها عروضاً ، وألزم سكان المدينة بتسليم عشرين ألف بندقية ، وعشرة آلاف سيف ، وعشرين ألف طبنجة ، وخص بعض كبار الأعيان والعلماء بنصيب فادح من هذه الغرامة . ولا تسلم عن ألوان العنف والجبروت التى أذاقها الفرنسيون أهل القاهرة عند تحصيل الغرامة (١) . مما أملاه عليهم الحقد والانتقام ، وكان مبعثه الحفيظة وسوء الطوية ، مما حدا بزعماء الثورة أمثال السيد عمر مكرم ، والسيد أحمد المحروقى ، وعدة آلاف من السكان الى الرحيل أو التفرق فى البلاد

لم ينعم كليبر بلذة النصر الذى أحرزه فى موقعة عين شمس ، واتحاد ثورة القاهرة ، وتثبيت قدم الحملة فى مصر ، وتقوية الروح المعنوية بين جنوده ، اذ عاجله الموت بضربة من خنجر سليمان الحلبي ، أحد طلبية الأزهر ، بتحريض من العثمانيين . فتولى قيادة الحملة من بعده الجنرال مينو ، وفى عهده غزا الأتراك مصر بمساعدة الانجليز . ونشبت بينهم وبين الفرنسيين عدة معارك فى قانوب « جنوبى أبى قير » ، وفى الرحمانية ، وفى القاهرة ، انهزم فيها الفرنسيون ، وطلب بعدها « بليار » القائد الفرنسى فى القاهرة الدخول مع الانجليز والأتراك فى مفاوضات ، انتهت بقبول الانجليز أن يرحل الفرنسيون عن مصر طبقا لشروط معاهدة العريش السابقة ، التى تقضها الانجليز ، فكبدوا البلاد بسبب هذا النقض ، أعظم الكوارث والخسائر . وقد وقع الاتفاق الجديد فى ٢١ يونيو سنة ١٨٠١ ، وتعهد الانجليز والأتراك بنقل جنود الحملة على ظهر سفن انجليزية وتركية الى فرنسا

أما مينو ، وكان يعسكر فى الاسكندرية ، فقد أبى التسليم ، واستمر

(١) تاريخ الحركة القومية للاستاذ عبد الرحمن الرافعى > ٢ ص ١٨٤

فى المقاومة ، بينما الانجليز يضيّقون عليه الحصار ، حتى اضطر أخيرا الى
الاذعان فى أول سبتمبر سنة ١٨٠١ ، ومن ثم أخذ الفرنسيون فى مغادرة
البلاد (١) ، بعد ثلاث سنوات وثلاثة أشهر من احتلالهم مصر ، حاملين
معهم أسلحتهم وعتادهم ، وأبحاثهم التى أجراها علماءؤهم فى أثناء اقامتهم
بمصر . وقد ضمّنوا معظم هذه الأبحاث كتابهم الذى نشره بعد ذلك
بعنوان وصف مصر Description de l'Egypte ، تلك الأبحاث التى كانت
أساسا لنهضة مصر المقبلة

لقد آذى الفرنسيون المصريين كثيرا ، وارتكبوا فى مصر أبشع الجرائم
والآثام ، ونهبوا العالم ، وخصوصا انجلترا ، الى أهمية موقع مصر
الجغرافى ، فما فتئت هذه تعمل جاهدة لاحتلالها ، حتى سنحت لها الفرصة
لإدراك هذا المأرب فى يوليو سنة ١٨٨٢ . ولكنهم مع هذا استنهضوا
همة المصريين ، بطريق غير مباشر ، للذود عن بلادهم ، والدفاع عن كرامتهم
ضد أى معتد أجنبى ، فرنسا كان أم انجليزيا ، وأشركوهم معهم فى الحكم
بشكل صورى ، ومنذ ذلك الوقت لا يرضى المصريون بالحكم الدستورى
بدىلا . كما وضعوا أساس النهضة الصناعية بما أنشأوه من مصانع ،
خصوصا بعد أن انقطع اتصالهم بفرنسا وأوربا ، أهمها صناعة المنسوجات
والورق والبارود وعمل آلات لسك النقود ورفع المياه ودبغ الجلود
وللجراحة . وللحملة يرجع الفضل فى انشاء المستشفيات الحديثة والمكاتب
وطبع الجرائد وادخال المطبعة العربية ، التى قامت على أنقاضها مطبعة بولاق
التى أوجدها محمد على (٢)

— ٢ —

لم تصب مبانى القاهرة ومساجدها فى أى عهد بما أصيبت به على يد
الفرنسيين من هدم وتخريب . هؤلاء القوم الذين لم يراعوا لدور العبادة

(١) وقع جلاء الفرنسيين بين ١٤ ، ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٠١

(٢) تاريخ مصر السياسى - ١ ص ٨٥

والمساجد حرمة أو كرامة ، رغم تظاهرهم باحترام الدين ، وشعائر الاسلام ، وقت غزوهم مصر. ولم يكن لهم هم سوى اخضاع المصريين لحكمهم بكل ما أوتوا من قوة وبطش ، خصوصا عندما تشدد بهم الأزمات ، وتتخرج الأمور ، كما يفعلون اليوم نفس الشيء مع أهل الجزائر . لذلك حوّلوا المساجد ودور العبادة والقصور الى حصون وقلاع ، يقذفون منها المصريين بالحمم والقذائف عند ثوراتهم ضد الطغيان الفرنسى . كذلك هدموا كثيرا من تلك المساجد عندما اعترضت طريقهم ، في أثناء هجومهم على الأحياء الثائرة . بل انهم حولوا المساجد الجامعة كالأزهر وجامع الظاهر الى ثكنات تأوى اليها جنودهم وخيولهم ، غير أبهين لشعور المسلمين عامة ، وشعور المصريين بصفة خاصة . ولقد وصف الجبرتى جامع الظاهر بعد أن حوله الفرنسيون الى قلعة فقال : « وجعلوا جامع الظاهر ببيرس خارج الحسينية ، قلعة ، ومنارته برجا ، ووضعوا على أسواره مدافع ، وأسكنوا به جماعة من العسكر ، وبنوا فى داخله عدة مساكن تسكنها العسكر المقيمة به »

كذلك حصنوا قلعة الجبل ، وبنوا عليها الاستحكامات ، ونصبوا فيها المدافع ، كما حصنوا جزيرة الروضة ، ووضعوا بطاريات من المدافع فى كل طرف من أطرافها ، وجعلوا من المقياس شبه قلعة . وحصنوا الشاطئ المقابل للجزيرة . وجعلوا فم المجراة طابية حصينة ، سميت طابية المجراة ، أو طابية السبع السواقى . وجعلوا قصر ابراهيم بك « قصر العينى » الواقع تجاه جزيرة الروضة مستشفى عسكريا حصينا ، يسع ألف مريض وجريح ، وألحق به بيت محمد كاشف الأرناءوطى ، وجعلوه مخزنا ومصنعا لفرقة المهندسين ، وحصنوا السور المحيط بهما ، وركبوا عليه المدافع ، فصار حصنا منيعا . كذلك أنشأوا قلعتين فوق باب النصر وباب الفتوح ، وما تزال توجد آثار الفرنسيين فى الأسوار المتصلة بهما حتى اليوم

ومن المساجد التي هدموها المساجد المجاورة لقنطرة امبابة ومسجد
المقس ، المعروف الآن بجامع أولاد عنان ، وجامع الكازروني بالروضة
والجامع المجاور لقنطرة الدكة غربى الأزبكية

وهكذا كان المصريون كلما قاموا بالثورة في وجوه الفرنسيين أمعن
هؤلاء في هدم المساجد والدور ، ونهبوا الحوانيت ، واستولوا على كل
ما تحتويه من بضائع ونقائس ، ثم هدموا مساطبها ، وقطعوا الأشجار
من البساتين ، واستولوا على أخشابها ، ليستعملوها في بناء الاستحكامات
والقلاع . وقد ذكر الجبرتي ضمن حوادث سنة ١٢١٥ هـ (١٨٠٠ م) ،
أى فى عهد قيادة مينو للحملة الفرنسية ، أن خططا بأكملها قد تهدمت ،
كخط الحسينية ، والخروبي « بمصر القديمة » وبركة چناق « وكانت تعرف
بركة درب عجور بباب الشعرية » ، وبركة الفيل . وقد كشفوا سور
القاهرة القديم ، من باب النصر الى باب الحديد ، وحصنوا أبوابه ،
وأقاموا حولها الأسلاك الشائكة ، وسدوا باب الفتوح بالبناء ، وكذلك
باب البرقية ، وباب المحروق

ومن العمارات التي هدموها جامع جانبلاط بباب النصر ، ومباني
رأس الصوة « بالميدان الموجود بين جامع السلطان حسن والقلعة ، حيث
باب العزب » . وهدموا أعالي المدرسة النظامية ، ومدرسة القانيية ، أو
مسجد قانييائى « الموجود على رأس درب السماكين » ، وجامع الجركسى
وجامع خوند بركة ، خارج باب البرقية ، « وهو بقرافة المجاورين ، بقرب
شارع السلطان أحمد » ، وكذلك أبنية القرافة ومدارسها ومساجدها ،
والقباب والمدافن الكائنة تحت القلعة ، وجامع الرويعى ، وقد جعلوه
خمارة ، وجزءا من جامع عثمان كتحدا القزدوغلى ، بالقرب من رصيف
الخشاب ، وجامع خير بك حديد ، بدرب الحمام ، بالقرب من بركة الفيل،

وجامع البنهاوى والدخطوطى والعدوى ، وجامع عبد الرحمن كتحدا
المقابل لباب الفتوح . ولم يبق منه الا بعض الجدران

وهدموا المساطب فى أحياء بأكملها كالصلبية ، وقناطر السباع ، ودرب
الجاميز ، ودرب سعادة ، وباب الخرق فما يليه الى باب الشعرية . وتعللوا
فى ذلك برغبتهم فى توسيع الشوارع والأزقة ، وغرضهم الحقيقى منع
الناس من اتخاذها متاريس ، فى حالة قيام الثورة ، كما حدث فى ثورتى
القاهرة الأولى والثانية

وقطعوا الأشجار والنخيل من جميع الحدائق والبساتين الكائنة بالقاهرة ،
وبولاق ، وقصر العينى ، والروضة ، ومصر القديمة وخارج الحسينية ،
وبركة الرطلى ، وأرض الطبالة ، وبساتين الخليج . وصادروا أخشابها ،
وأخذوا أيضا أخشاب المراكب والسفن ، مع شدة الحاجة اليها للنقل ،
وعدم انشاء مراكب جديدة ، فتعطلت المواصلات ، مما أدى الى صعوبة
النقل (١)

(١) تاريخ الحركة القومية ج ١ ص ٣١٠ ، والجبرى ص ١٥٩ ج ٣

ب - عصر محمد على

١٢٢٠ - ١٢٦٤ هـ (١٨٠٥ - ١٨٤٨ م)

- ٣ -

كان من بين أفراد الحملة التى وجهتها الدولة العثمانية سنة ١٨٠١ م ،
لاخراج الفرنسيين من مصر ، ضابط ألبانى برتبة اليوزباشى ، ولد فى
مدينة قوله ، واحترف فى مستهل حياته تجارة الدخان ، الذى تنتجه بلده
بوفرة . ثم انخرط فى سلك الجندية ، ولم يدر أن مستقبلا عظيما كان
ينتظره فى مصر ، وأنه يسير بخطى سريعة نحو عرشها . ذلكم هو محمد
على منشىء الأسرة العلوية

كان محمد على يتحلى بكثير من الصفات التى تؤهله للعظمة والنجاح :
فقد كان شجاعا ، مقداما ، بعيد النظر ، واسع الحيلة ، عريض الآمال .
اشترك فى محاربة الفرنسيين فى مصر ، وأتيحت له فى أثناء ذلك
دراسة الحالة السياسية فيها ، فرآها بعد خروج الحملة وقد تنازعتها قوى
متباينة : العثمانيون يريدونها لأنفسهم بحق الفتح ، والمماليك يتشبثون
بها ، استمرارا لماضيهم القديم فى حكم البلاد ، والسيادة عليها .
والانجليز ، وقد أسهموا بنصيب وافر فى اخراج الفرنسيين ، واجباط
خطتهم ، يودون لو حلوا محل الفرنسيين فى البقاء فى مصر
أما الشعب المصرى ، صاحب البلاد الحقيقى ، وقد أقض مضاجع
الفرنسيين ، وحمل على أكتافه عبء الدفاع عن البلاد ، عندما تقاعس الأتراك
فى الدفاع عنها ، ومالاً المماليك الفرنسيين ، وعقدوا معهم الصلح ، رعاية
لمصالحهم الخاصة ، عقد هذا الشعب العزم على التخلص من الاستبداد
والاستعمار ، بعد أن ذاق طعم الحرية ، ولذة الكفاح

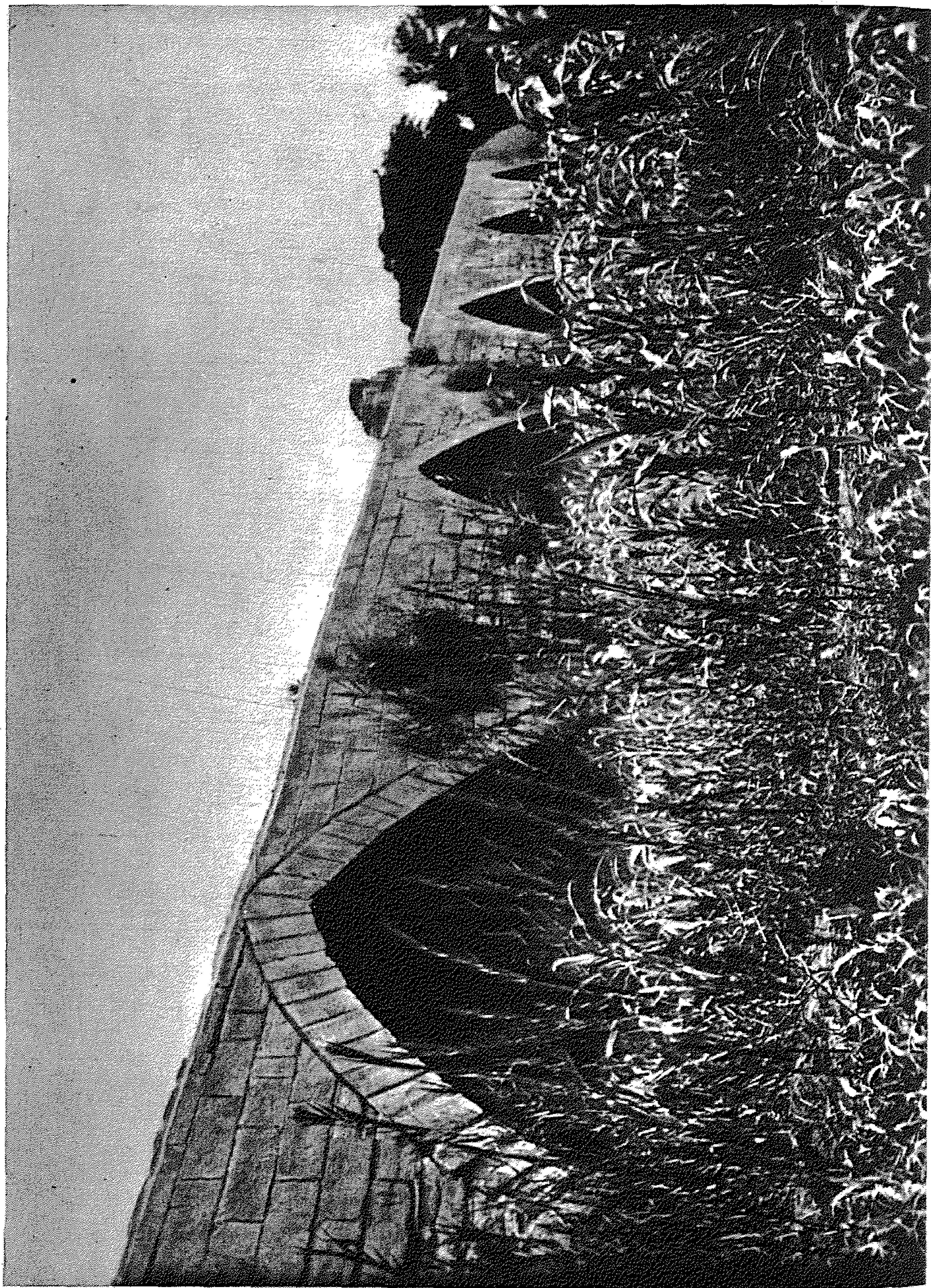
رأى محمد على كل هذا ، وكان يعرف بالاضافة اليه الكثير عن ضعف الدولة العثمانية ، وعدم قدرتها على الصمود في وجه المستعمرين الأوربيين ، وحماية ممتلكاتها من عدوانهم . فعول منذ اللحظة الأولى على استخلاص مصر لنفسه ، مستعينا في ادراك هذه الغاية بالمصريين ، أصحاب البلاد الشرعيين . وما زال يستعمل الحيل والمكايد ، ضد الولاة العثمانيين ، ويبذر بذور الفرقة بين زعماء المماليك ، وبينهم وبين الشعب ، حتى قضى على جميع معارضيهِ ، الواحد تلو الآخر . وهو في كل هذه الأثناء ، يتودد الى زعماء المصريين ، ويظهر لهم استعدادهُ لمناصرتهم ، والأخذ بيدهم ، ضد الفساد والطغيان ، حتى أجمعوا في النهاية على انتخابه واليا . فتمثلت طوائف مصر المختلفة من علماء ومشايخ وصناع وتجار ، وساروا في شوارع القاهرة الى منزل محمد على بهيئة مظاهرة وطنية ، منادين بسقوط « العثماني » ، ومعلنين رغبتهم في تولى محمد على ، ثم تقدم اليه العلماء ، وعلى رأسهم السيد عمر مكرم ، والشيخ الشرقاوى في ٥ صفر سنة ١٢٢٠ (١٣ مايو سنة ١٨٠٥) ، وانتخبوه واليا على البلاد ، بشروط اشترطوها : أن يحكم بينهم بالعدل ، وأن يلتزم جادة الحق ، وألا يرم أمرا الا بمشورتهم

فلما أعلن نبأ انتخاب محمد على ، قصدت الجماهير الى القلعة ، ونادت بسقوط خورشيد باشا ، والوالى التركى ، لما اقترفه الدلاة - حرسه الخاص - في القاهرة من جرائم وآثام . وطلبوا اليه النزول من القلعة ، ومغادرة البلاد . ولكنه أبى واستكبر ، وذكر للزعماء أنه « مُعَيَّن واليا على مصر بالخط الشريف - أى بأمر السلطان - ولا يأتى بأمر الفلاحين!! » . عندئذ هب أهل القاهرة جميعا ، وأشعل السيد عمر مكرم فيهم نار الحماسة ، وأثار حميتهم ، وتزعّم الثورة ، فتجمعت جموعهم ، وحاصروا القلعة ، مدة شهرين تقريبا ، منعوا خلالها عن والى وجنوده الميرة والذخيرة ، وتبادل الفريقان الضرب بالمدافع ، ولم ينقذ والى من الهلاك سوى وصول موافقة

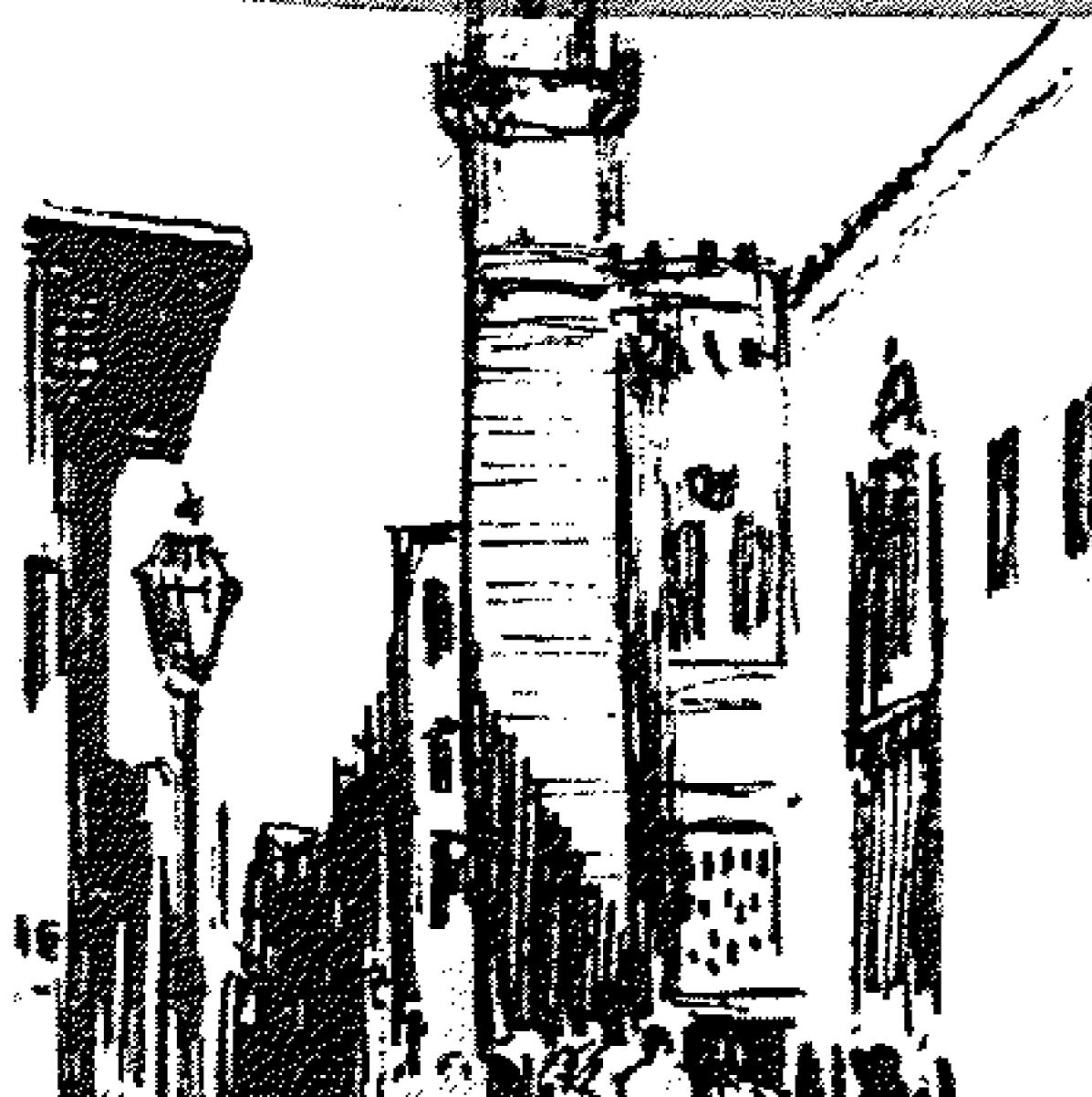
السلطان على انتخاب محمد على فى ١١ ربيع الثانى سنة ١٢٢٠ (٩ يوليو سنة ١٨٠٥) فصدع خورشيد بالأمر ، وغادر البلاد ، مذموما مدحورا ، وهكذا سجل الشعب انتصارا رائعا ، ووضع الحجر الأساسى لحرية واستقلاله

وما أن استتب الأمر لمحمد على الا وشرع يحكم البلاد حكما أوتوقراطيا «استبداديا» ، فجمع السلطة بأسرها فى يديه ، وأخذ يقلب لزعماء الشعب ظهر المجن ، وينكل بمن يعارضه منهم ، متناسيا فضلهم عليه ، وأنهم هم الذين أجلسوه على عرش البلاد . فنفى السيد عمر مكرم الى دمياط ، ونزع الأوقاف من أيدي العلماء . وقد استتب له الأمر نهائيا ، بعد أن قضى على المماليك غيلة فى مذبحة القلعة المشهورة ، فى ١٠ صفر سنة ١٢٢٦ (أول مارس سنة ١٨١١) ، فصار سيد البلاد بلا منازع

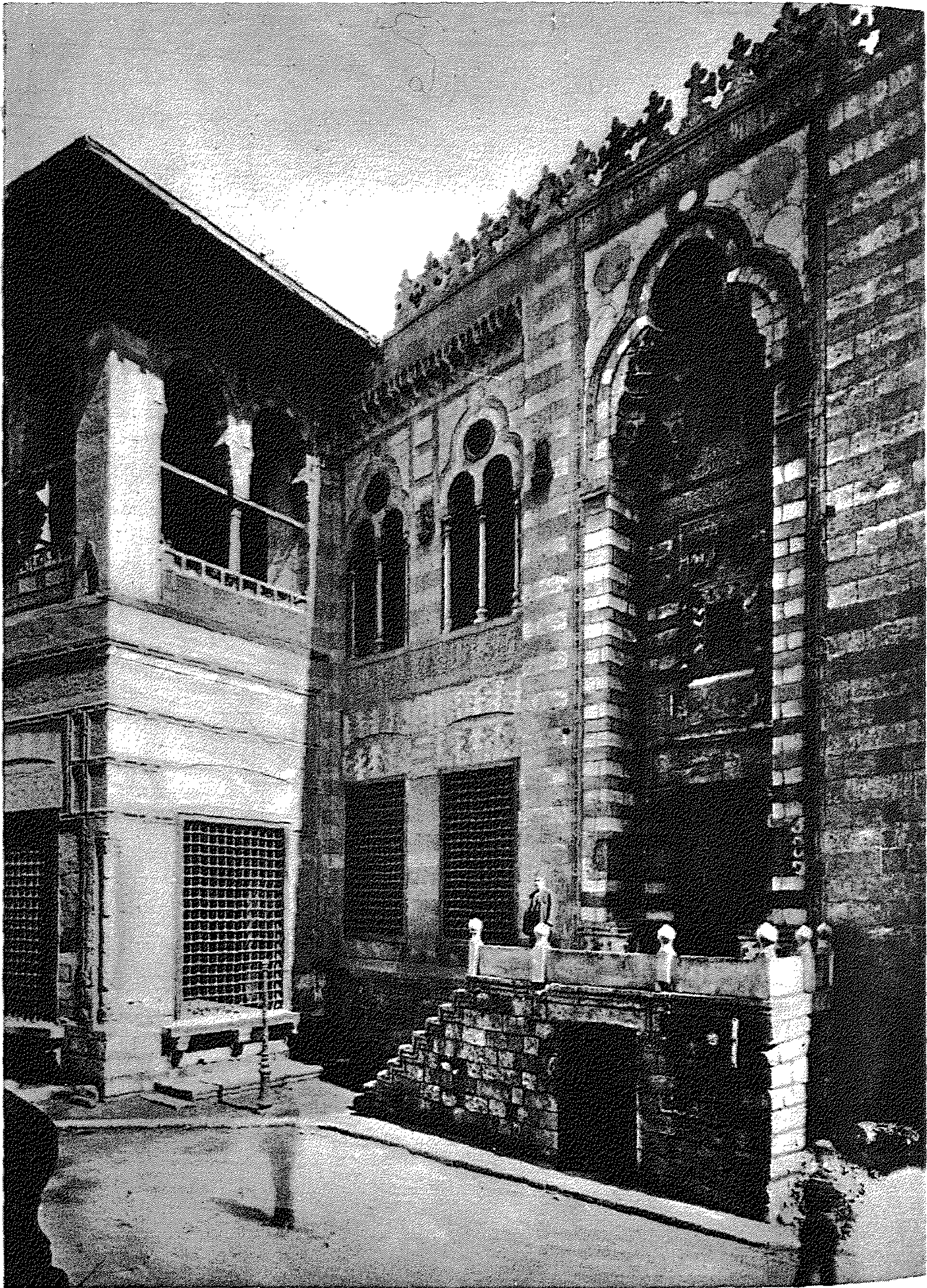
وأخذ ينشئ له جيشا قويا مدربا ، وفق أحدث الجيوش الأوربية ، مستعينا بخبرة الكولونيل سيف « سليمان باشا الفرنساوى » ، أحد الضباط الفرنسيين المدربين ، اذ كان ينوى مد حدود مصر ، وتوسيع رقعتها الى ما كانت عليه أيام عزها ومجدها . فضم اليها بلاد العرب والسودان ، واختلف مع السلطان ، فانتهى الخلاف بينهما الى أن غزا بلاد الشام وآسيا الصغرى ، وأحرزت الجيوش المصرية على جيوش السلطان نصرا مؤزرا . ولولا وقوف الدول الأوربية فى وجهه ، لخوفها من تفاقم قوته ، وتهديده مصالحها فى الشرق ، لقضى على الدولة العثمانية ، وربما جلس أيضا على كرسى السلطنة . ومع انتصاره على السلطان فى ميادين القتال ، الا أن الدول الأوربية ، وعلى رأسها انجلترا ، أضاعت عليه ثمرة انتصاراته فتجمعت أساطيلها وجيوشها ضده ، وأجلت قواته عن بلاد الشام ، التى كان يحكمها ابنه ابراهيم ، وقررت فى معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ م ألا يتعدى سلطانه حدود مصر ، وفى سنة ١٨٤١ م استصدرت من السلطان فرمانا بأن يكون حكم مصر له ولأبنائه من بعده



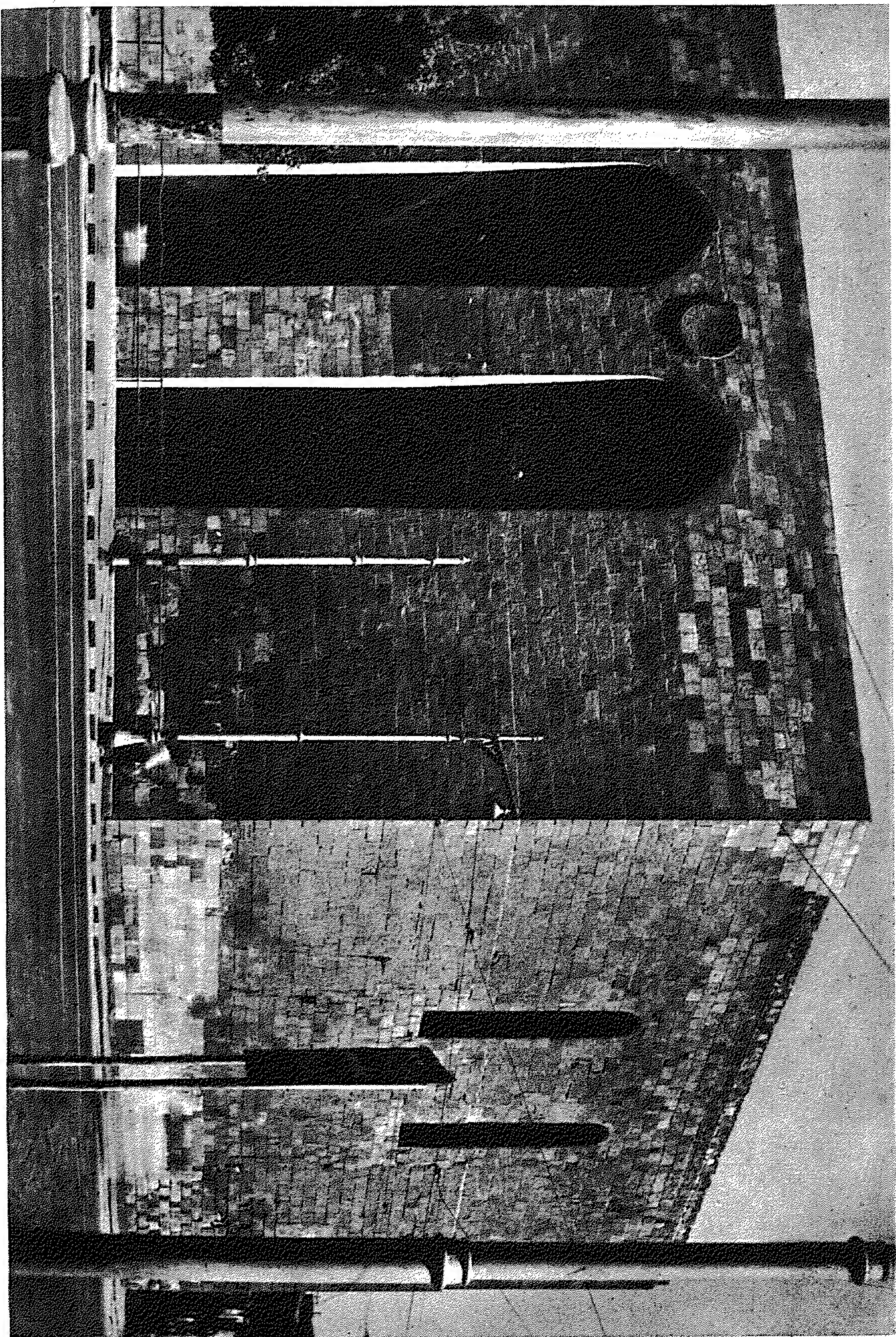
بقية من قناطر ابي النجا شمالى القاهرة وهى من منشآت الظاهر بيبرس



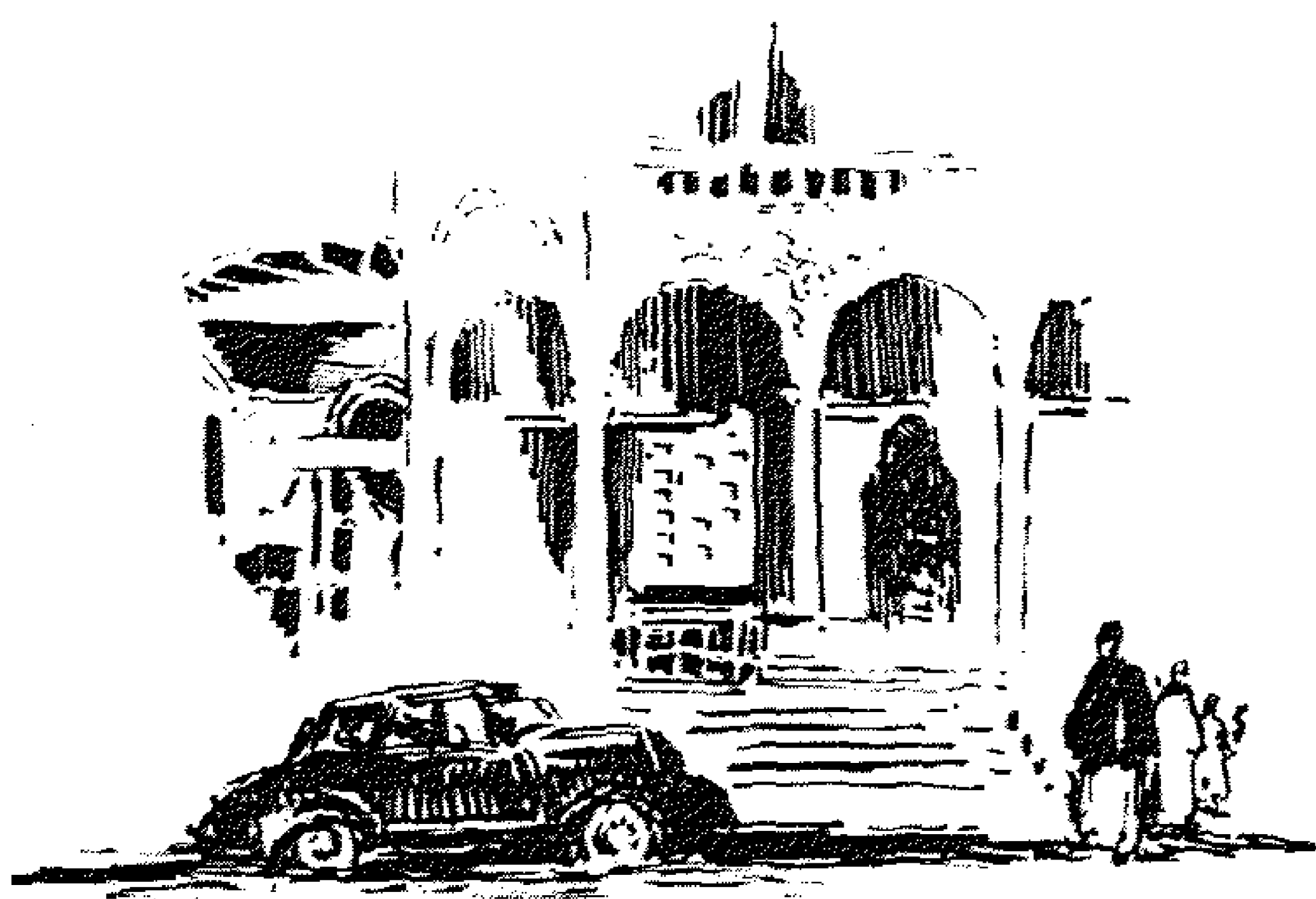
الواجهة والباب الرئيسى والمئذنة المربعة ذات الاربعة
الرؤوس بمسجد (مدرسة) الفورى بالغورية والصورة
من (مجموعة الاسـتاذ حسن عبد الوهاب)



قبة وسبيل الفورى بالغورية ، ويرى المدخل الرئيسى المرتفع
عن مستوى الشارع .. ويتوصل اليه بدرج من السلالم



مجرى المياه أو (العيون) بقم الخليج ؛ الذي شيد في عهد الفوري
لتوصيل المياه الى القلعة وفي عهد بعض السلاطين المماليك الاخيرين

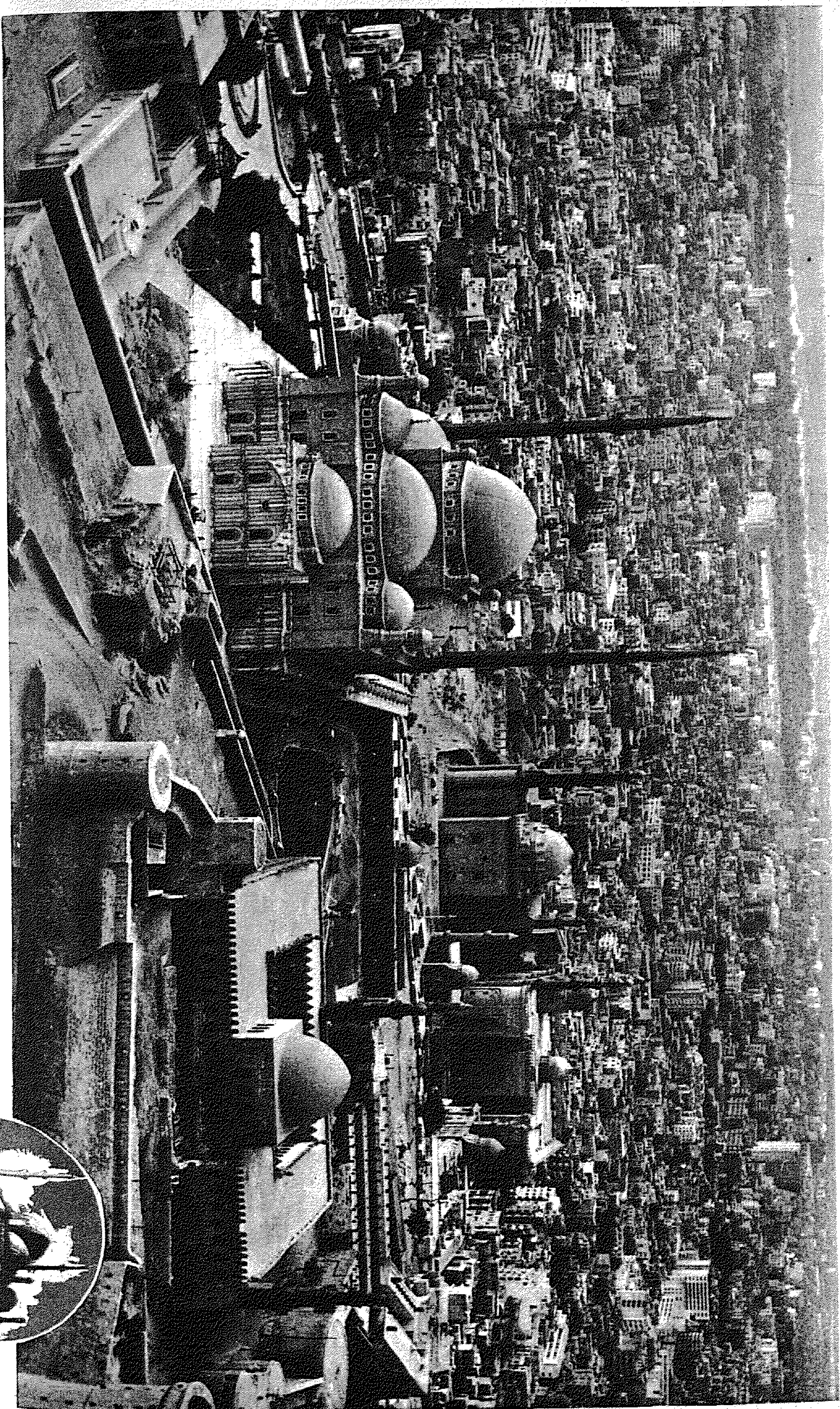
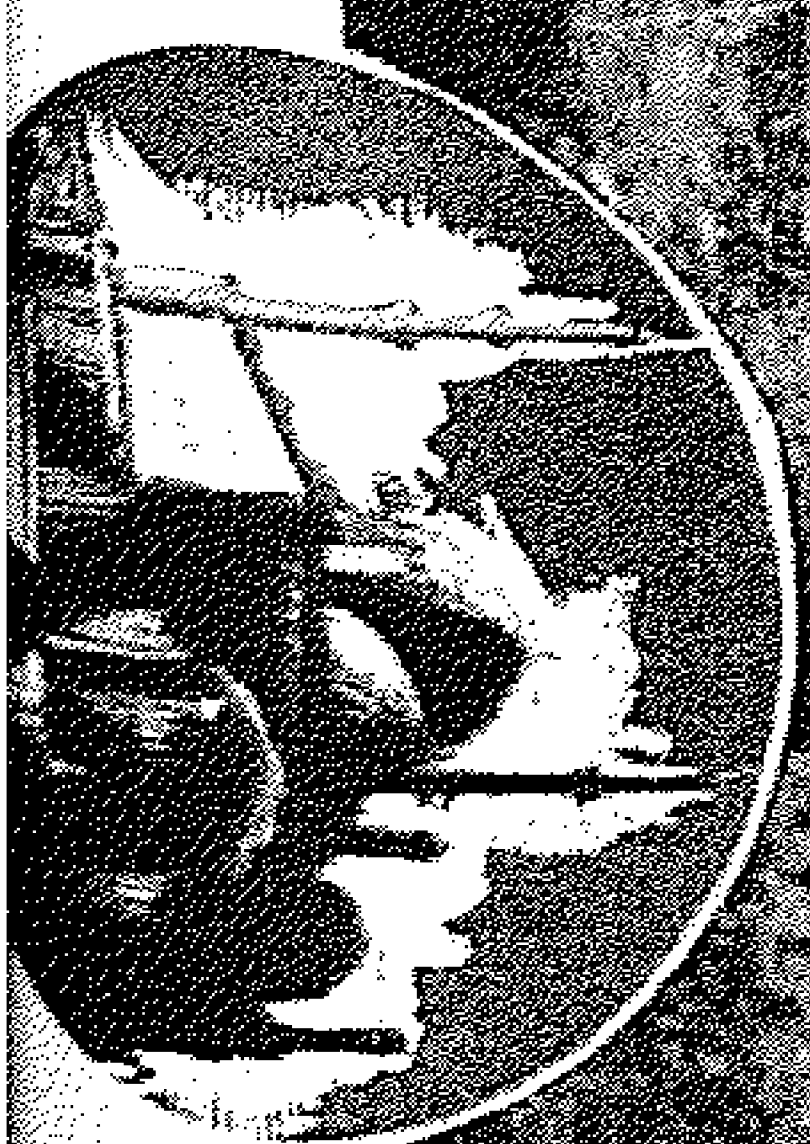


وكالة الفوري بشارع محمد عبده (شارع
التبليطة سابقا) بالفورية . أنشأها
السلطان الفوري سنة ٩٠٩ - ١٠ هـ
(١٥٠٣ - ١٤ م) . وتري الحواصل المعدة
لتخزين البضائع وإيواء دواب الحمل في
أسفل الوكالة . وفي أعلاها توجد
المساكن التي ينزل فيها التجار . وتمثل
الصورة الوكالة في أثناء ترميمها
ولعادتها الى سابق عهدها . . .



قبة ومئذنة مسجد قانى باى الرماح بميدان صلاح
الدين بحى القلعة . . وهو من أجمل المساجد المملوكية

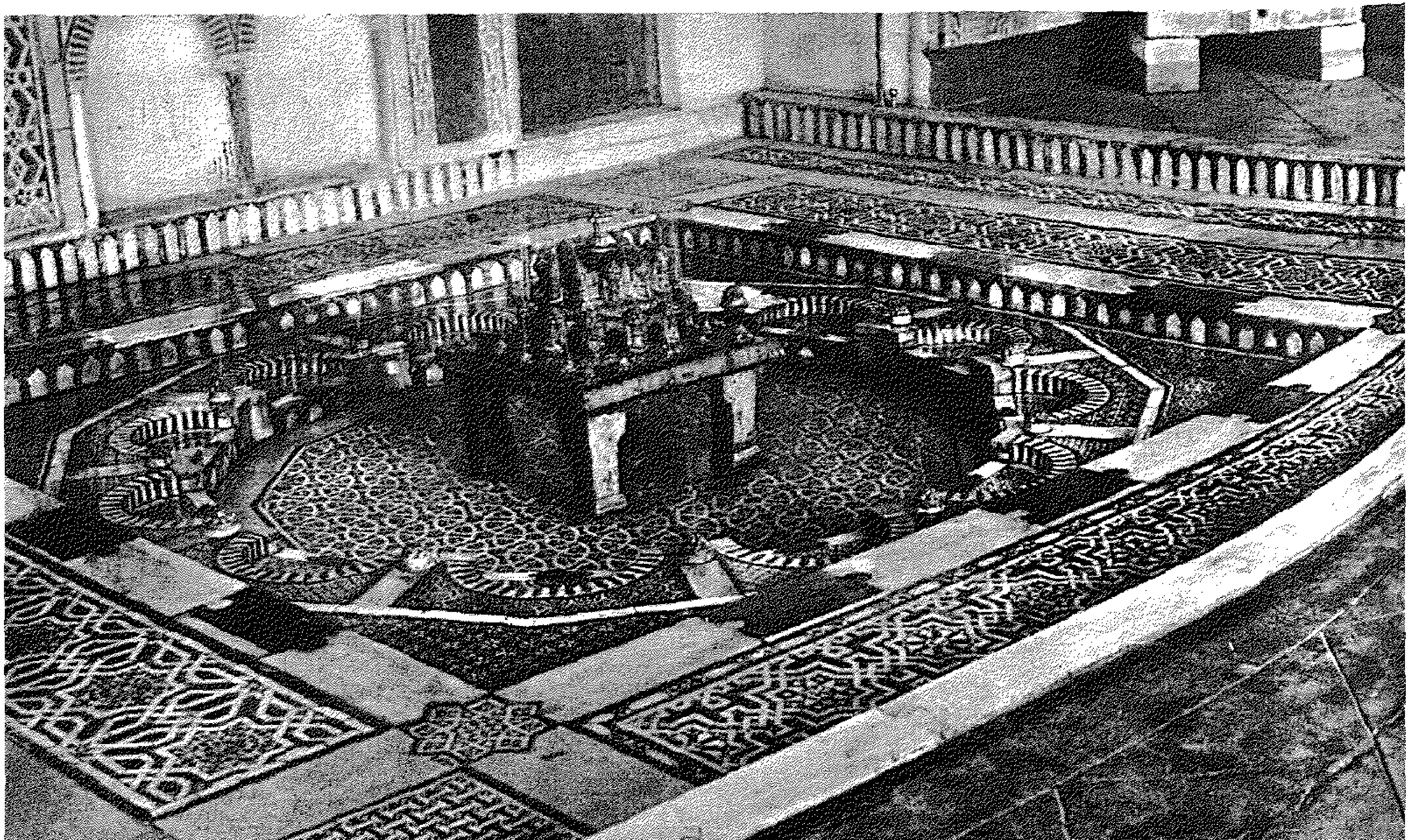
منظر مأخوذ من الطائرة للقلعة وأسوارها وماجاورها من منشآت وما يحيط بها من مساجد ، من بينها
مدرسة السلطان حسن وجامع الرفاعي وغيرهما . وترى القلعة وهي تشرق على القاهرة جميعها

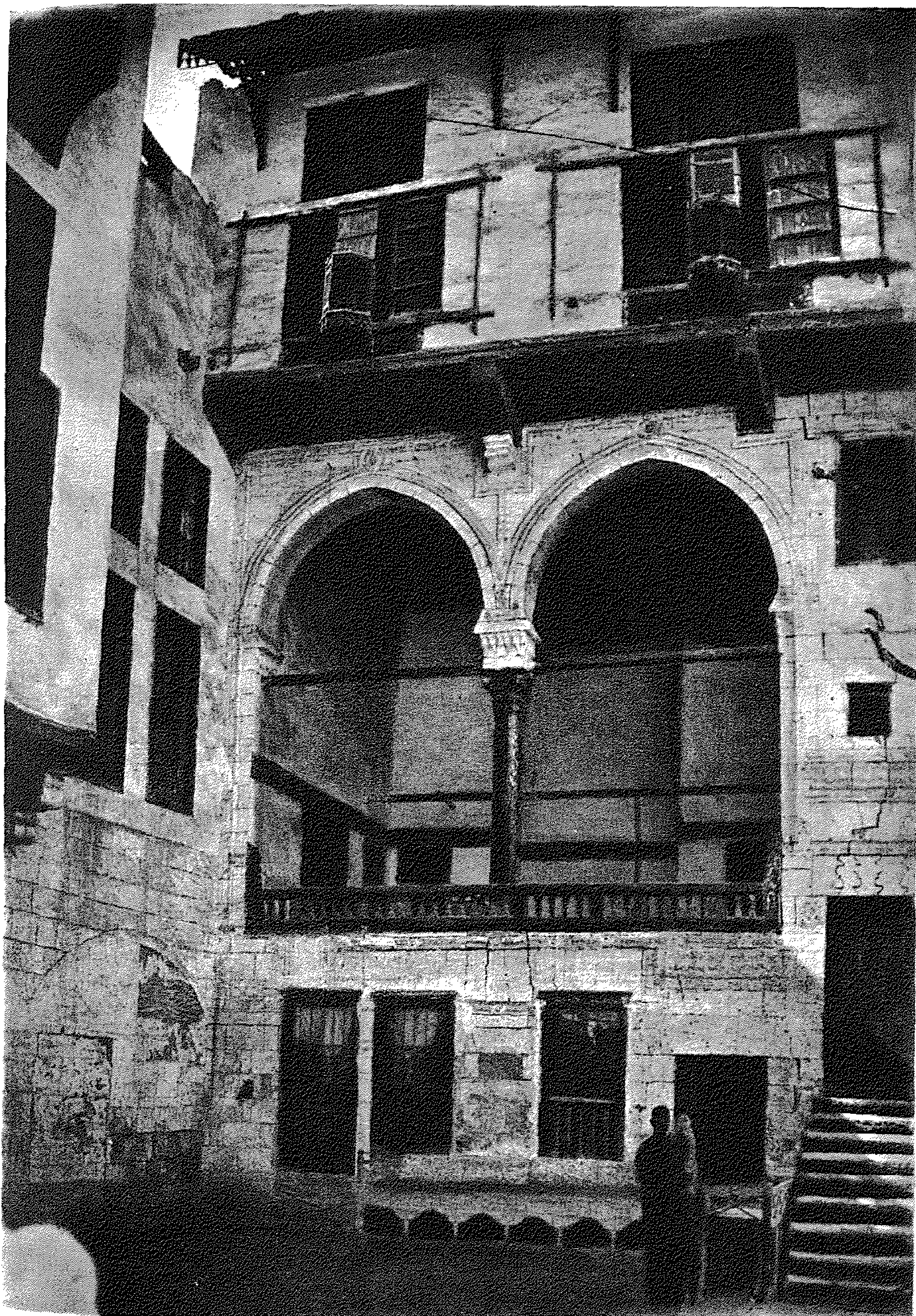




مسجد سنان باشا ببولاق : وترى القبة الضخمة وشبابيكها الجصية ذات الزجاج الملون . وهو ثانى مسجد أنشئ بالقاهرة على الطراز العثمانى

• نافورة من العصر المملوكى وهى مصنوعة من الفسيفساء
الرخامية البديعة . محفوظة بالمتحف الاسلامى بالقاهرة

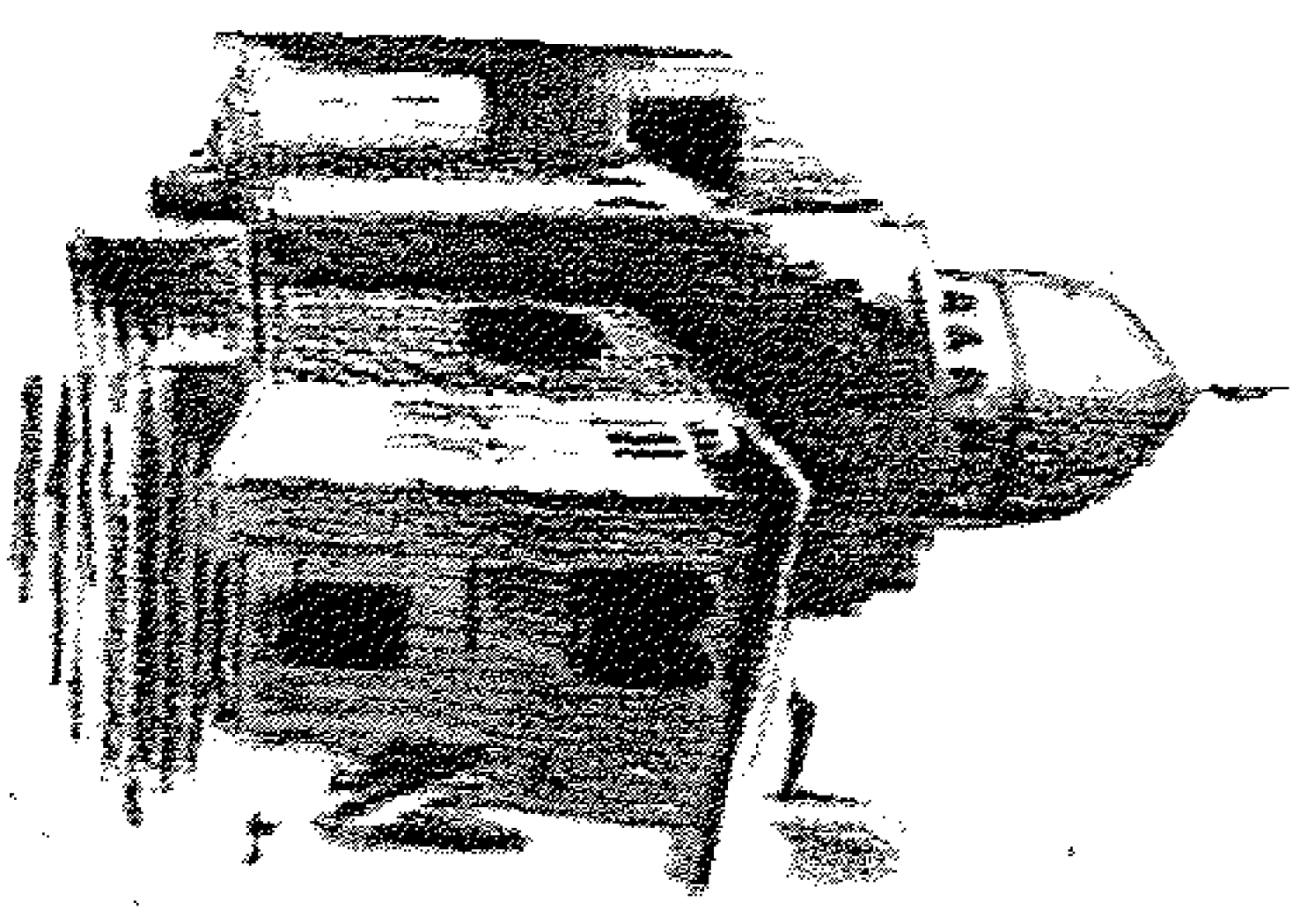
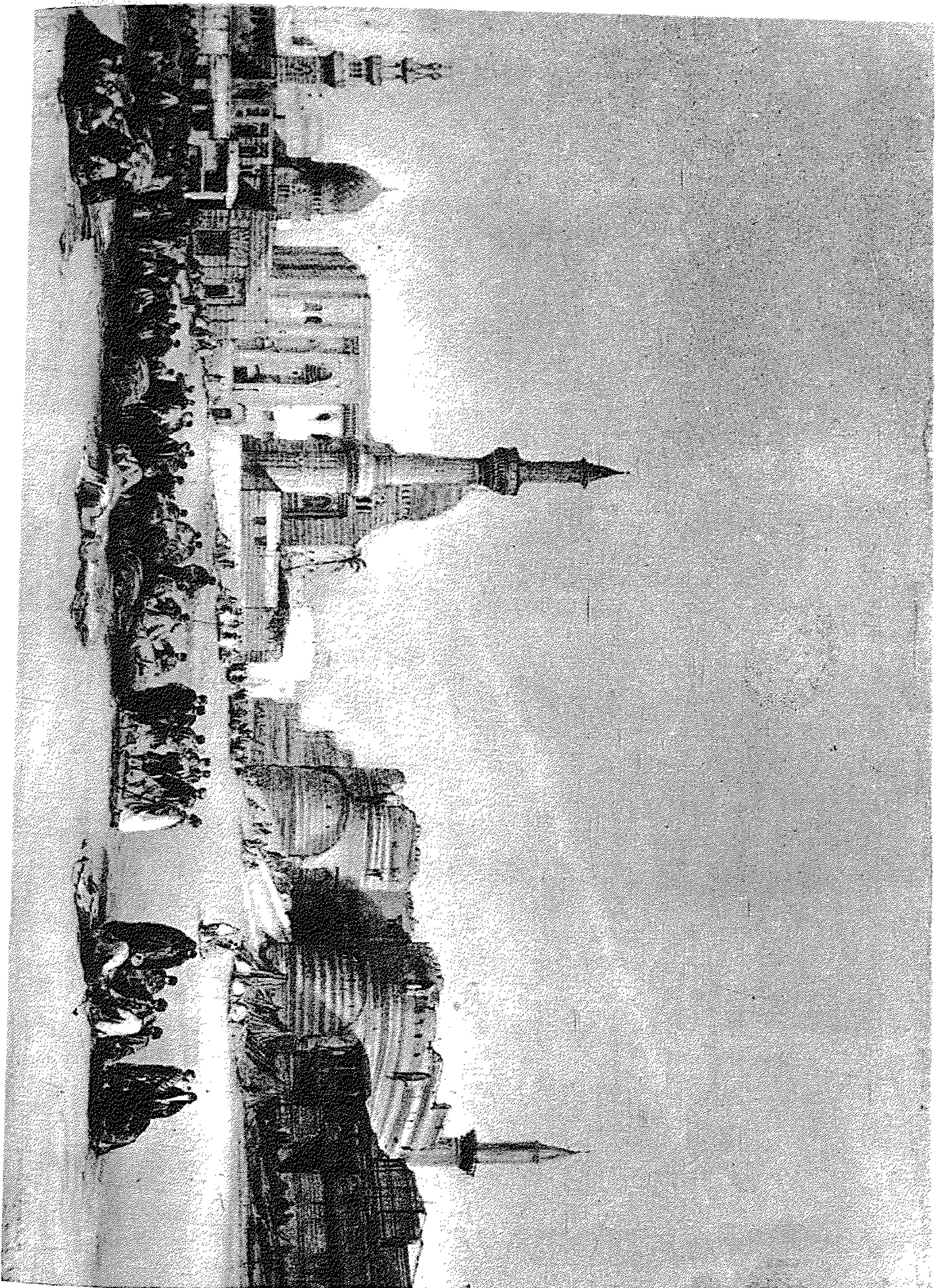




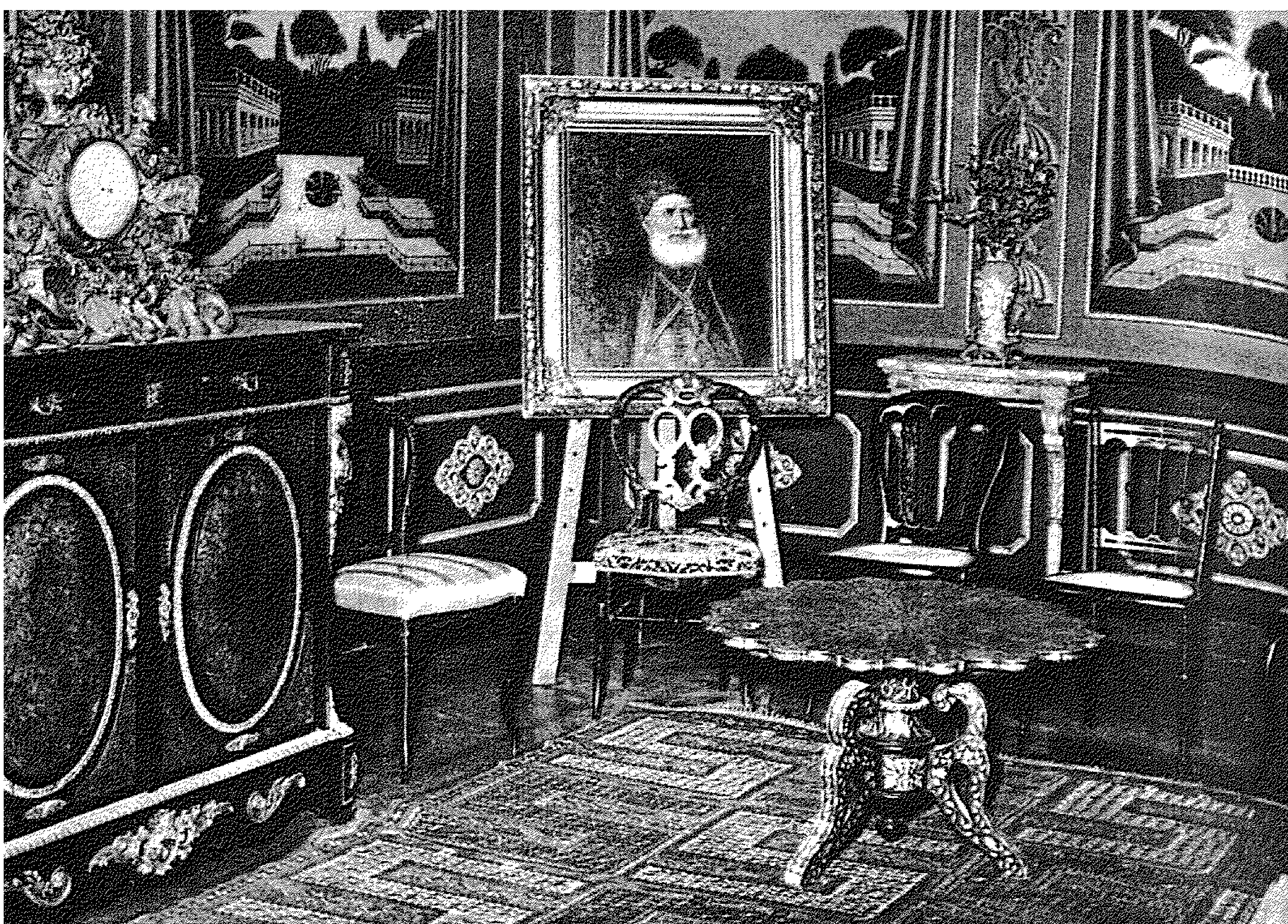
منزل جمال الدين الذهبى بحارة خوشقدم . ويرى المعقد ذو العقدين
المتكئين على عمود من الرخام ، ويطل على الحوش من الجهة القبلىة



مئذنة جامع محمد ابي الذهب . وهي كما ترى في الصورة
مربعة الشكل منتهية بقمة ذات خمسة رءوس

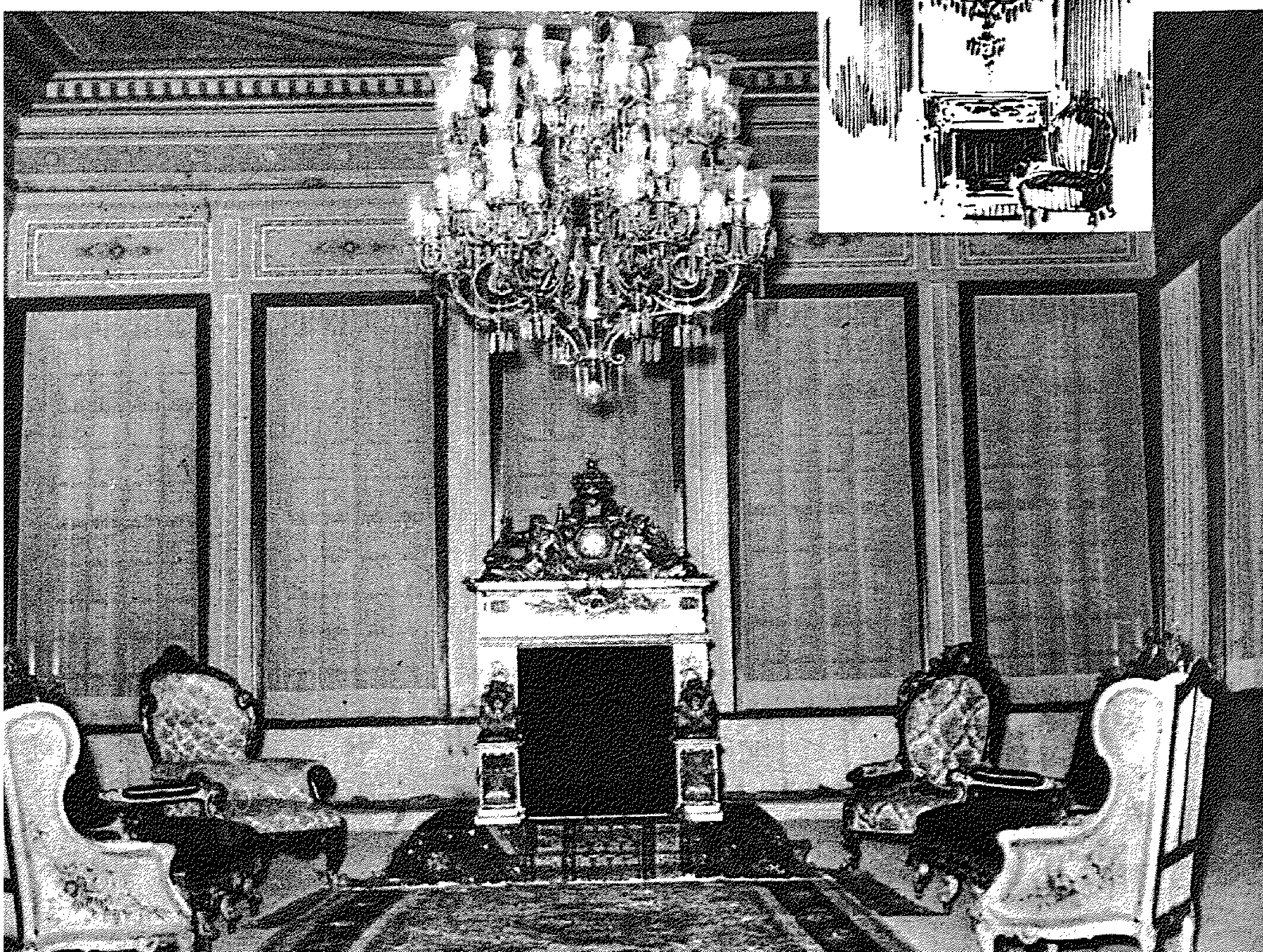


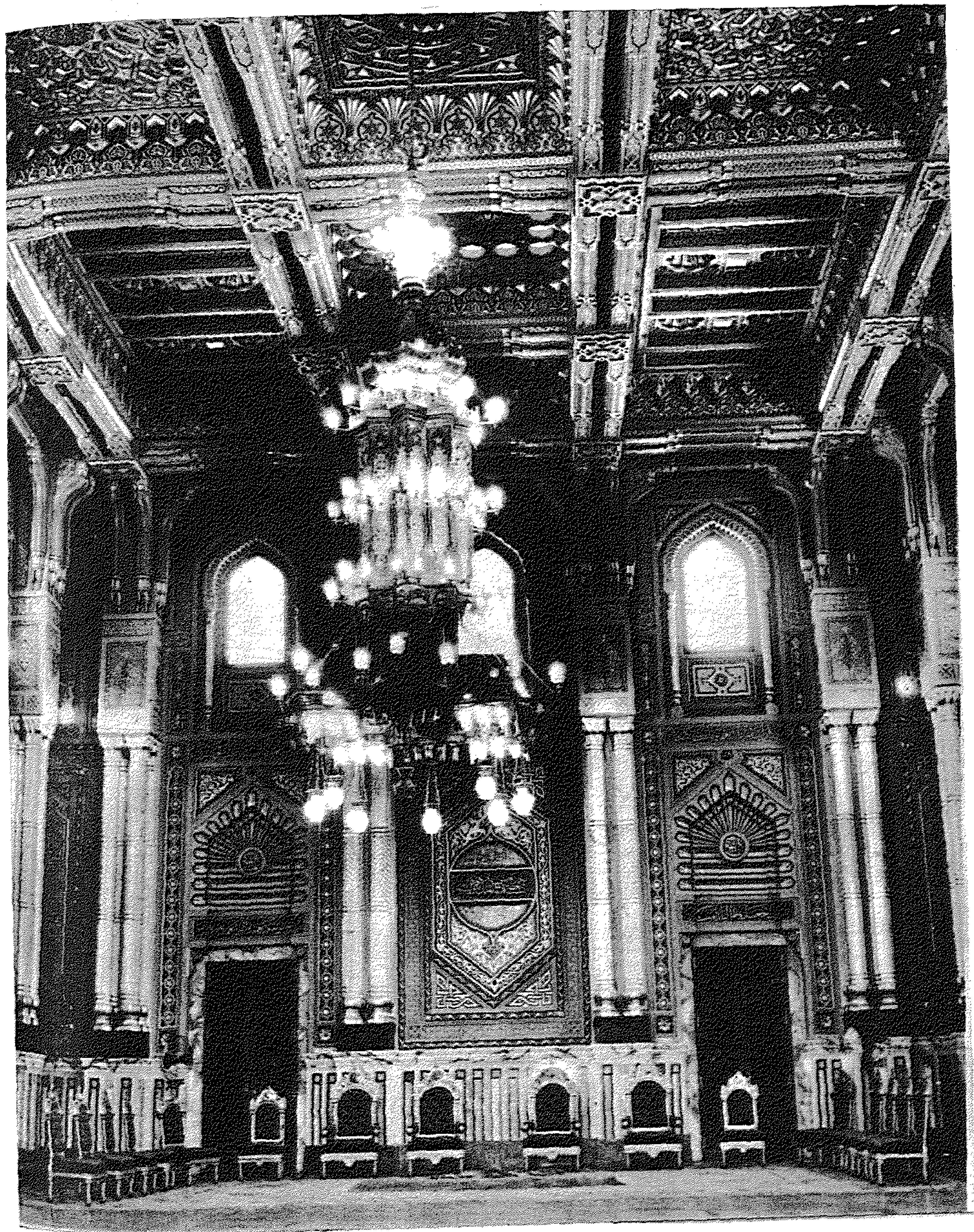
ميدان الرميطة بالقلمة. وترى
القلمة وباب العرب ومسجدا
قانى باى الرماح والمحمودية.
والناس مجتمعين وسسط
الميدان يبيعون ويشتررون ،
فقد كان أحد أسواق القاهرة
فى القرن الثامن عشر



قاعة الفرمانات بقصر الجوهرة بالقلعة

قاعة العرش بقصر الجوهرة بالقلعة

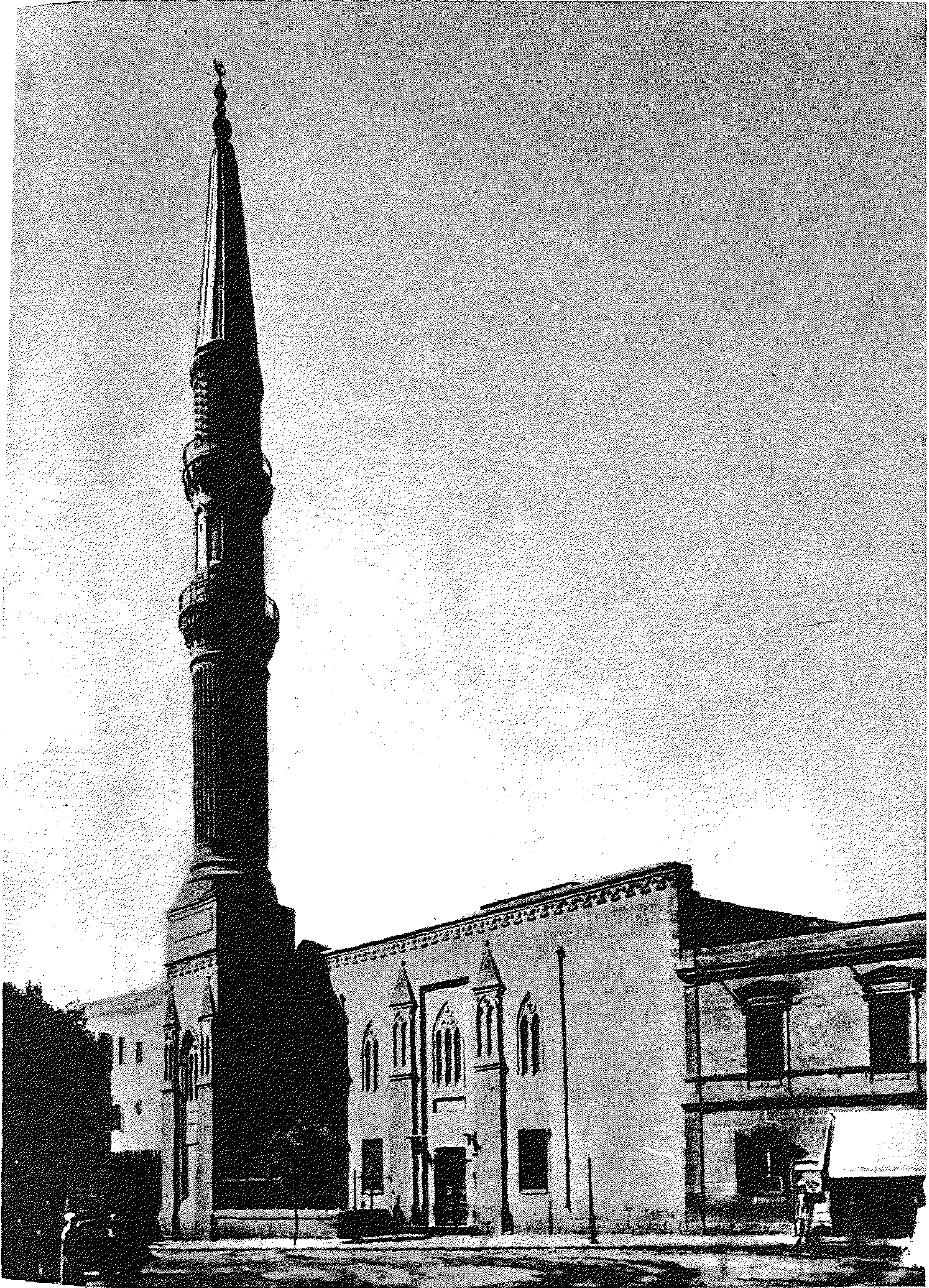




قاعة العرش بمتحف عابدين



سبیل اولاد عنان بمیدان رمسیس بالقاهرة



المشهد الحسيني

وقد تعهد محمد على البلاد باصلاحات عظيمة ، في همة لا تعرف الملل ، مستعينا بنخبة من المستشارين والعلماء الفرنسيين . فتمتعت البلاد لأول مرة منذ ثلاثة قرون بالأمن والاستقرار ، وأينعت الزراعة ، واهتم بالرى : فحفر الترع ، وأنشأ القناطر الخيرية ، ونشطت التجارة ، واهتم بالتعليم ، وأرسل البعث الى مختلف بلاد أوربا ، كما عنى بأمور الصحة ، وأنشأ المصانع العديدة لتزويد الجيش والأسطول بجميع احتياجاته ، كما أنشأ بالاسكندرية ترسانة لصنع السفن ، وارتفع اسم مصر عاليا بين الأمم . وفى أقل من نصف قرن تغير حال مصر ، من دولة خاملة الذكر ، تضرب في بيداء الجهل والذلة والفقر ، الى دولة بعيدة الصيت ، عزيزة الجانب ، غنية الموارد ، تحتل مكانا مرموقا في المحيط الدولى

غير انه كان يشوب عهد محمد على نزعة الاستبداد والقسوة ، وانعدام الروح الديمقراطية . وكان للجيش المحل الأول في اعتباره وتقديره ، وكان كل ما ازدهر في البلاد من نهضة وحضارة مرده الجيش ، الذى كان وسيلته في اشباع عظمته ، وادراك أطماعه الواسعة . فالمدارس المختلفة التى أنشأها ، قصد بها أن تخرج ضباطا للجيش ، وكذا الشأن في معظم المصانع فقد شيدها لسد حاجة الجيش من ملابس للجنود ومؤون وذخيرة ، فلما أنقص عدد الجيش بمقتضى معاهدة لندن ، وقبيل وفاة محمد على أغلقت معظم هذه المصانع ، وقضى على نهضته الصناعية . كذلك كان يسيطر على الاقتصاد المصرى سيطرة احتكارية كاملة ، حتى قيل انه كان « الزارع الوحيد ، والصانع الوحيد ، والتاجر الوحيد » . فقد كانت الحكومة تستأثر بالربح والفائدة ، دون أفراد الشعب ، وفى هذا ما فيه من تشييط هم العاملين ، والقضاء على روح المنافسة . هذا بالاضافة الى كثرة الضرائب ، وتعددتها ، وتسخير الشعب فى أعمال الحكومة

وما زال محمد على يدير دفة الأمور حتى أدركته الشيخوخة ، وانتابه

الضعف والوهن ، فاعتزل الحكم لابنه ابراهيم ، الذى كانت قد اعتلّت صحته هو الآخر ، فسافر الى أوروبا للاستشفاء فى سنة ١٨٤٦ م ، ثم فى سنة ١٨٤٨ م ، وزار ايطاليا وفرنسا وانجلترا ، وكان القوم يستقبلونه هناك كجندى باسل ، وقائد شجاع ، من أعظم قواد القرن التاسع عشر. ولكنه لم يمكث فى الحكم سوى سبعة أشهر ، وتوفى قبل والده فى نوفمبر سنة ١٨٤٨ ، فخلفه عباس الأول بن طوسون بن محمد على فى حكم مصر ولقد حزن محمد على لوفاة ابنه ابراهيم ، فعجل الحزن بوفاته . فتوفى فى ١٣ رمضان سنة ١٢٦٥ (٢ أغسطس سنة ١٨٤٩) ودفن بمسجده الذى شيده بالقلعة

— ٤ —

القاهرة فى عصر محمد على

كانت أهم ظاهرة طرأت على مدينة القاهرة ، فى القرن التاسع عشر ، امتدادها ناحية الشمال الغربى والغرب ، ونشوء أحياء جديدة ، لم تكن موجودة من قبل ، وذلك بسبب طرح النيل ، أى ظهور أرض جديدة ، تتكون من عملية ارساب الطمي ، الذى يأتى به النيل ، عاما بعد عام ومعلوم أن نهر النيل ، عند فتح العرب لمصر سنة ٢٠ هـ (سنة ٦٤١ م) كان يمر تحت قصر الشمع » ومتبق من هذا القصر فى الوقت الحالى كنيسة المعلقة بمصر القديمة » ، وشارع مارجرجس وجامع عمرو ، ثم يسير محاذيا بشارع سيدى حسن الأنور الى نهايته . ثم يسير شمالا الى النقطة التى يتقابل فيها شارع السد البرانى بسكة المدبح ، ثم يسير بعد ذلك متجها فى طريقه الى الشمال ، فيمر فى حارة المغربى ، بجنيّة قاميش ، فشارع بنى الأزرق بجنيّة لاط ، فشارع جنان الزهرى ، فشارع مصطفى (باشا) كامل « الشيخ عبد الله سابقا » ، فحارة البير قدار ، فشارع البلاقة ،

فشارع عماد الدين الى نهايته البحرية ، ثم ينعطف الى ميدان رمسيس (باب الحديد سابقا) ومن هناك ينعطف الى الشمال الشرقى ، مارا بميدان رمسيس ، ثم يمر بجوار محطة كوبرى الليمون من الجهة البحرية الغربية ، ثم يسير فى شارع غمرة بطول مائتى متر ، ثم يسير الى الشمال محاذيا لمخازن بضائع محطة مصر من الجهة الشرقية ، ثم يسير محاذيا لشارع مهمشة من الجهة الغربية ، ثم يسير بعد ذلك محاذيا لجسر السكة الحديد الذاهة الى الاسكندرية من الجهة الشرقية . وعند وصول النيل الى نقطة واقعة على هذه السكة ، تجاه عزبة الخمايسة ، يميل الى الغرب ، حتى يصل الى سكن ناحية منية السرج . وهناك يسير غربى سكن هذه الناحية ، ثم يسير الى الشمال بدوران خفيف الى الغرب ، حتى يتقابل مع مجراه الحالى عند فم ترعة الاسماعيلية

وبعد هذا التاريخ طرأ على الشاطئ المذكور تحولات بسبب طرح البحر تتبعها المرحوم العلامة الأستاذ محمد (بك) رمزى ، مفتش المالية الأسبق ، فوجد أن النيل طرح أرضا جديدة ثمانى دفعات ، بجوار الشاطئ القديم (١) ، حتى استقر فى وضعه الحالى ، بسبب بناء جسر النيل والعناية بصيانه دائما

يستنتج من ذلك أن جميع الأراضى الواقعة غربى مجرى النيل القديم ، الذى سبق تحديده ، قد استحدثت من بعد فتح العرب لمصر ، أى فى مدى الثلاثة عشر قرنا الأخيرة . وتأخذ هذه الأراضى المستجدة فى الاتساع كلما اتجهنا شمالا ، من مصر القديمة حتى ميدان محطة مصر . وتبلغ هذه الأراضى أقصى اتساعها فى الشمال . فاذا سرت فى شارع ٢٦ يوليو « شارع فؤاد الأول سابقا » الى ناحية الغرب ، ابتداء من تقاطعه بشارع عماد الدين ،

(١) انظر المقال القيم للمرحوم الأستاذ محمد (بك) رمزى ، عن الجغرافية التاريخية لمدينة القاهرة ، المنشور بمجلة العلوم ، السنة التاسعة عددى سبتمبر واکتوبر سنة ١٩٤٢

وانتهيت عند حى الزمالك ، فى مواجهة امبابه ، فانك بذلك تسير فى ارض
مستجدة ، طرحها النيل من بعد فتح العرب لمصر ، حتى قرب نهاية القرن
التاسع عشر

وكان شاطئ النيل الغربى ينتهى عند قرية الدقى بالجيزة . وحتى أوائل
عصر محمد على ، لم يكن قد ظهر فى عالم الوجود أحياء شبرا وروض
الفرج وبولاق
حى شبرا وروض الفرج :

وأخذت مدينة شبرا فى الازدهار ، منذ تولى محمد على ملك مصر ،
وكانت أول خطوة فى سبيل ذلك تمهيد شوارع شبرا الحالى سنة ١٨٠٨م ،
ليكون طريقا بين القاهرة وقصره الذى بناه بقرية شبرا الخيمة ، الواقعة
فى شمال فم ترعة الاسماعيليه ، وغرس على جانبى هذا الطريق أشجار
اللبخ والجميز ، وكان يعرف وقت انشائه بجسر شبرا

وأنشأ محمد على مصنعا لتبييض المنسوجات ، التى كانت تصنع فى
معامل النسيج المصرية ، وكان هذا المصنع ملاصقا لسراى الأمير السابق
طوسون (باشا) ، التى تشغلها الآن مدرسة شبرا الثانوية الأميرية ، ولا
يزال مكانه يعرف الى اليوم باسم المبيضة ، بقسم روض الفرج

وفى سنة ١٨٥٨ م بنى محمد سعيد (باشا) والى مصر ، قصر النزهة على
شارع شبرا ، وهو الذى تشغله اليوم المدرسة التوفيقية الثانوية بشبرا
وفى سنة ١٨٦٩ م أنشأ الأمير طوسون (باشا) بن محمد سعيد (باشا)
والى مصر ، ووالد الأمير السابق عمر طوسون سرايه بشبرا ، التى تشغلها
اليوم مدرسة شبرا الثانوية ، سالفه الذكر

وقد ازداد العمران بعد ذلك بما أقامه سراة القوم وأغنيائهم وكبار
الموظفين والأعيان والتجار من قصور فخمة ، وبساتين زاهرة ، على جانبى

شارع شبرا . وأقيمت بينها المقاهى والنوادر التى كان يقصدها أهل القاهرة للتنزه فى تلك الجهات الخلوية . ومما ساعد على انتشار العمران فيها بسرعة لا مثيل لها مد خط الترام فى شارع شبرا سنة ١٩٠٢ م ، وفى شارع روض الفرج ، وساحل روض الفرج فى سنة ١٩٠٣ م ، مما سهّل اتصالها بقلب القاهرة ، وجعلها على قيد دقائق منها ، واكتظاظ مدينة القاهرة بالسكان ، وقلة المساكن بها مع اطراد زيادة عدد السكان ، مما اضطر الناس أن يولوا وجوههم نحو هذه الأراضى الخلاء ، والحقى الجديد، فتحوّلت جميع البساتين والأراضى الزراعية الواقعة على جانبي هذين الشارعين ، وعلى غيرهما من الشوارع المتفرعة منهما ، الى أرض للبناء . أقيمت عليها العمارات الشاهقة ، حتى صارت شبرا فى مدى خمسين السنة الأخيرة ، مدينة عظيمة العمران ، شاهقة البنيان ، عامرة بالسكان

وقد استتبع وجود هذا الحقى انشاء معاهد العلم والمساجد والكنائس والمستشفيات ومراكز رعاية الطفل . وانتشرت فى شوارعها المحال التجارية والحوانيت العامرة ، بكل ما يحتاج اليه السكان من مأكّل ومشرب وملبس ، كما كثرت بها الأندية والمقاهى وأماكن الرياضة واللهو ودور السينما

وقد ألحّت أزمة المساكن على سكان القاهرة فى عشر السنوات الأخيرة ، التى تلت الحرب الأوربية الثانية ، فلم يتركوا أرضا فضاء الا استغلوها فى اقامة المباني . لذلك ازداد انتشار العمران فى شبرا حتى اتصلت العمائر بشبرا الخيمة ، التى كثر فيها انشاء المصانع والمعامل والمخازن تمشيا مع تقدم الصناعة بمصر فى العصر الحالى

— ٥ —

المنشآت المعمارية فى عهد محمد على

فصر شبرا :

تقدم القول أن محمد على أنشأ فى قرية شبرا الخيمة قصرا ، كان عبارة

عن بستان ، غرس فيه شتى أنواع الأزهار والأشجار . وأقام غربى هذا البستان قصرا كبيرا خاصا بالحرم . ولكنه تلاشى بعد وفاته . وإنما بقى الى الآن الجوسق «الكوشك» الذى شيده وسط هذا البستان سنة ١٢٢٣ هـ (١٨٠٨ م) ، وهو بناء مستطيل ، مسطحه ١٣٥٣٠ مترا مربعا ، يتوصل الى داخله من أربعة أبواب متقابلة فى وجهاته ، ويتوسط هذا «الكوشك» بركة ماء كبيرة من الرخام بوسط جزيرة مستديرة من الرخام أيضا، تحملها تماثيل من التماسيح ، ومحاطة بسياج من الرخام . وفى الأركان الأربعة للبركة أسود رابضة تخرج المياه من أفواهها . وفى أرضية المثلثات التى ربضت عليها هذه الأسود ، حفرت أنواع من الأسماك بحركاتها المختلفة ، وهى تسبح فى الماء

ويحيط بالبركة من جهاتها الأربع عمد رشيقة من الرخام ، تحمل سقفا حافلا بالنقوش . وفى النواصى الأربع حجرات كبيرة : الشرقية القبلىة وتعرف بصالة الجوز ، لأن أرضياتها مفروشة بخشب الجوز ، والثانية الشرقية البحرية ، والثالثة الغربية البحرية ، وتعرف بصالة البلياردو ، والرابعة ، القبلىة الغربية ، وهى حجرة المائدة . وقد زخرفت جميعها بالنقوش البديعة ، والمناظر الطبيعية ، وصور بعض أنجال محمد على . وقد استخدم مصورين أتراكا وأوربيين لتصويرها (١)

قصود أخرى :

وبنى لكريمته زينب هانم قصرا بالأزبكية ، وآخر لكريمته نازلى هانم على ساحل النيل ، هدمه سعيد (باشا) ، وبنى محله قشلاق قصر النيل « وقد هدم وأدخل مكانه فى ميدان التحرير »

وقد حذا حذوه كثير من الأمراء ، وكبار رجال الدولة ، فى تشييد

(١) انظر مقال الاستاذ حسن عبد الوهاب عن العمارة فى عهد محمد على بمجلة العمارة عدد ٣ - ٥ سنة ١٩٤١

القصور الفخمة : فبنى ابراهيم (باشا) قصر القبة ، كما بنى قصرا آخر في جزيرة الروضة والمقياس ، عرف بقصر المغارة ، والقصر العالى . وبنى عباس (باشا) فصرا بالخرنفس آل فيما بعد الى أسرة البكرى ، ولم يبق منه الآن سوى مدخله ، وقد أقيمت على أرضه مدرستان . وبنى أحمد (باشا) يكن دارا عظيمة في عطفة عبد الله (بك) ، المتفرعة من شارع القلعة « محمد على سابقا » . وتعرف اليوم الأرض التي كان مقاما عليها هذه الدار بأرض اليكنية . وبنى أخوه ابراهيم يكن (باشا) دار بسويقة اللالا ، وبنى أحمد طاهر (باشا) قصرا في الأزبكية ، وبنى خورشيد (باشا) السنارى دارا في عابدين ، كما أنشأ شريف (باشا) قصره بجهة الهدارة بعابدين (١) ، ولا تزال الأرض التي كان مقاما عليها تعرف بأرض شريف الى اليوم ، وقد أقيم عليها كثير من المنازل والعمارات الفخمة

وفي زمن عباس الأول بنيت عدة قصور أخرى بالحلمية الجديدة والعباسية. وعرفت المباني التي من هذا النوع وقت انشائها بالمباني الرومية ، لاختلاف طرازها عما كان معروفا في عهد المماليك

قصر الجوهرة :

يوجد هذا القصر قبلى مسجد محمد على بالقلعة . وقد ذكر الجبرتي أن محمد على هدم ديوان الغورى الكبير وما اشتمل عليه من مجالس ، وكذا ديوان قايتباى ، وأقام مكانهما هذا القصر على الطراز الرومى ، مستعملا الأخشاب بدل الأحجار ، والصخور والعقود على طريق بناء «اسلامبول والافرنج» ، وطلبت جدرانها بالبياض الرقيق والأدهان والنقوش (٢) وأكبر حجرات هذا القصر صالة العرش ، أو حجرة الفرمانات . وسقفها بياضوى الشكل ، به نقوش مذهبة ، تمثل آلات حربية ، وآلات موسيقية ،

(١) المصدر السابق
(٢) الجبرتي حوادث ١٢٢٧ هـ (١٨١٢ م)

تتوسطها سرة خشبية مذهبة ، بها مجموعة من الفواكه ، وهى تشرف على ميدان صلاح الدين

وقد حليت جميع الحجرات بالمناظر الطبيعية المختلفة ، كما صورت على أعتاب احدى الحجرات سفن حربية ، لعلها قطع من الأسطول المصرى . وقد كان محمد على يستقبل فى هذا القصر كبار الزائرين الأجانب ، كما استقبل فيه الخديو اسماعيل السلطان عبد العزيز فى ٤ شوال سنة ١٢٧٩هـ (١٨٦٢ م) ، الذى أقام به سبعة أيام

قصر الحرم :

هذا القصر داخل القلعة ، ويشرف على جبل المقطم ، وعلى الخطابة وعلى مدخل القلعة . أمر محمد على بإنشائه سنة ١٢٤٣ هـ (١٨٢٧ م) . ويتكون من ثلاثة أجنحة متصلة بعضها ببعض ، ولكل جناح حوش وحديقة . وجميع الأسقف والجدران بهذا القصر مزخرفة بمناظر طبيعية ، تمثل الفروع النباتية ، والأزهار والأشجار . وبالدور الأرضى للجناح الشرقى حجرة الفسقية ، وهى عبارة عن قاعة بها أربعة أواوين ، يتصدرها سلسيل رخامى ، نقشت به طيور وزخارف بارزة ، وتتدفق المياه من أفواه هذه الطيور الى أحواض متدرجة تحت بعضها البعض ، تصب فى قناة تحتها ، نقشت بها الأسماك السابحة ، وتصب فى الفسقية ، وسط القاعة (١)

دار المحفوظات :

وتوجد بجوار القلعة ، وقد أمر محمد على بإنشائها سنة ١٢٤٤ هـ (١٨٢٨ م) . وتسود واجهاتها روح المباني الحربية . وتتحد فى تفاصيل واجهتها وأسوارها وبابها مع مباني القلعة . وتتألف من دورين ، وبكل دور حجرات أعدت للمحفوظات

دار الضرب :

توجد هذه الدار شرقى بحرى ديوان الكتخدا الملحق بالكوشك « سراى الجوهرة » بالقلعة . وهى بناء مستطيل له حوش مكشوف ،

يحدق به حجرات متجاورة ، يعلوها قباب ، مبنية بالطوب ، فتحت بأعلاها مناور ، ويتوسط الحوش حجرة بيضاوية مبنية بالحجر . وما تزال بعض هذه الحجرات باقية الى الآن . وقد كان للنقود والمسكوكات التي كانت تضرب في هذه الدار شهرة عالمية ، لدقة سكها ، وجودة صنعها ، وضبط عيارها

الأسبلة :

ولو أن الأسبلة عثمانية الطراز ، الا أنها لم تكثر في مصر الا في عهد محمد علي . واليه ينسب سبيله بالعقادين ، على رأس حارة الروم بالغورية ، أمر بإنشائه سنة ١٢٣٦ هـ (١٨٢٠ م) صدقة على روح ابنه طوسون ، المتوفى سنة ١٢٣١ هـ (١٨١٦ م) ، وسبيله بالنحاسين ، أمام مسجد الناصر محمد بن قلاوون ، ومدرسة الظاهر برقوق ، أنشأه سنة ١٢٤٤ هـ (١٨٢٨ م) صدقة على روح ولده اسماعيل الذي توفي بالسودان سنة ١٢٣٨ هـ (١٨٢٢ م) . وواجهتا السبيلين نصف دائرية تقريبا . بهما شبايك من النحاس المصبوب ، بأشكال زخرفية . ويعلو كل شباك لوحة رخامية ، بها كتابات تركية ، تعلوها زخارف وطرر . ويغطي الجميع رفر خشبي ، حلى بزخارف مذهبة . وألحق بكل سبيل مدرسة لتعليم الأطفال القرآن الكريم

ومن أشهر الأسبلة التي أنشئت في مصر في هذا العصر :

١ - سبيل السلحدار ، على رأس حارة برجوان . أنشأه سليمان أغا السلحدار سنة ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م)

٢ - سبيل والدته مصطفى فاضل (باشا) . أمام مسجد بشتاك بدرب الجماميز ، أنشأته ألفت هانم ، والدته الأمير السابق مصطفى فاضل (باشا) سنة ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣ م)

٣ - سبيل أم عباس ، بشارع الصليبية ، أنشأته والدته عباس بن عم اسماعيل (باشا) سنة ١٢٨٤ هـ (١٨٦٧ م)

٤ - سبيل أم محمد على الصغير ، المعروف بسبيل أولاد عنان ، بميدان المحطة ، أنشئ سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م) (١)

مسجد محمد على بالقلعة :

كان الشروع فى انشاء هذا المسجد سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م) والمسجد فى مجموعه مستطيل البناء . وينقسم الى قسمين : القسم الشرقى ، وهو المعد للصلاة ، والغربى وهو الصحن ، تتوسطه فسقية للوضوء . ولكل من القسمين بابان ، أحدهما قبلى ، والآخر بحرى

والقسم الشرقى مربع الشكل ، طول ضلعه من الداخل ٤١ مترا ، تتوسطه قبة مرتفعة ، قطرها ٢١ مترا ، وارتفاعها ٥٢ مترا ، محمولة على أربعة عقود كبيرة ، متكئة أطرافها على أربعة أكتاف مربعة ، يحيط بها أربعة أنصاف قباب ، ثم نصف قبة خامس يغطى المحراب ، وذلك خلاف أربع قباب أخرى صغيرة بأركان المسجد

وقد كسيت جدران المسجد من الداخل والخارج ، وكذلك الأكتاف الأربعة الداخلية الحاملة للقبة ، الى ارتفاع ١١ مترا ، بالرخام الألبستر الوارد من محاجر بنى سويف

ويعلو مدخل الباب الغربى المؤدى الى الصحن دكة المبلغين ، بعرض المسجد ، مقامة على ثمانية أعمدة من الرخام ، فوقها عقود . والمحراب من الرخام الألبستر ، يجاوره المنبر الرخامى الجديد ، وبالقرب منه المنبر الخشبي القديم

ومساحة الصحن ٥٣ × ٥٤ مترا ، يحيط به أربعة أروقة ، ذات عقود

(١) العمارة فى عهد محمد على من مقال للاستاذ حسن عبد الوهاب بمجلة العمارة عدد ٣ - ٥ سنة ١٩٤١

محمولة على أعمدة رخامية ، تحمل قبابا صغيرة منقوشة من الداخل ، ومغطاة من الخارج بألواح من الرصاص ، مثل القبة الكبيرة . وبوسط الصحن قبة مقامة على ثمانية أعمدة من الرخام ، تحمل عقودا تكون منشورا ثمانى الأضلاع . فوقه رفرف به زخارف بارزة . وبداخل هذه القبة قبة أخرى رخامية ، ذات ثمانية أضلاع ، وبها طراز مكتوب به بالخط الفارسي آية الوجود

وقد أصاب هذا المسجد خلل اقتضى هدم قبه الكبيرة وما حولها من انصاف قباب ، وقباب صغيرة ، وإعادة بنائها سنة ١٩٣٨ م

ويبلغ ارتفاع مئذنته ٨٥ مترا من مستوى أرض المسجد . وهو مبنى على طراز مسجد السلطان أحمد بالقسطنطينية

الفنادق :

ومن أشهر الفنادق التي أنشئت في هذا العهد فندق شبرد . أنشأه في عام ١٨٤١ شخص انجليزي يدعى « شبرد » ، لينزل فيه المسافرين في طريقهم الى الهند وبلاد الشرق . وكان يطلق عليه أول الأمر اسم «الفندق البريطاني الجديد» ، ثم أضاف اليه اسمه ، فصار يعرف باسم « فندق شبرد البريطاني » . فلما صادف هذا الفندق اقبالا ، نقله في نفس العام الى مكانه الذي ظل فيه بشارع الجمهورية شمال غربى حديقة الأزبكية عند احتراقه ضمن الحريق المروع الذى نكبت به القاهرة في يناير عام ١٩٥٢ . وقد كان ذلك المبنى فى الأصل قصرا للأميرة زينب ابنة محمد على ، ثم استخدم فى وقت من الأوقات مدرسة لتعليم اللغات . وكان قبل ذلك قصرا لمحمد (بك) الألفى ، الذى احتلته هيئة أركان حرب الجيش الفرنسى ، عند احتلال الحملة الفرنسية مصر ، وفيه قتل كليبر ، كما بينا ذلك آنفا

وقد ظل الفندق ملكا لشبرد حتى سنة ١٨٦١ م ، حين آل الى مستر «ف . زك» فما لبث ورثة هذا الأخير أن أعادوا بناء المكان بأسره فى

سنة ١٨٩١ م . ثم وسع الفندق عدة مرات بعد ذلك لازدياد عدد السائحين الذين كانوا يقدون على مصر منذ افتتاح قناة السويس . وما من عظيم أو سياسى أو رحالة أو أديب مشهور الا ونزل فى فندق شبرد عند مروره بمصر ، وأعجب « بمطابخه الفخمة ، ومخازن مؤنه ، ومشروباته ، وبكل معداته الحديثة ، وحماماته الخاصة الملحقة بكل غرف النوم تقريبا ، والأجنحة البديعة التأثيث ، مما لا يوجد له مثيل الا فى لندن وباريس ونيويورك فحسب » (١)

وقد أعيد بناء هذا الفندق بعد حريق القاهرة فى يناير سنة ١٩٥٢ ، على شاطئ النيل الشرقى بجوار فندق سميراميس فى حى قصر النيل

(١) مجلة كتابى . من مقال للمحرر عن الفندق الذى شهد أحداث قرن عدد ٦٥ ص ١٣ الى ص ٢٢

ج - عصر اسماعيل

من ١٢٧٩ - ١٢٩٦ هـ (١٨٦٣ - ١٨٧٩ م)

- ٦ -

خلف سعيد عباس الأول في حكم مصر ، وكان رجلا ضعيف الخلق ، سهل الانقياد ، تعوزه العزيمة والارادة القوية . فأدى تساهله الى تدخل الأجانب في شئون مصر ، وجرهم على البلاد شرا مستظيرا ، وويلات كانت سببا مبدئيا في خراب مصر المالي الذي تفاقم في عهد اسماعيل . وفي مقدمة هؤلاء الأجانب ، فردناند دي لسييس ، الذي استطاع بما كان له من حظوة عند سعيد ، أن يستخلص منه امتياز حفر قناة السويس ، ويقيد مصر بعقد مهين ، كلفها أموالا طائلة ، وأرواح مائة وعشرين ألفا من المصريين . سَخَّرُوا في حفرها ، فذهبوا ضحية السخرة والجوع والمرض والتعذيب ، هذا فضلا عما جرته هذه القناة بعد اتمام حفرها على مصر من مصائب وكوارث في مقدمتها احتلال الانجليز مصر سنة ١٨٨٢ م

وفي يناير سنة ١٨٦٣ توفي سعيد ، فخلفه ابن أخيه اسماعيل بن ابراهيم ابن محمد علي ، وكانت له أطماع واسعة ، لم تدر في خلد أحد غير جده الأكبر محمد علي . فكان اسماعيل مثله ، يرمى الى تكبير مصر واسعادها عن طريق اسعاد نفسه وأسرته . ولم تكن مصر في نظره سوى ضيعة عظيمة يجب عليه انماؤها ، والانتفاع بشمرها (١) لذلك غنى بالزراعة ، وادخال المحصولات الجديدة ، وتوسيع زراعة القطن التي جنى من ورائها أرباحا عظيمة ، منتهزا فرصة وقف انتاج أمريكا لهذه السلعة ، بسبب الحروب

(١) دليل موجز لاشهر الآثار العربية بمصر ص ٢١٦

الأهلية فيها ، التى استمرت من سنة ١٨٦١ حتى سنة ١٨٦٥ م . ثم نشره زراعة قصب السكر ، وما تبع ذلك من انشاء مصانع السكر فى طول الوجه القبلى ، وقد بلغت ١٨ مصنعا . ثم انشاء مصانع لعمل الورق والمنسوجات والطرايش والبارود والأسلحة على اختلاف أنواعها

ولكى يستطيع تنفيذ مشروعاته العديدة ، التى كان تنفيذها يتسم بالعجلة والسرعة ، عمل على اجتذاب رؤوس الأموال الأجنبية الى مصر ، فأغرق فى الاستدانة حتى عجز فى النهاية عن سداد ديونه ، فكان ذلك سببا فى تدخل الحكومات الأوروبية ، وخصوصا حكومتى فرنسا وانجلترا ، فى شئون مصر . ولقد تفاقم تدخلهما الى حد أن أوغرتا الى السلطان بعزله ، فتم لهما ما أرادتا

ولكى يتمتع اسماعيل بحرية تامة فى ادارة شئون البلاد ، ويحصر وراثته عرش مصر فى أولاده من بعده ، استخلص من السلطان فرمانا بذلك ، كلفه أكثر من عشرين مليوناً من الجنيهات ، أنفقها فى الاستدانة ، لتقديم الهدايا للسلطان ، والرشوة لحاشيته ، كى يدرك أهدافه . كذلك كلفه تعديل شروط امتياز قناة السويس ، وازالة الاجحاف الذى أصاب مصر من جرائها ، ثلاثة ملايين ونصف مليون من الجنيهات ، قضى بها نابليون الثالث ، الذى ارتضاه اسماعيل حكما بينه وبين فردناند دى لسييس ! ! كما كلفه الاحتفال بافتتاح القناة للملاحة مليوناً آخر من الجنيهات ، اذ دعا ملوك أوروبا وملكاتهما الى هذا الاحتفال ، وشيد القصور الفاخرة لاقامتهم مدة شهرين فى مصر ، تمتعوا بحسن ضيافة اسماعيل وكرمه الشرقى ، وأقام لهم ملهى الأوبرا فى القاهرة ، وكلف الموسيقى فردى بوضع أوبرا عايدة لتمثل أمامهم فيها ، كما عبّد الطريق بين القاهرة ومنطقة الأهرام ، وغرس على جانبيه الأشجار ، لتضفى عليه الظل الظليل فى أثناء ذهابهم لمشاهدة الأهرام وأبى الهول

وهكذا ترى أن اسماعيل كان حريصا على أن يظهر أمام ضيوفه بصفة خاصة ، وأمام العالم بصفة عامة ، بمظهر الأبهة والفخامة ، لكى يدفع عن نفسه تهمة العجز عن تسديد ديونه ، التى قاربت على مائة مليون من الجنيهات ، وأوقعته فى ارتباك مالى خطير، ودفعته الى الاكثار من الضرائب التى أثقل بها كاهل الفلاحين ، والحيل البارة التى ابتدعها لاستخلاص آخر قرش فى جيوبهم ، والقسوة التى كان جباة الضرائب يتخذونها فى ارغام الناس على دفعها ، حتى لم ينج أحد ، سوى الأموات ، من وطأة الضرائب ، والتعذيب فى سبيل دفعها . غير أن كل هذا لم يكن ليحول بين اسماعيل وبين الهاوية التى تردى فيها أخيرا ، و انتهت بعرشه الى الانهيار

ومع ذلك فقد نعمت البلاد فى عهد اسماعيل بنهضة عظيمة ، شملت الحياة من مختلف نواحيها ، وكانت أساسا لنهضتها فى العصور التالية ، نخص بالذكر النهضة التعليمية والثقافية ، فقد أولى اسماعيل التعليم عناية فائقة فى جميع درجات التعليم ، وكان أول من اهتم بتعليم البنات ، فأنشأ لذلك المدرسة السنية ، وأول من حاول التوفيق بين القديم والحديث ، فأنشأ لذلك مدرسة دار العلوم ، وكان ساعده الأيمن فى تنظيم المدارس ونشر التعليم المرحوم على (باشا) مبارك ، وزير المعارف فى عهده . كما كان للسيد جمال الدين الأفغانى تأثير كبير فى بث التعاليم الحرة ، وحض الناس على الاعتراف من مناهل العلم والاستمساك بالحرية والاستقلال ، ونبذ الذلة والضعف ، وقد تتلمذ عليه كثير من الأدباء والعلماء وفى مقدمتهم الشيخ محمد عبده

وقد برز فى هذا العصر كثير من العلماء والأدباء نخص بالذكر منهم : رفاعة رافع الطهطاوى ، وعلى (باشا) مبارك ، والشيخ محمد عبده ، وابراهيم المويلحى ، ومحمود (باشا) الفلكى ، واسماعيل (باشا) الفلكى ،

ومحمد على (باشا) البقلی ، وعيسى (باشا) حمدی ، ومحمد (باشا) قدری
ومن مظاهر الحضارة والتقدم انتشار الصحف . فقد كان للحكومة
صحيفة رسمية هي « الوقائع المصرية » . ومن الصحف الأخرى صحف
الاهرام ، ومرآة الشرق ، وأبو نضارة ، وروضة الأخبار ، وقد أدت
هذه الصحف واجبها من حيث تنوير الرأي العام ، ونقد أعمال الحكومة ،
وأعمال مندوبي انجلترا وفرنسا ، وتدخلهما في شئون الحكومة المصرية

- V -

القاهرة في عهد اسماعيل

وضع اسماعيل نصب عينيه ، بمجرد أن آل اليه حكم مصر ، أن يجعل
القاهرة والاسكندرية ، وأن يجعلهما مماثلتين لأعظم مدن أوروبا ، غير
مدخر في سبيل ذلك مالا أو جهدا . والواقع أن اسماعيل أدخل على
القاهرة كثيرا من التحسينات والتعديلات : فردم البرك ، وأنشأ فيها
القصور والبساتين ، ومهد الطرق ورصفها ، وأنشأ الميادين ، وأقام
بوسطها التماثيل ، فعدت القاهرة وكأنها باريس الشرق ، كل ذلك ليظهر
أمام الملوك والأمراء العظام الذين دعاهم لحضور فتح قناة السويس بمظهر
الملك العظيم ، ولتضارع القاهرة باريس في جمالها وتنسيقها ، فتكون
عاصمته مقرا مناسبا لعظمة مليكها . وفي سنين قليلة تغيرت معالم القاهرة
فعلا

شوارع القاهرة :

بدأ اسماعيل بمد الطرق الطويلة المستقيمة . والواقع أن القاهرة كانت
تفتقر الى مثل هذه الشوارع ، ولم يكن يوجد بها سوى شارع واحد
طويل ، هو شارع الحسينية . ومن الشوارع التي أنشأها شارع الفجالة
الجديد ، وشارع كلوت بك ، وشارع محمد على (القلعة حاليا) وشارع

عبد العزيز (١) ، وشارع عابدين ، وبها سهل الانتقال من أقصى المدينة الى أقصاها ، وفي وقت قليل ، وجهد ضئيل

حيا المحطة والازبكية :

وفي مكان المروج الخضراء التي كانت تكتنف ميدان محطة مصر ، أقيمت المباني الضخمة ، والقصور ذات الحدائق ، تفصلها طرق غرست على جانبيها الأشجار . أما الأزبكية ، المعروفة في عهد محمد علي بقهواتها الوطنية ، ونوافذ بيوتها ذوات الشرفات الدقيقة الصنع ، المطلة على البركة ، والتي كانت متنزها عاما لسكان القاهرة ، فقد أنشئ على أثرها مبان وخانات ، على النسق الفرنسى ، ولم يبق منها الا نافورتان وحديقة أنشئت على نظام حدائق أوروبا ، وحديقة فرسايل خاصة . وخلف الفوارتين أنشئت دار الأوبرا ، وأمامها أقام اسماعيل تمثالا لوالده ابراهيم (باشا) وهو على صهوة جواده . واذا سار الانسان جنوبا رأى قصر عابدين ، الذى أبدع اسماعيل فى تنسيقه ، واتخذة مقرا رسميا (٢)

أحياء جديدة :

وأنشأ أحياء بأكملها : كحى الاسماعيليه ، والتوفيقية ، وعابدين . وميدان الأوبرا . ونظم جهات الجزيرة والجزيرة ، بعد أن أنشأ بهما قصوره العظيمة . وأنشأ حديقة بالجزيرة . وردم بركة الرطلى وأنشأ بها الشوارع المستقيمة . وأصلح ميدان الرميلى ، الواقع بجانب القلعة ، ووسعه ، وغرس به الأشجار ، وأوصله بشارع محمد علي ، فصار من أفسح ميادين القاهرة . وأنشأ الطريق المعبد ، بين القاهرة والأهرام ، ورصفه بالأحجار . وكان انشاؤه سنة ١٨٦٩ م ، لمناسبة زيارة الامبراطورة يوجينى مصر ، لحضور حفلات افتتاح قناة السويس

(١) سمي كذلك تخليدا لزيارة السلطان عبد العزيز لمصر فى عهد الخديو اسماعيل

(٢) تاريخ مصر السياسى ج ٢ ص ٣٣

وأهم الأحياء التى أنشأها حى الاسماعيليه ، وقد سمي باسمه ، وكانت جهاته من قبل أراضى خربة ، تحتوى على كثبان من الأتربة ، وبركة للمياه ، وكيما من السبخ . فخططها ، وأنشأ فيها الشوارع والحارات ، على خطوط مستقيمة ، وأغلبها متقاطع على زوايا قائمة . ودقت شوارعها وحاراتها بالحجر « الدقشوم » . ونظمت على جوانبها الأرصفة . ومدت فى أرضها أنابيب المياه ، وأقيمت فيها أعمدة المصابيح ، لأنارتها بغاز الاستتصباح ، فأصبحت كما يقول على (باشا) مبارك فى خطفه ، من أبهج اخطاط القاهرة وأعمرها ، وسكنها الأمراء والأغنياء (١)

القصور :

ومن أهم القصور التى أنشأها قصر عابدين ، وقد جعله مقره الرسمى ، بدلا من سراى القلعة ، التى بناها محمد على ، وقصر الجزيرة ، وقصر بولاق التكرور ، وقصر الجزيرة ، الذى أنشأه ليكون محل إقامة ضيوفه من ملوك أوروبا وملكاتهما فى أثناء زيارتهم لمصر ، وقصر القبة ، وقصر حلوان ، وقصر الاسماعيليه ، وقصر الزعفران بالعباسية ، وسراى الرمل بالاسكندرية . وكما كان قصر شبرا الخيمة ، الذى أنشأه محمد على سببا فى تعمير حى شبرا ، كذلك كان قصر القبة ، وقصر الاسماعيليه سببا فى تعمير حى القبة ، وحى الاسماعيليه ، فأخذ الأغنياء وكبار رجال الدولة والتجار فى بناء القصور الفخمة ، والدور الفاخرة . واتتهى الأمر بهذين الحيين أن أصبحا من أهم أحياء القاهرة وأكثرها سكانا ، وأفخمها دورا ، وأرقاها شأنا

الكبرى :

ولكى يربط الجزيرة بالقاهرة ، أنشأ قنطرة «كوبرى» قصر النيل . وقد تم انشاؤه على يد شركة فيث ليل الفرنسية سنة ١٨٧٢ م ، وتكلف مائة وثمانية آلاف من الجنيهات وكوبرى البحر الأعمى الذى سمي بالكوبرى

(١) عصر اسماعيل للاستاذ عبد الرحمن الرافعى ح ٢ ص ٢٤ ، ٢٥

الانجليزى فى أثناء احتلال الانجليز لمصر ، ويطلق عليه اليوم اسم كوبرى الجلاء ، وقد قامت بانشائه شركة انجليزية ، وتكلف أربعين ألفا من الجنيهات ، وتم انشاؤه أيضا سنة ١٨٧٢ م (١)

الانارة :

وهو أول من أدخل الانارة بغاز الاستصباح ، وكان قد أنشأ «ليون» وشركاه شركة فى الاسكندرية سنة ١٨٦٤ م ، وأسس فرعا بالقاهرة سنة ١٨٦٨ م ، فأضيئت شوارع القاهرة بهذا الضوء الساطع . وأما توزيع المياه بالأنايب ، فقد عم أيضا فى سنة ١٨٦٤ م ، حين أنشئت شركة مياه القاهرة (٢)

ضاحية حلوان :

واهتم بضاحية حلوان الحمامات ، لما تبينه من جفاف هوائها ، ومزايا مياهها الكبرى ، فشيد بها قصرا فخما على النيل لوالدته فى تلك الضاحية سنة ١٨٣٧ م ، وربطها بالقاهرة بخط حديدى يبدأ من محطة الميدان الحالية ، الواقعة فى ميدان صلاح الدين بجوار القلعة ، ونشر الاعلانات عن حمامات حلوان الجديدة ، فتسابق الناس من وطنيين وأجانب على حلوان للاستحمام ، وأنشأوا بها المساكن والقصور . وعلى طول الطريق من القاهرة الى حلوان الحمامات

الشاطيء الغربى للنيل تجاه القاهرة :

كان النيل بعد أن يمر تحت مبانى السكن بالجيزة ، يسير الى الشمال ، مائلا الى الغرب قليلا ، فيمر شرقى مبنى كلية الزراعة ، ثم يسير مخترقا أرض حديقة الحيوان ، ثم يمر شرقى مبنى كلية الهندسة الى أن يصل الى شارع الدقى ، فيسير محاذيا له من الجهة الشرقية . ثم يسير مارا شرقى مبنى وزارة الزراعة ، فمتحف فؤاد الزراعى ، فعزبة الحوتية ، ثم يسير

(١) تاريخ مصر السياسى ح ٢ ص ٣٥

(٢) عصر اسماعيل للاستاذ عبد الرحمن الرافعى ح ٢ ص ٢٥

مائلا الى الشرق ، حتى يتلاقى بمجرأه الحالى جنوب سكن مدينة امبابة ولما تولى الخديو اسماعيل حكم مصر فى أول سنة ١٨٦٣ م ، أمر بتحويل مجرى النيل الأصىلى من الغرب ، حيث كان يمر تحت سكن ناحية الدقى الى الشرق ، حيث يوجد الآن شارع الجزيرة ، وشارع النيل «فاروق الأول سابقا » وفى سنة ١٨٦٣ بدأ ديوان الهندسة بأجراء عملية التحويل باقامة جسر فى النيل بين مدينتى الجزيرة وامبابة . وفى سنة ١٨٦٥ م تمت هذه العملية ، وأخذ النيل يسير فى مجراه تحت الشارعين السابق ذكرهما وكانت نتيجة اقامة هذا الجسر أن تخلف عن النيل المنطقة الغربية منه ، التى كانت بين قرية الدقى وبين الشارعين المذكورين . ثم قامت شركة فرنسية بردم القسم الجنوبى من تلك المنطقة ، بمعاونة رجال العونة ، فى المسافة الواقعة بين مدينة الجزيرة وشارع ثروت . وأما القسم الشمالى من تلك المنطقة ، أى فى المسافة الواقعة بين شارع ثروت وامبابة ، فقد طمرت أرضها بتحويل مياه الفيضان اليها بطريقة هندسية . وبذلك أصبحت هذه المنطقة أرضا زراعية ، تتوسطها قرية العجوزة وعزبة الحوتية ، وقد تحولتا اليوم الى مناطق سكنية عظيمة ، وقامت فيهما العمارات الشاهقة والقصور المنيقة ، تتخللها الميادين الفسيحة ، والشوارع المستقيمة والمتنزعات البديعة

الزمالك :

وقد ترتب على هذا التحويل أن تسلط النيل على الجزء الجنوبى من الجزيرة الكبيرة وساحلها الشرقى تجاه بولاق ، وأكل منها جزءا نقله الى الجهة البحرية منها ، فتكونت أرض المنطقة الواقعة فى شمال شارع ٢٦ يوليو « شارع فؤاد سابقا » المعروفة الآن بالزمالك . والزمالك كلمة ألبانية معناها الاخصاص أو العشش المصنوعة من البوص والقش . وذلك لأن محمد على بنى حوالى سنة ١٨٣٠م قصرا بين المزارع فى الجهة الشمالية من أرض الجزيرة الكبيرة ، حيث يوجد الآن نادى ضباط الجيش والحديقة الملحقة به ، واتخذة مكانا للنزهة . وكان بالقرب من هذا القصر أخصاص وعشش ، يصطاف فيها رجال حاشيته

وقد أنشأ اسماعيل في الجزء الجنوبي من الأرض التي تخلفت بالردم من مجرى النيل القديم ، شمالى مدينة الجيزة ، سراى الجيزة ، بمبانيها الفخمة ، وحديقته التي لم يكن لها مثيل . ثم أنشأ شماليها حديقة الأورمان ، أى الغابة . وجلب اليها أنواع الأشجار من آسيا وأوروبا وأمريكا . وفى سنة ١٩٠٣ م تسلطت يد الزمان على السراى المذكورة ، والقصور التي كانت فى حديقته الغناء ، فأصبحت أثرا بعد عين ، ولم يتبق سوى جزء منها ، كانت تشغله الى سنتين مضتا مدرسة الأورمان النموذجية ، وقد تهدم هو الآخر ، بسبب توسيع شارع وزارة الزراعة . ولا يزال يوجد من تلك الآثار حديقة السراى الداخلية ، وهى التي تعرف اليوم باسم حديقة الحيوان ، وفى شماليها حديقة الأورمان ، وكذلك المباني التي تشغلها اليوم ديوان مديرية الجيزة ، ومصلحة المساحة ، فهى وما يقع فى شماليها من مبان حتى بلدة امبابة كانت تقع فى مجرى النيل القديم

وقد احتفظ النيل بعد ذلك بشاطئه الغربى الحالى ، كما احتفظ بشاطئه الشرقى تجاه القاهرة منذ سنة ١٨٧٠ م حتى اليوم ، بحالتيهما الحاضرة ، بسبب دوام صيانتهم ، وتنظيم سير مجرى النيل بينهما

دور المتحف والآثار والمكتبات :

وفى ميدان أحمد ماهر « وكان يعرف خطأ باسم باب الخلق وصحة التسمية باب الخرق » أقيم مبنى عظيم . يعرف نصفه الشرقى ، المواجه لسراى المحافظة^(١) بالمتحف الاسلامى « وكان يعرف باسم دار الآثار العربية » ونصفه الغربى بدار الكتب العامة « وكانت تعرف باسم دار الكتب الخديوية ثم السلطانية »

(١) أصاب هذه السراى تصدع بسبب زلزال عنيف حدث فى اكتوبر ١٩٥٧ م ، وبسبب تقادم العهد على مبانيها فازيلت وهدمت

وكان يطلق عليه الى عهد قريب دار الآثار العربية ، ويشغل الدور فوق الأرضى من المبنى سالف الذكر ، ويحتوى على تحف اسلامية نادرة من الخشب والمعادن والجص والحزف والزجاج والبلور والمنسوجات والسجاد ، تنتمى الى جميع العهود الاسلامية ، منذ الفتح الاسلامى لمصر الى العصر العثمانى ، خصوصا مجموعة المشكاوات الزجاجية المملوكية ، التى لا نظير لها فى متاحف العالم

وقد كان بدء التفكير فى انشاء دار تجمع التحف الاسلامية سنة ١٨٦٩م فجمعت فى الايوان الشرقى من جامع الحاكم . ولما صدر مرسوم سنة ١٨٨١ م بتشكيل لجنة حفظ الآثار العربية ، اتخذ الأمر طريقا جديا ، وتضاعفت الجهود فى جمع التحف ، حتى ضاق بها الايوان الشرقى ، فبنى لها مكان خاص فى صحن الجامع المذكور ، ثم بنى المبنى الحالى ، ونقلت اليه التحف من جامع الحاكم ، ونسقت تنسيقا بديعا ، وافتتح فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٠٣ ، وهو يعتبر من أعظم متاحف العالم ، لكثرة ما يحتويه من التحف الاسلامية النادرة ، التى يتتبع بها الانسان تطور الحضارة الاسلامية ، فى مختلف العصور

دار الكتب :

كذلك اقتضى التقدم العلمى فى هذا العصر جمع الكتب ، لتكون مرجعا لطلبة العلم والباحثين . فجمعت الكتب من المساجد والتكايا والقصور ، وأمر الخديو اسماعيل سنة ١٨٧١ م بوضعها فى احدى غرف قصر مصطفى فاضل (باشا) ، بدرب الجمايز « حيث كانت توجد مدرسة الخديوية القديمة » ، وأضاف اليها مجموعة أوربية . ثم نقلت الى المبنى الحالى ، بعد أن أضاف اليها كثيرا من الكتب التى طبعت فى المطبعة الأميرية ببولاق ، مما صنّفه أو ترجمه كثير من علماء العصر ، وأدبائه ومؤرخيه

المتحف المصرى :

ويوجد فى ميدان التحرير « ميدان الاسماعيلية سابقا » . وقد تم بناؤه عام ١٩٠٢ م ، وكان مارييت (باشا) أول من كون نواته الأولى ، فجمع بعض المتحف المصرية القديمة وأودعها فى مكان ببولاق سنة ١٨٥٨ م ، وظل يجتد فى جمع النحف والآثار ، حتى ضاق بها متحف بولاق ، فضلا عن تعرضها للتلف . فنقلت الى قصر اسماعيل بالجزيرة ، ثم اقتضى الأمر تشييد مبنى فسيح مستقل ، يتسع لما جمع منها وما سيجمع فى المستقبل ، وتعرض فيه عرضا فيا جذابا ، فبنى المبنى الحالى ، الذى يعتبر أعظم متحف للآثار المصرية فى جميع أنحاء العالم ، ويؤمه السائحون من جميع أركان المعمورة ، ودارسوتاريخ مصرالقديم ، والمعجبون بالآثارالمصرية (١)

دار الأوبرا المصرية :

اهتم اسماعيل بالحياة الفنية اهتماما بالغا ، وعنى بالتمثيل والموسيقى والغناء ، بصفة خاصة . فأنشأ دار الأوبرا سنة ١٨٦٩ ، لمناسبة افتتاح قناة السويس ، كما قدمنا ، مبالغة فى جلب السرور والانشراح لضيوفه ، من ملوك أوربا وملكاتهما . ولقد كلفه انشاء هذه الدار مائة وستين ألف جنيه ، ومثلت فيها فى مساء ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٦٩ أول أوبرا واسمها «ريچوليتو» وكانت الامبراطورة أوجينى زوج نابليون الثالث على رأس من شهدوا تمثيلها . وكلف « فردى » الموسيقار الايطالى بتلحين أوبرا عايدة ، التى ألّفها مارييت (باشا) . وقد مثلت بالقاهرة لأول مرة فى ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٧١

ومن الغريب أن أغلب الجوقات التى استحضرها اسماعيل للتمثيل فى هذه الدار كانت أوربية ، وكانت تمثل بلغات لا يفهمها الشعب ، فلمن كانت تمثل اذن؟ كانت تمثل لاسماعيل وحده ، ولقليل من أفراد حاشيته ، وكفى!!

(١) دور المتحف فى مصر للقائمقام عبد الرحمن زكى

وكان يصدق عليها الأموال الطائلة ، وقد بلغ ما صرف على أفراد إحدى الجوقات ، في شتاء سنة من سنى اسماعيل ١٢٠ ألف جنيه !! أما التمثيل باللغة العربية ، فلم يكن له شأن يذكر

غير أن فن الموسيقى والغناء ، أصاب في عهد اسماعيل تقدما لا بأس به ، وقد وضع فيه أساس النهضة الموسيقية الحالية . وأشهر المغنين في ذلك العهد ، عبده الحمولى (١٨٤٥ - ١٩٠١ م) ، الذى ظل يدخل الطرب والسرور على نفوس الناس ثلاثين عاما . ومن المغنيات السيدة « الماس » وقد تزوج منها عبده الحمولى . ومن الموسيقيين : محمد العقاد ، عازف القانون ، الذى اكتملت شهرته في الأيام التالية (١) . ومن الأغاني التى كانت شائعة في هذا العصر الموال الآتى وقد غناه عبده الحمولى :

ليه حاجب الظرف يمنعنى وأنا مدعى
لرى روض المحاسن من دما دمعى
كم أفكر فى احتجابك واشتكى وانعى
سلمت بالروح ورضيت بالملام والنوح
قول لى بحق المحبة ما سبب منعى (٢)

ومن الأدوار والموشحات « جمالك يا فريد عصرك » و « كادنى الهوى »
و « انت فريد فى الحسن » و « الله يصون دولة حسنك » و « رايح فين
يامسلىنى » و « يا طالع السعد افرح لى » و « يا قمر دارى العيون »
ومن الأغاني الشعبية « سالمة يا سلامة » و « يا ليلة بيضا » و « وحوى
يا وحوى » و « يابتاع النعناع » و « الحنة يا الحنة يا قطر الندى »
و « اتمخبرى يا حلوة يازينة ياوردة من جوة جنية » و « يا نخلتين فى
العلالى يا بلحهم دوا - يا نخلتين على نخلتين والأربعة طرحوا سوا » ...
الخ

(١) عصر اسماعيل للاستاذ عبد الرحمن الرافعى - ح ١ ص ٣٠١ - ٣٠٢

(٢) الموسيقى الشرقية والغناء العربى فى عهد اسماعيل تأليف قسطندى رزق - ح ١ ص ٥٩

د - عهد الاحتلال الانجليزى

- ٨ -

اعتلى توفيق عرش مصر ، بعد أن أقصى عنه والده اسماعيل فى ٢٦ يونية سنة ١٨٧٩ م ، ولقد ورث توفيق تركة ثقيلة ، فى مقدمتها الديون التى أبهظ بها اسماعيل كاهل مصر ، وكانت وسيلة لتغلغل التدخل الأوروبى فى شئونها . ولقد بلغ هذا التغلغل ذروته ، عندما نجحت انجلترا وفرنسا فى اقضاء اسماعيل عن العرش ، بعد ما بدا منه أخيرا من تشجيع المصريين على مناهضة النفوذ الأوروبى ، والوقوف فى وجهه

ولم ينجح توفيق فى ازالة سخط الرأى العام ، بل انه ازداد وتفاقم ، وانتهى الأمر بقيام الثورة العرابية ، التى تزعمها الزعيم أحمد عرابى ورفاقه من قواد الجيش ، والتى كانت تهدف الى الحد من النفوذ الأجنبى ، وافتئاته على حقوق البلاد ، وتثبيت الحكم الدستورى فيها ، وضمان مبادئ الحرية والعدل والمساواة للجميع (١) . ولكن هذه الثورة لم تصادف نجاحا ، لأسباب يضيق المقام عن سردها ، وكان مآلها الفشل . بل ان انجلترا ، التى ديدنها الصيد فى الماء العكر ، استغلت الخلاف الذى نشب بين زعماء الثورة وبين الخديو توفيق ، وتظاهرت بحمايته ، وحشدت جيوشها وأساطيلها ، واحتلت البلاد فى سبتمبر سنة ١٨٨٢ . وحققت أملا ظلت تتحين الفرص لتحقيقه ثمانين عاما ، منذ أن انجلت عنها الحملة الفرنسية فى سنة ١٨٠١ م . ولم تسنح لها الفرصة الا فى عهد توفيق . وكان لها من ضعف شخصيته ، وفتور همته ، وهوان الوطن فى نظره ، وارتقائه فى أحضان أعداء البلاد، خير حافز لاعتدائها على مصر، واستباحة مقدساتها

(١) تاريخ مصر السياسى للاستاذ محمد رفعت ح ٢ ص ١٥٢

ولقد عمل الانجليز طوال مدة احتلالهم لمصر ، فى عهد توفيق ، وفى عهد ابنه عباس حلمى الثانى من بعده ، على تثبيت قدمهم فيها ، فسيطروا على الاداة الحكومية والجيش والبوليس ، وتغلغلوا فى جميع الوظائف الحكومية ، وحبسوا العلم والتعليم عن الشعب ، وضربوا عليه سياجا من الجهل والعوز ، لكيلا يطالب بحقه فى الحرية والاستقلال . مما دفع الزعيم مصطفى كامل وخليفته محمد فريد الى المجاهرة بنقد أعمال الاحتلال واظهار العالم على مساوئه ومظالمه التى يرتكبها فى سبيل تدعيم مركزه فى مصر

وعندما احتل الانجليز مصر ، ادعوا أنهم انما جاءوا لتثبيت عرش الخديو ، وأنهم لا يلبثون أن ينجلوا عنها بمجرد أن تثبت أركان هذا العرش . ولكن الواقع ونفس الأمر أن الانجليز كانوا يهدفون فيما يتخذونه فى مصر من خطوات الى ضمها الى دائرة امبراطوريتهم المرنّة ! ! وحسبوا أنهم قد نجحوا فى ادراك غايتهم ، عندما قامت الحرب الأوربية الأولى ، فى ديسمبر سنة ١٩١٤ م ، فسارعوا الى اعلان حمايتهم عليها ، ونقلوا الى أيديهم جميع ما كان للسلطان عليها من حقوق ، وعزلوا عباسا عن عرشها ، وولوا مكانه عمه الأمير حسين كامل سلطانا على مصر ، ثم خلفه بعد وفاته فى ٩ أكتوبر سنة ١٩١٧ م أخوه الأمير أحمد فؤاد

ولقد قدم المصريون الى الانجليز كثيرا من العون خلال هذه الحرب ، حتى خرجوا منها ظافرين ، وتحملوا كثيرا من الغرم والعنت ، ولذلك فانهم كانوا يتوقعون بمجرد انتهاء الحرب أن يوفى الانجليز بعهودهم فى الجلاء ، وأن يعيدوا اليهم حريتهم واستقلالهم . ولكنهم أخذوا كعادتهم يماطلون ويسوفون ، فلم يسمع المصريين الا أن يقوموا بالثورة فى مارس سنة ١٩١٩ . وقد استخدم الانجليز الحديد والنار فى قمعها ، ونفوا سعد زغلول زعيم الثورة وبقية زملائه من أعضاء الوفد المصرى الى جزيرة مالطة . ولكن لم

تكن تلك الأساليب الوحشية لتثني المصريين عن أهدافهم ، فما زالوا يناوئون الانجليز ، ويقاطعونهم ، ويرفضون التعاون معهم ، حتى اضطروا الى التراجع عن سياستهم الاستعمارية في النهاية ، والاقرار بأن « الحماية علاقة غير مرضية بينهم وبين مصر » واعترفوا في تصريح من جانبهم ، أصدره في ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ، بإلغاء الحماية واستقلال مصر. واحتفل باستقلالها في ١٥ مارس سنة ١٩٢٢ ونودي بفؤاد الأول ملكا على مصر، وألفت لجنة لوضع دستور للبلاد ، وافتتح أول برلمان مصرى في ١٥ مارس سنة ١٩٢٤

ولكن ، كان هذا الاستقلال مقيدا بتحفظات تتيح للانجليز أن يستمروا في تدخلهم في شئون البلاد ، والتحكم في أمورها ، ويظل الجيش الانجليزى رابضا على أرض الوطن ، يهدد بالتدخل كلما أراد الانجليز . لذلك حاول المصريون استكمال هذا الاستقلال في مفاوضات متواصلة ، بينهم وبين الانجليز ، ولكنها كانت تنتهى دائما بالفشل . ولما لاح في الأفق شبح الحرب العالمية الثانية ، وكان الانجليز يتوقون الى صبغ مركزهم في مصر بصبغة شرعية ، عقدوا معها في ٢٦ أغسطس من عام ١٩٣٦ معاهدة تحالف وصداقة ، وضعوا بمقتضاها أيديهم على جميع موارد البلاد في أثناء هذه الحرب (١٩٣٩ - ١٩٤٤ م) وأفادوا من امكانياتها ، حتى فازوا في نهايتها بالنصر

ومنذ أن انتهت الحرب العالمية الثانية ، والمصريون يجاهدون في طرد الانجليز من بلادهم ، ولم يتم ذلك الا في ١٣ يونية سنة ١٩٥٦ ، في عهد الثورة المباركة ، كما سيأتى بعد

- ٩ -

القاهرة في عهد الاحتلال الانجليزى

توقفت حركة الانشاء والتعمير في عهد الاحتلال الانجليزى ، خصوصا

فى فترتى الحربين الأوربيتين الكبيرتين وما بينهما ، ولم يطرأ تعديل كبير على خريطة القاهرة . وظلت شوارعها وميادينها كما كانت فى القرن التاسع عشر . ولم يبن من المساجد الا القليل ، وروعى فى بناء القصور الطراز الأوربى .

ولكن من الناحية الأخرى رصفت الشوارع « بالمكدام » ، فصارت مستوية لا تشوبها حفر أو فجوات ، تسير عليها العربات والسيارات فى سهولة ويسر ، ومدت فيها قضبان الترام ، تسير عليها المركبات الكهربائية ، التى حلت هى والعربات والسيارات والأتوبيسات محل الدواب التى كانت الوسيلة الوحيدة للانتقال ، فى القرن السابق . وكان تعدد وسائل النقل ، وسرعتها ، سببا فى ربط أطراف القاهرة بعضها ببعض ، وزيادة التعمير ، وإنشاء ضواح جديدة ، كضاحتى عين شمس وهليوبوليس

وغرست أشجار اللبخ والصفصاف والجميز على جوانب الشوارع والميادين ، لتحضى المارة من وهج الشمس فى فصل الصيف ، ويتعهدها عمال مصلحة التنظيم بالصيانة والكس والرش وحمل القمامة الى ظاهر القاهرة وخارجها ، فلبست حلة قشبية من النظافة ، هذا فضلا عن تحسن الأحوال الصحية فى أحيائها

الشوارع :

من أهم الشوارع التى أنشئت شارع الخليج المصرى « شارع بور سعيد حاليا » ، مكان الخليج الكبير ، أو خليج أمير المؤمنين ، الذى كان يتدىء من فم الخليج عند مصر القديمة ، ويسير نحو الشمال الشرقى ، وقبل أن يبلغ نظارة المالية « وزارة الاقتصاد » ينعطف نحو الشرق الجنوبى حتى جامع السيدة زينب ، فيعود الى سيره نحو الشمال الشرقى ، فيمر بجانب بركة الفيل ، ثم سراى درب الجماميز ، فتكية الحبانية ، ثم يقطع شارع محمد على « شارع القلعة حاليا » فيمر بجانب سراى منصور باشا « وتشغلها الآن محكمة

الاستئناف الوطنية « الى أن يقطع شارع السكة الجديدة قرب اتصاله بشارع الموسيقى ، فيمر تاركا كنيسة اللاتين ، وكنيسة السريان الى يساره ، وكنيسة الأرمن ، وكنيسة الأقباط الى يمينه الى أن يصل الى بداية سكة مرجوش ، فيتركها الى يمينه ، ثم يقطع سور القاهرة عند باب الشعرية ، ويسير خارج القاهرة الى شارع الظاهر ، فيمر تاركا جامع الظاهر الى يمينه ، حتى يلتقى بترعة الاسماعيليه

وكانت فائدة هذا الخليج في الأيام الأخيرة قاصرة على رى المدينة وبعض ضواحيها . وكانوا يحتفلون بفتحه سنويا عند وفاء النيل . فلما توزعت المياه فى القاهرة بالأنايب الى المنازل ، لم تبق له فائدة . فأذنت الحكومة لشركة ترامواى القاهرة بردمه سنة ١٨٩٦ م ، ومد خط الترامواى فوقه ، وهو الفرع المعروف بترامواى الخليج الآن (١)

ومن الشوارع الهامة الأخرى التى أنشئت فى هذه الحقبة من الزمن ، شارع فاروق « حاليا شارع الجيش » . أنشئ سنة ١٩٢٦ م ، ويوصل بين ميدان العتبة ، وميدان الحسينية ، وبذلك سهل الاتصال بين القاهرة والعباسية ، وضواحي القاهرة الشمالية . وشارع الأزهر ، ويوصل بين ميدان العتبة الخضراء وحى الأزهر ، ومدت فيهما خطوط الترام أيضا . وقد وسع ميدان العتبة بعد هدم المحكمة المختلطة ، وانتقالها الى مبنى جديد بشارع فؤاد الأول « شارع ٢٣ يوليو حاليا » عند تقاطعه بشارع الملكة « شارع ٢٦ يوليو حاليا » ويشغل الآن هذا المبنى القضاء العالى ، بعد أن ألغيت الامتيازات الأجنبية ، وزالت المحاكم المختلطة من مصر . كذلك وسع ميدان الحسينية وميدان الأزهر

المساجد :

ولقد اقتصر إنشاء المساجد فى هذه الفترة غالبا على صيانة المساجد

(١) تاريخ مصر الحديث لجورجى زيدان ح ٢ ص ٢١١ - ٢١٢

والتصور القديمة ، وترميمها ، والمحافظة عليها ، والحيلولة دون سقوطها أو انهيارها . لذلك أصدر الخديو توفيق في ١٨ ديسمبر سنة ١٨٨١ م مرسوما بتشكيل لجنة حفظ الآثار العربية وكانت واجباتها تسجيل الآثار الاسلامية بمصر والعمل على حفظ هذه الآثار وصيانتها وترميمها . ولقد أدت هذه اللجنة خدمات جليلة للآثار الاسلامية ، واليها يرجع الفضل في الابقاء على كثير من تلك الآثار والمحافظة عليها ، واعادة الكثير منها الى سابق عهدها بحذق ومهارة ، حسب أصول الفن الاسلامي

ومن المساجد التي تم اصلاحها وتجديدها :

المشهد الحسيني :

وقد أمر بتجديده الخديو اسماعيل سنة ١٢٧٩ هـ (سنة ١٨٦٢ م) والزيادة من مساحته . وفتح شارع السكة الجديدة . وروعى في التصميم الجديد ترك القبة على حالتها ، فلم يتناولها التجديد . ونقل اليه منبرا جميلا كان في جامع « ازبك من ططح » بالأزبكية . وكذلك أمر اسماعيل بشراء العمدة الرخامية من استامبول على حسابه الخاص . وقد تم بناء المسجد سنة ١٢٩٠ هـ ومنارته سنة ١٢٩٥ هـ (١٨٧٣ - ١٨٧٨ م)

مسجد الامام الشافعى :

وأمر الخديو توفيق بتجديد مسجد الامام الشافعى ، فتم ذلك في سنة ١٣٠٩ هـ (١٨٩١ م) على ما هو عليه الآن . وهو مسجد جميل ، وجهاته مبنية بالحجر ، وحليت أعتاب الشبايك بكتابات كوفية ، وله منارة رشيقة ، عملت على مثال المنارات المملوكية ، ومنبره مطعم بالسن والأبنوس

مسجد أبى العلاء :

قامت وزارة الأوقاف بتجديد مسجد أبى العلاء بحى بولاق وتوسيعه في سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) على اثر سقوط سقف ايوانه الشرقى أثناء الاحتفال بمولده في ١٣ يوليو سنة ١٩٢٢ . وقد أصبحت مساحته ١٢٦٤

مترا ، بعد أن كانت ٨٤٣ مترا . وقد وضعت لجنة حفظ الآثار العربية تصميم المسجد مراعية فيه المحافظة على طراز القرن التاسع الهجرى « الخامس عشر الميلادى » ، اذ أن المسجد الأصى كان قد أنشئ سنة ٨٩٠ هـ (١٤٨٥ م) ، وهو مكون من أربعة أواوين ، سقوفها مرفوعة ، على عقود من الحجر الأحمر والأبيض ، وترتكز على عمد رخامية ، تحدد بصحن غطى بسقف مذهب ، تحيط به شبابيك بمربع الصحن

وينسب هذا المسجد الى الشيخ الصالح حسين أبى على المكنى بأبى العلاء

مسجد الرفاعى :

هو أعظم ما أنشئ من المساجد فى القرن العشرين ، يقع أمام مدرسة السلطان حسن . ومنشئته السيدة خوشيار هانم ، والددة الخديو اسماعيل . فقد عهدت الى المرحوم حسين (باشا) فهمى ، وكيل ديوان الأوقاف سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م) لوضع تصميمه . ولكن توقف العمل فيه عدة مرات بسبب وفاة منشئته ، وبسبب اجراء تعديلات على تصميمه . وظل العمل موقوفا ربع قرن الى أن عهد الى هرتس (باشا) باشمهندس الآثار العربية بإصلاح المسجد واكماله ، فى ١٣ يوليو سنة ١٩٠٦ . فتم بناؤه فى ختام سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) فى عهد الخديو عباس حلمى الثانى ، وافتتح لصلاة الجمعة فى غرة المحرم سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م)

وكانت فى المكان الذى أنشئ به هذا المسجد زاوية عرفت بزاوية الرفاعى، نسبة الى ولى الله السيد أحمد بن السيد على أبى الحسن الرفاعى، لذلك عرف المسجد بهذا الاسم أيضا

ولقد أراد مصمم هذا المسجد أن يحاكى مدرسة السلطان حسن فى ضخامتها وارتفاعها ، فبنيت مداخله عالية ، تكتنفها العمدة الحجرية والرخامية ، بتيجانها العربية ، وحليت أعتابها بمزمرات الرخام ، وغطيت

مداخلها بقباب وسقوف أحسن اختيارها ، وحسن زخرفها وتلوينها وتذهيبها

ويتوسط الواجهة الغربية المدخل العام ، تكتنفه العمدة الرخامية ، وقد نقشت قواعدها الرخامية بزخارف متنوعة . وقد حفل بأنواع الرخام والمقرنصات . ويتوسط الجدار الشرقي المحراب ، وهو محراب كبير ، يكتنف كلا من جانبيه عمودان : أحدهما أبيض ، والآخر أخضر داكن

وعلى جوانب المسجد ، وفي وسطه ، أقيمت أكتاف بنواصيها عمدة رخامية ، وكسيت الأكتاف بينها بالرخام الدقيق . ويقوم على جانب المحراب منبر كبير ، طعمت حشواته بالسن والأبنوس وخشب الجوز . ويحيط بجدران المسجد بخاريات مذهبة منقوشة . وكرسی المصحف ، من نوع صناعة المنبر . ودكة المبلغ من الرخام ، مقامة على عمدة رخامية . وقد حفلت بالنقوش المذهبة . وتتدلى من سقف المنبر ثريات نحاسية عربية ، ومشكاوات زجاجية مدهونة بالمينا

أما الجانب البحري من المسجد ، فقد شرعت فيه ستة أبواب ، منها أربعة توصل الى المدافن ، واثنان يوصلان الى رحبتين بين تلك المدافن . وقد دفن بتلك المدافن أفراد أسرة محمد علي (١)

مسجد الفتح :

يقع هذا المسجد بشارع جامع عابدين ، ويلاصق قصر عابدين « قصر الجمهورية حاليا » . وكان يعرف بجامع عابدين ، نسبة الى أمير اللواء عابدين (بك) ، الذي جدد هذا المسجد سنة ١٠٤١ هـ (١٦٣١ م) . ولما أنشأ الحديو اسماعيل قصر عابدين ، ترك الجامع متداخلا في حدود القصر وفي أوائل سنة ١٩١٨ م ، عهدت وزارة الأوقاف الى لجنة حفظ الآثار العربية بتجديد هذا المسجد ، فاحتفظ بالمدخل القديم ، بشارع جامع

(١) تاريخ المساجد الانثريه للاستاذ حسن عبد الوهاب

عابدين ، وبالمنازة بالواجهة الشرقية . وروعى فى تصميمه أن يكون على
 مثال المساجد العثمانية . وأضيف الى مساحته ضعفها من أرض السراى
 وللمسجد ثلاث واجهات : الغربية وتشرف على حديقة قصر الجمهورية
 وبها مدخل . والبحرية ، وبها باب يؤدى الى فضاء بسيط . والشرقية ،
 وبها اثقبه ، والباب ، والمنازة

ويحيط بالقبه أربعة اواوين ، ذات سقوف معقودة ، حافلة بالزخارف
 الملونة ، تنتهى أطرافها بقباب صغيرة ، تشغل أركان الجامع الأربعة

وفى الجدار الشرقى المحراب ، يجاوره منبر من الرخام المحلى بنقوش
 ذهبية ، مقتبسة من منبر مسجد سليمان (باشا) بالقلعة . وجميع الأرضيات
 مفروشة بالرخام الدقيق المكون من دوائر ومثلثات ومستطيلات على شكل
 دالات . ويحيط بالمسجد من أعلاه شباييك جصية تنوعت أشكالها . وقد
 كان الفراغ من عمارته سنة ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م) (١)

(١) تاريخ المساجد الانثوية للاستاذحسن عبد الوهاب

الباب التاسع

فتاهرة الثورة

من ١٣٧١ - ١٣٧٧ هـ (من ١٩٥٢ - ١٩٥٨ م)

- ١ -

لما توفى الملك فؤاد فى ٢٨ ابريل سنة ١٩٣٦ نودى بابنه فاروق الأول ملكا على مصر . وكان فاروق وقتئذ ما يزال فى السابعة عشرة من عمره ولم يتول سلطته الدستورية الا عندما أتم ثمانية عشر عاما من عمره ، وكان ذلك فى ٢٩ يولية سنة ١٩٣٧ . من ذلك يرى أنه كان شابا غرا ، تعوزه التجربة ، وينقصه العقل الراجح ، ويحتاج الى التوجيه السديد ، وخطاء من أهل العلم والمعرفة ، والخلق القويم . ولكن لسوء حظ البلاد أحاطت به بطانة من أحط الناس علما وخلقا ، زينوا له الفساد واقتراف الآثام ، وعملوا على ارضاء شهواته والانحدار به الى دركات الرذيلة ، استغللا منهم للنفوذ والسلطان ، وانتجاعا لمنافعهم الشخصية ، معرضين البلاد لخطر داهم ، وشر مستطير . ورضخت الحكومة لارادته ، بل وعاونته أحيانا على ادراك مآربه ، كى تبقى فى دست الوزارة أطول مدة ممكنة ، جنيا للمنافع الخاصة ، والسيطرة والنفوذ . فعم الفساد أرجاء البلاد ، وانتشرت الرشوة ، وتفاقت المحسوبية ، ووقف دولا ب الاصلاح ، وازداد تدخل الانجليز فى شئون البلاد ، واشتدت وطأة الفقر والجهل والمرض

عندئذ جأر الشعب بالشكوى ، من مليكه وحكامه والانجليز ، الذين تأمروا عليه ، وتضافروا جميعا على سلب أرزاقه وأقواته ، ومصادرة حرياته ، والخط من كرامته ، والزراية بمقدراته ، وكان لابد والحالة هذه من علاج حاسم سريع ، يحمى البلاد من الهاوية التى كانت تنتظرها ، ولم يكن يستطيع القيام بالحل الناجع السريع سوى الجيش ، ذى القوة والبأس ،

الذى كان قد بلغ تدمير ضباطه الأحرار ذروته من الفساد ، خصوصا بعد الهزيمة التى منى بها الجيش المصرى فى فلسطين ، بسبب الأسلحة الفاسدة التى قدمت إليه ، والتى كان يتجر فيها فاروق وحاشيته

لهذا قام الجيش بثورته المباركة فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، وأطاح بعرش فاروق فى ٢٦ منه ، وضرب على أيدي الفساد والمفسدين ، وخلص البلاد من المستغلين والأفاكين ، وتجار السياسة والمناققين . وتسلم زمام أمورها أبناءؤها البررة المخلصون ، الذين قادوها من نصر الى نصر ، فاستعادت عزها الغابر ، ومجدها التليد

ولقد كان انتقال الحكم الى أيدي أبناء البلاد ضربة قاصمة لسياسة الانجليز فى مصر ، اذ فقدوا كل نصير لهم فى البقاء فيها ، هذا بالإضافة الى تصميم الشعب على التخلص من عار الاحتلال ، وذل الاستعمار . فلقد خير رجال الثورة الانجليز بين الرحيل عن البلاد فورا ، أو الدفاع عن أنفسهم ضد شعب صمم على التخلص من الاستعمار ، ولو سالت دماء أبنائه أنهارا . فلم يسع الانجليز أمام هذا التصميم ، الا أن يذعنوا لارادة الشعب ، وانجلوا فعلا فى ١٣ يونيو سنة ١٩٥٦ ، فكان نصرا مبينا أحرزه رجال الثورة الأبطال ، وتخلصت البلاد من وصمة عار ظلت عالقة بجبينها أربعة وسبعين عاما

ولقد كان اليوم الذى انجلى فيه آخر جندى بريطانى عن أرض الوطن يوما مشهودا ، وعيدا قوميا شاملا ، عم فيه الفرح البلاد من أقصاها الى أقصاها ، وأقيمت معالم الأفراح فى جميع مدن الجمهورية وقراها ، ولبست القاهرة حلة قشبية من الزينة ، فخفقت فوق مبانيها الأعلام والبنود نهارا ، وسطعت فيها الأنوار ليلا ، مدة أربعة أيام . ووفدت عليها آلاف مؤلفة من سكان الأقاليم ، والبلاد الصديقة ، ليشاركوا أهلها الفرح والغبطة فى عيدها الأكبر ، عيد الجلاء وزوال كابوس الاستعمار

وكان استكمال الاستقلال يقتضى أن تضع مصر يدها على قناة السويس،

التي تجرى في أرضها ، والتي حفرها أبناءؤها ، ولكنها حرمت من جنى ثمارها ، واستغلتها انجلترا لاحتلال مصر . وكانت دائما أداة للتدخل الأجنبي في شئونها . وكانت شركة القناة في الواقع حكومة داخل حكومة . لذلك لم يكن هناك بد من أن تستعيد مصر قناتها المغتصبة فأعلن الرئيس جمال عبد الناصر ، رئيس الجمهورية المصرية ، في مساء ٢٦ يولية سنة ١٩٥٦ تأميم القناة . فأفقد هذا العمل وعى انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة ، وأطار صوابهم ، ولم يستحوا غداة اعلان تأميم القناة أن يتصايحوا قائلين : ان جمال عبد الناصر قد سرق القناة ! ! القناة المصرية ، التي تجرى في أرض مصر ، والتي حفرها المصريون بأرواحهم التي أزهرت ، ودمائهم التي أهرقت وعرقهم الذي تصب من جباههم ، وأجسامهم التي دكتها السخرة والجوع . ولكن هذا هو منطق الاستعمار ودأبه في قلب الحقائق ، لتبرير عدوانه ، وادراك ما ربه الخسيسة . ولذلك بيتت انجلترا وفرنسا العدوان على مصر ، واستخدمتا لهذا الغرض ربييتهما اسرائيل . فجمعوا جموعهم ، وحشدوا جيوشهم ، ودفعتا اسرائيل لغزو غزة وسيناء في ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ . وما لبثتا أن تدخلتا في القناة ، وفق الخطة الموضوعة ، فهاجمتا بورسعيد في ٥ نوفمبر سنة ١٩٥٦ من الجو والبحر ، وظنتا أنهما تستطيعان اغتصاب القناة في يوم وليلة ، ويتقابل المعتدون الآثمون على ضفاف القناة . ولكن بورسعيد الباسلة حطمت خططهم ، وصمدت للمعتدين الغادرين ، وقاوم أهلها مقاومة رفعتهم الى مصاف أبطال التاريخ ، وأذهلت المعتدين الأذال ، بالرغم مما صبوه عليها من نيران حامية ، من بوارجهم ومدرعانهم وطائراتهم المقاتلة والنفائة ، فقد كانت الحرب تدور من شارع الى شارع ومن بيت الى بيت ، بل ومن حجرة الى حجرة ، كما اعترف بذلك « كيتلى » قائد الحملة الانجليزى ، مما كبد العدو خسائر جسيمة ، وأكد له أن مهمته محفوفة بأشد المخاطر ، وأنه سيلقى مقاومة أشد عنفا في بقية مدن القناة

وشنت طائرات العدو ، فى نفس الوقت ، غارات متواصلة ، على المدن المصرية الأخرى ، وخصوصا مدينة القاهرة ، التى أخذوا يحطرونها بوابل من جسيم نيرانهم ، ليل نهار ، فهدموا منشآت ومنازل ومصانع ومباني لا حصر لها . وركزوا الضرب على ضاحية مصر الجديدة وأبى زعبل والعباسية ، حيث توجد ثكنات الجيش والمطارات ومحطة الاذاعة المصرية . وكانت أكبر أمانى العدو القاء الفزع والرعب فى نفوس الشعب ، دفعا له على الخضوع والاستسلام . ولكن خاب فآله ، وطاش حدسه ، فلم يهن الشعب أو يستسلم ، بل هب عن بكره أبية ، يدا واحدة ، ورجلا واحدا ، يستعد لملاقاة العدو ومنازلته ، كما فعل أهل بورسعيد الأبطال

ولقد هال شعوب العالم هذا العدوان المبيت ، وهبت جميعا لمناصرة الشعب المصرى ومساندته ضد البغاة الظالمين ، وانعقدت هيئة الأمم المتحدة لتحول دون وقوع الكارثة التى تهدد العالم بحرب عالمية ثالثة ، فدمغت سبع وستون دولة ، فى تلك الهيئة ، انجلترا وفرنسا واسرائيل بالعدوان المنكر ، والبنى الأثيم ، ومخالفة ميثاق الهيئة ، واتخذت فى ٧ نوفمبر سنة ١٩٥٦ قرارا بوقف العدوان فورا

لكل هذه الأسباب ، لم يسع انجلترا وفرنسا الا الاذعان والتسليم ، بل انهما رضيتا بقرار الأمم المتحدة بوقف القتال ، لأنه يتيح لهما الخروج من المأزق الذى أنزلتنا اليه ، بغيرستهما وحقهما ، ولحقهما بسببه سخط الشعوب وازدراء الأمم المحبة للسلام ، وكاد يدفع بهما الى انهيار اقتصادى رهيب . واضطرتا أخيرا الى سحب قواتهما من الأراضى المصرية فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٥٦ ، تتعثران فى أذيال الخيبة والفشل ، ويجلل رءوسهم غار الهزيمة ، وذل الشنار . ولا يحق المكر السىء الا بأهله . وليس الله بغافل عما يعمل الظالمون

وقد احتفلت القاهرة فى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٥٧ بما أسبغهُ الله على مصر من نصر مؤزر ، على أهل البغى والعدوان ، ومرور عام على هزيمة

المستعمرين الآثمين ، وسلامة الوطن من كيد الكائدين . وزار الرئيس المفدى جمال عبد الناصر ، رئيس الجمهورية المصرية ، مدينة بورسعيد فى هذا اليوم ، ليكرم أبناءها الشجعان ، ويترحم على شهدائها الأبرار ، وأذاع منها خطبة جامعة ، شرح فيها العدوان الآثم شرحا مؤثرا ، وأزاح الستار عن مكائد المستعمرين ، ونواياهم الخبيثة ، مما زاد الشعوب لهم ازدراء واحتقارا . ومع كل ذلك فقد أرسل من بورسعيد صيحة مدوية ، يطلب فيها الى تجار الحروب والمستعمرين أن يخلصوا للسلام ، وأن يكفوا عن مؤامراتهم وألاعيبهم ، رحمة بالبشرية ، ويحذروهم من حرب لا تبقى ولا تذر ، تهلك الحرث والنسل ، ولن تخلف سوى البؤس والشقاء ، للعالم أجمع بلا استثناء

ومن أبرز الحوادث الأخرى التى حدثت فى عام ١٩٥٧ - ١٩٥٨ ، انعقاد مؤتمر تضامن الشعوب الآسيوية الأفريقية بالقاهرة من ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٥٧ الى أول يناير سنة ١٩٥٨ ، حضره مندوبون عن ٤٦ شعبا من افريقية وآسيا يمثلون ارادة ١٥٠٠ مليون من البشر ، يعلنون ارادة هذه الشعوب فى الحرية والاستقلال ، والقضاء على الاستعمار ، ونبذ الحروب والأحلاف ، والدعوة الى السلام والصفاء ، ورسم طريق الجهاد أمام تلك الشعوب لتحيا حياة كريمة سعيدة ، وتسهم فى تقدم البشرية ورقيا . ولقد كان اختيار الشعوب الآسيوية والأفريقية للقاهرة ، لكى يعقد فيه هذا المؤتمر جلساته التاريخية ، دليلا على ما صارت تحتله القاهرة من مكان مرموق ، ليس فى الشرق الأوسط فحسب ، بل فى قارتى آسيا وافريقيا ، وان شئت فقل فى العالم أجمع ، بفضل السياسة الرشيدة ، سياسة الحياد الإيجابى ، التى تلتزمها مصر بكل دقة ، وتدعو اليها ، والتى نالت بسببها اعجاب دول العالم وتقديرها ، بل انها انتزعت احترام الدول المعادية لها فى نفس الوقت

والآن نكمل الصورة التى تصور الثورة — أسبابها والظروف التى أحاطت بها ، والنتائج التى تمخضت عنها — فنذكر أن الثورة أخذت على عاتقها منذ قيامها فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ أن تغير دستور سنة ١٩٢٣ الذى أصبح لا يتماشى مع أهداف الثورة وأمانيتها . فصدر بيان باسم الشعب فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٥٢ يعلن سقوط هذا الدستور ، ويعهد الى الحكومة بتولى السلطات ، الى أن يتم اعداد دستور جديد ، يحقق تلك الأهداف . وفى ١٦ يناير سنة ١٩٥٣ صدر اعلان دستورى من القائد العام للقوات المسلحة الى الشعب المصرى يعلن فيه قيام فترة انتقال لمدة ثلاث سنوات ، حتى يمكن اقامة حكم ديمقراطى دستورى سليم

وما أن أخذت الأمور فى الاستقرار حتى اتخذت خطوة أخرى لتحقيق أهداف الثورة ، فصدر فى ١٨ يونيو سنة ١٩٥٣ قرار من مجلس قيادة الثورة ، يعلن باسم الشعب ، الغاء النظام الملكى وحكم أسرة محمد على ، مع الغاء الألقاب من أفراد هذه الأسرة ، كما يعلن الجمهورية ، على أن يكون للشعب الكلمة الأخيرة فى تحديد نوع الجمهورية ، واختيار شخص الرئيس ، عند اقرار الدستور الجديد

وفى نهاية السنوات الثلاث التى حددت من قبل لفترة الانتقال ، أى فى ١٦ يناير سنة ١٩٥٦ أعلن الدستور الجديد ، وقد جرى استفتاء الشعب فيه ، وفى اختيار رئيس الجمهورية فى ٢٣ يونيو سنة ١٩٥٦ ، فوافق عليه بالاجماع ، كما وافق على اختيار جمال عبد الناصر رئيسا لجمهورية مصر بالاجماع أيضا . وقد كان المأمول أن تسير الأمور هينة لينة ، فيعقب ذلك اجراء الانتخاب العام لأعضاء مجلس الأمة ، لولا حدوث الاعتداء الفاشم فى ٥ نوفمبر سنة ١٩٥٦ ، وبقاء الجنود المعتدية على أرض الوطن حتى ٢١ ديسمبر سنة ١٩٥٦ ، وانجلاؤها عنها فى ٢٢ منه . فكان لابد أن تمضى فترة من الوقت ، تستعيد فيها البلاد هدوءها ونشاطها ، ثم تواصل جهودها

نحو استكمال الحياة الدستورية . وفي ١٦ مايو سنة ١٩٥٧ أجريت الانتخابات وفي ٢٣ يونيو سنة ١٩٥٧ افتتح مجلس الأمة ، وبدأ نواب الشعب يباشرون مهام أعمالهم، وبذلك استكملت البلاد حياتها الدستورية ، وأرسيت الحياة الديمقراطية فيها على أساس سليم

وفي ١٦ يناير سنة ١٩٥٨ احتفلت مصر بمرور عامين على اعلان الدستور، وأقيمت معالم الزينة في القاهرة ، وعقد مجلس الأمة في مساء ذلك اليوم جلسة خاصة ، قدم فيها للرئيس جمال عبد الناصر ميدالية تذكارية ، اقرارا بفضلته وجهوده في استكمال البلاد حريتها ، واعلان دستورها ، واقامة حياة ديمقراطية سليمة فيها

ولقد كان المستعمرون الطغاة ، عندما شنوا عدوانهم على مصر في نوفمبر سنة ١٩٥٦ ، ينتوون أن يثثوا بالاعتداء على سوريا الشقيقة ، بعد أن تستسلم لهم مصر ، اذ تنهج سوريا نفس السياسة التي تدين بها مصر ، وهي سياسة الحياد الايجابي وعدم الانحياز . لذلك كان طبيعيا أن توحد مصر وسوريا جهودهما ، لمناهضة قوى الشر والطغيان . فنادى رجالات القطرين بتوحيد الصفوف ، وتكوين جبهة واحدة ضد المستعمرين . ولا جديد في هذا ، فقد عاش القطران دولة واحدة في كثير من العصور ، واستطاعا بذلك أن ينزلا بالمستعمرين والمغيرين هزيمة ساحقة ، كما فعلا ذلك ضد المغول والصليبيين. لذلك عمل زعماء القطرين جهدهم لتوحيدهما، ولم يصادفا في سبيل تحقيق هذه الغاية أية عقبات ، بعد أن توحدت آمال الشعبين وآلامهما ، وخلصت النيات ، وتساندا في كثير من المناسبات . فأثمرت الجهود ، وتحققت الأهداف

وفي أول فبراير سنة ١٩٥٨ وقع الرئيسان شكرى القوتلى ، وجمال عبد الناصر في القاهرة ، بين مظاهر الفرح والابتهاج ، وثيقة الاتحاد بين مصر وسوريا ، وتألّفهما دولة عربية موحدة ، أطلق عليها الجمهورية العربية

المتحدة . فكان لإعلان هذا النبأ رنة فرح سرت بين القاهرة ودمشق ،
غمرت القلوب ، وطربت لها الأفئدة

وفي ٢١ فبراير من نفس السنة ، استفتى الشعب في جزئي الجمهورية
الشمالي والجنوبي ، في سوريا ومصر ، على الوحدة ورئاسة الجمهورية .
فأسفر الاستفتاء عن أغلبية ترقى الى حد الاجماع عن الرضى التام بالوحدة
وعن انتخاب جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية العربية المتحدة . فاجتاحت
الشعبين المصرى والسورى موجة من الغبطة والانشراح ، لم يسبق لهما
مثل ، وازدانت دمشق والقاهرة أسبوعا كاملا بالبنود والأعلام في النهار ،
وتلألأت سماؤهما بالأنوار الساطعة في الليل ، وامتلأت الساحات بالجماهير ،
تبارك الجمهورية الجديدة ، وتدعو لها باليمن والخلود ، وللشعبين السورى
والمصرى بالسعادة والهناء ، في ظل هذه الوحدة المقدسة ، والسلامة من
كيد الكائدين ، ومؤامرات المستعمرين والحاquدين

وفي ٥ مارس صدر دستور مؤقت للجمهورية العربية المتحدة ، مكون
من ثلاث وسبعين مادة ، نص في أول مواده على أن الدولة العربية المتحدة
جمهورية ديموقراطية مستقلة ذات سيادة ، وشعبها جزء من الأمة العربية .
وفي المادة الرابعة والستين على أن مدينة القاهرة عاصمة الجمهورية العربية
المتحدة ، وفي المادة السادسة عشرة على أن مقر مجلس الأمة مدينة القاهرة
أيضا

- ٢ -

القاهرة في عهد الثورة

لو أنه أتيح لجوهر الصقلي أن يبعث من مرقده يوما واحدا ليشهد
ما حل بمدينة ، ولو أن الحياة تكرر أيضا لصلاح الدين الأيوبي يوما أو
بعض يوم ، ليرى ما آلت اليه قاهرته القديمة ، اذن لأخذ العجب من كل

منهما كل مأخذ ، كيف اتسعت رقعتها في كل اتجاه ، وكيف استقامت شوارعها وطرقاتها ، وكيف تخللتها الميادين الفسيحة الأنيقة ، وكيف يظللها النظام الدقيق المتين . وفي عبارة مختصرة كيف استحالت بين عشية وضحاها الى مدينة عالمية ، فاقت كل ما كانا يتمنيان لمدينتيهما من نمو وازدهار ، وبهجة وجمال

والواقع أن ما أدخل على القاهرة من تعديل وتحسين ، في مدى خمس السنوات الأخيرة ، ليدخل في باب المعجزات ، وأعمال السحر . وان الذين تغيبوا عن القاهرة ، من أوروبيين أو شرقيين ، في غضون تلك السنوات ، ثم عادوا اليها بعد ذلك ، ليعجبون كل العجب ، كيف تغيرت معالمها ، وارتقت الى مستوى أرقى مدن العالم وحواضره ، في مدى هذه الفترة القصيرة من الزمن . ولا جدال في أن هذه التحسينات ، وتلك التعديلات ، قد فاقت في أهميتها وقيمتها ، بل وفي كمّتها كل ما أدخل على القاهرة من تحسينات خلال مائة العام الأخيرة التي تنتهى بقيام الثورة في ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢

عيوب القاهرة في العهد السابقة :

ضاقت القاهرة بسكانها ، والتوت شوارعها ، وطرقاتها ، وتعقدت مواصلاتها ، وكثرت كيماؤها وخرائبها ، واختنق جوها ، ولم يعد هناك متنفّس لقاطنيها . وكانت الحاجة الى الاصلاح ماسة وحيوية ، وسبله ظاهرة جلية ، ولكن الروتين الحكومى وما عرف عنه من تعقيد وبطء ، كان واقفا لكل اصلاح بالمرصاد ، والحكام تنقصهم الشجاعة والاقدام ، وتعوزهم الغيرة على الصالح العام . فكان لابد من ثورة اصلاحية شاملة ، وكان لابد من ثائر مصلح ، يثور على الأوضاع الجامدة ، ويقدم مصلحة الوطن على كل اعتبار . وقد توافر كل ذلك في شخص عبد اللطيف البغدادى ، وزير الشؤون البلدية والقروية السابق ، ونائب رئيس الجمهورية

الحالى ، وأحد رجال الثورة الأبرار ، الذى ما مست « عصاه السحرية »
 مشروعا من المشروعات الا وكان النجاح مآله ، والذى خلق القاهرة خلقا
 جديدا ، فاستحق أن يخلد ذكره ، وأن يقرن اسمه بالقاهرة بجوار اسم
 جوهر وصلاح الدين

كان غريبا حقا أن تكون القاهرة واقعة على نهر النيل العظيم ، وسكانها
 مبعدون عنه ، لا يتمتعون بنسماته الرطبة ، ولا يجلون عيونهم بمناظره
 الخلابة البديعة

وكان مؤلما حقا ألا يكون للقاهرة سوى مدخل واحد ، تكتنفه العشش
 والأكواخ والأقذار التى تسيء الى سمعة القاهرة ، اذ كانت أول ما يقع عليه
 نظر السائحين ، عند اقترابهم منها

وكان عجيبا أيضا أن تكون ميادين القاهرة على قلتها ضيقة ، تسودها
 الفوضى وسوء النظام ، تغص بالباعة الجائلين ، الذين يحتلون افاريز
 الميادين ، ويفترشون طوارها ، بسلعهم ومواقدهم ، ويحشدون حولهم
 جموعا من السابلة والمتسكعين

وكانت الشوارع ضيقة ، ملتوية ، تزدحم بالرائحين والغادين . ويزيدها
 ضيقا وجلبة وسائل المواصلات العتيقة ، وفي مقدمتها عربات الترام ،
 الكريهة المنظر، الشديدة الضوضاء ، التى لا يسلم من أذاها راكب أو راجل
 وكانت التلال والكيان تحيط بالقاهرة ، احاطة السوار بالمعصم ،
 تقذف عليها من أتربتها وأقذارها ما تختنق معه الأنفاس ، وتعمى به
 الأبصار ، فى يوم عاصف ، تشتد ريحه . وكان غريبا أن تقوم هذه الكيما
 حول القاهرة فى وقت ضاقت فيه رقعتها ، واكتظت بالسكان ، ولم يعد
 بها شبر أرض يتسع لبناء مسكن جديد

وكان غريبا أن تختلط المعامل والمصانع والورش بالمساكن والبيوت ،
 وتقذف فى سماء القاهرة دخانها ورمادها ، فتظلم السماء ، ويفسد الهواء ،
 وتتراكم الأقذار على المنازل وجدران المباني

ولا تسل عن الحفر التى تملأ الطرقات ، والمباني المتداعية ، التى تهدد حياة الناس وأرواحهم ، والخربات العتيقة التى ترى منبثة فى كل مكان ، والتى تعتبر مستودعا خصبا للقاذورات ، ومأوى جيدا للضالين وقطاع الطرق ، مما يؤذى الصحة ، ويهدد الأمن العام . والمباني القائمة فى عرض الشوارع والدروب ، كأنها السدود المنيعه ، والحواجز المتينة ، التى تسد منافذ الهواء ، وتقف حائلا فى طريق ضوء الشمس وحرارتها ، وتطيل الطريق على سكان القاهرة

كل ذلك كان يظهر القاهرة فى ثوب خلق رث ، يضى عليها ظلا حزينا كئيبا ، لا يتفق وما لها من مكانة رفيعة بين دول العالم المتمددين ، ومركز ممتاز بين الدول الشرقية بصفة خاصة

لذلك شمر الوزير الخطير عبد اللطيف البغدادى عن ساعد الجد ، وعالج الموقف بروحه الوثابة ، روح الثورة العتيقة ، وأعلن الحرب على الروتين الحكومى ، وجمع حوله حشدا من المهندسين الأكفاء ، ذوى الهمة القعساء ، والوعى الفنى . وفى مدى خمس سنوات خلق من القاهرة مدينة جديدة ، وألبسها تاجا من النضارة والبهاء ، فصارت بحق عروس مدن الشرق ، وندا لكبريات مدن أوربا وأمريكا

- ٣ -

الانشاء والتعمير فى عهد الثورة

كورنيلس النيل :

وفى مقدمة الأعمال الخالدة التى تشهد لعبد اللطيف البغدادى ومعاونيه بالتفانى وعلو الهمة ، والجلد والمثابرة ، والتى ستذكرها له الأجيال القادمة بالثناء والتقدير ، كورنيلس النيل العظيم ، الذى كان حلما يراود خيال سكان القاهرة منذ أجيال ، فأصبح اليوم حقيقة واقعة ، أضفى على القاهرة روعة وجمالا ، وعلى سكانها قوة وصحة ، وخلق وسيلة سريعة للمواصلات

من أقصى شمالها الى أقصى جنوبها ، من القناطر حتى حلوان ، وما يقع بينهما من قرى ومدن

ويمتد هذا الكورنيش مسافة ٤٠ كيلومترا بحذاء النيل ، من القناطر حتى حلوان ، وقد تم تنفيذه على مرحلتين : الأولى من روض الفرج الى أثر النبي بمصر القديمة ، والثانية من أثر النبي حتى حلوان . ويبلغ طول القسم الأول ١٥ كيلومترا والثاني ٢٥ كيلومترا وعرضه ٤٠ مترا . وقد خص جانب منه للذهاب وجانب للاياب ، وقد تكلف ما يقرب من مليونى جنيه

وقد اقتضى انشاؤه هدم كثير من المباني التى كانت تطل على النيل ، مثل المطبعة الأميرية ، والورش الأميرية فى بولاق ، وغيرها من المصانع الأهلية ، وحديقة السفارة الانجليزية فى حى قصر الدوبارة ومستشفى القصر العينى ، وكلية الطب ، وصوامع الغلال بساحل أثر النبي ، واقامة ميناء جديد للغلال والفاكهة والمحصولات الزراعية بعرض ١٤٥ مترا ، وعلى أحدث النظم التخطيطية ، حتى يكون نواة للميناء الكبير الذى سيتمدد الى نهاية منطقة دار السلام

وعند مدخل الكورنيش بالمعادى أقيمت بوابة جميلة على شكل شراعين متداخلين ، يضاءان بأنوار الفلورسنت ويلتقيان فى قارب . وقد أزيلت الأبنية التى كانت تعترض شق الطريق فى منطقة المعادى ، وأزيلت أسوار المعسكرات القائمة ، ابتداء من المعادى حتى مخر السيل بطرة . وأقيمت لها أسوار جديدة ، بعد أن ارتدت مبانيها الى الخلف . كما تم ازالة الأبنية المتداعية ، والتلال التى كانت تعترض شق الطريق فى منطقة طرة الفاروقية ، وأزيلت أسوار ليمان طره ، ومبنى مسكن مدير الليمان . ونقلت مصلحة مياه الليمان الى موقع آخر ، كما تم نزع ملكية بعض الأبنية بمنطقة طره الحجاره

وقد افتتح كورنيش أثر النبي — المعادى فى عيد الثورة الرابع ، أى

فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٦ ، وقد كان مقررا لفتح شهر مارس سنة ١٩٥٧، أى انه فتح قبل مواعده بثمانية أشهر . وفى هذا دليل على طريقة تنفيذ المشروعات الحيوية فى عهد الثورة ، طريقة سداها ولحمتها الاخلاص والتفانى. فقد كان المهندسون والمقاولون والعمال ، الذين أسهموا فى تنفيذ هذا المشروع يواصلون العمل ليل نهار . ويتناوب العمل فيه كل يوم ، فى الليل والنهار ، أكثر من ألفى عامل ، بالإضافة الى مئات العمال الذين تولوا فى المصانع انتاج المواد التى استخدمت فى انشاء هذا الطريق ، يحدو الجميع الاخلاص للوطن ، وأداء الواجب على أكمل وجه . فجاء كورنيش النيل تحفة فنية تضارع أعظم كرائش العالم ، مثل كورنيش مرسيليا وفلوريده وقد جاء فى صيف عام ١٩٥٦ أيام اشتدت فيها الحرارة اشتدادا لم يسبق له مثيل ، فهرع أهل القاهرة الى كورنيش النيل ، يقضون ليالى بأكملها على ضفة النيل ، يستنشقون نسيمه العليل ، ويستمتعون بمناظره الخلابة ، ورؤية أنوار الفلورسنت ، وهى تنعكس على صفحة الماء ، فتحيله الى نهر من الفضة الخالصة ، وتحيل الليل نهارا . فقد تمت اضاءة الطريق بطريقة الاضاءة المختلطة ، المدهونة بالفلورسنت ، حيث أقيم على امتداد الطريق ، ابتداء من أثر النبى حتى حلوان أكثر من ٣٠٠ عمود اضاءة مزدوج ، بمصباحين جانبيين ، قوة كل منهما ٤٥٠ وات . واتبع نفس الشئ فى الجزء الآخر ، الممتد من روض الفرج الى أثر النبى

ميادين القاهرة :

تعتبر الميادين بالنسبة لمدينة ما كالرئة بالنسبة للانسان ، يتجمع فيها الهواء الخالص ، فينقى الدم من الشوائب ، ويخلصه من الأدران كذلك تفعل الميادين ، التى يتجمع فيها الهواء الصافى ، فيتوزع على أرجاء المدينة ، بواسطة شوارعها وبقية مسالكها

وتشبه الميادين أيضا البحيرات فى مجارى الأنهار ، يتجمع فيها الماء

فترسب ما به من فتات الصخور والأملاح ، ثم يخرج بعد ذلك رائقا صافيا ، لا كدر فيه . هذا بالإضافة الى تهدئتها من حدة التيار ، وحدها من قوته . كذلك الميادين ، فانها كلما اتسعت ، هدأت من ضغط المواصلات على الشوارع التى تصب فيها ، أو تنبع منها

وهى فضلا عن هذا تضى على المدينة جمالا وبهاء ، بما يقام فيها من نصب وتماثيل ، وما يغرس حوالها من أشجار ، وما ينثر فى وسطها من زهور . وهى أيضا المكان الفسيح لتجمع الشعب فى الاجتماعات الوطنية ، والمناسبات التاريخية ، والاستعراضات الحربية ، كلما جد من الظروف ما يستلزم شحذ الهمم ، واثارة الحماسة ، واذكاء الروح الوطنى . وأخيرا فهى عنوان رقى الدولة ، ودليل من أدلة تقدمها ورقبها

لذلك لم يكن غريبا أن تكون الميادين أول ما يعنى به الوزير عبداللطيف البغدادى ، فى برنامج اصلاحاته العديدة ، فى عهد الثورة . فلقد أعاد تخطيط ميادين باب الحديد ، والتحرير ، والأوبرا ، والعتبة ، والسيدة زينب ، وأحمد ماهر ، وصلاح الدين بالقلعة ، والأزهار ، والجيزة ، وأبى العلا ، والعباسية ، والنزهة ، وأبى بكر الصديق بمصر الجديدة

أولى هذه الميادين عناية فائقة ، فوسع من مساحة الكثير منها ، وهدم لهذا الغرض العمارات والمباني التى اقتضى التوسيع ازلتها ، وعدل سير المواصلات بها ، وأنشأ فى وسطها المتنزهات النضرة ، وأضاءها ليلا بالأنوار الكهربائية القوية ، ووضع نظاما دقيقا لسير الناس حوالها ، فمدت لهم أفاريز مرصوفة رصفا فنيا جميلا . وكان أكثر هذه الميادين حظا من الإصلاح والتعديل ميدانى المحطة ، والتحرير « الاسماعيلية سابقا »

ميدان المحطة (حاليا ميدان رمسيس) :

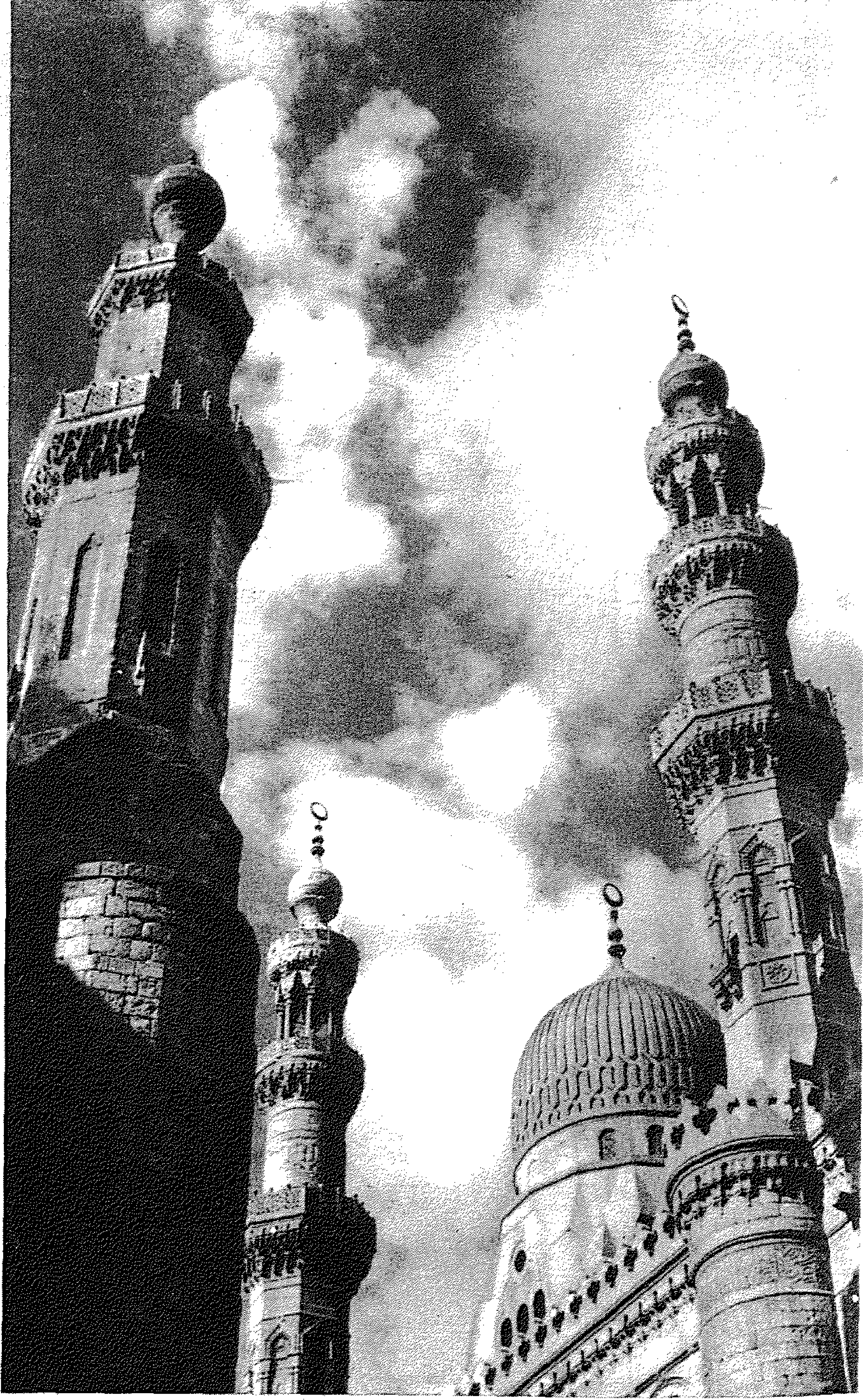
كان لابد من بذل عناية خاصة لتعديل تخطيط هذا الميدان واصلاحه ، لأنه أول جزء من القاهرة تقع عليه أعين السائحين بعد مغادرتهم محطة القاهرة . ومع ذلك فقد كان أسوأ ميادين القاهرة تخطيطا ونظاما . يتجمع

حواله الباعة الجائلون من كل صنف ، وفي مقدمتهم بائعو الخبز والشواء ، والفاكهة والطعمية ، والمشروبات المثلجة ، والسلع الصغيرة ، وبعض أدوات الزينة والتحف . ويأوى الى كل هؤلاء جيش من المتسكعين والشحاذين والمتشردين والنسولين من الصبية والنساء والرجال . وكلها مناظر تؤذى العين ، وتضر بسمعة مصر ، اذ كانت أول ما تقع عليه عيون السياح ، فيظنون في القاهرة وسكانها الظنون ، ويلتقطون هذه المناظر بالآلات التصوير ، ويذيعونها في بلادهم عند عودتهم اليها . ولا تسلم عما تحدثه من تأثير سيء لمصر وبنيتها ، في البلاد الأوربية والأمريكية

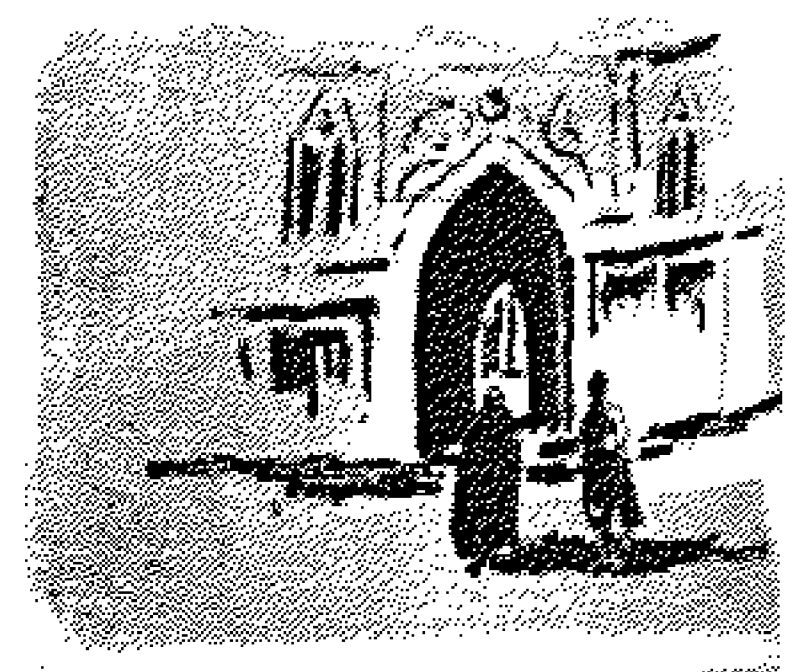
فأعمل البغدادى عصاه السحرية في هذا الميدان ، فهدمت ابنية شاذخة كانت تكتنفه من غربيه ، ومن قبله كمبنى قسم الأوبك . ونقل سوق السمك ، وكان مجاورا لمبنى هندسة السكة الحديد الى مكان جديد بغمرة . فازدادت مساحة الميدان ، وانتظمت دائرته . ومدت في وسطه متنزها تتوسطه نافورة بديعة . ونقل اليه تمثال رمسيس الثانى من البدرشين ، ليكون أول ما تقع عليه أنظار السائحين . ولا يجهل أحد من هو رمسيس ، رافع راية مصر ، وعنوان قوتها وسؤددتها في التاريخ القديم ، وصاحب امبراطوريتها العظيمة . وقد بذل في نقله الى هذا المكان جهودا جبارة ، واتخذت تدابير محكمة لضخامة التمثال ، وضرورة العناية به ، كى يصل سليما من غير سوء . وأزيلت أوكار الباعة والمتسكعين ، وأصبح الميدان بعد ذلك تحفة للناظرين ، وعنوانا كريما للقاهرة والمصريين

ميدان التحرير :

وقد كان يطلق عليه قبل الثورة ميدان الاسماعيلية . وقد تهيأت لهذا الميدان فرصة ذهبية لأن تتسع رقعته ، وذلك بعد هدم ثكنات قصر النيل ، التى كان يحتلها الجيش الانجليزى طوال مدة الاحتلال ، والتى كانت في عهد اسماعيل وتوفيق ثكنات للجيش المصرى . فأزيلت هذه الثكنات



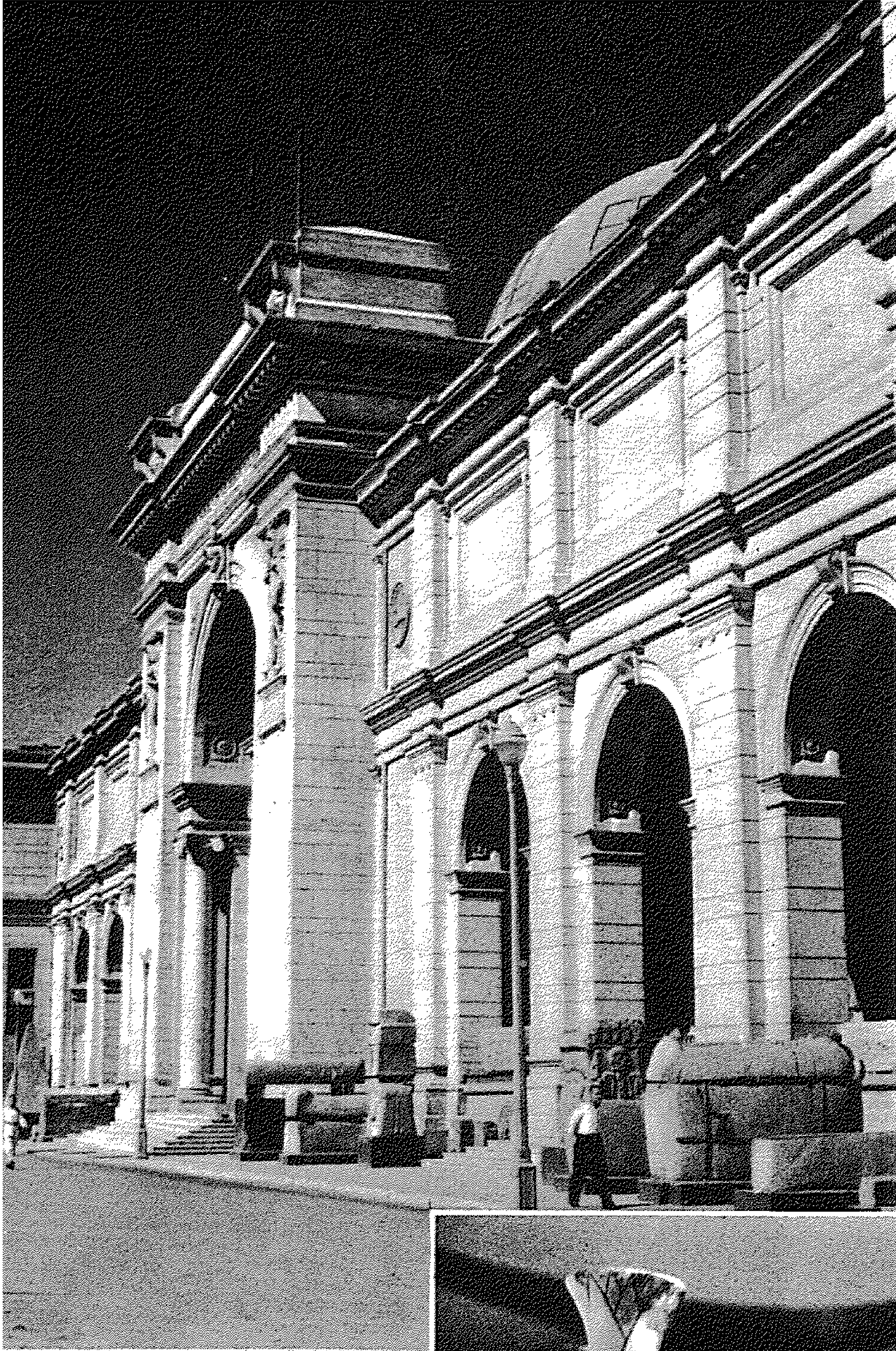
مئذنتا جامع الرفاعي بالقلعة ، وبينهما القبة ،
وينتهي كل منها بهلال . ويغطي القبة نقوش بديعة



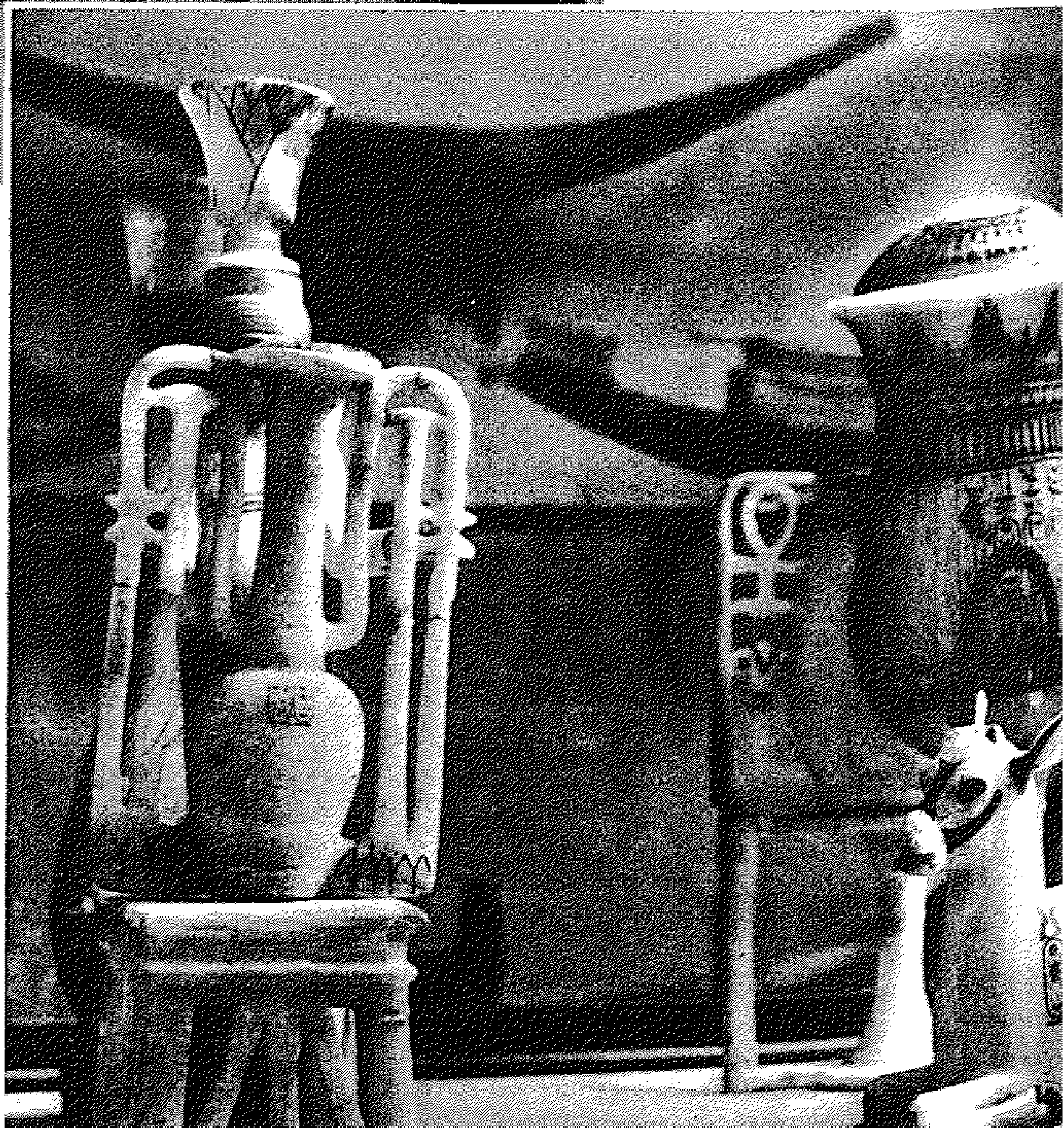
مئذنتا جامع الرفاعي بالقلعة ، وبينهما القبة ، وينتهي كل منها بهلال . ويغطي القبة نقوش بديعة



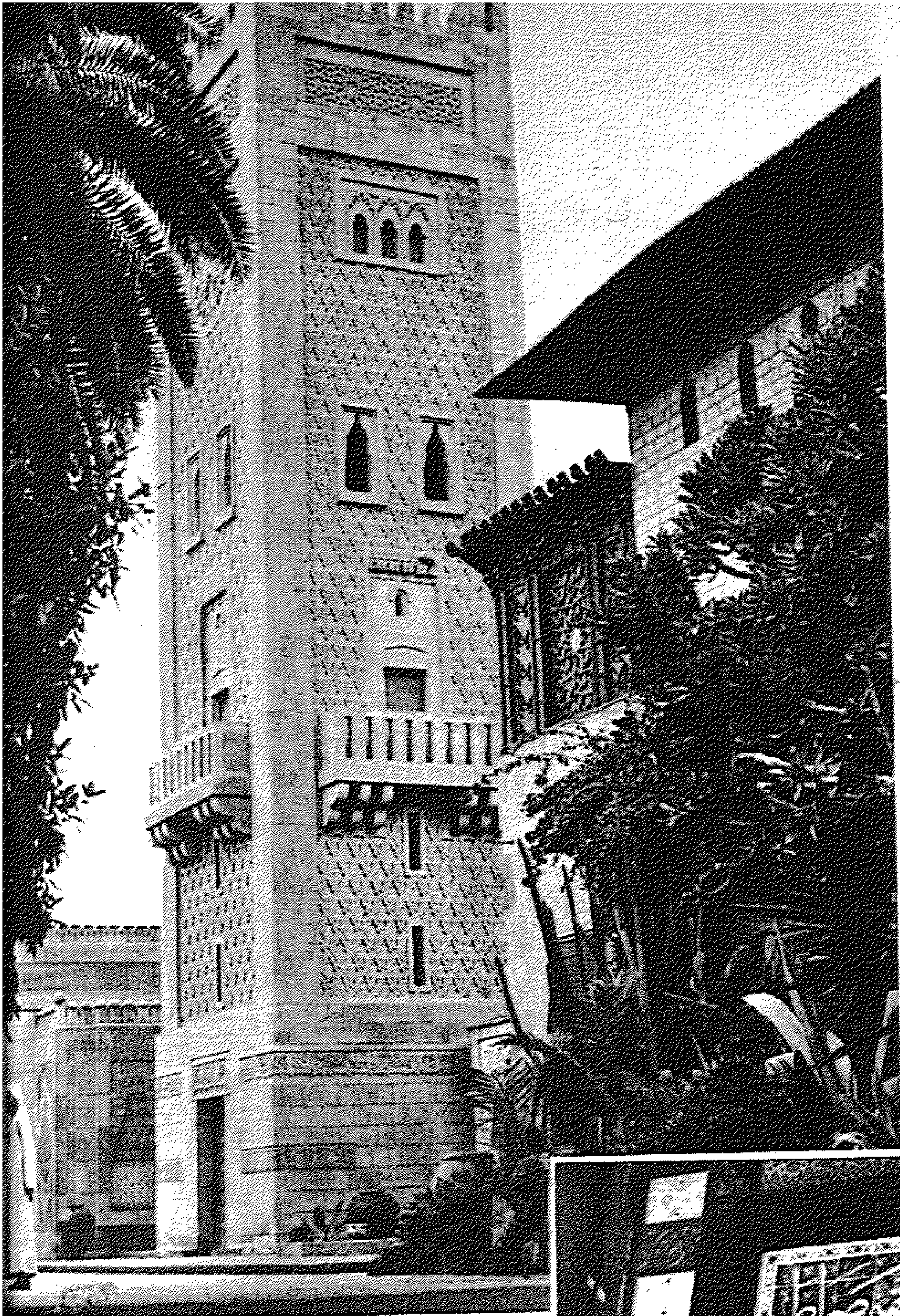
مسجد الرفاعي من الداخل



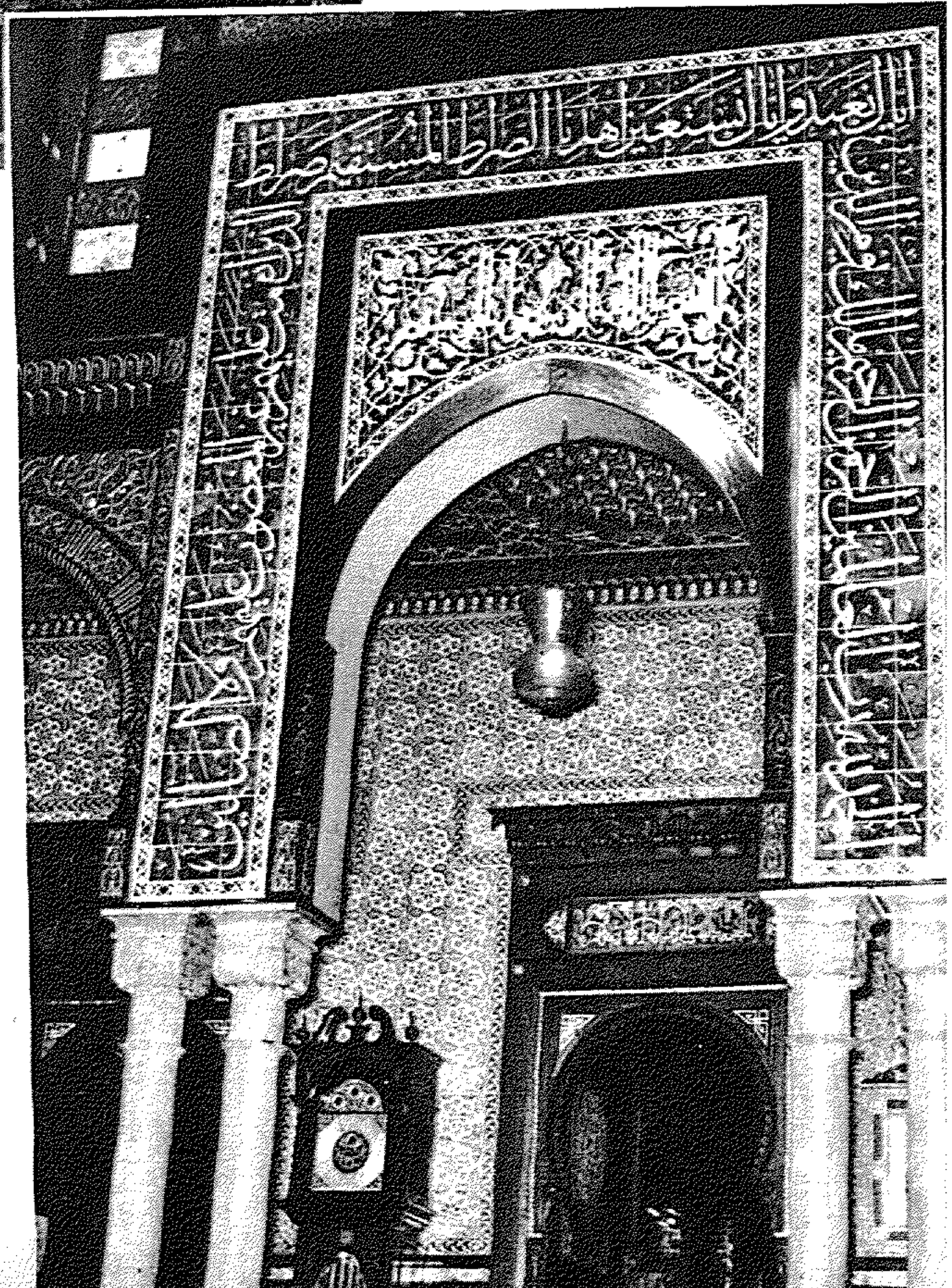
مبنى المتحف المصري
ببستان التحرير بالقاهرة



بعض التحف بالمتحف
المصري بالقاهرة



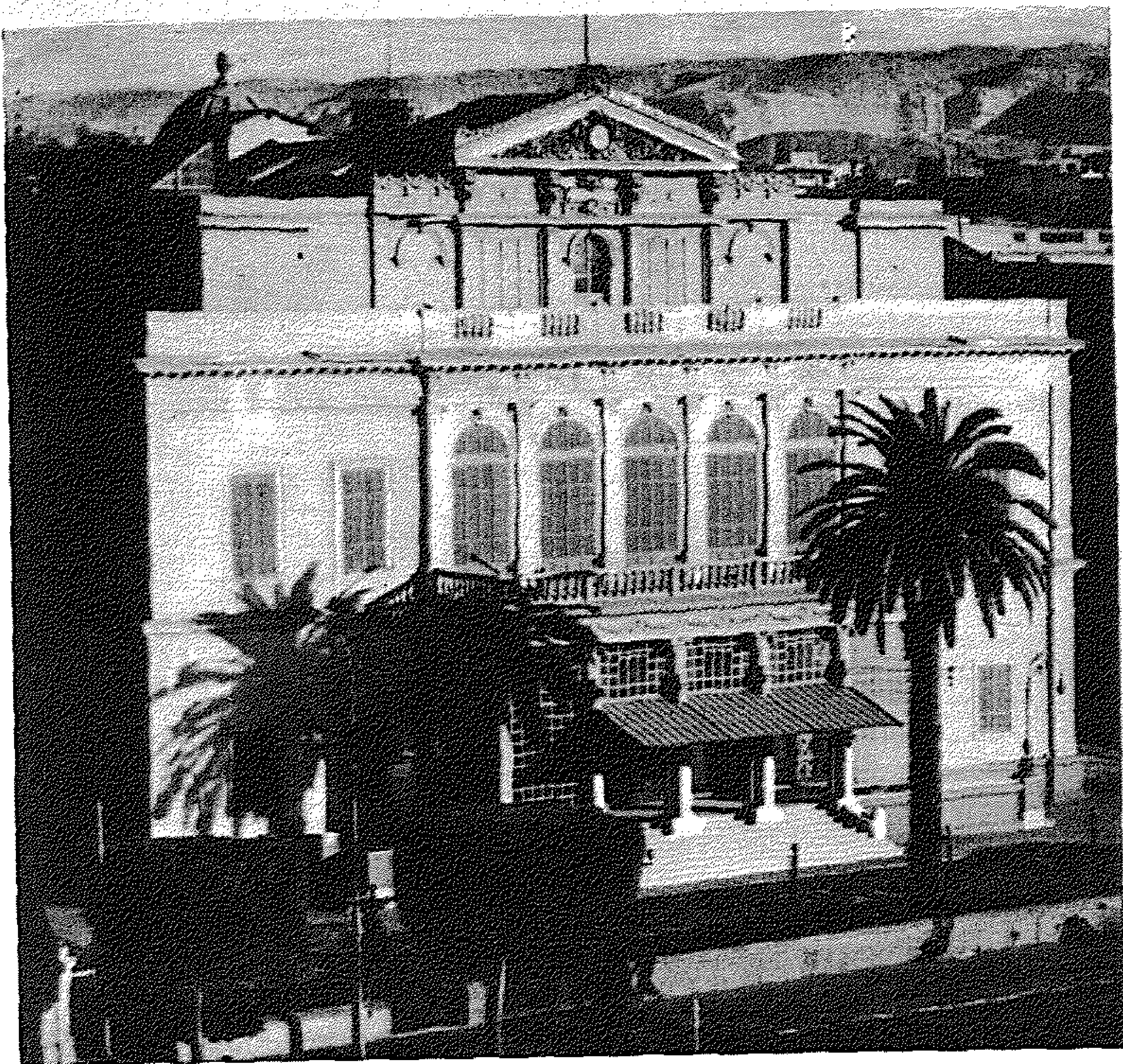
▲ مدخل متحف قصر النيل



احدى قاعات متحف قصر النيل ،
ويغطى جدرانها القاشانى ، وتحلبها
آيات من القرآن بخط بدیع



المتحف القطري بمصر القديمة من الداخل

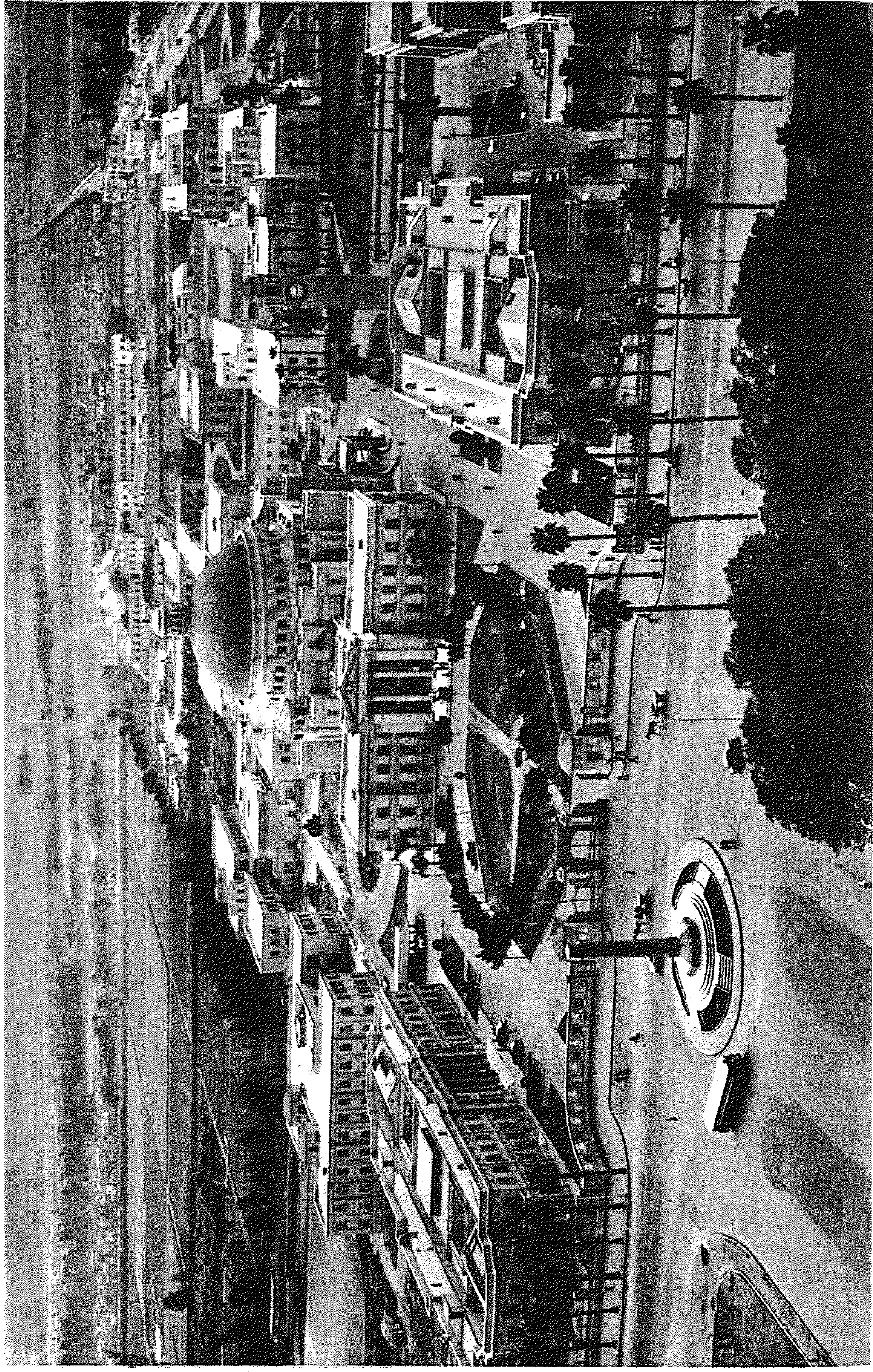


دار الاوبرا بالقاهرة

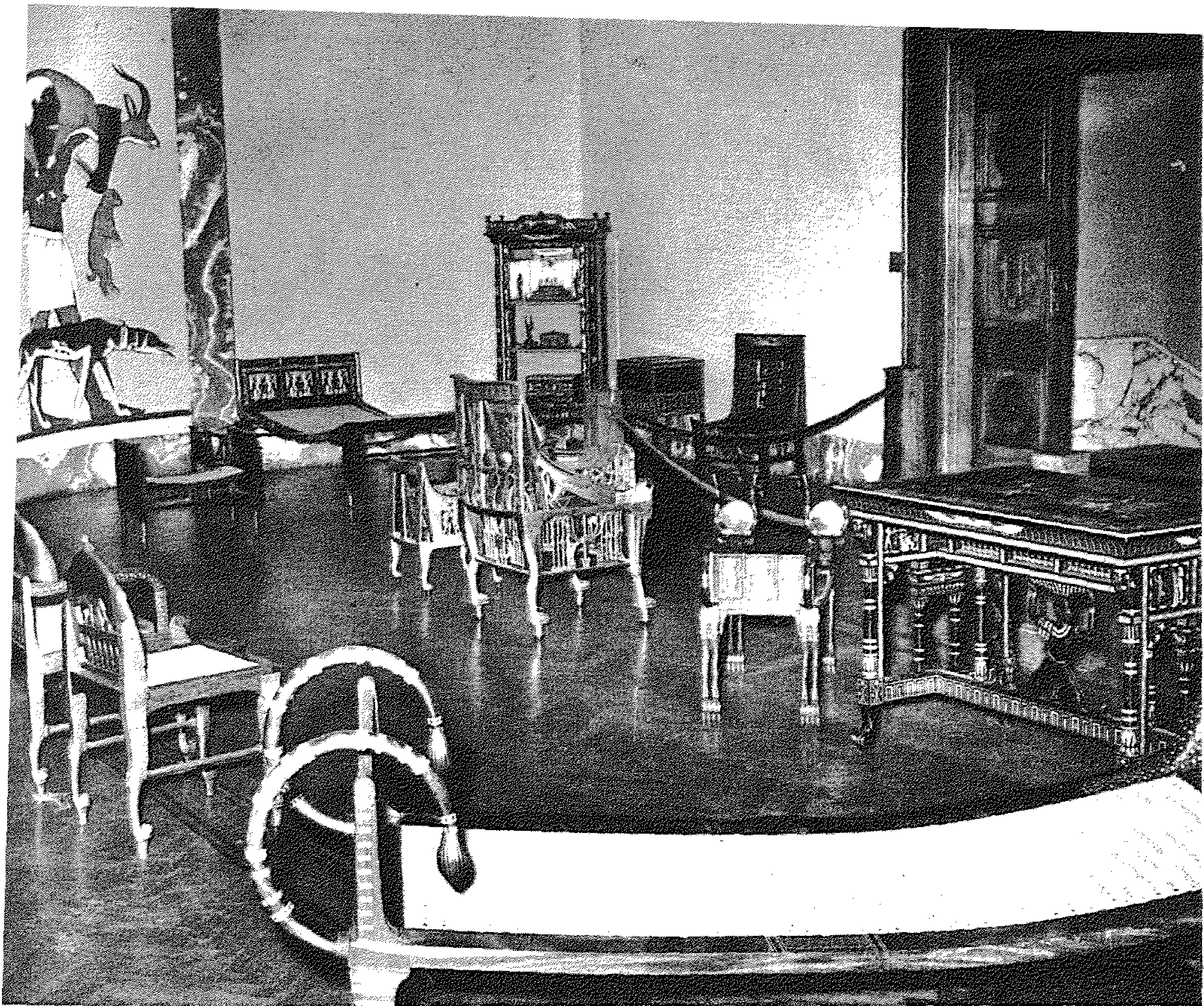


مبنى مجلس الأمة بالقاهرة ، والمسجد الملحق به





جامعة القاهرة : وترى قاعة الاحتفالات الكبرى تعلوها قبة كبيرة ، ومبنى إدارة الجامعة، يحيط بهما كليات الحقوق والآداب والتجارة والعلوم . ويشاهد أيضا برج الساعة التي تسمع دقاتها في جميع أنحاء البلاد العربية



احدى قاعات استراحة الهرم وقد صنع اثائها على الطراز المصرى القديم



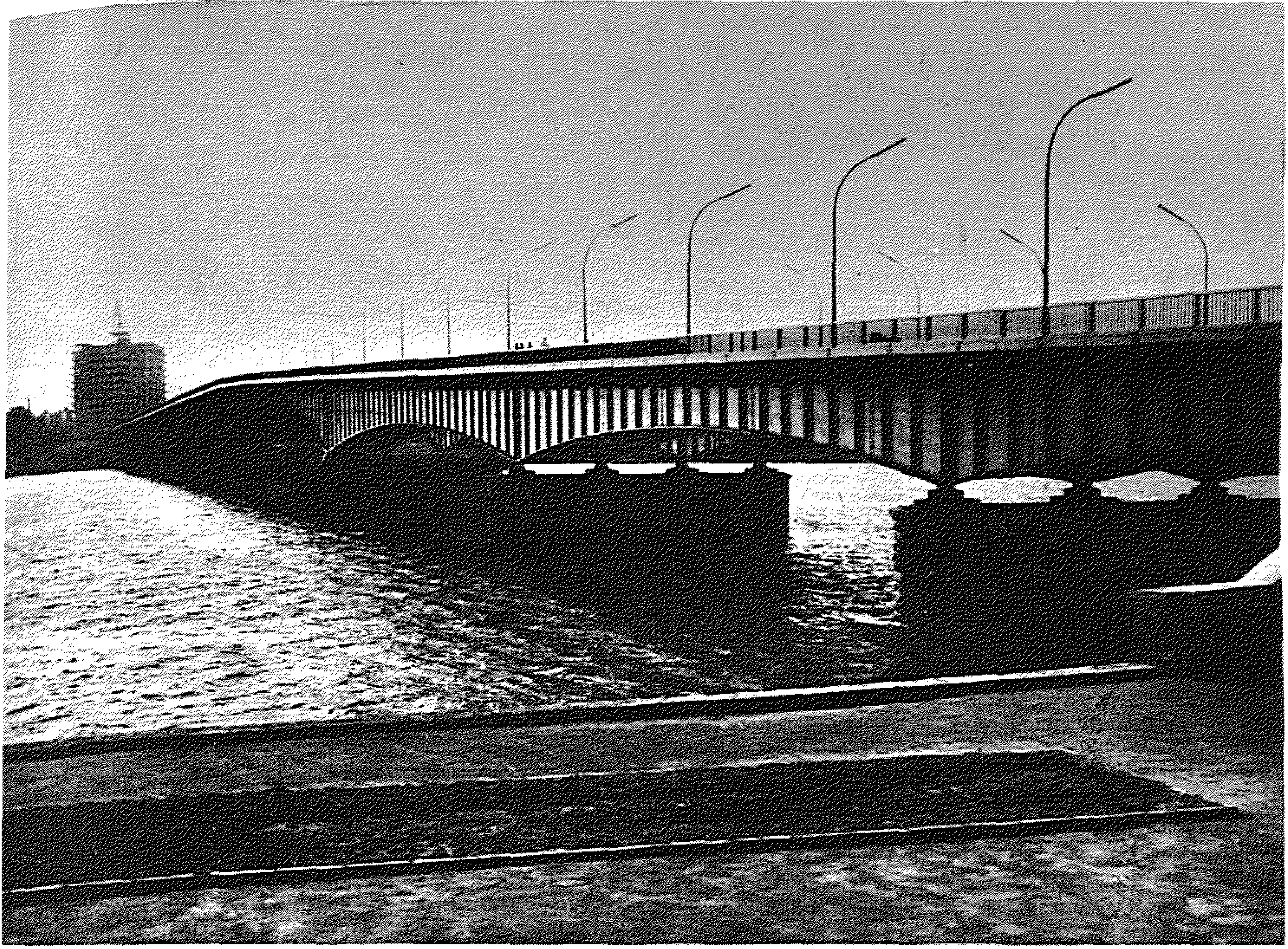
واجهة استراحة الهرم
وهى مشيدة على طراز
المعابد المصرية القديمة



ميدان التحرير بالقاهرة : وتشاهد الفسقية ومبنى الجمع
ووزارة الخارجية والعمائر العظيمة الاخرى التى تحيط بالميدان



جامع السيد عمر
مكرم بميدان التحرير

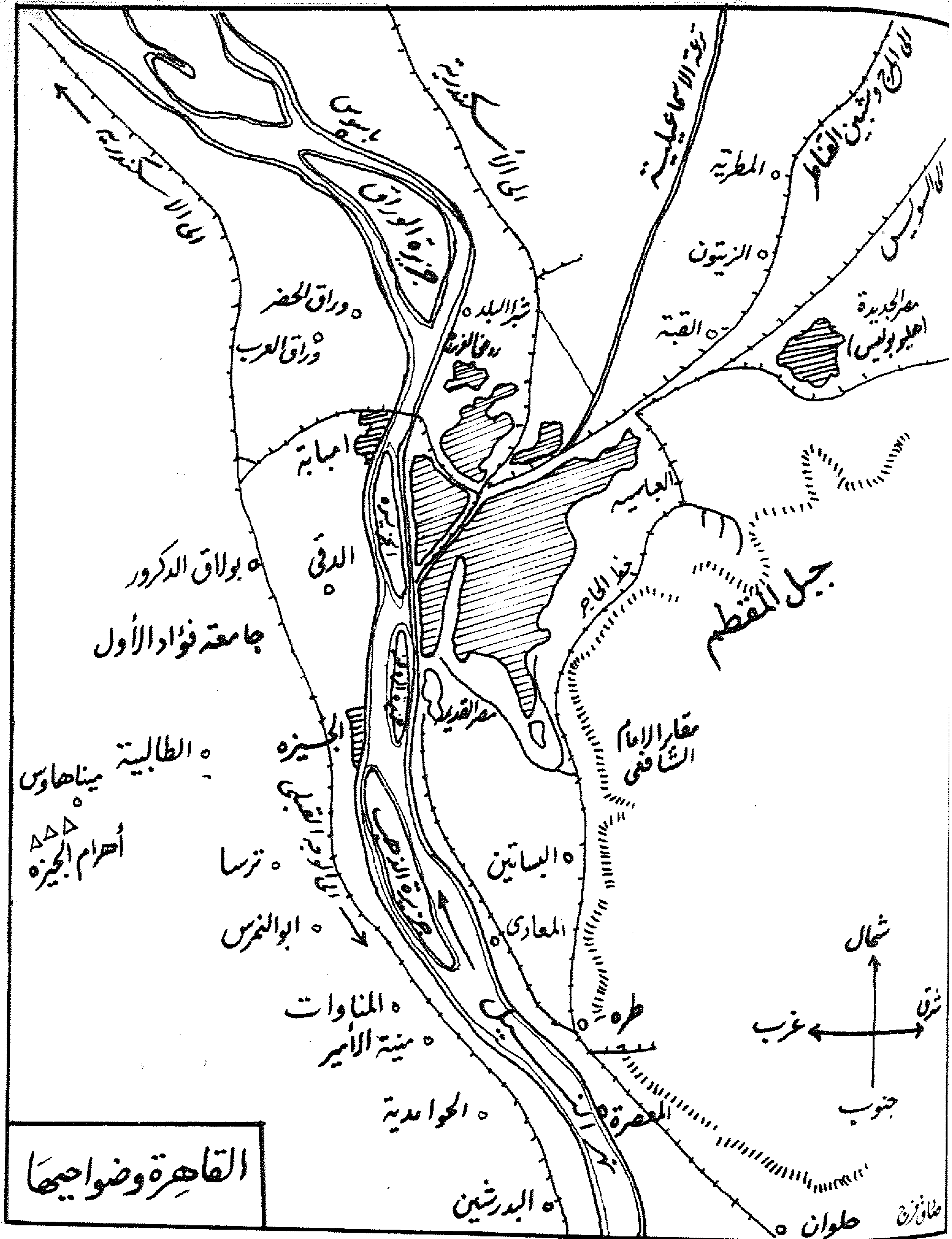


كوبرى الجامعة بالجيزة ، وهو أحد المنشآت الحديثة فى عهد الثورة .



كوبرى التحرير (قصر النيل سابقا) ويرى فى نهايته
الشرقية ميدان التحرير وفندق سميراميس

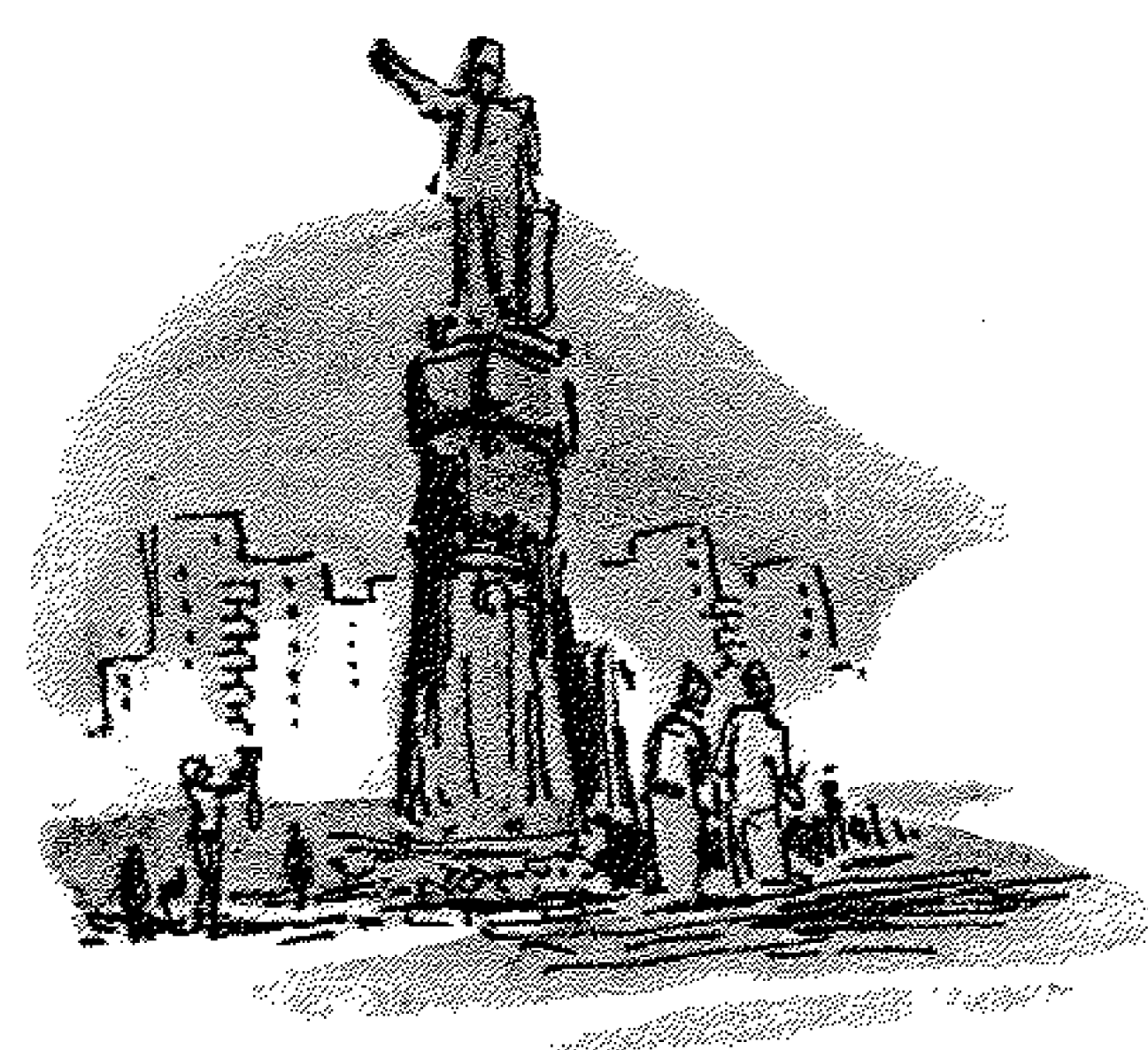




يمثل هذا الرسم ضواحي القاهرة التي دخل بعضها في نطاق القاهرة
وسيدخل الباقي في نطاقها تجاوبا مع اتساعها وامتدادها . . .



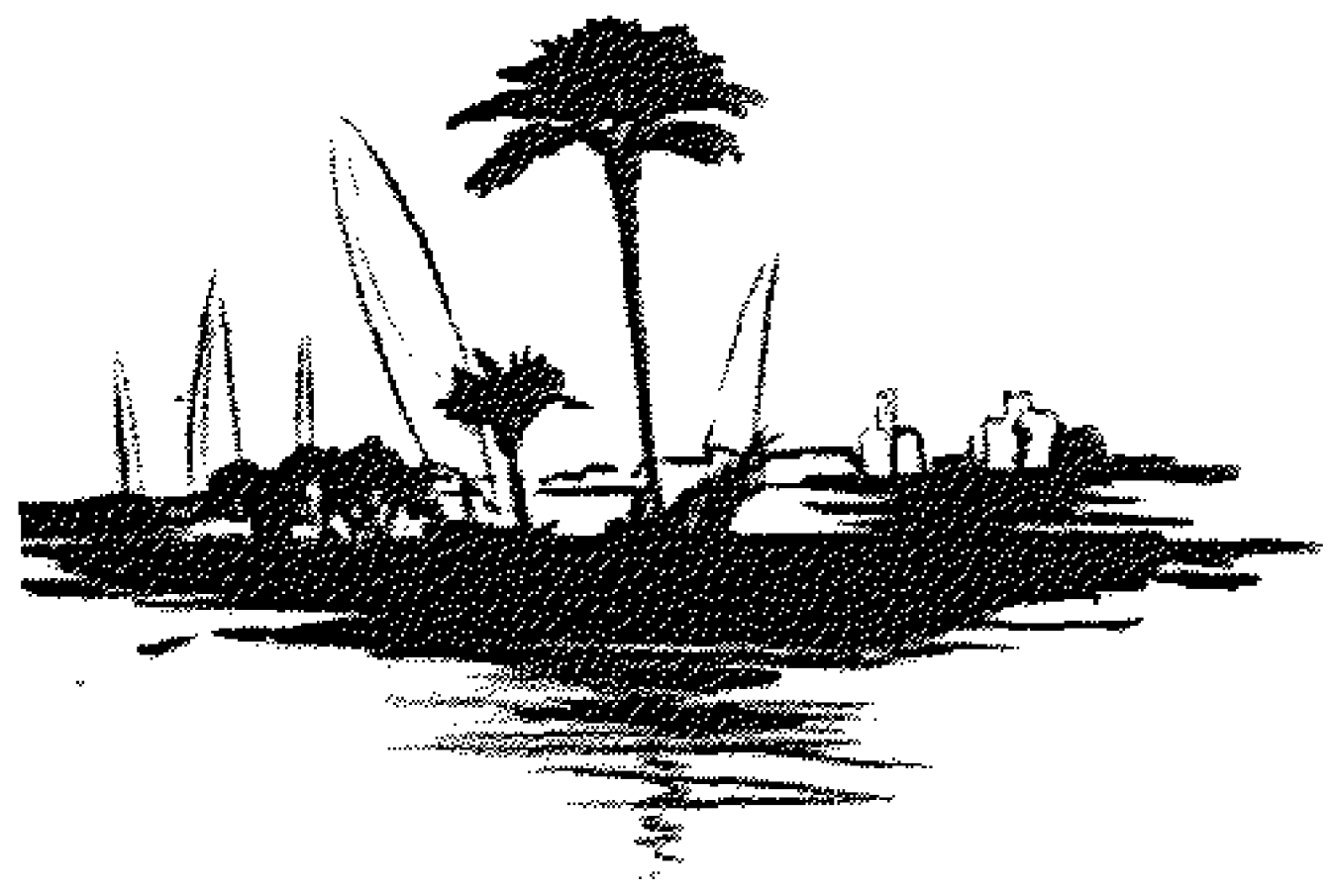
شارع بور سعيد (الخليج
سابقا) بعد توسيعه
وتنظيمه في عهد الثورة



شارع بور سعيد (الخليج
سابقا) بعد ردمه سنة
١٩٠٢ م . ويبدو ضيقا
ملتويا لا يتسع لسرور
عربتين متجاورتين

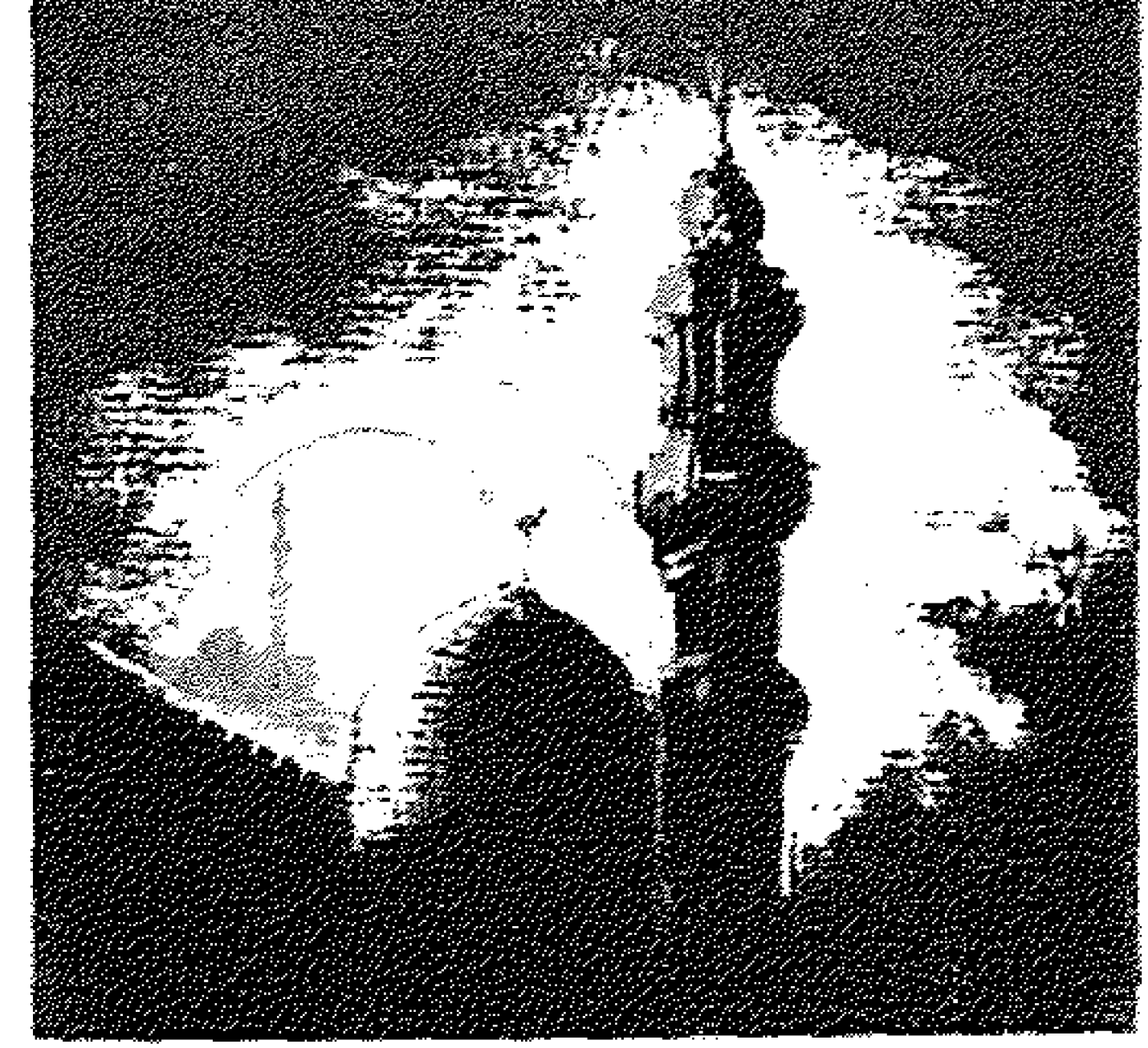


نور « قصر النيل » أحد
بنايات التي أقيمت على
بعد إنشاء الكورنيش
تمتاع بمناظر النيل
أمد الطبيعة الخلابة

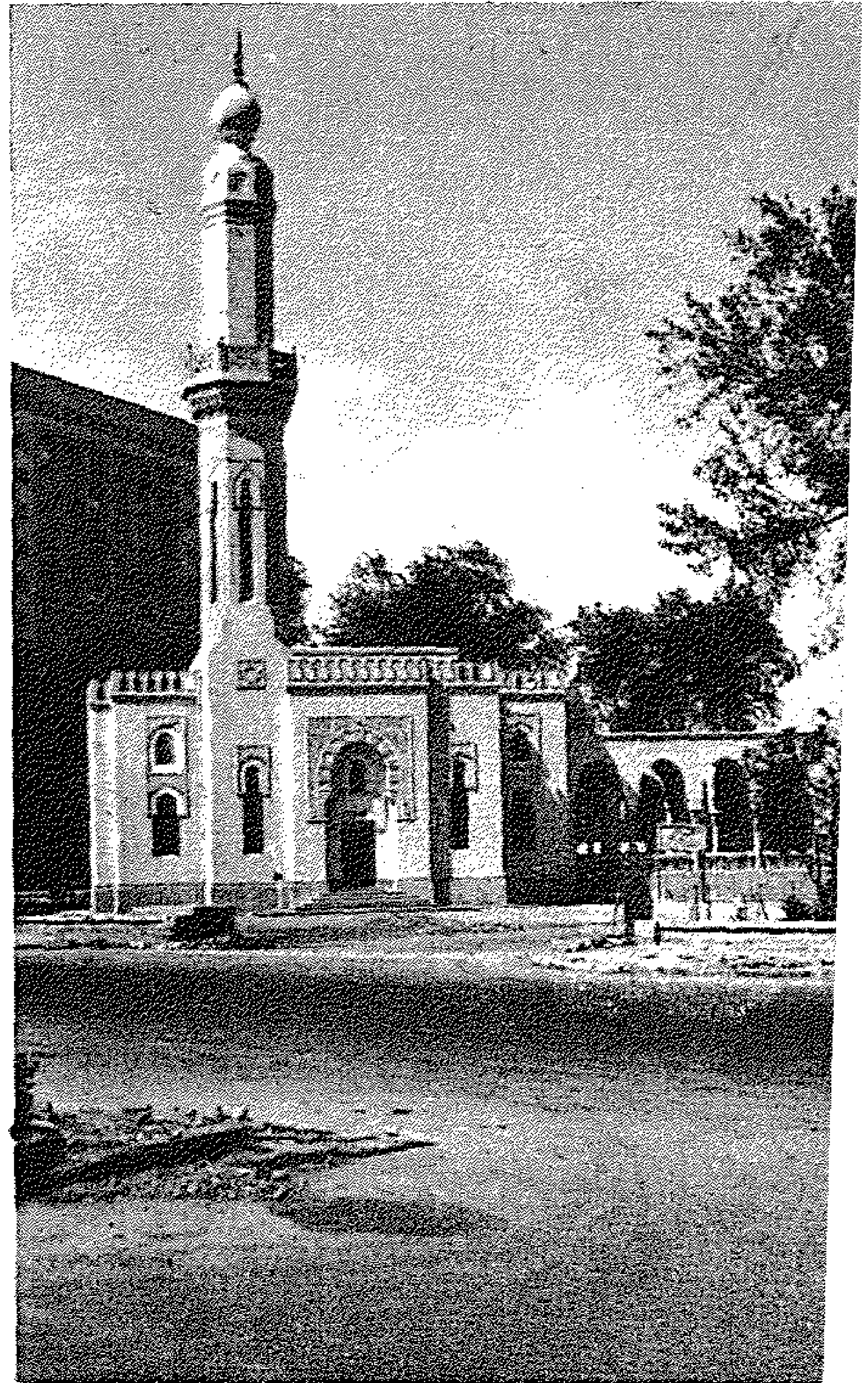


ميدان مصطفى كامل
وشارع قصر النيل وهو
أحد الشوارع
الهامة بالقاهرة





مسجد الزمالك ، وهو أحد المساجد الجميلة
الحديثة التي أنشئت في عهد الثورة ...



مسجد الدقي ، أمام وزارة الزراعة ،
ويرى من خلفه جزء من مبنى الأوقاف
المجمع بالدقي وهو من المنشآت الحديثة

وأُنشئ في مكان الجزء الأكبر منها متنزه عام ، تتوسطه نافورة ، غاية في البهاء والجمال ، تتلون مياهها في أثناء اندفاعها بالألوان الجميلة ، وتتشكل بالأشكال البديعة . فاذا ما أقبل المساء ، خصوصا في ليالي الصيف ، توافد ألوف الناس من أطراف المدينة ، وتجمعوا حول هذه النافورة ، وربما قضوا الليل بأكمله ، يستمتعون بالنسيم العليل ، والمنظر الجميل

ويرى في وسط الميدان نصب كان قد أمر فاروق بإعداده قبل الثورة بقليل ، ليمتطيه تمثال لجدّه اسماعيل ، يقابله في ميدان الجمهورية «عابدين سابقا» تمثال لوالده فؤاد . وكانت فكرة فاروق أن ينظر والده من ميدان عابدين فيرى اسماعيل رابضا في ميدان الاسماعيليه ، فيتناجيان ما شاءت لهما النجوى ويتسامران . ولما كان الطريق الموصل بين التمثالين ضيقا ، ولكي تتاح الفرصة للتمثالين أن يرى أحدهما الآخر في جلاء ووضوح ، فقد اقتضت ارادة فاروق ، أن يوسع شارع البستان ، وتهدم المنازل القائمة على جانبيه ، ويشرد سكانها ، ويبلغون أكثر من ألفى أسرة ، في وقت ضاقت القاهرة بساكنيها ، وكان المسكن الخالي أندر وجودا من الكبريت الأحمر . وقد صدر فعلا قانون بإخلاء تلك المساكن من ساكنيها ، واجراء عملية الهدم . ولم يجند صراخ تلك الأسر وعويلها أمام جبروت فاروق، وممالة وزرائه له في طيشة ونزقه ، ولكن الله كان له ولهم بالمرصاد ، فأطاح بعرشه قبل أن تتحقق رغبته ، وأنقذ الناس من ظلمه وبغيه . وهكذا كانت أعمال فاروق ووزرائه ، لا تصدر عن رغبة في خير الناس وصالحهم ، وإنما رائدهم من ورائها المظهر الكاذب ، والمنفعة الشخصية . فاذا مثَّه طريق فلمنفعة أمير أو وزير ، واذا شقت ترعة فلمصلحة اقطاعي أو ذي نفوذ ، أما مصلحة الشعب ومنفعته فليستا محل تقدير أو تفكير .

وشيد بميدان التحرير مسجد أقيم إحياء لذكرى بطل من أبطال الكرامة والاستقلال ، ذلكم هو الشهيد السيد عمر مكرم . وأقيم أيضا على

أرض هذا الميدان مبان جديدة لوزارة الارشاد القومى، والاذاعة المصرية،
وبلدية القاهرة، وفندق ضخيم، ومبنى لجامعة الدول العربية، وبذلك
أصبح هذا الميدان من أجمل الميادين فى عواصم الشرق الأوسط، بل وفى
عواصم أوروبا وأمريكا

مداخل القاهرة :

وأمر آخر كان يحتاج الى علاج سريع، وحل حاسم، ذلك هو مداخل
القاهرة، فقد حُلَّت هذه المشكلة التى طال عليها الأمد حلا موفقا ناجعا،
فأنشئت للقاهرة أربعة مداخل فى وقت واحد، هى :

أولا - مدخل طريق الكورنيش: ويتبدى من نقطة مرور الباسوسية،
الواقعة عند التقاء طريق مصر - الاسكندرية الزراعى فترعة الاسماعيلية،
فروض الفرج، مشبرا، فكوبرى أبى العلاء، فكوبرى قصر النيل،
فداخل القاهرة

ثانيا - المدخل المحاذى للسكة الحديد : والذى يصل بين محطة شبرا
ونفق السبتية، وسيخصص للنقل السريع الى وسط المدينة . وقد اقتضى
انشاؤه هدم العشش الواقعة على جانبى الخط الحديدى، فى أثناء قدومه
الى القاهرة، والتى كانت وصمة عار فى جبين العاصمة، لمواجهتها كل
زائر للبلاد عند وصوله الى حاضرة البلاد

ثالثا - طريق ترعة غمرة المردومة : ويبدأ من محطة مجارى الأميرية على
ترعة الاسماعيلية، وينتهى بشارع الخليج المصرى. وقد أصاب هذا الطريق
هدفين، أولهما : تيسير حركة النقل السريع، وثانيهما التخلص من ترعة
غمرة الملغاة، ذات المياه الراكدة، والتى كانت قائمة فى وسط المساكن،
وتساعد على انتشار الأمراض . وقد أمكن بعد ردمها خلق منطقة صناعية
جديدة، على أرض مساحتها حوالى ٤٠٠ ألف متر مربع، لها طريق خاص
رابعا - طريق جسر ترعة الاسماعيلية : ويسير على الجسر الأيمن لترعة

الاسماعيلية بعرض ٢٨ مترا ، ويبدأ من فم ترعة الاسماعيلية عند طريق الكورنيش حتى يصل الى كوبرى مسطرد ، بطريق المعاهدة ، ومنه الى مصر الجديدة . ويربط هذا الطريق جميع المداخل البحرية الأربعة بعضها ببعض

وقد تبع انشاء هذه المداخل أعمال أخرى كثيرة ، مرتبطة بها ، حتى يسهل على الناس والسيارات والمركبات الوصول الى داخل القاهرة في سهولة ويسر وأمان . من تلك الأعمال :

١ - انشاء كوبرى علوى ثابت طوله ٤٠٠ مترا ، ليصل طريق الكورنيش على جانبى ترعة الاسماعيلية ، وانشاء كوبرى آخر على نفس التربة طوله ٥٠٠ مترا ، ليصل المدخل المحاذى لخط السكة الحديد على جانبى التربة

٢ - هدم انعشش القذرة ، الموجودة فى الناحية البحرية من مدخل المدينة ، والتي كانت تواجه القادمين الى القاهرة بالسيارات

٣ - انشاء محطة نهائية لوقوف أتوبيسات وجه بحرى القادمة الى القاهرة ، دون دخولها المدينة ، ولوقوف ترام شبرا والأتوبيسات القادمة من القاهرة ، ومصر الجديدة الى شبرا ، وتتسع هذه المحطة لوقوف أكثر من ٤٠ أتوبيسا

٤ - مد شارع التربة البولاقية ليصل الى محطة شبرا . وقد اقتضى هذا المشروع ردم التربة البولاقية التى تقع فى وسط المساكن

٥ - توسيع شارع شبرا الحالى الى ٤٠ مترا ، ابتداء من محطة سكة حديد شبرا الى دوران روض الفرج ، ونقل الترام الى وسط الطريق ، وحصره بين جانبين أحدهما للذهاب والآخر للاياب . وذلك لعدم امكان الاستغناء عن هذا الشارع ، حتى بعد انشاء مداخل القاهرة

شوارع القاهرة :

أما اصلاح شوارع القاهرة ، فكان مجهود الوزير عبد اللطيف البغدادى فى هذه الناحية مثارا للاعجاب والدهشة . كما اتسم هذا المجهود بالسرعة الفائقة ، والتنفيذ العاجل ، والدراسة الدقيقة ، والتفكير السليم . لذلك أصابت هذه الاصلاحات الهدف المطلوب ، وحقت نفعا أكيدا ، ومصلحة عامة ، كانت تتطلبها القاهرة منذ أمد طويل

وقد كان من أظهر عيوب شوارع القاهرة : ضيقها ، والتواؤها ، وعدم استقامتها ، واكتظاظها بالمارة ، واندساس عربات الترام ، الكريهة المنظر، البطيئة السرعة ، بينهم ، تدهم هذا ، وتقتل ذاك ، وتصطدم بالسيارات ، وعربات النقل ، فتضطرب المواصلات ، وتتعلل مصالح الناس . وقد علت الشكوى من هذه الفوضى ، وسوء الحال . ولم تكن الحكومات السابقة لتحرك ساكنا . وكل ما كانت تفعله أن تنفق الوقت فى الدرس والبحث واستدعاء الخبراء ، فاذا جاء دور التنفيذ تعللت بقلّة المال ، وضرورة الانتظار ، حتى يغير الله من حال الى حال . فتوضع المشروعات على الرف ، أو فى أدراج الوزراء ، ليعفى عليها النسيان . فلما جاءت الثورة ، استخرجت هذه المشروعات من غياهب السجن ، وتعهدت بالتنفيذ السريع ما كان منها مدروسا وصالحا للتنفيذ ، وابتكرت كثيرا مما كان يتطلبه تقدم القاهرة ورقيا ، ولم يستطع الروتين الحكومى أو شركات الاحتكار الصمود فى وجه الثورة ، أو عرقلة شىء من مشروعاتها

لذلك سارع البغدادى بنزع قضبان الترام من شارع ٢٦ يوليو « فؤاد الأول سابقا » ومن الثلث البحرى لشارع عماد الدين ، ومن شارع نهضة مصر « الملكة سابقا » وشارع عبد العزيز ، وحولت خطوط الترام التى كانت تسير بهذه الشوارع الى شارع الجلاء وشارع القلعة . وقسم شارعى ٢٦ يوليو ، ونهضة مصر الى قسمين : قسم للذهاب وآخر للاياب ، كما

أعيد رصفهما وتنسيقهما ، وأضيئاً بالأنوار الساطعة فى الليل . ومد شارع ٢٦ يوليو كى يخترق حديقة الأزبكية ، ولكى يتصل رأساً بميدان العتبة . ولقد بدا هذا الشارع بعد رصفه وتنسيقه ، وهو من أهم الشوارع التجارية بالقاهرة ، نظيفاً ، جميلاً ، هادئاً ، منظماً ، تتلأأ الأنوار الساطعة فيه ليلاً ، فيخيل اليك أنك لست فى الليل ، وإنما فى رابعة النهار

شارع الخليج المصرى (شارع بورسعيد الحال) : (١)

كان شارع الخليج المصرى يمثل اهمال الحكومات السابقة واخلال شركات الاحتكار بتعهداتها ، واهتمامها باستنزاف أموال الشعب دون رعاية خيره . فقد كانت شركة الترام قد قطعت على نفسها عهداً عندما استخلصت من الحكومة المصرية امتياز مد خطوطها على هذا الشارع ، أن تملأه نورا وضياء بالليل ، ولكنها ملأته ظلاماً وقتاماً . فأصبح المرء لا يجرؤ على السير فيها منفرداً ، والا دهمه اللصوص وقطاع الطرق . هذا فضلاً عن التوائه وانشائه كأنه ثعبان الكوبرا ، وقيام الخرائب والمنازل المتداعية على جانبيه . وكان يضيق بعربتى ترام تسيران جنباً الى جنب

وكانت الحكومات السابقة قد شمرت عن ساعد الجذ ، ووسعت شارع الخليج فيما بين ميدان السيدة زينب ، وميدان أحمد ماهر . وقد قضت فى ترسيع هذه المسافة أكثر من عشر سنوات . وبقي القسم الثانى الممتد من ميدان أحمد ماهر حتى غمرة كما هو الى أن جاءت الثورة ، فأولت الأمر كل عنايتها ، فأنجز فى عامين اثنين أضعاف ما أنجزته حكومات ما قبل الثورة فى عشرات السنين

وقد كان انشاء مدخل القاهرة من جهة غمرة ، حافزاً للبغدادى أن يسارع بتوسيع شارع الخليج للأفادة منه ، كأحد الطرق الرئيسية الموصلة بين مداخل القاهرة وطرفها الجنوبى . وقد واجه فى سبيل تنفيذ المشرع

(١) أصبح اليوم يعرف باسم شارع بورسعيد تخليداً لدفاع أهلها المجيد ضد القراصنة الانجليز والفرنسيين فى نوفمبر سنة ١٩٥٦ عندما هاجموا قناة السويس بعد تأميمها . فأنزل بهم أهل بورسعيد هزيمة ساحقة

صعابا حجة ، منها هدم سوق الجمالية ، بشارع بين الصورين ، ذلك السوق التاريخى القديم ، الذى تتركز فيه تجارة الجملة للبقالة والعطارة ، وأنواع أخرى من السلع منذ مئات السنين

وبدأ التوسع من الجنوب الى الشمال ، فهدمت الخرائب والمباني المتداعية ، التى تقوم على جانبيه ، والتى كانت تحول دون الهواء وضوء الشمس من أن ينفذا الى الأحياء المجاورة له ، والتى عاش أهلها أجيالا طويلة محرومين منهما . وأزيل سوق بين الصورين ، وأعيد انشاؤه على قطعة أرض فسيحة ، على مقربة من السوق القديم ، تطل على شارع الخليج الجديد . وقد أصبح شارع الخليج اليوم من أهم شوارع القاهرة وأفخمها ، وميادينه من أجمل ميادين القاهرة وأعمرها . وكان سند هذا العمل الرائع ، الذى يستثير كل اعجاب واكبار ، التفانى والجد والاخلاص

ويجرى الآن توسيع شارع السد فى حى السيدة زينب ، ليكون امتدادا لشارع الخليج من ناحية الجنوب حتى فم الخليج ، وبذلك يصبح أطول شوارع القاهرة ، وبواسطته يمكن اختراق المدينة من أقصى شمالها الى أقصى جنوبها فى سهولة ويسر ، وفى أقل وقت ممكن

ومن الشوارع الأخرى ، التى تناولها الاصلاح والتجديد الشوارع الآتية :

١ - شارع التحرير « الخديو اسماعيل سابقا » : وسع هذا الشارع ابتداء من ميدان كوبرى الجلاء الى خط سكة حديد الوجه القبلى ببولاق التكرور . وقسم الى قسمين : أحدهما للسيارات الداهية والآخر للآية . وقد كسى الجزء الأوسط من أوله حتى نهايته ببساط سندسى أخضر ، يسر الناظرين . وأضىء ليلا بالأنوار الكهربائية القوية . وانك لتستطيع أن تقدر فائدة هذا العمل الجليل ، اذا أنت ركبت سيارة ، وسرت بها من أول هذا الشارع الى آخره ، فى مساء يوم من أيام الصيف ، فانك تجد جميع سكان قرية الدقى وما جاورها من القرى ، وقد غادروا بيوتهم وأكواخهم ،

وهرعوا الى هذا المتنزه الجميل ، يفترشون بساطه السندسى، ويستنشقون ريح الطياب التى ترطب أنفاسهم ، وتنعش أرواحهم ، وكأنى بكل خلجة من خلجات نفوسهم ، تدعو للثورة ورجالها المصلحين

٢ - شارع الدقى : وتفرع عن توسيع شارع التحرير بالدقى، توسيع شارع الدقى نفسه ، ابتداء من ميدان الدقى حتى حديقة الأورمان ، وقسمته أيضا قسمين : للذهاب وللإياب

٣ - طريق السيالة بالروضة : وتم انشاء طريق بالروضة ، يصل ما بين قصر محمد على ، وقصر المانسترلى

٤ - ومد شارع سيدى اسماعيل الامبابى حتى يصل شارع النيل بامبابة الى مدينتى اعمال بامبابة والأوقاف بالدقى

٥ - شارع ابن الحكم : وتم توسيع شارع ابن الحكم الموصل بين المطرية ومصر الجديدة

٦ - شارع دوبريه : وتم انفاذ شارع دوبريه ليتصل بشارع الجمهورية

٧ - الطريق بين مطار القاهرة الدولى ونفق العباسية : وقد عدل هذا الطريق ، فمنع الترام الأبيض من المرور به ، وقصر على تسيير الأتوبيس ، وخصص جانب للذهاب ، والآخر للإياب . وأنشئ شريط من الحدائق فى وسط الشارع ، تتخلله نافورات على مسافات متقاربة ، هذا مع رصف الطريق بأكمله

٨ - طريق المعاهدة : وتم رصف شارع المعاهدة بعد توسيعه ، ابتداء من أول كوبرى مسطرد حتى ميدان المطرية

٩ - طريق النزهة : وأنشئ على شاطئ النيل الغربى ، بمحاذاة حديقة الفردوس والنهر ، طريق جميل لمن يريدون النزهة سيرا على الأقدام، والتمتع بالخضرة والماء ووجه الطبيعة الجميل عند شروق الشمس أو غروبها . ويمتد هذا الطريق الشاعرى من كوبرى قصر النيل حتى كوبرى أبى العلاء

١٠ - وأنشئ طريق من فم الخليج ليوصل شارع القصر العيني بشارع السيدة عائشة في حي الخليفة ، ومنه الى القلعة ، ولم يكن ثمت قبل انشاء هذا الشارع طريق يوصل رأسا بين الجزيرة وفم الخليج وبين القلعة ، اللهم الا باختراق ميدان السيدة زينب . لذلك يعد الطريق الجديد من أجل المشروعات وأنفعها

وفضلا عن ذلك فقد رصف عدد لا يحصى من الشوارع في وسط القاهرة وضواحيها ، فاستوت ، وانبسطت ، وأصبح لا تقر بها ولا حفر ، تسير المركبات بها في سهولة ويسر ، وبلطت أفاريزها بالبلاط الجميل ، وقام على نظافتها عمال مجهزون بمكانس ميكانيكية ، استحضرتها بلدية القاهرة حديثا

انشاء أحياء جديدة

حي الفوالة :

كان هذا الحى وصمة في جبين القاهرة ، اذ يتكون من عشش ومبان متداعية ، وحارات وأزقة قدرة ، ضيقة ، يفترشها باعة الخضر والفواكه والدجاج والأسماك ، الذين يخلفون وراءهم أكواما من القمامة والفضلات ، تنفث في جو هذا الحى الروائح الكريهة ، وتبرز الحوانيت بضائعها في عرض الطريق مما يجعل السير فيه متعذرا

ولو كان هذا الحى قائما في أحد أطراف المدينة لهان الأمر ، ولكنه يقع في بقعة يحيط بها أجمل شوارع القاهرة ، كشارع قصر النيل ، وميدان مصطفى كامل ، وشارع محمد فريد (عماد الدين سابقا) ، وشارع رشدى ، وأحفلها بالنشاط الاقتصادي والتجارى ، وتوجد بها كثير من المصارف الهامة كالبنك الأهلى وبنك مصر ، والبنك العربى ، وبنك الجمهورية ، كما توجد بها الأبنية الشاحخة والعمارات الفخمة

لذلك لم يكن غريبا أن يسارع الوزير البغدادى في هدم هذا الحى ، وازالة مبانيه المتداعية ، وعششه الخلقة ، واعادة تخطيطه تخطيطا حديثا ،

يتفق وأهمية الشوارع المحيطة به ، والمباني الفخمة التي تجاوره . وعما قريب يصبح حي الفوالة الجديد ثمرة شهية من ثمرات الثورة ، التي ينشر لها الصدر ، وتبتهج لرؤيتها العين

كيان زينهم :

وهذه الكيمان قد طال عليها الأمد ، فهي بقايا من مدينتي العسكر القديمة والقطائع ، اللتين تدخلتا بعضهما في بعض ، ثم تخربتاهاما والفسطاط ، بعد الحريق الذي أمر به شاور سنة ٥٦٤ هـ (١١٦٩ م) . فقد ظلت هذه الكيمان قائمة حوالى ثمانية قرون ، وتتوالى الدول والحكومات ، لا يفكر أحد منها في إزالتها ، وتخليص البلاد من منظرها الكريه ، وما يسببه وجودها من أذى وضرر : فهي تزداد حجما يوما بعد يوم ، بما يتراكم عليها من أتربة وبقايا ، حتى صارت معينا للأقذار ، ووكرا للصوص ، وقطاع الطرق ، ومبابة لأهل الرجس والفساد ، يحتمون في جحورها من أعين رجال الحفظ والأمن ، ويعتصمون فيها من يد العدالة والقانون . هذا فضلا عن أن إزالتها تفسح في رقعة القاهرة ، وتزيد من مساحتها ، وتحل أزمة المساكن ، التي تفاقت وتعقدت ، حتى غدت أعقد من ذنب الضب ظلت هذه الكيمان قائمة كالوتد ، لا تقوى حكومة من حكومات العهود الغابرة على مسها بأذى ، بل ولا تعيرها التفاتا الى أن جاءت حكومة الثورة ، التي بثت روح التضحية والايثار في نفوس الشباب ، فسارعت جموعهم ، تحدوهم الرغبة في تجميل مدينتهم ، وأعملوا سواعدهم الفتيّة في إزالة تلك الكيمان ، وتسوية الأرض ، وشق الطرق فيها . وكم كان جميلا ، وباعثا على السرور ، أن ترى الشبان وهم يهوون بفؤوسهم على الأحجار فيزعزعونها ، ويقتلعونها من أماكنها ، ويحملونها على ظهورهم وأكتافهم الى أماكن أخرى ، ويدفعون عربات صغيرة ، محملة بالأتربة والحصى الى الأماكن المنخفضة ليسووها . ألا بارك الله في الشباب ، الذي يذل الروح والنفس والقوة في سبيل رفاهية الوطن ، واعلاء قدره

وقد أمدت الحكومة المدينة الجديدة بالمياه والكهرباء ، وشيدت مساكن شعبية بلغت ألف مسكن ، لذوى الدخل المحدود ، الذين أضرت بهم مشكلة المساكن ضررا بليغا ، كما شيدت ألف مسكن أخرى ، بنهاية الترة البولاقية ، للأسر الذين زالت مساكنهم فى الأحياء التى هدمت ، والشوارع التى وسعت ، وألفين بمنطقة القبة . وستؤجر جميعها بأجور مخفضة ، حتى يتوفر لشاغلها السكن الصحى الملائم ، بأجر مخفض . وهكذا تكون حكومة الثورة قد تغلبت على مشكلة المساكن ، التى كانت تبدو عسيرة الحل ، بطريقة عملية ، مزدوجة النجاح

تلال المقطم :

وهذه تلال المقطم ، الرابضة فى مكانها منذ فجر التاريخ ، والتى كانت تقف حائلا دون نمو القاهرة وامتدادها من جهة الشرق ، قد طأطأت الرأس للثورة ، واستجابت لدعوتها فى التخلّى عن مكانها ، لتسهم فى توسيع رقعة العاصمة ، وتمهيد السبيل أمامها ، للزحف شرقا

وتقع هذه التلال ، كما هو معلوم ، شرقى مدينة القاهرة . ومتوسط ارتفاعها عن مستوى سطح البحر حوالى ١٨٠ مترا . وتتكون من صخور جيرية . وقد وطد الوزير الثائر العزم على إزالة هذه التلال ، وتحويل الهضاب الى منطقة سكنية ، وبقعة سياحية ، اذ أن ارتفاعها يكسب هواءها جودة ونقاء ، لا يتيسر ان لهواء أية منطقة أخرى ، هذا فضلا عن تمكين قاصديها من استجلاء مفاتن القاهرة وآثارها من ذلك الارتفاع

وسينفذ المشروع على مراحل ، تستغرق كل مرحلة حوالى خمس سنوات . وقد أعد التقسيم الأول ، وهو عبارة عن ثلاث هضاب هى : هضاب القلعة والأهرام والزهراء ، وبدىء فعلا فى تنفيذ مشروع تقسيم هضبة الأهرام ، التى ترتفع عن مستوى سطح البحر بمقدار مائتى مترا ، وأزيلت صخورها لتمهيد الأرض ، ورصفت الشوارع ، وشيد كثير من المنازل ، وجلب الطمى ، وملئت به مساحات واسعة من الفجوات الرخوة فى الهضاب ،

وغرست فيها الأشجار ، ونسقت الحدائق ، ووضعت المشروعات لمدها بالمياه ونور الكهرباء

ويسير العمل قدما فى تنفيذ مشروع الكازينو العالمى ، وكذلك الفندق والنادى الليلى ، وذلك فى مبنى واحد مساحته أربعة آلاف متر مربع . ولأول مرة سيدخل التلفزيون أو المركبات الطائرة الى القاهرة ، حيث سيستخدم فى نقل الناس من قلب القاهرة الى منطقة المقطم . وقد أعدت لهذا الغرض الآلات والمركبات وهياكل الأعمدة المصنوعة من الصلب . وستبنى محطة القيام فى حديقة الأزبكية ، لتسير منها المركبات فى خط مزدوج مستقيم وعلى ارتفاع حوالى ٢٠ مترا مخترقة شارع الأزهر حيث يمكن النزول فى محطة خاصة ومنها تسير المركبات فى خط مفرد دائرى ، وتمر بمحطات هضبات المقطم المختلفة ثم تعود الى حديقة الأزبكية ، وسيتم تشغيل التلفزيون قبل نهاية عام ١٩٥٨ (١)

وهكذا تثبت الثورة مرة أخرى أنها لا تعترف بكلمة مستحيل ، وأنها قد عت هذه الكلمة من قاموسها . اذ من كان يصدق أن تتزحزح تلال المتطم من مكانها الذى تثبت فيه آلاف السنين

استاد القاهرة :

وكان نقصا معيبا ألا يكون للقاهرة استاد ، يتفق ومكانة مصر العالمية فى الرياضة ، أسوة بمدن العالم الكبرى ، لكى تجرى فيه المباريات الدولية ، ولكى يجتمع فيه شباب مصر ، يعرضون فيه نشاطهم الرياضى ، وينشدون أناشيدهم الحماسية ، ويتسع لأكبر عدد من المصريين ، لمشاهدوا الاستعراضات الرياضية والعسكرية ، والاجتماعات الشعبية ، فى الظروف الوطنية ، والمناسبات التاريخية

ولقد كان استاد القاهرة من أهم الموضوعات التى عنت بها حكومة الثورة ، لاتصالها بتربية الشباب التربية الرياضية ، ولاتصالها بعزة البلاد

(١) انظر مجلة الشؤون البلدية والقروية العدد الاول

القومية . فعزمت على انشاء مدينة جديدة ، يقام بوسطها الاستاد المنشود . فوق الاختيار على الفضاء العظيم ، الواقع بين العباسية ومصر الجديدة . لتنشأ فيه مدينة « نصر » ، وليقام في وسطها استاد يتسع لمائة ألف شخص من المتفرجين ، ولخمسين ألفا من المشتركين في المهرجانات . وقد روعى في تخطيط المنطقة أن تسمح بانصراف هذا العدد الكبير من الأشخاص بعد الانتهاء من العرض في هدوء ونظام ، وفي دقائق معدودات

ولهذا أعيد تخطيط طرق المواصلات المختلفة ، خارج هذه المدينة ، وربطها بشبكة الطرق المحيطة بها ، كما روعى أن تكون مدينة نموذجية رائعة ، تحيط بها الحدائق الجميلة ، بالإضافة الى مناظر الجبل الأحمر الخلابة ، كما ستتخللها النافورات البديعة ، والآثار الفرعونية المختلفة ، لتكون أيضا متنزها للشعب ، يقصد اليه المواطنون للترويح عن النفس ، في غير أوقات المباريات (١)

وسيتكلف انشاء المدينة ، واقامة الاستاد والملاعب الأخرى المتفرعة عنه ، والمباني الكثيرة التي ستلحق به خمسة ملايين من الجنيهات . وقد بدى فعلا في تنفيذ المرحلة الأولى منها هذا العام . والمأمول أن تتم ، وتصبح حقيقة واقعة سنة ١٩٦٣ ، حيث تقام فيها الاحتفالات بمرور عشرة أعوام على الثورة المباركة ان شاء الله

كوبرى الجامعة :

ولتسهيل انتقال طلاب جامعة القاهرة من قلب المدينة الى الجامعة وبالعكس ، وتوفيرا لوقتهم الذى ينفقونه فى الدوران حول منيل الروضة والجزيرة والجزيرة ، للوصول الى جامعتهم ، وتخفيفا لضغط المواصلات على الكبارى والشوارع الموصلة للجامعة ، أنشأت حكومة الثورة كوبرى الجامعة العلوى ، وهو أطول كوبرى بالقاهرة ، اذ يبلغ طوله ٥٠٠ مترا ، وطول مدخله ٣٠٠ مترا ، وعرضه ٣٠ مترا ، وقد تكلف مليون

(١) انظر مجلة الشؤون البلدية والقروية العدد الاول

جنيه ، وهو كوبرى علوى ثابت ، لا يفتح أو يقفل لأغراض الملاحة ، ومع ذلك يسمح للمراكب بأن تسير من تحته ، مقام على سبع دعامات ، ذات فتحات مختلفة الأبعاد

ويصل هذا الكوبرى بين شارع قصر العينى بالقاهرة ، وشارع الجامعة بالجيزة رأسا ، اذ أن مدخله الشرقى يقع على امتداد شارع الأميرالسابق محمد على بالمنيل ، مارا فوق طريق كورنيش جزيرة المنيل ، الواقع خلف مستشفى المنيل الجديد . ويقع مدخل الكوبرى الغربى على امتداد شارع الجامعة بالجيزة ، مارا فوق شارع النيل

وباتمام هذا الكوبرى أصبح ميسورا للراجلين من طلبة كليات جامعة القاهرة وغيرهم الوصول من شارع قصر العينى الى الجيزة فى فترة لاتزيد على عشر دقائق . كما يعمل هذا الكوبرى على تخفيف الضغط عن باقى الكبارى بالعاصمة ، ويساعد على تنظيم حركة المرور . وقد تمّ بناؤه وأعد للمرور فى مايو سنة ١٩٥٨

وقد استتبع انشاء هذا الكوبرى ، واعداد مداخله،اعادة تخطيط عزبة المنيل القديم ، التى تطل على المدخل الشرقى للكوبرى ، وتقسيمها للبناء بشروط معينة ، وهدم الفيلا المقامة على شارع المنيل بالجيزة ، والتى كانت تعترض المدخل الغربى للكوبرى

تحسين طرق المواصلات :

لا ريب أن شق الشوارع الجديدة كان خطوة موفقة نحو تحسين المواصلات فى القاهرة . وقد أعقب هذه الخطوة ، تحويل خطوط الترام الى أطراف المدينة . ومصر هى الدولة الوحيدة من بين دول العالم المتمدين ، التى ما زالت تستخدم هذا الترام العتيق ، حتى اليوم . وقد استبدلت به الدول الأخرى التروللى باس . وقد شرعت مصر فى اتخاذ العدة لتسيير التروللى باس فى بعض شوارع القاهرة ، تمهيدا لتعميمه فى جميع الشوارع فى المستقبل القريب . لذا طرحت البلدية ، مناقصة فى الأسواق العالمية لهذا

الغرض . وبالتدريج سيحل الترولى باس محل هذا الترام ، الذى أصبح لايتفق وجلال النهضة الحديثة فى مصر

وقد تخلصت الحكومة من شركات الأتوبيس القديمة ، التى كانت تستنزف أموال الجمهور ، دون مراعاة صالحه ، اذ كانت سياراتها هالكة ، لا تعد الى تجديدھا أو اصلاحھا ، وأحلت محلھا سيارات جديدة فاخرة مريحة ، بيّقت على ٧٠٠ سيارة ، ربطت جميع أطراف المدينة بعضها ببعض ، فصار سكانھا ينتقلون من مكان الى مكان فى سهولة ويسر ، وفى وقت معقول ، فى أية ساعة من ساعات الليل أو النهار

كذلك تم تسيير أكثر من ٣٠٠ سيارة أجرة جديدة ، من أحدث طراز . وبهذا تحسنت المواصلات فى القاهرة تحسنا ملموسا ، وحثّت مشكلة أخرى من المشكلات التى كانت تقلق بال السكان ، وتقض مضاجعهم ، وتؤثر فى حياتهم اليومية أسوأ تأثير

وفضلا عن تسهيل شارع الكورنيش الانتقال الى ضاحيتى حلوان والمعادى ، فى وقت قصير ، فقد تمت أخيرا كهرة سكة حديد حلوان ، وانتظمت القطارات الذاهبة اليها ، وقصرت المدة الى نحو النصف للقاطنين بهاتين الضاحيتين

المدارس والمساجد المنشأة حديثا

المدارس :

وصلت المدارس الى قبيل قيام الثورة الى حالة يرثى لها . فلقد ازدحمت بالتلاميذ ازدحاما يعوق السير بالتعليم السير المنشود ، واكتظت الفصول بالناشئة اكتظاظا يحول بين المدرسين وأداء واجبهم على الوجه المرضي . وانحصر واجب المدرسين فى فرض النظام على حشود التلاميذ ، الذين تجمعوا فى الأبنية العتيقة ، التى كان يطلق عليها ظلما اسم المدارس . وصار قبول تلاميذ جدد ، فى مفتتح كل عام دراسى من المشاكل التى تواجهها وزارة التربية والتعليم كل عام ، ولكنها لا تستطيع لها حلا . وكل

ما كانت تستطيع عمله هو مضاعفة عدد التلاميذ في الفصول ، وعدم ترك مرفق من مرافق المدرسة ، دون تحويله الى فصول ، مثل دورات المياه ، والردهات ، والمطاعم . بل وأقيمت أكشاك خشبية في الأفنية لتكون فصولا . ومع هذا فلم يجند كل ذلك في حل مشكلة قبول التلاميذ . والغريب أن تعلن الحكومات المتعاقبة كل عام ، أنها دبرت أماكن لجميع التلاميذ ، ولا يوجد تلميذ بدون مكان ، الى غير ذلك من أقوال الدعاية ، التي كانت تتذرع بها لتوطيد مراكزها ، ودفع النقد عنها

والواقع انه منذ انقضاء الحرب الأوربية الثانية سنة ١٩٤٥ م . حتى قيام الثورة سنة ١٩٥٢ م لم تبني مدرسة واحدة في القاهرة ، وكانت الطريقة التي تتبعها وزارة التربية والتعليم ، كلما وجدت حاجة الى انشاء مدرسة جديدة ، هي استئجار المنازل ، وتحويلها الى مدارس ، بأجور مرتفعة ، كثيرا ما تكون الشفاعة والمحسوبية وغيرهما من الطرق التي كانت متبعة في الحكومة اذ ذاك ، العامل الأول في استئجارها . ولا تفكر الحكومة في استغلال الأراضي الفضاء والخرائب ، في بناء المدارس . ويصرح المسؤولون في وزارة التربية بجلء أفواههم أن سياسة الاستئجار أوفر وأكثر اقتصادا من تشييد المدارس . ومعلوم أن المنزل مهما كان حظه من الفخامة ، ومهما زركشت سقوفه وجدرانه ، وكان له حديقة يانعة ، فانه لا يصلح حتما لأن يكون معهدا من معاهد التعليم ، لأن لهذه شروطا خاصة تستلزمها طرق التربية ، لا تتوفر في المنازل أو القصور ، مهما كان حظها من الفخامة

لذلك واجهت وزارة التربية والتعليم في عهد الثورة مشكلة تتطلب حلا سريعا ، وعلاجا ناجعا . فعملت على انشاء مؤسسة لأبنية التعليم ، عهدت اليها بأن تنشئ بأموالها في كل سنة ٤٠٠ مدرسة خلال عشر سنوات ، في جميع أنحاء الجمهورية ، وبذلك يكون لنا في تمام عشر سنوات أربعة آلاف مدرسة جديدة ، يكمل بها عدد المدارس الابتدائية عشرة آلاف مدرسة ، تتسع لتعليم أبناء الشعب وبناته

وقد باشرت هذه المؤسسة عملها في جد وتنان ، فأنشأت بضع مئات من المدارس الابتدائية ، تصلح كل منها أن تكون بعد ساعات الدراسة ، ناديا ومركزا اجتماعيا عاما . وقد خص القاهرة من تلك المدارس بضع عشرات ، أنشئت في أحياء شبرا والعباسية وعابدين ، والسيدة زينب ، والخليفة ، ومصر القديمة ، والدقي ، والعجوزة ، والزمالك وغيرها

والمدارس الجديدة نموذج جيد لما يجب أن تكون عليه هندسة المدارس . وتحمل طابعا يتفق وروح الثورة المجددة المتحررة . فهي فضلا عن متانة جدرانها ، يتخللها النور وضوء الشمس ، وتتوفر فيها أسباب الصحة ، وتستكمل جميع المرافق اللازمة للمدرسة كي تؤدي رسالتها على الوجه الأكمل ، ولتكون مركزا للإشعاع في الحى الذى تقوم فيه ، اذ أن أفنيتهما الواسعة تكفل لأهل الحى أن يجتمعوا بهيئة التدريس في المدرسة لدراسة مشاكل أبنائهم وبناتهم ، وللإستماع الى محاضرات عامة توسع من ثقافة أهل الحى ، ولحضور الحفلات التى تقيمها المدرسة ، كي يقف أولياء الأمور على مدى نشاط أبنائهم فى النواحي الاجتماعية والثقافية والرياضية

المساجد :

وقد كانت بعض الأحياء خالية من المساجد ، فيضطر سكانها لإقامة الصلاة على قطع من الأرض الفضاء ، يسورونها بما تيسر من البوص والغاب وقطع الأخشاب والأحجار

لذلك سارعت وزارة الأوقاف الى سد هذا النقص ، وشيدت فى كل حى من تلك الأحياء مسجدا ، بسيط المظهر ، ولكنه جميل فى محتوياته وأثاثه وزخارفه : أحدها فى الروضة ، وثانيها فى الدقي، وثالث بالممالك ، ورابع بمنتصف شارع النهضة ، المحاذى لحديقتى الأندلس والنهر، وخامس عيدان التحرير، تخليدا لذكرى زعيم المقاومة الشعبية ، والكرامة الوطنية ، المرحوم السيد عمر مكرم

وحرصت وزارة الأوقاف على أن تكون هذه المساجد بيوتا للعبادة ،

ودورا للتثقيف الدينى . فزودتها بمكتبات تجمع بعض الكتب الدينية ، من مصاحف وكتب التفسير والفقه ، ورتبت فيها دروسا دينية ، يلقيها بعض علماء الدين

وألحقت بهذه المساجد مظلات جميلة ، حتى لا يصلى الناس على الأفاريز ، وفى عرض الطريق ، اذا ما ضاق بهم المسجد ، وانما يصلون تحت هذه المظلات ، التى تحميهم من وهج الشمس صيفا ، ومن المطر شتاء

المباني المجمع :

ويشاهد زائر القاهرة اليوم مباني ، غاية فى الضخامة والمتانة والارتفاع ، لا عهد لها بها ، يشبه الواحد منها قصر التيه أو اللايرانت الذى بناه امنحيت الثالث ، عند هواره فى الفيوم . بل انه يشبه قلعة ضخمة أو مدينة عظيمة

وهذه المباني المجمع على نوعين : أحدهما حكومى ، يضم عددا كبيرا من مصالح الحكومة وفروعها ، كمبنى المجمع بميدان التحرير ، ومبنى وزارة الصحة بشارع مجلس الأمة . ونوع ثان قامت بتشيدته وزارة الأوقاف ، اسهاما منها فى تفريج أزمة السكن ، واستثمارا لأراضيها الفسيحة ، واستغلالا لأموالها المدخرة ، فى المشروعات الوطنية النافعة . فأنشأت مجمعين عظيمين بحى الدقى

وقد أعدت مشروعات لانشاء مجمعات أخرى ، تكون بمثابة مدن مستقلة ، لما يتوافر فيها من أنواع الحياة ووسائلها ، من أسواق وشركات ومصارف ومكاتب وغيرها. وأول هذه المشروعات مدينة العتبة والآخر عمارات شبرد وأنشأت وزارة الأوقاف أيضا عددا من العمارات السكنية الحديثة ، فى أحياء مختلفة من مدينة القاهرة ، لكى ينتفع بها المواطنون على اختلاف طبقاتهم ، فزادت من جمال القاهرة وبهائها ، ولأنها بنيت مكان خرابات ومباني متهدمة ، كانت تؤذى النظر ، ولا تسر النفس . وقد تم خلال العام الماضى والحالى من هذه العمارات :

عمارة الرفاعى بالقلعة ، وعمارة بامبابة ، وثالثة بأرض النقشبندية بشارع درب الجمايز ، ورابعة بجوار مدفن الشيخ بركات بجاردن سیتی، وخامسة شرقى سوق الخضر بالعتبة ، وسادسة بميدان الخازندار . وهناك عمارات فى دور الاعداد والتنفيذ ، منها عمارة شارع ماسبيرو بالقاهرة

— ٤ —

القاهرة مركز الحكم للجمهورية العربية المتحدة

ظلت القاهرة منذ نشأتها الأولى ، حتى اليوم ، أى منذ حوالى ألف عام ، مقر الحكم . وهى اليوم عاصمة الجمهورية العربية المتحدة الفتية ، ومركز الحكومة الاتحادية أو الهيئة التنفيذية ، ومكان الهيئة التشريعية أو مجلس الأمة ، ومستقر قيادة الجيش الباسل

ونظرا لأن نظام الحكومة الحالى فى الجمهورية العربية المتحدة هو النظام الجمهورى الرئاسى ، أى أن رئيس الجمهورية هو رئيس الهيئة التنفيذية ، أو بمعنى آخر رئيس الوزراء ، فإن رئيس الجمهورية على هذا الاعتبار يقيم فى القصر الجمهورى ، بميدان الجمهورية أو القصر الجمهورى بالقبة ، ويقيم باعتباره رئيس الهيئة التنفيذية فى مبنى رئاسة مجلس الوزراء ، القائم فى نهاية شارع مجلس الأمة ، عند التقائه بشارع القصر العينى ، وأمام مبنى مجلس الأمة

وتتألف الهيئة التنفيذية من الوزارات المختلفة . وتقع أغلبها فى حى الوزارات ، فى المنطقة التى يحدها من شرقها شارع نوبار (باشا) ، ومن غربها شارع القصر العينى ومن جنوبها شارع المتديان ومن شمالها شارع الشيخ ريحان . فتوجد فى هذه المنطقة وزارة الداخلية ، ووزارة الصحة ، ووزارة العدل ، ووزارة المالية والاقتصاد ، ووزارة التربية والتعليم ، ووزارة الدفاع ، ووزارة التجارة ، ووزارة الأشغال ، ووزارة

المواصلات ، ووزارة الشؤون البلدية والقروية والتخطيط ، ووزارة الشؤون الاجتماعية ، ووزارة التموين ، ورئاسة مجلس الوزراء

وتوجد الوزارات الأخرى خارج هذه المنطقة : فتقع وزارة الزراعة في حي الدقى بالجيزة ، وكذلك وزارة الصناعة اذ تقع بشارع التحرير بالقرب من كوبرى التحرير « الكوبرى الانجليزى سابقا » ، ووزارة الارشاد القومى ، واللجنة العليا للإصلاح الزراعى فى القصر الجمهورى ، ووزارة الخارجية بميدان التحرير بالقرب من كوبرى قصر النيل (كوبرى التحرير حاليا) ، ووزارة الأوقاف بشارع محمد صبرى أبو علم بالقرب من ميدان الأزهار

ولكل من هذه الوزارات مصالح وإدارات تابعة لها ، ومتفرعة عنها ، منبثة فى قلب المدينة أو قائمة فى ضواحيها ، فى مبان خاصة بها . غير أن كثيرا منها يوجد بمبنى المجمع بميدان التحرير ، وهو يضم عددا كبيرا من المصالح الحكومية ، التابعة لوزارات مختلفة ، كما يوجد بمجمع وزارة الصحة ، بشارع مجلس الأمة كثير من المصالح التابعة لوزارة الصحة . وبعمارة التأمين بميدان لافوغلى كثير من المصالح التابعة لوزارات كثيرة . وبحى الدقى والجيزة أغلب المصالح التابعة لوزارة الزراعة

مجلس الأمة :

ويوجد مجلس الأمة بسراى وزارة الأشغال ، فى الناحية القبلية منها ، بشارع مجلس الأمة ، تجاه مبنى رئاسة مجلس الوزراء . وقد كان يجاوره مبنى مجلس الشيوخ ، الذى تحول الآن ، بعد أن ألغى ذلك المجلس ، الى مقر المجلس الدائم للخدمات العامة

ثكنات الجيش المصرى :

وتوجد ثكنات الجيش المصرى فى المنطقة الممتدة من العباسية حتى منشية البكرى ، وعلى طول الطريق الموصل بينهما ، وعلى كلا جانبيه ،

يبهر ناظريك ، الحصون والقلاع ، والثكنات والمعسكرات ، تعج بالمدافع والدبابات والأسلحة المختلفة ، وترى الجنود والضباط والقواد في حركات دائبة ، ونشاط مستمر ، الكل على أهبة الاستعداد ، لكل طارئ مفاجيء وفي مصر الجديدة وألماظة ، توجد ورش الجيش ومصانعه ، وحظائر الطائرات والمطارات الحربية والمدنية ، وترى أسراب الطائرات تحوم في سمائها ، وتقطع سكون الفضاء بأزيزها

وقد شيد للمدرسة الحربية أخيرا مبنى ضخم بمصر الجديدة ، يتفق وروح الثورة ، من حيث ضخامته واتساعه ، وفخامته ومتانة بنيانه . وتوجد كلية الطيران بمدينة بليس ، على مسيرة ساعة تقريبا من القاهرة

جامعة الدول العربية :

ونظرا لما تعلقه الدول العربية على مصر من أهمية في ادراك أمانها ، وبلوغ أهدافها ، وتمكين للقومية العربية ، واعلاء لشأن العرب ، واستعادة حضارتهم القديمة ، فقد اتفقت على أن يكون مقر جامعة الدول العربية والادارات المتصلة بها بمدينة القاهرة . فيوجد مبنى الجامعة في قصر البستان بشارع يوسف الجندي بالقرب من ميدان الأزهار . كما يوجد قصر الضيافة التابع للجامعة بسرأي المناسترلى بالروضة

المؤتمر الاسلامى :

كذلك انتهى التفكير الى ضرورة قيام هيئة تربط بين الدول الاسلامية بعضها ببعض ، بصرف النظر عن جنسياتها ، ودون التقيد بجامعة الدول العربية ، فقامت أخيرا هيئة المؤتمر الاسلامى ، وكان طبيعيا أن يكون مقرها القاهرة ، قلب العالم الاسلامى النابض ، وقطب رحاه . وواسطة العقد بين هذه الدول ، وساحة لقاءها . وقد اتخذ المؤتمر الاسلامى مقرا له بحى الزمالك بشارع حسن صبرى

الاقسام الادارية لمدينة القاهرة

الاقسام الادارية ، ومساحة كل قسم ، وعدد السكان حسب الاحصاء العام لسنة ١٩٤٧ (١)

جملة عدد السكان	مساحة الشياخة بالكيلو متر المربع	عدد السكان	الاقسام والشياخات
	١٧٠٣ر	٧٥٤٢٢	الازبكية : وتشتمل على الشياخات الآتية : التوفيقية • الجيارة • الزهار • الظاهر • الفجالة • القبليّة • القلي • قنطرة الدكة • كلوت بك
	٤٤٦٩ر	١٠٧٦٩٢	الجمالية : وتشتمل على الشياخات الآتية : البيرقدار • الجمالية • الحرنفش • الحواص • الدراسة • السلطان برقوق • الشعراني • العطوف • الكوردي • المشهد الحسيني • اليهود الربانيين • اليهود القرائين • باب الفتوح • بين السورين • خان الخلي • قايتباي • قصر الشوق
	٢٥٤٢٠ر	١٢٢١٩٤	الخليفة : وتشتمل على الشياخات الآتية : الامامين • البساتين • البقلي • التونسي • الخطابة • الحليمية • الخليفة • السيدة عائشة • الصليبية • القادرية • المحجر • درب الحصر • درب غزية • عرب اليسار
	٢٧١٠ر	١٢٢٠٨٠	الدرب الاحمر : ويشتمل على : الازهر • الباطنية • الحمزاوى • الداودية • الدرب الاحمر • السروجية • العمرى • الغريب • الغورية • القربية • المجاورين • المغربلين • باب الوزير • تحت الربع • حارة الروم • درب سعادة • درب شغلان • سوق السلاح
٤٢٧٣٨٨			

١ - تعداد سكان المملكة المصرية (الجمهورية المصرية) لسنة ١٩٤٧ ، الجزء الاول ، الكراسة
رقم ١٥ ، محافظة القاهرة

الاقسام والشيخات	مساحة الشيخة بالكيلومتر المربع	عدد السكان	جملة عدد السكان
السيدة زينب : ويشتمل على الشيخات الآتية : الانشاء • البغالة • الحنفى • الدرب الجديد • السباعين • السيدة زينب • العتريس • العينى • الكبش • جاردن ستى • خيرت • درب الجمايز • زينهم • سنقر • طولون	٤٠٥٠ ر	١٩٢٧٠٥	٤٢٧٣٨٨
الموسكى : ويشتمل على : العشماوى • كوم الشيخ سلامة • المناصرة • درب الجنينة • درب المهايل	٥٨٨ ر	٣٥ ٩٦٣	
الوايل : يشتمل على الشيخات الآتية : الحدائق • الخاصة • الدمرداش • الزعفران • السرايات • السكاكينى • العباسية البحرية • العباسية الشرقية • العباسية الغربية • العباسية القبليّة • القبيسى • المحمدى • الوايل • بين الجنانين • جنانين الوايلية • حدائق القبة • غمرة • كوبرى القبة • منشية الصدر	١٥٧٧٨ ر	٢٠٧٣٨٠	
باب الشعرية : ويشتمل على الشيخات الآتية : البنهاوى • الجامع الاحمر • الرملى • الشنبكى • العوالى • الطمار • العدوى • الفاروقية • المنسى • باب البحر • باب الشعرية • بركة الرطلى • درب الاقماعية • درب النوبى • درب مصطفى • سيدى مدين	١٨٨٤ ر	١٣٢٨٢٤	٩٩٦٢٦٠

الاقسام والشيخات	مساحة الشيخة بالكيلو متر المربع	عدد السكان	جملة عدد السكان
بولاق : ويشتمل على الشيخات الآتية : أبو العلاء . الاحمدين . الترجمان . الجلادين . الجواير . الحوتية . الخطيري . السبتية . السندبيسي . الشيخ علي . العدوية . الفرنساوي . القلاية . تاج الدول . جزيرة امبابه . جزيرة ميت عقبة . حوض الزهور . درب الشيخ فراج . درب نصر . سنان باشا . سوق العصر . شركس . عزبة عبد النعيم . عشش النخال . كفر الشوام . كفر الشيخ اسماعيل . ميت عقبة . ميت كردك	١٣٧٠٨	٢٣٢٤٢٣	٩٩٦٢٦٠
روض الفرج : ويشتمل على الشيخات الآتية : ابن الرشيد . اسعد . ساحل روض الفرج . قصورة الشوام . المبيضة . برهام . جزيرة بدران . روض الفرج . طوسون	٤٧٨٩	١٩٣٩٠٦	
شبرا : وتشتمل على الشيخات الآتية : الاميرية . البراد . الزاوية الحمراء . الشرايبة . الشماشرجي . العزب . جسر شبرا . شريف باشا . منية السرج	٢٥٧١٨	٢٢٧٠٠٣	
عابدين : وتشتمل على الشيخات الآتية : الاسماعيلية . البلاقسة . الجزيرة الجديدة . الجيزة . الخرطة الجديدة . الدقى . الدواوين .			١٧٦٤٩٥٩٢

الاقسام والشيخات	مساحة الشياخة بالكيلو متر المربع	عدد السكان	جملة عدد السكان
الزمالك البحرية • الزمالك القبلية • المساحة • الشيخ عبد الله • الفوالة • باب اللوق • بين السرايات • ثروت باشا • حارة السقاين • خرطة البرنسات • رحبة عابدين • عبد الرحيم صبرى • عجوزة الزمالك • عجوزة الصعايدة • عجوزة الكفاروة • عزبة البرنسية فاطمة هانم • غيط العدة • قصر الدوبارة • محطة بولاق الدكرور • معروف	٦٨٠١	١٥٩٣٠٠	١٦٤٩٥٩٢
مصر الجديدة : وتشتمل على الشيخات الآتية : البستان • الحلمية • الزيتون الشرقية • الزيتون الغربية • الزيتون القبلية • العزب • الماظة • المطرية • المنتزه • تل الحصن • خارجة المطرية • عرب الطوايلة • عزبة النخل • عين شمس الشرقية • عين شمس الغربية • كفر فاروق • منشية البكرى	٥٥٠٦٦	١٦٤٩١٩	
مصر القديمة : وتشتمل على الشيخات الآتية : أبو السعود والمدابغ • أثر النبى • الانور • الخوخة والقناية • الديورة • الروضة • الكفورة • وساعى البحر • المعادى • المنيل • دار السلام • قم الخليج • كوم غراب	١٦٦٤٨	١١٦٨٤٣	
	١٧٨٦٣٢ ك م م		٢,٠٩٠,٦٥٤ نسمة

القاهرة مركز الثقافة في مصر

مركز مصر الثقافي في الشرق :

تسنت مصر في القرن الحالى مركز الزعامة في المحيطين العلمى والثقافى، فى الشرق عامة ، والعالم الاسلامى خاصة ، عن جدارة واستحقاق ، بما أنجبت من علماء ومفكرين وكتاب وأدباء وشعراء وفقهاء ومن رجال القانون ، وما تزخر به المكتبة العربية من بحوث علمية ، ورسالات أدبية ، ودراسات فقهية ، وموضوعات تاريخية وجغرافية وفلسفية ، وقصص طويلة وقصيرة ، موضوعة ومترجمة عن اللغات الأخرى ، وما تخرجه المطابع المصرية من صحف ومجلات ودوريات ، بلغت حدا كبيرا من الأناقة ، وحسن التبويب ، وغزارة المادة ، وقوة الأسلوب ، ووفرة ما أنشئ فيها من معاهد ثقافية ، وجمعيات علمية ، ومحافل أدبية ، ونواد اجتماعية تضرب فى كل فن من فنون العلم والمعرفة . وقد شاركها فى هذه النهضة أعلام الثقافة ممن أنجبتهم البلاد العربية الشقيقة

ولقد تركزت النهضة العلمية ، والحركة الثقافية فى القاهرة ، حتى غدت بحق منار العلم ، ومبعث النور فى الشرق الاسلامى . منها تنتشر شمس الحضارة والعلم على ربوعه ، ويفد عليها طلابه من كل حذب وصوب ، يرتشفون العلم فى معاهدها ، وينهلون من معين معرفتها . ثم يعودون الى بلادهم لينشروا ما تعلموه بين أهليهم ومواطنيهم ، ذاكرين لمصر كرم ضيافتها ، وحسن وفادتها ، وفتحها لهم أبواب معاهدها على مصاريعها ، وتيسير مهمتهم بكل ما أوتيت من جهد

جامعة القاهرة :

وفى الأورمان بالجيزة ، وعلى مسيرة نصف ساعة من قلب القاهرة ، تقوم كالطود الشامخ جامعة القاهرة ، أم الجامعات المصرية ، وأكبر جامعات

الشرق ، بكلياتها الاحدى عشرة ، على مساحة كبيرة من الأرض ، وهذه الكليات هى :

١ - كلية الآداب ٢ - كلية الحقوق ٣ - كلية التجارة ٤ - كلية العلوم
٥ - كلية الطب البشرى ٦ - كلية الصيدلة ٧ - كلية طب الأسنان ٨ -
كلية الهندسة ٩ - كلية الزراعة ١٠ - كلية الطب البيطرى ١١ - كلية دار
العلوم

وتوجد جميع هذه الكليات بالأورمان ، فيما عدا كلية دار العلوم التى
توجد فى حى المنيرة ، وكليات الطب ، وطب الأسنان ، والصيدلة ، فتوجد
فى القصر العينى ، والمستشفيات الجامعية ، وتوجد فى منيل الروضة ، وقسم
الجغرافيا التابع لكلية الآداب وقسم الآثار فيوجدان فى ميدان الرماحة ،
بشارع الجزيرة

وتوجد مباني كليات الحقوق والآداب والتجارة والعلوم ، وكذا الادارة
العامة ، والمكتبة الرئيسية على مساحة من الأرض ، تبلغ أربعة وأربعين
فدانا . وتشغل مباني المستشفيات الجامعية وملحقاتها بمنيل الروضة أربعة
وأربعين فدانا أخرى (١) . أما كليات الهندسة والزراعة والطب البيطرى،
فتوجد فى مبان منفصلة بالجزيرة ، قرية من المبنى العام

قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة :

وملحق بمبنى الادارة العامة قاعة كبرى للحفلات والمؤتمرات الدولية ،
والمحاضرات العامة ، مساحتها ٣١٠٦ مترا مربعا ، تتسع لنحو ٣٥٠٠
شخصا ، وقد أعدت اعدادا خاصا للاذاعة ولعرض الأشرطة السينمائية

المكتبة العامة :

ويوجد فى حرم الجامعة مبنى المكتبة العامة ، فى بناء كبير مستقل ، على
أحدث طراز ، خلف كلية الآداب . وتشتمل على كل ما هو محفوظ فى

(١) تقويم جامعة القاهرة ١٩٥٤ - ١٩٥٥

المكتبة الرئيسية وفي المكتبات الفرعية بالكليات من الكتب المطبوعة والمخطوطة ، والنشرات الدورية ، والجرائد والخرائط والنماذج ، والصور الحفرية والفوتوغرافية ، والنقود والأنواط وأوراق البردى والأحجار الأثرية ، والأشرطة السينمائية وأشرطة التسجيل ولوحات الفانوس السحري وغير ذلك

وتزيد مجموعة الكتب التي تحويها المكتبة الرئيسية وحدها على ٢٢٥٠٠٠ مجلد في مختلف الآداب والعلوم والفنون ، باللغات الأوربية والعربية والتركية والفارسية والأردية والحشية وغيرها . هذا عدا مجموعات كبيرة من المجلات العلمية والمجلات ذات الصلة العامة ، مثل مجلات الآداب والفنون والاجتماع

ولما كانت جميع كليات الجامعة غير موجودة في مكان واحد ، فقد أنشئت مكتبات فرعية في مختلف الكليات ، بلغ عددها خمس عشرة مكتبة . وبإضافة الكتب التي توجد بالمكتبات الفرعية الى مجموعات الكتب المحفوظة بالمكتبة الرئيسية ، يبلغ المجموع أربعمئة وستة وثلاثين ألف مجلد

المعاد الملحقه :

ويتبع بعض كليات الجامعة معاهد عالية ، أهمها :

- ١ - كلية الآداب ويتبعها معهد الدراسات الافريقية السودانية
- ٢ - كلية الحقوق : ويتبعها معهد الدراسات الجنائية ومعهد الدراسات الادارية والمالية ، ومعهد العلوم السياسية
- ٣ - كلية العلوم : ويتبعها معهد الأرصاد الجوية بحلوان ، ومعهد علوم البحار بعثاقه بالسويس وتتبعه محطة الأحياء البحرية بالغردقة
- ٤ - كلية الطب : ويتبعها معهد القاهرة للصحة وطب البلاد الحارة والمستشفيات الجامعية بمنيل الروضة ، ومدرسة المولدات والمرضات بمستشفى قصر العيني

استاد الجامعة :

وللجامعة استاد كبير يشتمل على ميادين وساحات للألعاب الرياضية ملحق به أبنية فخمة لاجتماع الاتحادات الرياضية ، وإدارة شئونها . وهذا الاستاد والمباني الملحقة به مقام على مساحة من الأرض تبلغ ثلاثة وأربعين فدانا ، في الجهة الغربية من شارع عبد الخالق ثروت بالجيزة

المدينة الجامعية :

أنشئت هذه المدينة على اثني عشر فدانا في الاستاد الجامعي ، لسكنى الطلاب والطالبات ، ممن يقدون على الجامعة من خارج القاهرة ، اسوة بجامعات أوروبا الكبرى . وقد تم الى الآن من المدينة الجامعية مبان ، وكذلك مبنى المطعم والنادي . والجامعة في سبيل اتمام بقية مباني المدينة

مطبعة الجامعة :

كانت الجامعة تعتمد في انجاز مطبوعاتها على المطبعة الأميرية ، وبعض المطابع الأهلية ، حتى أواخر سنة ١٩٤٥ ، حيث أنشئت للجامعة مطبعة خاصة ، تقوم بطبع جميع المطبوعات الادارية بالجامعة وبقية الكليات ، وكذلك الرسائل والمجلات والكتب والأبحاث العلمية

حفائر الجامعة :

تقوم كلية الآداب ، بجامعة القاهرة ، بدراسات عملية للكشف عن تاريخ مصر القديم ، واستجلاء حقائقه . ولذلك تقوم بعثات تابعة للكلية بالحفائر في ثلاث مناطق ، تمثل كل منطقة عصرا خاصا هي :

- ١ - حفائر المعادي ، وتمثل عصر ما قبل التاريخ ٢ - حفائر الأهرام ، وتمثل عصر صدر التاريخ الفرعوني ٣ - حفائر تونا الجبل ، وتمثل نهاية العصر الفرعوني وبداية العصر اليوناني

وقد نجحت البعثات الثلاث في الكشف عن حقائق خطيرة ، أضافت الى تاريخ مصر القديم معلومات هامة . وما تزال تواصل عملها في صبر وإناة

جامعة عين شمس :

وفي حي العباسية ، شمال شرقى القاهرة ، توجد الجامعة الثانية في القاهرة ، وهى جامعة عين شمس ، وتشتمل على عدد من الكليات مماثل لعدد الكليات في جامعة القاهرة بنقص كليتين هما : كلتا الطب البيطرى ، والصيدلة ، وزيادة معهدين للتربية : أحدهما للبنين ، والثانى للبنات وتوجد الادارة العامة لهذه الجامعة بمبنى سراى الزعفران بالعباسية ، كما توجد به أيضا كلية العلوم . وتوجد كلتا الحقوق والهندسة بشارع السرايات بالعباسية . وتوجد كلية الآداب بشارع شبرا ، وكلية التجارة بشارع اسماعيل سرى بالمنيرة ، وكلية الطب بمستشفى الدمرداش بشارع نهضة مصر « الملكة سابقا » ومعهد التربية للمعلمين بشارع أمين سامى بالمنيرة ، ومعهد التربية للمعلمات بشارع اسماعيل محمد بالزمالك ، وكلية الزراعة بمسطرد

المعاهد العليا :

وبالإضافة الى هاتين الجامعتين ، توجد معاهد عالية أخرى ، تشرف عليها وزارة التربية والتعليم مباشرة هى :

- ١ - كلية المعلمين العليا بمنشية البكرى ٢ - المعهد العالى للتربية الفنية للمعلمين ٣ - المعهد العالى للتربية الرياضية للمعلمين بالهرم ٤ - المعهد العالى للتدبير المنزلى والفنون للفتيات ببولاق ٥ - المعهد العالى لمعلمات الموسيقى ٦ - المعهد العالى للفنون الجميلة للمعلمات ببولاق ٧ - المعهد العالى للتربية الرياضية للمعلمات بالجزيرة ٨ - المعهد العالى للخدمة الاجتماعية للفتيات بجاردن سيتى ٩ - كلية الفنون الجميلة بالزمالك ١٠ - كلية الفنون التطبيقية بالأورمان ١١ - المعهد العالى لفن

التمثيل ١٢ - المعهد العالى للموسيقى ١٣ - مدرسة الخدمة الاجتماعية
بالقاهرة ١٤ - مدرسة الألسن بالدقى ١٥ - المعهد الثقافى العالى للبنات
بالزمالك

الجامعة الأزهرية :

وتوجد الجامعة الأزهرية التى ما زالت تؤدى رسالتها منذ عشرة قرون
فى شرق القاهرة . فى حي الأزهر . وتوجد الادارة العامة فى مبنى ضخم
مقابل للجامع الأزهر . وفيما يلى بيان بالمعاهد والكليات التى تنظمها
الجامعة الأزهرية :

١ - القسم العام بالأزهر الشريف ٢ - معهد القاهرة بالدراسة ٣ -
معهد البحوث الاسلامية بشارع البرمونى بحى عابدين ٤ - كلية الشريعة
الاسلامية بالدراسة ٥ - كلية اللغة العربية بالدراسة ٦ - كلية أصول
الدين بشبرا . - هذا عدا أقسام الاجازات ومعهد القراءات

مدارس التعليم العام :

وتوجد بالقاهرة ، بالاضافة الى معاهد التعليم العالى مدارس لجميع
مراحل التعليم الأخرى : ابتدائية وثانوية وفنية ، وفيما يلى بيان بمدارس
القاهرة ، علما بأنه نظرا لاتساع القاهرة فى الوقت الحالى ، فقد قسمت
الى منطقتين : شمالية وجنوبية (١) ، وتشرف على مدارس كل قسم ادارة
تعليمية خاصة : المنطقة التعليمية للقاهرة الشمالية ومقرها بالعباسية ،
والمنطقة التعليمية للقاهرة الجنوبية ومقرها بمبنى المجمع بميدان التحرير :

(١) قسمت القاهرة اخيرا الى ثلاث مناطق تعليمية هى : القاهرة الشمالية والقاهرة الوسطى
والقاهرة الجنوبية ، ووزعت مدارس القاهرة ومعاهدها التعليمية على هذه المناطق الثلاث .
واتخذت منطقة القاهرة الوسطى مقرا لها بشارع شبرا

الجملة العامة	جملة التلاميذ		عدد الفصول	عدد المدارس	نوع التعليم (١)	
	بنات	بنون				
٤٧٧١	١٨٤٤	٢٩٢٧	٠١٤٢	٦٠	حضانة	١
١٤٠٠٣٩	٥٨٤٣٢	٨١٦٠٧	٣٠١٥	٢٨٦	ابتدائي أميري	٢
٩٢١٥٣	٣٣٠٩٩	٥٩٠٥٤	٢٦٣٢	٣٥٠	» حر معان	٣
١٤٢٦٤	٥١٤٦	٩١١٨	٠٤٣٤	١١٣	» » غير معان	٤
٣٢٥٧	٢١٢٦	١١٣١	٠١٣٨	٢٦	معاهد شواذ ومؤسسات	٥
١٤٢٦	٩٩٦	٤٣٠	٠٠٤٢	٠٤	ابتدائي راق	٦
٤٢٧٧٦	١٥٣٥٥	٢٧٤٢١	١٢٤٣	٨٢	اعدادي أميري	٧
٢٨٩٨٥	٩٨٧٢	١٩١١٣	٠٧٠٥	٩٨	» حر معان	٨
٢٣٨٠	٨٠٥	١٥٤٥	٠٠٩٠	٢٥	» » غير معان	٩
٢٢٥٩٣	٥٥٢٨	١٧٠٦٥	٠٦٦٤	٣١	ثانوي أميري	١٠
٧٨١٣	١٤٢٣	٦٣٩٠	٠٢٦٨	٢٤	» حر معان	١١
١٠٧٦	٢٦٨	٨٠٨	٠٠٢٦	٠٣	» » غير معان	١٢
٩٥٤	—	٩٥٤	٠٠٩٧	٠٥	اعدادي فني صناعي	١٣
٢١٦	٢١٦	—	٠٠٠٨	٠٢	» فني تجاري	١٤
١٩١٩	—	١٩١٩	٠١٤٩	٠٦	ثانوي فني صناعي	١٥
٢٤٥٩	٥٦٣	١٨٩٦	٠٠٩٩	٠٦	» » تجاري	١٦
٢٢٠	—	٢٢٠	٠٠١٠	٠١	» زراعي	١٧
١٥٥٣	١٥٥٣	—	٠٠٦٧	٠٥	» » نسوي	١٨
٣٩٨٢	٢٨٦٢	١١٢٠	٠١٢١	٠٨	معلمين ومعلمات عامة	١٩
٥٠٦	—	٥٠٦	٠٠١٥	٠١	» » خاصة	٢٠
٦٦٠	٢١١	٤٤٩	٠٠٢١	٠٢	» » فرنسية	٢١
٤٢٠٣٢	٢٤٧٥٨	١٧٢٧٤	١٣٥٠	٩٣	مدارس أجنبية	٢٢
٤١٦٠٣٤	١٦٥٠٨٧	٢٥٠٩٤٧	١١٣٠٦	١٢٤٣	الجملة	

(١) المفكرة الإحصائية للتعليم ، الصادرة عن إدارة الإحصاء بوزارة التربية والتعليم المصرية ،
للعام الدراسي ١٩٥٥ - ١٩٥٦

الهيئات الثقافية العلمية

وفي القاهرة عدد غير قليل من الهيئات التي تسهم في خدمة العلم والثقافة العامة ، يتوفر أعضاؤها على الدرس والبحث ، وتلقى فيها المحاضرات انعاماً ، وتحتوى مكتباتها على عدد وافر من الكتب والمراجع ، وتصدر النشرات والكتب والمجلات العلمية والثقافية . ونذكر هنا على سبيل المثال بعضاً من تلك الهيئات :

(١) الهيئات الثقافية :

١ - الاتحاد الثقافي المصري : بشارع الهامى ، بقصر الدوبارة ، بالقاهرة ، ويقوم بتنظيم سلسلة من المحاضرات والمناظرات والأحاديث ، يلقيها أعضاء الاتحاد أنفسهم ، أو من يدعى لذلك من رجال الفكر والعلماء

٢ - الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية : ١٠٢ شارع فاروق الأول بالعجوزة ، بالقاهرة . وهى قسم من الأمانة العامة ، لجامعة الدول العربية . ومن أخص واجباتها ترجمة أمهات الكتب العالمية فى اللغات المختلفة الى اللغة العربية ، وجمع صور للمخطوطات ، وتدعيم العلاقات الأثرية بين البلاد العربية ، وعقد المؤتمرات ، واقامة المعارض الثقافية

٣ - الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية : ٨٨ شارع القصر العينى بالقاهرة . وتقوم بدراسة المسائل الاجتماعية فى مصر ، واثارة اهتمام الجمهور بها ، واعداد المشتغلين بالخدمة الاجتماعية ، وتدريبهم ، ومن أهم مشروعاتها انشاؤها مدرسة الخدمة الاجتماعية بالقاهرة سنة ١٩٣٧ ، واجراؤها تجارب لاصلاح القرية

٤ - جمعية المعلمين : ٢ شارع عدلى باشا بالقاهرة ، وتنظم موسماً سنوياً للمحاضرات والبحوث والمناظرات ، وتدعو رجال العلم والتربية ، من مصريين وأجانب ، الى القاء المحاضرات التى تفيد رجال التعليم والمهتمين بشئونهم وتصدر عنها مجلة ، هى مجلة العلوم

٥ - جمعية المكتبات المصرية : بقصر الدوبارة . ومن أغراضها توثيق الروابط بين المشتغلين بالمكتبات ، وإفساح المجال أمامهم ، لرفع مستواهم العلمى والمادى ، مما يساعد على النهوض بالمكتبة الى المستوى اللائق برسالتها فى المجتمع المصرى . وتصدر الجمعية نشرة باللغتين العربية والانجليزية

٦ - رابطة التربية الحديثة : ١٣ ميدان التحرير بالقاهرة . وتعمل على النهوض بأساليب التربية ، وتعتمد فى تحقيق أغراضها على لقاء المحاضرات وإقامة المؤتمرات وتنظيم الرحلات العلمية والأبحاث التربوية وإصدار كتب فى التربية

٧ - قسم الخدمة العامة بالجامعة الأمريكية : ١١٣ شارع القصر العينى بالقاهرة . وهدفه نشر الثقافة العامة للجمهور عامة ، وتنوير الأذهان فى المشكلات التى يواجهها المجتمع المصرى ، مستعينة بالمحاضرات العامة والسينما الثقافية ، والبحوث الخاصة والكتب والنشرات

(ب) الهيئات العلمية :

١ - الأكاديمية المصرية للعلوم : بدار الحكمة : ٤٢ شارع القصر العينى بالقاهرة . وهدفها تشجيع البحوث العلمية ، بكل الوسائل الممكنة ، ونشر هذه البحوث فى مجلة الأكاديمية

٢ - جمعية الآثار المصرية : ١١ شارع الألفى بالقاهرة . ومن أهم أغراض الجمعية لقاء المحاضرات عن الفنون والآثار الإسلامية ، والمساعدة على نشر الوثائق العلمية والمؤلفات المتعلقة بالفنون والآثار الإسلامية

٣ - جمعية الآثار القبطية : ١٥ شارع والدة باشا بالقاهرة . وتعمل على دراسة كل ما يتصل بالعصر القبطى فى تاريخه ولغته وفنونه ، بلقاء المحاضرات ونشر المؤلفات المتصلة بالآثار القبطية والمساهمة فى صيانة الآثار القبطية

٤ - الجمعية الجغرافية المصرية : بشارع القصر العيني ، بحديقة وزارة الأشغال العمومية . أنشئت في ١٩ مايو سنة ١٨٧٥ لدرس وتنشيط العلوم المتعلقة بالجغرافية . ولاسيما جغرافية افريقية ومصر والأقطار المجاورة لها. وتتخذ الجمعية لتحقيق أغراضها وسائل منها : انشاء الدروس وتنظيم المحاضرات والمناقشات ، ونشر المؤلفات والرسائل ، واصدار مجلة خاصة بالجمعية ، وتنظيم الرحلات في افريقيا بقصد الارتياح والاستطلاع والدرس، وتنظيم المؤتمرات والمعارض والاشتراك فيما يعقد منها في مصر والخارج ، والاتصال بأكبر الجمعيات الجغرافية في العالم

٥ - الجمعية الرمديّة المصرية : دار الحكمة . شارع قصر العيني . القاهرة . وتهدف الى تتبع التطور العلمى والفنى لطرق العلاج الحديثة . وتتعاون مع مثيلاتها من الجمعيات والهيئات الرمديّة في الخارج في اقامة المؤتمرات والاجتماعات الرمديّة الدولية

٦ - جمعية الصيدلة المصرية : بدار الحكمة . شارع القصر العيني بالقاهرة . ومن أغراضها تنمية الروابط بين الصيادلة المصريين ، وصيادلة البلاد العربية ، وتوحيد المصطلحات العربية والسعى لسن دستور أدوية مصرى ، لضبط وتوحيد العقاقير ومستحضراتها

٧ - جمعية الاقتصاد السياسى والاحصاء والتشريع : ١٦ شارع نهضة مصر بالقاهرة . وتنحصر أغراضها في الدراسة النظرية والعملية لمسائل الاقتصاد السياسى والاحصاء والتشريع

٨ - جمعية أوراق البردى : ٢٧ شارع المنيرة بالقاهرة : ومن أهم أهدافها تشجيع البحث العلمى فى نطاق أوراق البردى ، وما تكشف عنه من معلومات تتناول تاريخ مصر القديم

٩ - جمعية علم الحشرات : ١٤ شارع نهضة مصر بالقاهرة : وتقوم بأبحاث خاصة بعلم الحشرات فى مصر . وتحقق أغراضها عن طريق

المحاضرات ، واصدار مجلة سنوية بأبحاثها فى كل عام

١٠ - جمعية الدراسات التاريخية : بمبانى المعرض الزراعى بالجزيرة ، وقد أنشئت لتنظيم الدراسات المتعلقة بالتاريخ وتشجيعها ، وخاصة التاريخ المصرى ، بنشر المؤلفات والبحوث واصدار مجلة دورية ، وتنظيم المؤتمرات والمعارض ، وتنظيم المحاضرات والمناقشات المتعلقة بالموضوعات التاريخية

١١ - جمعية المهندسين المصرية : ٢٨ شارع نهضة مصر بالقاهرة . ومن أهم أغراضها ترقية الفن الهندسى . وتعنى بوضع مواصفات قياسية مصرية لجميع الأعمال الهندسية ، على غرار المواصفات الهندسية بالدول الكبرى . وللجمعية مكتبة بها مجموعة قيمة من الكتب والمجلات الهندسية

١٢ - المجمع العلمى المصرى : ١٧ شارع السلطان حسين بالقاهرة . وقد تأسس سنة ١٧٩٨ م عند غزو الحملة الفرنسية لمصر ، فى القاهرة . ثم أعيد تكوينه بالاسكندرية سنة ١٨٥٩ م ، ثم نقل الى القاهرة سنة ١٨٨٠ م ، واستقر فى داره الحالية . وفى سنة ١٩١٨ أعيد الى المجمع اسمه القديم . وقد أخرج علماء المعهد سنة ١٨٠٩ م المؤلف الضخم المعروف باسم «وصف مصر» ، والذي يعتبر أهم مرجع لكل من تناول أى موضوع يهم مصر ويعمل المجمع الآن تحت اشراف وزارة التربية والتعليم ، ويتلخص نشاطه الثقافى فى تنظيم سلسلة من المحاضرات العلمية ، ونشر مجلة تجمع تلك المحاضرات . وللمجمع مكتبة حافلة ، يتردد عليها عدد كبير من أعضاء المجمع وأساتذة الجامعات وطلبتها

١٣ - مجمع اللغة العربية : شارع الجزيرة . وأهم أغراض هذا المجمع أن يحافظ على سلامة اللغة العربية ، وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون فى تقدمها . ملائمة على العموم لحاجات الحياة فى العصر الحاضر . وأن يقوم بوضع معجم تاريخى للغة العربية . وأن ينظم دراسة علمية

اللهجات العربية الحديثة ، وأن يبحث كل ما من شأنه تقدم اللغة
ويصدر المجمع مجلة لنشر ما يقره من البحوث اللغوية ، والمصطلحات
العلمية ، والألفاظ والتراكيب التي يرى استعمالها أو تجنبها

١٤ - معهد الصحراء : بمصر الجديدة . وقد أنشئ لدراسة الصحارى
دراسة علمية ، ودراسة الوسائل التي تساعد على تنمية موارد الثروة
الزراعية والحيوانية والمعدنية فى الصحارى

(ج) الهيئات الفنية :

١ - جمعية محبى الفنون الجميلة : شارع قصر النيل بالقاهرة . أنشئت
لتشجيع الفنون ، أى الرسم والحفر والتصوير والهندسة المعمارية والتطبيق
العملى للفن على وجه العموم ، وتربية الذوق الفنى . وذلك بإقامة معارض
محلية دولية ، والقاء محاضرات ، وبطرق أخرى

٢ - معهد الموسيقى العربية : شارع نهضة مصر بالقاهرة . وفى مقدمة
أغراضه نشر الموسيقى العربية وضبطها ، وإيجاد بيئة راقية تضم أنصارها
ومحبيها ، وتوحيد جهودهم ، ويكون واسطة التعاون بينهم . وقد عمل
منذ انشائه على محاربة الأغاني المبتذلة ، ومساعدة كل من تبدو منهم
محاولات ناجحة نحو اختراع آلة جديدة من آلات الموسيقى العربية مساعدة
مادية وأدبية ، وتدوين الموشحات والأدوار القديمة بالنوتة

وبالمعهد متحف يضم الآلات الموسيقية لمختلف الأمم والعصور ومكتبة
موسيقية جمع فيها الكثير من الكتب الموسيقية باللغة العربية واللغات الأجنبية
(د) دور الكتب العامة :

١ - دار الكتب المصرية : وتوجد بميدان أحمد ماهر « باب الخلق
سابقا » ويوجد لها فروع فى بعض أحياء القاهرة ، وفى كثير من مدن
الجمهورية . وبلغت ثروة الدار وفروعها فى أواخر سنة ١٩٥٣ م ١٩٧٠٧
مجلدا باللغات العربية والشرقية والأوربية

وبالدار أقسام للمخطوطات والأوراق البردية ، والنقود والمداليات والأنواط ، وقسم المعرض الذى يقوم بترتيب الصور الزيتية والتحف الفنية ، والألواح المطبوعة ، والصور الشمسية ، والتعريف بها والمحافظة عليها

وملحق بالدار مطبعة مجهزة بأحدث الآلات لطبع الكتب التى تحققها الدار وتنشرها ، كما تقوم بتجليد كتب الرصيد وترميمها . ومن الكتب التى أصدرتها : النجوم الزاهرة ، وتفسير القرطبي ، والأغانى ، والمنهل الصافى ، والفاضل والمفضول ، ونهاية الأرب للنويرى ، والخصائص لابن جنى ، وأساس البلاغة للزمخشري

٢ - مكتبة التحرير بمصر الجديدة : وقد تكونت مجموعات كتبها من مكتبة المرحوم طلعت حرب (باشا) ، ومن مجموعات أخرى أهديت إليها من الهيئات المختلفة . وبلغ رصيد المكتبة فى نهاية عام ١٩٥٣ م ٨٢٥٣ كتابا ، منها ٣٢٨٣ باللغة العربية ، ٤٩٧٠ باللغات الأجنبية

٣ - مكاتب الهيئات الحكومية : وتشتمل على مكاتب الوزارات الحكومية المختلفة . ومن أهمها : مكتبة وزارة التربية والتعليم ، وقد بلغ عدد مجلدات القسم العربى بها ١٤٩١١ مجلدا ، ومجلدات القسم الأفرنجى ٢٠٩١٤ مجلدا ، أكثرها باللغتين الانجليزية والفرنسية

٤ - مكاتب الهيئات الحرة : وتشتمل على مكاتب المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ، والدار البطيركية الملحقه بالدار البطيركية بالقاهرة ، ومعهد الدراسات الشرقية للآباء الدومنيكين بشارع مصنع الطرايش بالعباسية

٥ - مكاتب الجامعات : وتشمل :

١ - المكتبة العامة بجامعة القاهرة ، ومكاتب الكليات المختلفة ، وقد تقدم الكلام عنها

ب - مكتبات كليات جامعة عين شمس ، وهى كليات التجارة والزراعة
بشبين الكوم والطب بالعباسية والهندسة

ج - مكتبات الجامعة الأزهرية : وتشتمل على مكتبة الجامع الأزهر ،
ومكتبة كلية الشريعة ومكتبة كلية اللغة العربية . ويبلغ عدد الكتب بمكتبة
الجامع الأزهر ٦١٧٢٣ كتابا فى نحو مائة ألف مجلد . منها نحو ٢٢ ألف
مجلد مخطوط ، بينها كثير من نواذر المخطوطات

د - مكتبة الجامعة الأمريكية بالقاهرة : ويبلغ مجموع ما بها الآن نحو
من ٣١٥٠٠ مجلدا ، فى مختلف الفنون ، باللغة العربية واللغات الأجنبية
٦ - مكتبات المعاهد العليا :

أ - مكتبة كلية الفنون الجميلة : وقد بلغ رصيدها ٤٧٤٦ كتابا ،
معظمها باللغات الأوروبية ، وهى موزعة على فنون العمارة والزخرفة والنحت
والتصوير والموسيقى وغيرها

ب - مكتبة كلية الفنون التطبيقية : وقد بلغ رصيدها من الكتب
والمجلات الفنية ٣٠٤٥ كتابا ومجلة باللغات العربية والأجنبية

ج - مكتبة معهد التربية للمعلمين بالمنيرة : وبلغ رصيدها من الكتب
نحو ٤٠٧٥٠ كتابا باللغات العربية والأجنبية ، تبحث فى علوم التربية
والنفس

(هـ) المتاحف :

تزدان القاهرة بعدد كبير من المتاحف ، تعالج النواحي الأثرية والفنية
والعلمية ، ونسوق فيما يلى أمثلة من كل قسم :

المتاحف الأثرية :

١ - متحف الفن الإسلامى « دار الآثار العربية سابقا » : بميدان أحمد
ماهر بالقاهرة ، وقد تقدم ذكره فى وصف القاهرة فى عهد اسماعيل
ويبلغ عدد ما به من تحف ١٦٤٣٠ تحفة . ويعتبر هذا المتحف أعظم متحف

اسلامى فى العالم . وقد قام المتحف بحفريات فى أطلال مدينة الفسطاط ، فكشف عن جانب كبير منها ، وعثر على آلاف التحف النفيسة . واشترك فى خلال السنوات الماضية فى المعارض الدولية ، لتعريف القوم بما يضمه من كنوز أثرية ، ولنشر الدعاية للوطن وللحضارة الاسلامية الزاهرة التى قامت على ضفاف النيل

٢ - متحف الآثار الاسلامية بكلية الآداب : بجامعة القاهرة ، ويضم نحو ألفى قطعة من الصور والحزف والسجاد والأقمشة والزجاج والأحجار والمعادن والخشب والعاج ، وكلها من صناعة البلاد الاسلامية المختلفة ، فيما بين القرنين الثانى والثالث عشر بعد الهجرة

٣ - متحف جاير اندرسون : بجوار جامع ابن طولون ، بالقاهرة . أنشأه ميچور جاير اندرسون ، ثم وهبه للحكومة المصرية . وبه مجموعات قيمة من بعض العصور الاسلامية والحديثة ، وقد تقدم ذكره عند الكلام نلى منازل العصر العثمانى

٤ - المتحف القبطى بمصر القديمة : أنشأ نواة هذا المتحف المرحوم مرقس سيكة (باشا) سنة ١٩٠٨ م ، داخل أسوار حصن بابليون الرومانى ، بمساعدة فريق من هواة الفنون والآثار القبطية للعمل على جمع كل أثر أو وثيقة تميظ اللثام عن تاريخ مصر فى العصور المسيحية . وقد ظل ملكا للبطريركية القبطية حتى سنة ١٩٣١ م ، ثم ضم الى وزارة التربية والتعليم وبالمتحف ٩٦٢٦ قطعة من التحف الجصية والأحجار والأقمشة والمنسوجات القبطية ، والزجاج والحزف والأخشاب والمعادن ، عدا قسم المخطوطات القبطية الثمينة المحلاة بزخارف جميلة . وللمتحف مكتبة بها ٥٣٠٠ مجلد منها نحو ١٥٠٠ مخطوط باللغات القبطية أو العربية أو اليونانية

٥ - المتحف المصرى : ويوجد بميدان التحرير بالقاهرة . وقد بنى سنة ١٩٠٠ وافتتح فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٠١ ، وسبق ذلك جهود كبيرة فى جمع

الآثار المصرية التى كانت نهبا للسرقة ، خصوصا من تجار العاديات
الأوربيين وتسرب هذه الآثار الى فرنسا وأوروبا وأمريكا

وقد أشرف على جمع المتحف مسيو ماريت بتكليف من سعيد سنة
١٨٥٨ م ثم من اسماعيل سنة ١٨٦٣ م . وكانت محفوظة بمتحف ببلاق ،
ثم خلف ماريت ماسبيرو ، فنقلت الى سراى الجزيرة ثم الى المبنى الحالى
بعد بنائه ، حيث تعاون ماسبيرو وأحمد كمال (باشا) على تنظيم المتحف
وترتيبها . وهو مبنى على أرض تبلغ مساحتها ١٣٦٠٠ مترا مربعا ، ويعتبر
من أهم متاحف العالم . وقد أصبحت مجموعته تفوق المجموعات المصرية
المعرضة فى المتاحف الأجنبية

ويتألف المتحف من طبقة أرضية ، وطبقتين علويتين . وقد خصصت
الطبقة الأرضية للمعارض الثقيلة ، والآثار الكبيرة الحجم ، مرتبة
حسب الترتيب التاريخى للأسرات . ويتوسط الطبقة الأرضية ساحة
واسعة ، تشتمل على بعض التماثيل الضخمة . وتحتوى الطبقة الثانية على
آلاف من المعارض الرائعة من تماثيل ولوحات . أما الطبقة العليا فتحتوى
فى قسمها الشمالى الشرقى على أهم كنوز المتحف ، وهى آثار الملك توت
عنخ آمون ، وعلى قاعة الجواهر التى تضم أروع مجموعة من الجواهر .
وللمتحف دليل عام يمكن الرجوع اليه لمعرفة محتوياته ، وله مكتبة كبيرة
يبلغ رصيدها نحو ٢٢٤٠٨ كتابا ، كلها باللغات الأجنبية ، وخاصة الفرنسية
والألمانية والانجليزية ، وبها مجموعة من الوثائق البردية باللغة اليونانية

٦ - متحف بيت الأمة : يقع هذا المتحف فى بيت الأمة ، بشارع سعد زغلول ،
حيث كان يسكن الزعيم سعد زغلول . ونظرا لما ارتبط به هذا المنزل من
ذكريات كبيرة فى الحركة الوطنية فقد اشترته الحكومة المصرية ، وأشرفت
على تنظيمه وتجديده ، ليصبح فى الصورة التى كان عليها خلال حياة
الزعيم الراحل وقرينته أم المصريين

١ - متحف التعليم: ويقع في ١٨ شارع اسماعيل أباطة بالقاهرة. والغرض من انشائه توضيح الحياة الثقافية والتعليمية في مصر منذ أقدم العصور الى الوقت الحاضر ، لاسيما تاريخ العصور الحديثة ، منذ انشاء ديوان المعارف سنة ١٨٣٧ م . ولذا فهو يشمل المخلفات التاريخية من وثائق وسجلات وكتب دراسية ، فضلا عن نماذج الأدوات الدراسية المستخدمة في مختلف العهود . وهو مقسم بحسب العصور أو بحسب مراحل التعليم ، ويشتمل على سبعة عشر قسما ، تمت جميعا الى التعليم بصلة وثيقة

٢ - متحف الثقافة العربية بجامعة الدول العربية: ١٠٢ شارع البحر الأعظم بالعجوزة . القاهرة : وهدف هذا المتحف جمع المعلومات والوثائق المتعلقة بشئون الثقافة ونظم المعارف والتعليم في مختلف الأقطار العربية ، وتهيئتها للباحثين ، ثم اعطاء فكرة واضحة عن حالة المعارف والمدارس في كل قطر من الأقطار العربية ، مصحوبة بمقارنات احصائية ورسوم بيانية

٣ - متحف الحيوان : بحديقة الحيوان بالجيزة . ويشغل مبنى خاصا داخل حديقة الحيوان وهو قسمان :

القسم العلمى : يحتوى على مجموعات للطيور المصرية وغيرها

وقسم المعروضات : ويحتوى على ثلاثة أبهاء بها هياكل عظمية للثدييات المصرية والزواحف والأسماك والطيور المصرية المحنطة .

٤ - متحف الرى بالقناطر الخيرية : ويشتمل على نماذج لجميع أعمال الرى والصرف بمصر والسودان . كما يحتوى على نماذج لأعمال الرى الصناعية من خزانات وقناطر وكبارى وغيرها

٥ - متحف طبقات الأرض : بحديقة وزارة الأشغال بالقاهرة. وهو قسم من مصلحة المناجم والمحاجر بوزارة التجارة والصناعة . والغرض من انشائه دراسة أنواع الصخور والتربة المصرية والبحث عن الرواسب من

معادن وغيرها . وبالمتحف ما يزيد على عشرين ألف عينة جيولوجية موزعة على خمس صالات رئيسية . وبه أيضا خرائط جيولوجية وقطاعات بارزة

٦ - متحف القاهرة الصحى : ويقع فى شارع المتبولى بالقاهرة، وتشرف عليه وزارة الصحة العمومية ، ويشتمل على أجهزة لأجزاء الجسم ، وبعض الأمراض ، بثا للثقافة الصحية بين الجمهور

٧ - متحف القطن : بمبنى الجمعية الزراعية بالجزيرة : ويتمثل فيه الدور المهم الذى تلعبه مصر فى زراعة القطن والصناعات المتفرعة عنه . كل ذلك ممثل بالصور والنماذج والمناظر المجسمة ، وأشرطة السينما واللوحات الاحصائية

المتاحف الفنية :

١ - المتحف الحربى بالقلعة: يشتمل هذا المتحف على تحف وأسلحة وملابس وأدوات ومناظر ولوحات وخرائط تعين على تتبع الفنون الحربية وأدوات الحرب من قديم الزمان حتى الوقت الحاضر ، وأشهر الوقائع الحربية التى حدثت فى عصور التاريخ ، خصوصا فى مصر

وبالمتحف مكتبة تشتمل على آلاف الكتب العربية والأجنبية ، التى تبحث فى التاريخ المصرى وجغرافية وادى النيل ومجموعة من المجلات العسكرية

٢ - متحف الحضارة المصرية: بالسراى الكبرى بالجزيرة. وهدفه الرئيسى اظهار وحدة التاريخ ووحدة الحضارة فى وادى النيل ، وابرار كل عصر بطابعه الخاص . وهو لذلك ينقسم الى تسعة الأقسام التى ينقسم اليها تاريخ مصر ، ابتداء من عصر ما قبل التاريخ حتى العصر الحديث . وبكل قسم نماذج لأشهر آثاره ، وطرق الحياة فيه ، وأهم الحوادث التاريخية ، وعادات الناس وتقاليدهم ، وأشهر الوقائع التاريخية

٣ - متحف البريد: ويوجد بميدان العتبة بالقاهرة . ومعرض به كل ماله صلة بالبريد ، قديما وحديثا ، من طوابع وأدوات حمل البريد ، ووسائل نقله ، ونماذج لعربات البريد ، والكسي التي كان يرتديها موزعو البريد ، ومجموعة صور لخطوط الحمام الزاجل ، وبواخر نقل البريد ، ومجموعة أوراق البردى والمحاضر والوثائق والمنشورات واللوائح البريدية . ويتبع المتحف مكتبة الادارة العامة للمصلحة وهي تحتوى على مجموعة نادرة من الكتب

٤ - المتحف الزراعى بالدقى: والغرض من انشائه تمثيل الزراعة المصرية فى مختلف نواحيها ، وذلك بعرض شتى المحاصيل الزراعية التى تنتجها التربة المصرية ، وطرق الري والصرف بالبلاد والصحارى والواحات ، وما يوجد بها من زراعات وصناعات وغيرها

وبالمتحف خمسة أقسام رئيسية : قسم الزراعة المصرية القديمة ، وقسم المملكة النباتية ، وقسم المملكة الحيوانية ، وقسم المجموعات النباتية ، وقسم التصوير ، والمكتبة ، وقسم الصيانة

٥ - متحف السكك الحديدية : بمبنى محطة مصر بالقاهرة . وقد أنشئ لعرض وسائل النقل القديمة والحديثة ، وبه أكثر من ٦٠٠ نموذج ، صنعت معظمها بورش مصلحة السكك الحديدية ، كما حصل المتحف على طائفة من النماذج للسكك الحديدية الأجنبية

وينقسم المتحف الى تسعة أقسام تبدأ باستعراض وسائل النقل قبل استخدام البخار حتى الوقت الحاضر ، ووسائل الاتصال منذ استعمال الاشارات الضوئية حتى التليفون اللاسلكى

٦ - متحف الفن الحديث : ٤ شارع قصر النيل ، بالقاهرة . وقد أنشئ فى أحضان جمعية محبى الفنون الجميلة . وبه مئات من الصور الزيتية والتماثيل والميداليات والآنية وقطع الأثاث وطائفة من الكتب هى نواة المكتبة

بعد أن أقصى فاروق عن العرش في ٢٦ يولية سنة ١٩٥٢ ، صودرت ممتلكاته ، وممتلكات أسرته في مصر . فاستولت حكومة الثورة على قصوره وقصور أسرة محمد علي ، وما كانت تحتوى عليه من أثاث ورياش، وتحف ومجوهرات . اذ أن هذه القصور ما شيدت الا من دماء الشعب وعرقه . وبينما كان ينعم فيها هؤلاء القوم بالعيش الرغد ، مترفعين عن الشعب ، يولونه الازدراء والاحتقار ، ويسلبونه أقواته وأرزاقه ، كان هذا الشعب يعيش في أكواخ وجحور ، عيشة البؤس والضنك

لذلك لم يكن بد من أن ترد هذه القصور وما اشتملت عليه من تحف ونفائس الى الشعب ، لتكون ملكا له ، ينعم بارتياحها ، واستجلاء ما فيها من مفاتن ومحاسن . وقد حولتها الحكومة فعلا الى متاحف عامة ، تشرف عليها مصلحة السياحة ، التابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية . وهذه القصور هي :

١ - متحف قصر الجمهورية « قصر عابدين سابقا » : ويقع في ميدان الجمهورية « ميدان عابدين سابقا » وسبق أن ذكرنا أن هذا القصر بناه اسماعيل ، خديو مصر الأسبق ، واتخذته هو ومن أتى بعده من الخديويين والسلطين والملوك مقرا رسميا لهم ، بدل القلعة ، ويحتوى هذا القصر على جناحين هامين هما : الحرملك ، والسلاملك ، وملحق بالآخر جناح خاص للضيافة وأهم قاعاته القاعة البيزنطية ، وقاعة العرش ، وقاعة قناة السويس ، وقاعة الولائم

٢ - متحف قصر الجوهرة : سبق وصف هذا القصر ضمن الكلام عن المنشآت المعمارية في عهد محمد علي . وهو موجود بالقلعة ، وذكرنا أن أكبر حجراته صالة العرش أو حجرة الفرمانات

ويستطيع جمهور الشعب زيارة هذا المتحف اليوم ، في أى وقت شاء ،

بعد أن كانت لا تطأه سوى أقدام باشوات محمد على وأفراد أسرته ، ليرى المكان الذى كان يحكم منه حكما سدها البطش ولحمته العسف والاستبداد

٣ — استراحة الهرم : أحد الأركان أو الاستراحات التى كان فاروق يأوى إليها لينعم بملاذه وشهواته ، بعيدا عن أعين الرقباء . وقد أقيمت بجوار الهرم الأكبر ، وروعى فى تصميمها أن تتفق وطراز المنطقة الأثرية المحيطة بها ، ألا وهو الطراز الفرعونى القديم ، وأنشئت على نسق المعابد المصرية القديمة ، وحليت جدرانها برسوم فرعونية ، تمثل مناظر الصيد والحفلات ، وأثنت بأثاث شبيه بأثاث توت عنخ آمون

ويغزو الشعب اليوم هذه الاستراحة ، بعد أن كانت قلعة من القلاع المغلقة ، وحصنا من حصون الاقطاع الحصينة ، ليسترىح إليها أفرادها ، بعد تجوال فى منطقة الأهرام

٤ — استراحة حلوان : وهذه استراحة أخرى لفاروق، شيدتها بالقرب من مدينة حلوان ، إحدى ضواحي القاهرة ، المشهورة بطيب هوائها ، ومياهها المعدنية المفيدة . وحرص أن تكون أيضا واقعة على النيل مباشرة

واختيار هذا الموقع حالفه كثير من التوفيق : فهو يجمع بين هواء النيل الرطيب ، وهواء الصحراء الجاف ، هذا الى سهولة الوصول اليه بطريق البر وطريق النيل على السواء .

٥ — قصر المنيل: وهو أحد قصور أفراد أسرة محمد على. كان يملكه محمد على توفيق الأمير وولى العهد الأسبق . ويقع بمنيل الروضة ، ويشغل مساحة شاسعة من الأرض، ويشبه بأبراجه وأسواره العالية ، قلعة حصينة من قلاع العصور الوسطى

ويغلب الطراز المغربى على تصميم هذا القصر فى عقود وأعمدته . ويكسو جدرانه القاشانى البديع. وتزينه الآيات القرآنية الكريمة . وتوجد به كثير من التحف الخشبية والخزفية والمعدنية من القرنين الرابع عشر

والخامس عشر ، وكثير من اللوحات الزيتية لأفراد أسرة محمد على ، وبعض الشخصيات الأوروبية بريشة أشهر الرسامين

ويحيط بالقصر حديقة أنيقة ، جمعت كثيرا من الأزهار النادرة ، ونباتات الزينة الجميلة ، والأشجار العالية ، نسقت أجمل تنسيق

٦ - متحف وضريح مصطفى كامل : كان مصطفى كامل مدرسة وطنية ، بما أنشأه من جرائد ومجلات ، وما شيده من مدارس لتربية الشعب تربية وطنية ، وما دبجته يراعتة من مقالات ، وما ألقاه على أعواد المنابر من خطب نارية مهاجمة الاستعمار والمستعمرين ، لذلك كان واجبا محتوما أن يتتبع الشباب آثار هذا الزعيم العظيم ، ويدرس تعاليمه ، وينسج على منواله . وهذا ما حدا بحكومة الثورة أن تجمع كل آثاره ، بما في ذلك كتبه ومكتبته ، وأن تودعها هذا المتحف المجاور لقبره ، ليكون كعبة يزورها أفراد الشعب ، ويستلهم منها دروس العزة والكرامة والوطنية الخالصة

محطة الاذاعة المصرية :

أنشئت عام ١٩٣٣ م ، وتوجد بقرية أبى زعبل من ضواحي القاهرة ، ولها محطات فرعية للتقوية فى المنيا وأسيوط وسوهاج والأقصر ، أما استوديوهات التسجيل فتوجد برقم ٤ شارع الشريفين بالقاهرة

وتعد الاذاعة المصرية معهدا شعبيا من طراز فريد ، ويكاد لا يخلو منزل فى القاهرة وسائر المدن والقرى المصرية من جهاز للراديو للاستماع الى الاذاعة المصرية . وتغذى الاذاعة جميع طبقات الشعب بالثقافة والمعلومات المتنوعة ، كلابما يلائمه ، وباللغة التى تناسبه . وترفه عنه بالموسيقى والأغاني والتمثيل ، وتزوده بالنشرات الاخبارية والاقتصادية والجوية . هذا فضلا عن توجيه الشعب الوجهة الصحيحة فى الحوادث الوطنية والأزمات الدولية ، وبث الحماس واشعال الحمية ورفع الروح المعنوية ، وتثبيت القومية العربية ، ومناهضة الاستعمار فى أرجاء العالم العربى

فالاذاعة المصرية قوة لها خطرها ، اذ يدوى صوتها في جميع بقاع الأرض بجميع اللغات، بالإضافة الى اللغة العربية، لذا يهابها المستعمرون ويحسبون لها ألف حساب . وكان أول هم للقراصنة الانجليز والفرنسيين ، عندما هاجموا مصر هجومهم الغادر في ٣١ أكتوبر سنة ١٩٥٦ أنهم سدّدوا اليها قنابلهم يوم ٢ نوفمبر سنة ١٩٥٦ ، وظنوا أنهم أسكتوا الصوت الذى طالما أقض مضاجعهم ، وألّب الأحرار عليهم فى كل مكان . ولكن لشدة ما كان غيظهم عندما نجح مهندسو المحطة الأبطال فى اصلاح التلف ، وإعادة المحطة الى سابق عهدها ، بعد ضربها بأربع وعشرين ساعة فقط ، تحت وابل الطورييدات والقنابل الحارقة

وللمحطة مكتبة بها آلاف الأشرطة التى سجلت عليها أهم الأحاديث السياسية والاجتماعية والعلمية والدينية والقرآن الكريم لأشهر المقرئين ، والحفلات الموسيقية والمسرحيات السينمائية والتمثيلية . كما أن لها مجلة تصدر كل أسبوع حاملة للناس أهم الأحاديث والبرامج المصرية والأجنبية ، موضح أمامها مختلف الموجات

مصلحة الاستعلامات المصرية :

واذا كانت الاذاعة المصرية قد أثبتت أنها أداة لها شأنها الخطير فى بث الوعي القومى بين الشعب المصرى خاصة ، والشعوب العربية عامة ، فشمت منشأة أخرى لا تقل خطرا عن الاذاعة فى نشر الدعاية لمصر ، والأمة العربية بين شعوب العالم الأخرى ، فى جميع أنحاء المعمورة ، خصوصا فى أوروبا وأمريكا ، تلك هى مصلحة الاستعلامات المصرية الموجودة فى رقم ٢٢ شارع سليمان (باشا) بالقاهرة

وتقوم هذه المصلحة بتوزيع النشرات والمجلات والكتب ، وعرض الأفلام السينمائية ، بجميع اللغات الحية ، موضحة فيها أهداف مصر وأمانيتها ، وجهودها فى نشر السلام العالمى . فضلا عن ذلك فهى لا تترك فريسة ، يذيعها المستعمرون وأعداء مصر ، ليشوهوا سمعتها ، الا وتتصدى للرد

عليهم ، وتفند أكاذيبهم ، وترد كيدهم الى نحورهم . ولا أدل على خطر هذه المصلحة ، وشدة بأسها ، من تأليبها الرأى العام العالمى على انجلترا وفرنسا ، بنشرها صورا للأعمال البربرية التى اقترفتها جيوشهما ، عند غزوهما بورسعيد فى ٢ نوفمبر سنة ١٩٥٦ ، لاغتصاب قناة السويس ، مما جعلهما موضع احتقار جميع شعوب العالم ، وازدراءها الشديد

مصلحة السياحة : ه شارع عدلى بالقاهرة

أنشئت هذه المصلحة ، وهى احدى ادارات وزارة الارشاد القومى ، لتقوم على راحة السائحين ، الذين يفدون على مصر كل عام لينعموا بمشاهدة آثارها ، والاستمتاع بشتائها الدفىء ، وتسهل لهم الانتقال من مكان الى آخر ، وترشدهم الى الأماكن التى يجدر بهم زيارتها . ولها بوليس سياحى خاص ، يضم نخبة ممتازة من الضباط والجنود ، ذوى الأخلاق السامية ، والدراية بشئون السياحة . يصطحبون السياح منذ قدومهم الى مصر حتى مغادرتهم لها . كذلك تقرر أجور الفنادق وأسعار المأكول والمشرب فى المطاعم ، ولها مفتشون يفتشون هذه المحال ، فلا يجرؤ أحد على غش السائحين ، والا عوقب بأشد العقاب

ولا تدخر هذه المصلحة وسعا فى الاحتفاء بالسائحين ، فتقيم لهم الحفلات ، وتقدم لهم الهدايا ، وتمدهم بالمطبوعات والخرائط والكتب والصور والمجلات ، فيغادرون البلاد وألسنتهم تلهج بمدح حكومتها والثناء على شعبها . ويصبحون خير اعلان لمصر فى بلادهم ، يدحضون الأكاذيب التى يفتريها المستعمرون والأفاكون والمضللون على مصر وحكومتها وشعبها

و - الصحف والمجلات ودور النشر والطباعة :

ويوجد بالقاهرة عدد كبير من دور النشر . ولكثير منها مطابع مجهزة أتم تجهيز ، بالمطابع والآلات الحديثة الصنع . وتخرج كل عام مئات الكتب فى كل علم وفن ، ويقوم بعضها على نشر التراث العربى فى ثوب قشيب ،

ويشرف على مراجعته وتحقيقه علماء راسخون . هذا بالإضافة الى المطبعة
الأميرية ومطبعة دار الكتب المصرية

ويصدر في القاهرة من الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية
عدد غير قليل ، تغذى أفراد الشعب بالأبناء والمقالات السياسية والأدبية
والاجتماعية والعلمية ، يشترك في تحريرها قادة الفكر ورجال الأدب
والعلماء والسياسيون . ولم تبلغ الصحف والمجلات من الكثرة والقوة ،
واتقان الطباعة وجمال المظهر ، وسلاسة الأسلوب ورصانة التعبير وسمو
اللغة مثل ما بلغت في الوقت الحاضر

م - التمثيل والسينما :

لم تعد المسارح ودور السينما أماكن للهو والترفيه فحسب ، بل انها
تعتبر أيضا وسيلة هامة لتثقيف الشعب وتهذيبه ، وتوجيهه الوجهة المثلى،
وذلك نظرا لما تعالجه في قصصها من مشكلات الأسرة والمجتمع ، وتحليل
تلك المشكلات تحليلا دقيقا ، وما تعرضه من قصص تاريخية ، وأعمال
البطولة الفذة ، وتصوير الأحاسيس الرقيقة ، والعواطف الدافقة ، وتبصير
الناس بعواقب الأمور وخواتيمها

وتمتاز السينما بتقدم عظيم جعلها أداة ضرورية للثقافة ، وتتبع أدوار
الحضارة في العصر الحالى ، وذلك بعد تلوين الفيلم وانطاقه ، فصارت
تعرض اليوم كثيرا من الأفلام العلمية والتربوية والوطنية والتاريخية
والاخبارية

وتعج القاهرة اليوم بصالات عرض السينما ، هذا عدا المعاهد والمدارس
والجمعيات التى حرصت على أن يكون لها هى الأخرى صالات تعرض فيها
أفلاما خاصة ، بالإضافة الى ما يلقى فيها من محاضرات

ولقد أصبحت صناعة الفيلم المصرى من أهم الصناعات فى القاهرة فى
الوقت الحاضر ، لكثرة ما تدره من أرباح على المؤلفين والممثلين والمنتجين
والمصورين والمخرجين ودور العرض

أما دور التمثيل فهي أقل من دور السينما عددا في القاهرة ، لانصراف كثير من الممثلين الى السينما ، لكثرة ما يجنونه فيها من أرباح ، وقلة ما يكابدونه من عناء . وما تزال دار الأوبرا المصرية تحتل المكان الأول بين دور التمثيل في القاهرة ، مع تقادم العهد عليها ، وهرمها . ولذلك أصبح الأمر يقتضى انشاء دار جديدة فخمة للأوبرا ، تتفق ومركز القاهرة في الجمهورية العربية المتحدة ، وتتمشى مع مقتضيات العصر ، وترتفع بالتمثيل الى الدرجة المرموقة ، فهو أداة هامة لتوجيه الشعب الوجهة الصالحة ، ورفع مستواه الخلقى والمعنوى ، والسمو بذوقه الفنى

- ٧ -

القاهرة مركز الاقتصاد في الجمهورية العربية المتحدة

ليست القاهرة مركز الحكم ، ومنبع النور والعرفان فحسب ، بل هي أيضا مركز الاقتصاد والمال ، والسوق العظمى للتجارة . ومكان التوجيه والتشجيع للزراعة والصناعة في الجمهورية العربية المتحدة

فالسلع التجارية بجميع أنواعها ، ومن شتى أنحاء العالم ، من الشرق والغرب ، ترسو في الاسكندرية أو بورسعيد أو السويس ، ثم تأخذ طريقها الى القاهرة بالسكة الحديد أو السيارات ، فتتجمع فيها ، وتعرض في المخازن للبيع

وفي مقدمة التجارة الشرقية البهار ، والبن ، والشاي ، والكاكاو ، وجوز الهند ، والبذور الزيتية ، والحبوب ، وكلها ترد الى القاهرة عن طريق السويس ، وما تزال سوقها السوق التقليدية القديمة ، في الجمالية والتربية ، والغورية ، وتوجد بشارع القصبة القديم ، أو شارع المعز لدين الله حاليا

ومن أوروبا وأمريكا ترد المنسوجات الحريرية والصوفية والقطنية والفراء والمصنوعات المعدنية من آلات وعدد وأدوات وسيارات . وكذا الأخشاب

والفواكه طازجة ومحفوظة ، وأنواع الجبن المختلفة والزيتون وزيت الزيتون واللحوم والأسماك المحفوظة والمجففة والأدوية والأدوات المنزلية وأدوات الزينة والدخان وكثير غير ذلك . ترد جميعها عن طريق الاسكندرية وبورسعيد ، وتحمل الى القاهرة ، حيث تعرض للبيع ، اما بالتجزئة ، واما بالقطاعي ، في محال خصصت لذلك . ولهذه المحال وكلاء يجوبون القطر من أقصاه الى أقصاه ، يعرضون بضائعهم على تجار التجزئة في مدن الوجهين القبلى والبحرى

وتوجد محال بيع السيارات وأدواتها والآلات والماكينات ، خصوصا ماكينات الري والحراث والدرس وما الى ذلك في شوارع عماد الدين ، (حاليا محمد فريد) ، وعدلى ، والجمهورية ، وشارع نهضة مصر ، و ٢٦ يوليو ، وشارع قصر النيل

وتوجد مخازن بيع الملابس والمنسوجات بأنواعها في شارع ٢٦ يوليو ، وشارع الموسيقى ، وميدان العتبة ، وشارع البواكى ، والغورية ، وميدان الخازندار . وبعض هذه المخازن يضارع أعظم المتاجر في كبريات العواصم الأوروبية

كذلك توجد محال كثيرة لبيع الأغذية المحفوظة ، وهى المعروفة بمحال البقالة ، وهى منبثة في كل حى من أحياء القاهرة ، الا أنها تتفاوت من حيث السعة والكبر من حى الى آخر . وقد كانت هذه التجارة الى عهد قريب وفقا على الجالية اليونانية بمصر ، لتنسيقهم السلع بمحالهم ، ونظافتها ، وحسن ترتيبها . وأكثر ما تحتوى عليه محالهم الجبن والزبد والزيتون والزيت والمربيات والفواكه والبن والشاى واللحوم المجففة والأسماك المحفوظة في العلب . وقد اقتحم المصريون هذا الميدان ، وضربوا فيه بسهم وافر ، حتى غدت معظم محال البقالة في القاهرة في أيديهم وأيدى بعض الفلسطينيين . أما محال الجملة لهذه التجارة فتوجد في شارع بين السورين ، كما كان الحال في العهد المملوكى ، وما تلاه من العهود . وذكر المقرئ

فى خططه أنه كان فوجد بشارع القصبه « شارع المعز لدين الله حاليا » ، وهو أعظم أسواق مصر فى عهده ، اثنا عشر ألف حانوت . وكان فبدو لنا هذا الرقم أنه مغالى ففه ، أو كبر فجا ، ولكنف لا فبدو كذلك اذا ذكرنا أن عدد الحوانف فى القاهرة قد بلغ الفوم ٨٨٠٣١ محلا ، طبقا لافصاءاف السجل الفجارى (١) ، ولا شك أن هذه الزفافة فتناسب مع زفافة عدد السكان أضعافا مضاعفة ، عما كانت فله فى القرن الرابع عشر

سواحل القاهرة :

ولم فكن للقاهرة ففى عام ١٩١٨ سوى ساحلف للفلال : الأول بروض الفرج ، وكان مخصصا لرسو فمفع السفن المشحونة بالفلال والمسلى والبلف والعسل والبصل والماشفة والخضر والفواكه وففر ذلك من السلع . والثانى بأثر النبى ، وكان مخصصا لرسو السفن المشحونة بأنواع الفبن والخطب والبوص وأدوات العمارة كالجبس والففر والطوب والأوانى الففارية وما شابه ذلك

ولقد اقتضت زفافة عدد السكان وانتشار العمران ، الافافة من النقل النهرى ، لتموف القاهرة بفاففاتها من مواد الطعام وأدوات البناء ، فزفد فبعا لذلك عدد السواحل ، فأصبحت خمسة وهى : سواحل روض الفرج ، وأثر النبى ، والفزفة ، وغمرة ، وشبرا ، والأففران معدان لشحن وففر فف الحبوب بأنواعها

وقد أنشأت مصلحة الفجارة سنة ١٩٣٢ م ، بكل من ساحلى روض الفرج وأثر النبى سوقا منظمة لفجارة الحبوب ، فقوم العمل ففهما على أحدث الأسالف الفجارة

اسواق الجملة للخضر والفاكهة :

١ - سوق العتبة : لم فكن بمفنة القاهرة قبل سنة ١٩٣١م أسواق منظمة لفجارة الجملة فى أصناف الخضر والفاكهة . وكانت هناك سوق واحدة

(١) نشرة الفرفة الفجارة للقاهرة بمناسبة مرور عامف على بعث الفورة المباركة

تشغل ميدانا صغيرا خلف سوق العتبة الخضراء . وكانت أسواق الفاكهة والمقات تشغل عدة وكالات صغيرة في نواحي القاهرة

٢ - سوق المدبولى : لذلك أنشأت وزارة التجارة عام ١٩٣١م بالاتفاق مع الجهات الحكومية الأخرى سوق الجملة للخضر والفاكهة بجهة المدبولى بشارع الجمهورية ، متوخية في ذلك غرضين أساسيين هما : التنظيم التجارى ، والمحافظة على الصحة العامة . ولما صارت هذه السوق مقصد الزراع من مختلف أنحاء القطر ، أخذت تضيق بما يودع فيها من خضر وفاكهة . لذلك شرعت وزارة التجارة في بناء سوق أخرى

٣ - سوق الخضر والفاكهة بروض الفرج : أقامت وزارة التجارة بالاتفاق مع وزارة الأوقاف هذه السوق سنة ١٩٤٧ على مساحة من الأرض بلغت ١٨ فدانا بجهة روض الفرج . فجاءت سوقا فسيحة تضم تجارة الجملة في الخضر والفاكهة بمختلف أنواعها (١)

٤ - سوق الخضر والفاكهة بجهة أثر النبى : وكانت وزارة التجارة قد أنشأت سنة ١٩٣٥ سوقا أخرى لتجارة الجملة في الخضر والفاكهة بجهة أثر النبى ، يجرى العمل فيها وفقا للأنظمة المتبعة في سوق روض الفرج

الغرفة التجارية لمدينة القاهرة :

كان لابد أمام ازدياد عدد المتاجر والتجار ، هذه الزيادة الكبيرة في مدينة القاهرة ، من أن تنشأ غرفة تجارية ، لتحل محل نظام الطوائف ، الذى كان سائدا في القاهرة حتى القرن التاسع عشر ، ولتنظيم التجارة ، والعمل على ترقية الشؤون الاقتصادية العامة

فبدأت المحاولة نحو تحقيق هذا الغرض سنة ١٩١٣ . ثم خرجت الى حيز الوجود سنة ١٩١٩ ، حيث تأسست غرفة مدينة القاهرة ، وانتخب المغفور له عبد القادر الجمال (باشا) ، سر تجار مصر اذ ذاك ، أول رئيس لها . وصدر أول قانون للغرف التجارية سنة ١٩٣٣ م . وبمقتضاه صار

(١) المصدر السابق

اشتراك جميع التجار فيها اجباريا ، ولكل تاجر حق الترشيح لعضوية مجلس ادارتها بشروط خاصة

وانتهى الأمر بغرفة القاهرة الى تشييد البناء الفاخر الحالى بميدان الأزهار بالقاهرة ، وفق أحدث النظم للغرف التجارية العالمية . فضلا عما يشتمل عليه من مكاتب الغرفة والطبقات الثلاث المؤجرة ، وقاعة العرض الفسيحة ، فهو يشتمل أيضا على قاعة محاضرات على أحدث طراز ، تتسع لنحو ألف شخص . وتدعو الغرفة المختصين من الأساتذة وكبار الموظفين والتجار ، لالقاء المحاضرات ، موضحة بالفانوس السحري ، على جمهور التجار وغيرهم ، فى تلك القاعة الفاخرة

وتقوم الغرفة بأعمال هامة منها : تنظيم التجارة ، فتشارك فى اللجان الحكومية المختلفة لتحديد الأسعار ، ووضع القوانين المتعلقة بتجارة بعض السلع كالبن والصوف والشاى ، ورعاية صالح التجار والصالح العام فى نفس الوقت. والاشتراك فى المعارض المحلية والأجنبية ، والاتصال بالغرف التجارية الأجنبية لتنشيط التبادل التجارى بين مصر ودول العالم ، وتعريف التجار المصريين بالأسواق الأجنبية ، وأشهر المصانع فى العالم ، وأنواع منتجاتها وأثمانها وكل ما يتعلق بها

بورصة القاهرة :

هى عبارة عن سوق للأوراق المالية ، تتم فيها عمليات البيع والشراء ، بين البائعين والمشتريين ، حسب الأسعار الحاضرة ، التى يحددها العرض والطلب

وتشغل هذه البورصة دارا فخمة ، بشارع الشريفين بالقاهرة ، أنشئت عام ١٩٢٨ ، وهى شركة مساهمة مصرية ، جميع أسهمها مقصورة على سماسرة البورصة والمنتمين اليهم

وتختص هذه البورصة ببيع وشراء الأوراق المالية من أسهم وسندات الشركات المساهمة ، والمدرجة فى جدول البورصة الرسمى ، والتى لا يقل

رأس مال احداها عن ثمانين ألف جنيه . وتحديد الأسعار خاضع كما هو معلوم للعرض والطلب . وحرصا على حقوق المتعاملين يقضى نظام البورصة بأن يدفع كل سمسار ألف جنيه ، كتأمين ، يتقاضى عنه فائدة سنوية قدرها ٥ ٪ . ويشرف على أعمال البورصة وأعمال القومسيون « اللجنة التنفيذية » نيابة عن وزارة المالية ، مندوب خاص ، لضمان حسن سير العمل فيها

المصارف :

ولقد اقتضى اتساع محيط التجارة في مصر ونشوء علاقات تجارية بين مصر وكثير من بلاد العالم في آسيا وأوروبا وأمريكا ، وكذا تقدم الزراعة وتعميم الصناعة ، ازدياد عدد المصارف في القاهرة ، وتعدد فروعها في الأقاليم ، لقيامها بالأعمال المصرفية ، وتمويل التجارة والصناعة بالأموال . ونوجد أغلب المصارف في قلب الأحياء التجارية ، في شوارع قصر النيل وسليمان (باشا) والموسكى وطلعت حرب وروض الفرج ومصر الجديدة . وأكبر هذه المصارف البنك المركزى « البنك الأهلى » ٣١ شارع قصر النيل ، ثم بنك مصر : ١٥١ شارع محمد (بك) فريد

الصناعة :

ويوجد في القاهرة وضواحيها من المصانع الكبيرة ، ومن الورش مايكاد يشمل كل نوع من أنواع الصناعات التى تباشر فى الجمهورية المصرية ، مثل صناعات الغزل والنسيج والتريكو والزجاج والجلود والمعادن والأثاث والأسمنت والبلاط والمواد الغذائية والمشروبات والزيوت ... الخ وكثير من المصانع والورش منبث في الأحياء السكنية في القاهرة ، وهذا مما يعيب القاهرة ، ومما تعمل الحكومة على تقاذه في الوقت الحاضر ، عند إعادة تخطيط القاهرة . ولذلك لا يمكن تحديد المناطق الصناعية . ومع ذلك فنورد فيما يلى أهم الصناعات والأحياء الموجودة بها :

- ١ - حى بولاق : ويشتهر بأعمال الطباعة (المطبعة الأميرية ، ومطبعة الأهرام ، ومطبعة أخبار اليوم) ، والصناعات المعدنية كسبك المعادن ، وصناعة عربات السكك الحديدية « الورش الأميرية » وصناعة السفن واصلاحها (الترسانة ، وشركة كوك للملاحة النهرية)
- ٢ - حى السبتية : الصناعات المعدنية ، واصلاح القاطرات وعربات السكك الحديدية « ورش السكك الحديد »
- ٣ - حى معروف : اصلاح السيارات وصيانتها وصناعة الفطائر
- ٤ - الموسكى : صناعة الأحذية والحقائب الجلدية وحياسة الملابس
- ٥ - الدرب الأحمر والحلمية : صناعة الأثاث والأدوات الخشبية ، والمخابز
- ٦ - القلعة والخيمية : صناعة الخيام وصناعة البناء
- ٧ - النحاسين : صناعة الأواني النحاسية والموازين
- ٨ - خان الخليلي والصاغة : صناعة التحف وصياغة الحلى الذهبية والمجوهرات
- ٩ - تحت الربع : خرط الأخشاب، والمصنوعات الرخامية والأدوات المنزلية
- ١٠ - سوق السلاح : صناعة بعض أنواع الأسلحة وسبك المعادن
- ١١ - مصر القديمة : قطع الأحجار، وصناعة الأواني الفخارية وصناعة الطوب والجير
- ١٢ - العباسية : صناعة البلاط والطوب الصناعى واصلاح السيارات والطرايش
- ١٣ - الحوامدية : تكرير السكر
- ١٤ - طره : صناعة الأسمنت ، والمواسير الفخارية ، وتقدير الكحول
- ١٥ - الجيزة : صناعة السجائر (مصنع ماتوسيان) ، وصناعة الحصر ،

والطوب الأحمر واصلاح القوارب

١٦ - امبابه : صناعة التريكو (مصنع الشوربجى) . والفواكه المحفوظة
والبلح المجفف . والطوب الأحمر . صباغة وتجهيز المنسوجات (شركة
الشرق للغزل والنسيج)

١٧ - بولاق الدكرور : المياه الغازية (مصانع الكوكاكولا)

١٨ - ضاحية الأهرام : صناعة الأفلام السينمائية ، والمياه الغازية
(شركة البيبسى كولا)

١٩ - حلوان : صناعة الحديد (مصنع الحديد والصلب) . نسج الحرير
(شركة مصر)

٢٠ - أبو زعبل : أحجار الرصف ، وصهر الحديد

٢١ - شبرا الخيمة : تعتبر ضاحية القاهرة الصناعية . وتقوم فيها كثير
من المصانع والصناعات الكبيرة من ذلك صناعة الزجاج (مصانع السيدياسين)
والغزل والنسيج ، وصناعة الكاوتشوك والبطاريات السائلة ، والسماط
العضوى ، والورق ، والبلاستيك

٢٢ - حى الأزهر : طبع الكتب وتجليدها

٢٣ - حى درب البرابرة بالموسكى : صناعة الحلوى والفطائر والطباعة
وصناعة الورق

٢٤ - حى عابدين : توجد به كثير من الصناعات المختلفة من ذلك :
صناعة الأثاث وحيائة الملابس والطباعة واصلاح السيارات وعمل الأحذية
وحقائب السيدات ، وصناعة الطرايش والمخابز وترصيع الحلى واصلاح
الساعات وصناعة الكليشيات

وفيما يلى احصاء لعدد المؤسسات الصناعية بالقاهرة وعدد العمال
والمشتغلين فيها :

النوع	عدد المصانع	عدد العمال	عدد المشتغلين
الأثاث	٢٨٦١	٥١٤٩	٨١٤٦
عجينة الورق والكرتون	٠٠٥	٤١١	٤٢٩
طبعم الكتب والجرائد	٣٤٣	٨٤٥٥	١٢٦٦٤
دباغة الجلود	١٠٤	١٦١٦	١٧٠٦
السكاوتشوك	١٠٤	٥٠٦	٦٣٢
البلاستيك	٠٠٨	١٤٤	١٥٥
الطوب الأحمر	٠٢٩	٧٤٦	٨١٩
الزجاج	٦٧	٨٧٣	١٠٠٤
الاسمنت	٠٣	٢٢٠١	٢٣١٨
الملابس	٤٢٥٦	٧٩٦٣	١٦٦٣١
البلاط	١٣٣	١١٥٦	١٢٨٨٢٨٨
الأحذية	٢٦٧٣	٥٣١٣	٨٢٠٧
خرائط الأخشاب	١٧٤	٦٠٥	٨١٦
المخابز	٩١٦	٦٧٣٤	٨٢٧٠
الحلوى	٥١٣	٤١١٠	١١٣٥٧
اصلاح السيارات	٤٢٤	٣٤٥٦	٤٢٥٢
الجملة	١٢٦١٣	٤٩٤٣٨	١٣٦٥٧٢٤

معارض القاهرة :

رأيت ان القاهرة أعظم سوق تجارية في الجمهورية المصرية . فضلا عن ذلك فهي تؤدي دور الموجه للصناع والزراع في جميع أنحاء الجمهورية ، بما هو قائم ويقوم فيها من مصانع وورش ومعارض ، حفلت بشتى المصنوعات والحاصلات والمنتجات الزراعية

ومن هذه المعارض ما هو دائم ، يفتح أبوابه طوال العام ، لتلقى الزائرين ، كمتحف القطن بالجمعية الزراعية بالجزيرة ، والمتحف الزراعي بالدقي ، ومتحف وزارة التجارة والصناعة ، ومعرض الغرفة التجارية بالقاهرة . ومنها ما يقام في فترات معينة ، على أرض الجمعية الزراعية

المصرية بالجزيرة أيضا ، وتعد له العدة ، ليكون معرضا عاما شاملا ، يمكن الشركات والمصانع من عرض أجود ما أخرجته من مصنوعات ومنتجات ، لحفز الصناع والزراع الى مسابقة التقدم الذى تحرزه الصناعة والزراعة على الدوام

المعرض الزراعى الصناعى :

تؤدى الجمعية الزراعية المصرية خدمة لا تقدر بتخصيصها مساحة كبيرة من سراياها بالجزيرة ، لاقامة معرض عام ، كل خمس سنوات ، للحاصلات والمنتجات الزراعية ، وللصناعات . وقد أقيمت هذه المعارض فى سنوات ١٩٢٦ ، ١٩٣١ ، ١٩٣٦ ، ١٩٤٩

ولقد كان معرض سنة ١٩٤٩ م أفخم تلك المعارض جميعا ، وأحفلها ، إذ لم تتسع له سراى الجمعية على رحابتها ، بل امتد فشغل أيضا حديقة الجزيرة المقابلة لها . ونسقت المعارضات تنسيقا بديعا . واشتركت فيه جميع الهيئات والمصالح الحكومية والشركات الصناعية ، والمؤسسات الأهلية ، والغرف التجارية ، فجاء معرضا حافلا شاملا ، أمته مئات الآلاف من الزوار ، من مختلف أنحاء القطر ، والأقطار المجاورة ، ووقفوا على أحدث المنتجات الزراعية والصناعية

معارض محلية أخرى :

وتستغل بعض الجهات الاقتصادية سراى الصناعات الصغرى بأرض المعرض بالجزيرة ، لاقامة معارض خاصة ، بين آن وآخر ، من ذلك : المعرض النوعى للصناعات ، وقد أقامته الغرفة التجارية للقاهرة فى ابريل سنة ١٩٤٠ ومعرض الأزياء ، وقد أقامته هذه الغرفة أيضا فى أواخر مارس سنة ١٩٣٩

معرض منتجات المركز الاجتماعى :

وفى يونية سنة ١٩٤٦ أقامت المراكز الاجتماعية ، التى أنشأتها مصلحة الفلاح التابعة لوزارة الشئون الاجتماعية معرضا فى سراى الصناعات الصغرى بأرض المعرض بالجزيرة ، لمنتجات الصناعات الريفية التى تباشرها

وتنشرها في القرى ، لزيادة دخل الفلاح الصغير ، والعامل الزراعى الأجير ، بتعليمه وأسرته صناعة منزلية يباشرونها في أوقات فراغهم

وقد عرضت في هذا المعرض معروضات شتى من منتجات تلك الصناعات مثل الأكلمة ، والأقمشة ، والأثاث المصنوع من الجريد ، وأعمال التريكو، والدواسات الليف ، والفرش ، ومنتجات الفواكه المجففة ، والشربات ، والمربيات ... الخ . وقد زار هذا المصنع آلاف من الزائرين ، ولقيت معروضاته اقبالا كبيرا منهم

معارض وزارة التربية والتعليم :

كذلك تعرض وزارة التربية والتعليم في سراى الصناعات الصغرى ، بين وقت وآخر ، منتجات المدارس الصناعية ، خصوصا صناعة الأثاث والمنسوجات والأبسطة والأكلمة وغيرها ، متيحة الفرصة للمواطنين أن يتابعوا مصنوعات متينة ، بأسعار معقولة ، وبشروط مقبولة ، ولتنشر بين الصناع أساليب الصناعة الحديثة

المعارض الاجنبية :

ولا تقتصر الجمعية الزراعية على اقامة المعارض المحلية ، بل انها تلبي نداء الدول الأجنبية ، في اقامة معارض لها بسراياها . وقد أقيمت في سنتى ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ عدة معارض بسراى الصناعات الصغرى والكبرى لتشيكوسلوفاكيا ، والصين الشعبية ، واليابان ، والجمهورية الألمانية الشرقية والغربية . وعرضت كل من تلك الدول أحدث صناعاتها ومنتجاتها ، وتهدف من وراء ذلك الى الاعلان عن صناعاتها ، وتقريب منتجاتها الى متناول يد المستهلك المصرى ، وايجاد سوق لها في مصر ، وعقد الصلات التجارية المتينة بينها وبين الجمهورية العربية المتحدة ودول الشرق الأوسط

الباب العاشر

قاهرة العند

استعرضنا فيما سبق ، نشأة القاهرة ، والمدن التي قامت قبلها ، وأوضحنا أن هذه المدن بما فيها القاهرة ، اتجهت من أقصى جنوب الوادى الى شماله ، فيما بين تلال المقطم من الشرق ، والشاطيء الشرقى للنيل من الغرب . ولما شيدت القاهرة المعزية أصبحت الفسطاط والقطائع كضاحيتين بالنسبة للقاهرة

وقد كانت حركتا الانشاء والتعمير تسير سيرا وثيدا ، اذ لم يكن عدد السكان يزداد زيادة كبيرة . بل لقد كانت الأوبئة والطواعين ، التي كانت تتاب البلاد ، وخصوصا القاهرة ، بين آن وآخر ، عاملا فى نقصان عدد السكان حينئذ

وفى عهد المماليك ، أخذت القاهرة تغزو صحراء العباسية ، وأخذت المباني تتناثر هنا وهناك ، حتى وصلت الى حدود مديرية القليوبية حاليا . وكان ذلك ايذانا بامتداد المدينة فى الاتجاه الشمالى الشرقى ، فى مستقبل أيامها . وقد حدث ذلك فعلا ابتداء من القرن التاسع عشر وفى القرن العشرين الحالى ، اذ أنشئت ضواحي العباسية ومصر الجديدة والقبة وحدائق القبة والمطرية وعين شمس ، وازدحم أغلبها بالسكان ازدحاما كبيرا ، بسبب اختناق القاهرة بساكنيها ، فنفت هذه الضواحي عنها ، وأسهمت فى حل الضائقة التي نجمت عن الزيادة المطردة فى عدد سكان العاصمة

كذلك اتجهت المدينة فى اتجاه آخر ، صوب الشمال الغربى ، حيث أنشئ حيّان عظيمان ، هما حيّا شبرا وروض الفرج ، وامتدت المباني حتى وصلت الى شبرا الخيمة ، وغصّا بالسكان ، وأضحيا كمدينة قائمة

بذاتها ، عامرة بالمباني والمنشآت الحديثة ، آهلة بالسكان

ولم يعد النيل حائلا دون امتداد المدينة ناحية الغرب أيضا ، فقد كان بناء القناطر العديدة (الكبارى) عاملا هاما فى استيطان الناس الأراضى الممتدة على الشاطئ الغربى للنيل ، تجاه القاهرة . فأنشئت أحياء الدقى والعجوزة والروضة والمنيل ، وصارت جميعا أحياء عامرة ، آهلة بالسكان كذلك امتدت المدينة جنوبا ، فعمرت المعادى وطره وحلوان ، وزحف إليها الناس ، وتكاثر عددهم ، وسترزاد هذه المدن ازدهارا بعد أن أنشئ كورنيش النيل ، الذى قَرَّب المسافة بينها وبين القاهرة. كذلك عمّر شارع الهرم بما أنشئ على جانبيه من عمائر شاهقة ، ومبان فخمة ، وتحويل كثير من القرى هناك الى مناطق سكنية عامرة . وقد كان للجمعيات التعاونية السكنية يد فى الانشاء والتعمير بما أنشأته من منازل لأعضائها فى أحياء متفرقة فى العجوزة والدقى ودار السلام والقبة وغيرها

وقد كان تعدد طرق المواصلات الحديثة ، وتوافرها ، وسرعتها عوامل أساسية فى امتداد القاهرة فى كل اتجاه ، حتى لم تعد تعتبر هذه الأحياء ضواحي للقاهرة ، فان أقصاها لايبعد عن القاهرة اليوم بأكثر من دقائق معدودات

قلنا ان عدد سكان القاهرة فى زيادة مطردة : فقد كانوا ٣٩٨٦٨٣ سمة سنة ١٨٨٢ ، ٥٨٩٥٧٣ سنة ١٨٩٧ ، ٦٧٨٤٣٣ سنة ١٩٠٧ ، ٧٩٠٩٣٩ سنة ١٩١٧ ، ١٠٦٤٥٦٧ سنة ١٩٢٧ ، ١٣١٢٠٩٣ سنة ١٩٣٧ ، ٢٠٩٠٦٥٤ سنة ١٩٤٧ (١) . ويستنتج من ذلك ان زيادة عدد سكان القاهرة فى خمسين السنة الأخيرة بلغت مليونا ونصفا . وإذا اتخذت هذه الزيادة مقياسا فسيبلغ عدد السكان فى خمسين السنة القادمة ثلاثة ملايين ونصفا . وستدعو هذه الزيادة المنتظرة الى التفكير

(١) المعتاد ان تجرى عملية احصاء السكان فى الجمهورية المصرية كل عشرة أعوام ، وقد أجل الاحصاء الذى كان سيجرى سنة ١٩٥٧ الى عام ١٩٦٠

الطويل فيما ستكون عليه القاهرة سنة ٢٠٠٠ م ، وتعديل تخطيطها بما يتناسب والزيادة المرتقبة ، التى نعتقد أنها ستفوق المنتظر بكثير ، لعوامل متعددة ، لم تكن متوفرة فى الماضى ، بل ان مستقبل مصر الزاهر ، وعهدها الجديد المبارك ، بما ينطوى عليه من نهوض وتقدم فى جميع نواحي الحياة ، ليشر بزيادة فى عدد السكان قد تزيد عما قدمناه ، قياسا على الزيادة فى خمسين السنة الماضية . وهذا ما يشغل اليوم بال وزارة الشئون البلدية والتخطيط ، وتعمل جاهدة بمعونة هيئة التخطيط التى أنشأتها لدراسة التدابير اللازمة وتحقيقها بالتدرج

وقد انتهت هذه الهيئة بعد دراستها الموضوع الى وضع تقرير رأت فيه وجوب الشروع فى تخطيط القاهرة تخطيطا جديدا ، يحدد المناطق السكنية والصناعية ، والأحياء التجارية ، وأحياء الأعمال ، والجبانات ، وشبكة الطرق البرية الرئيسية ، وشبكة خطوط المواصلات جميعا . وطالبت بضرورة تحديد الهجرة الى القاهرة ، وتوزيع الخدمات العامة توزيعا عادلا فى الأحياء المختلفة

والحقيقة ان الزيادة المطردة فى عدد سكان القاهرة لا ترجع فقط الى زيادة نسبة المواليد على نسبة الوفيات بسبب الاهتمام الفائق بالحالة الصحية بوجه عام فى جميع أنحاء البلاد ، وانما ترجع أيضا الى توالى الهجرة الى القاهرة ، اذ يتركز فيها النشاط الحكومى والصناعى والتجارى والثقافى والعلمى والفنى . ثم ان عدم تحديد الأحياء ، وتدخل المناطق الصناعية فى المناطق السكنية ، وشغل الجبانات مساحة واسعة من تلك المناطق ، وكذا المعسكرات الحربية ، مع عدم وجود احتياطي فى المناطق السكنية يستوعب الزيادة الناشئة ، كل ذلك يستدعى ، كما قدمنا ، ضرورة النظر فى اعادة تخطيط القاهرة

وقد اتخذت خطوات ناجحة بالفعل نحو تنفيذ هذه الخطة ، فبدىء فى نقل الجبانات مثل جبانة السيدة نفيسة وجبانة باب النصر من قلب القاهرة ،

الأولى الى أرض البساتين والثانية الى العباسية بأرض الغفير

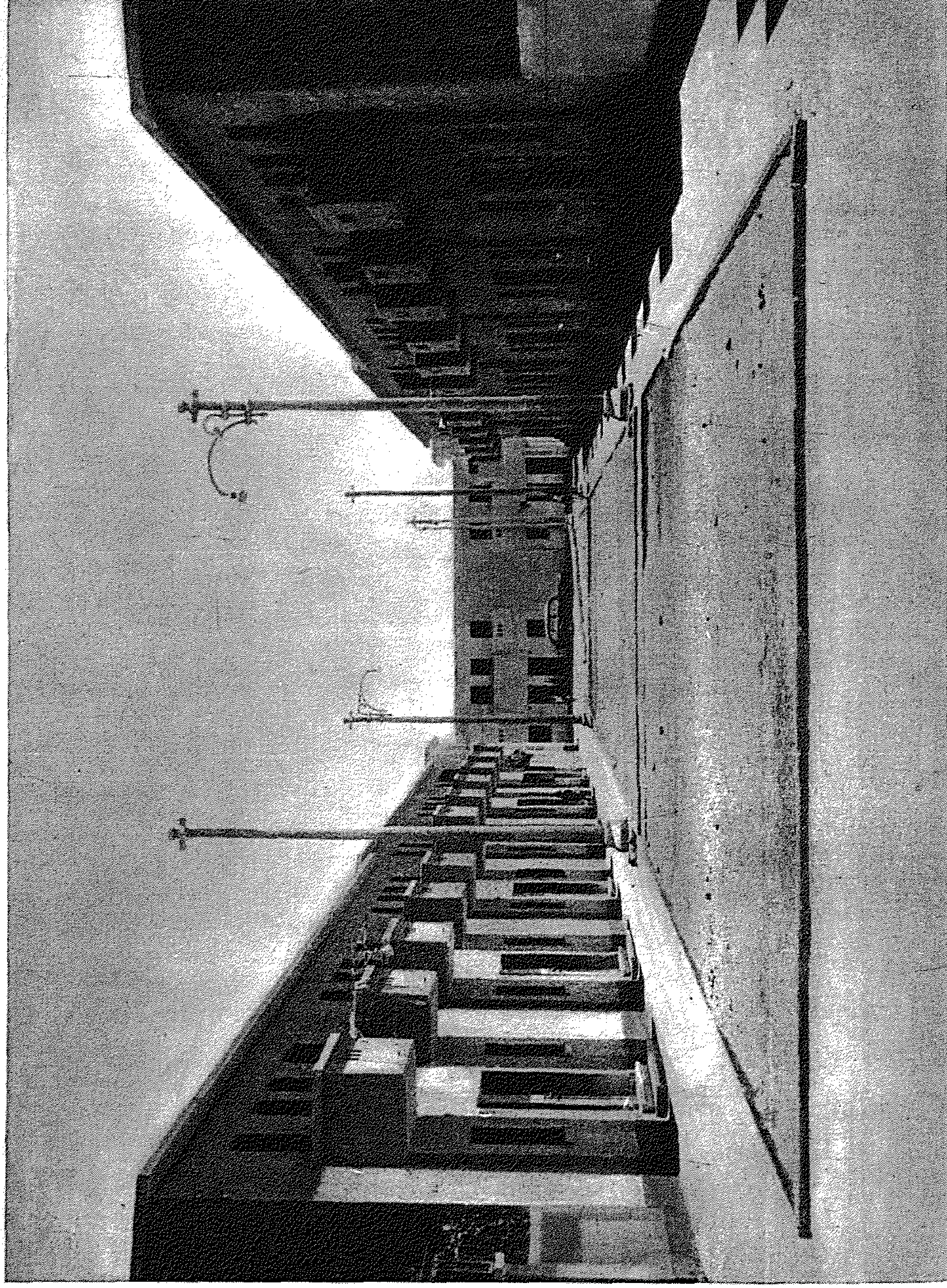
كذلك أخذ في نقل بعض المصانع الى غمرة في الأرض التي تخلفت عن ردم
ترعة الاسماعيليه ، هذا بالإضافة الى المصانع التي أقيمت في شبرا الخيمة
التي ستصبح مستقبلا ضاحية القاهرة الصناعية . ولقد تحولت كثير من
الخرائب والكيمان والأحياء التي كانت منبثة في أرجاء القاهرة الى مبان
سكنية شاهقة استوعبت كثيرا من السكان الذين أجلوا عن مساكنهم التي
تهدمت بسبب ازالة بعض الأحياء القديمة أو انشاء الشوارع والميادين
الجديدة ، كما خططت هضبة المقطم ونظمت فيها الميادين والشوارع ،
ونسقت المتنزهات والحدائق وأنشئت الفنادق والمقاهى وأقيمت القصور
والمنازل

وقد أزيلت أحياء بأكملها من القاهرة ، كانت وصمة في جبينها ، وأعيد
تخطيطها أو اخترقتها الشوارع أو أنشئ في مكانها الميادين الفسيحة ،
من ذلك : حى الفوالة بعابدين وعشش الترجمان وحى الزهار ببولاق وعرب
اليسار وعزبة الصفيح بالعباسية وتلال زينهم بالسيدة زينب

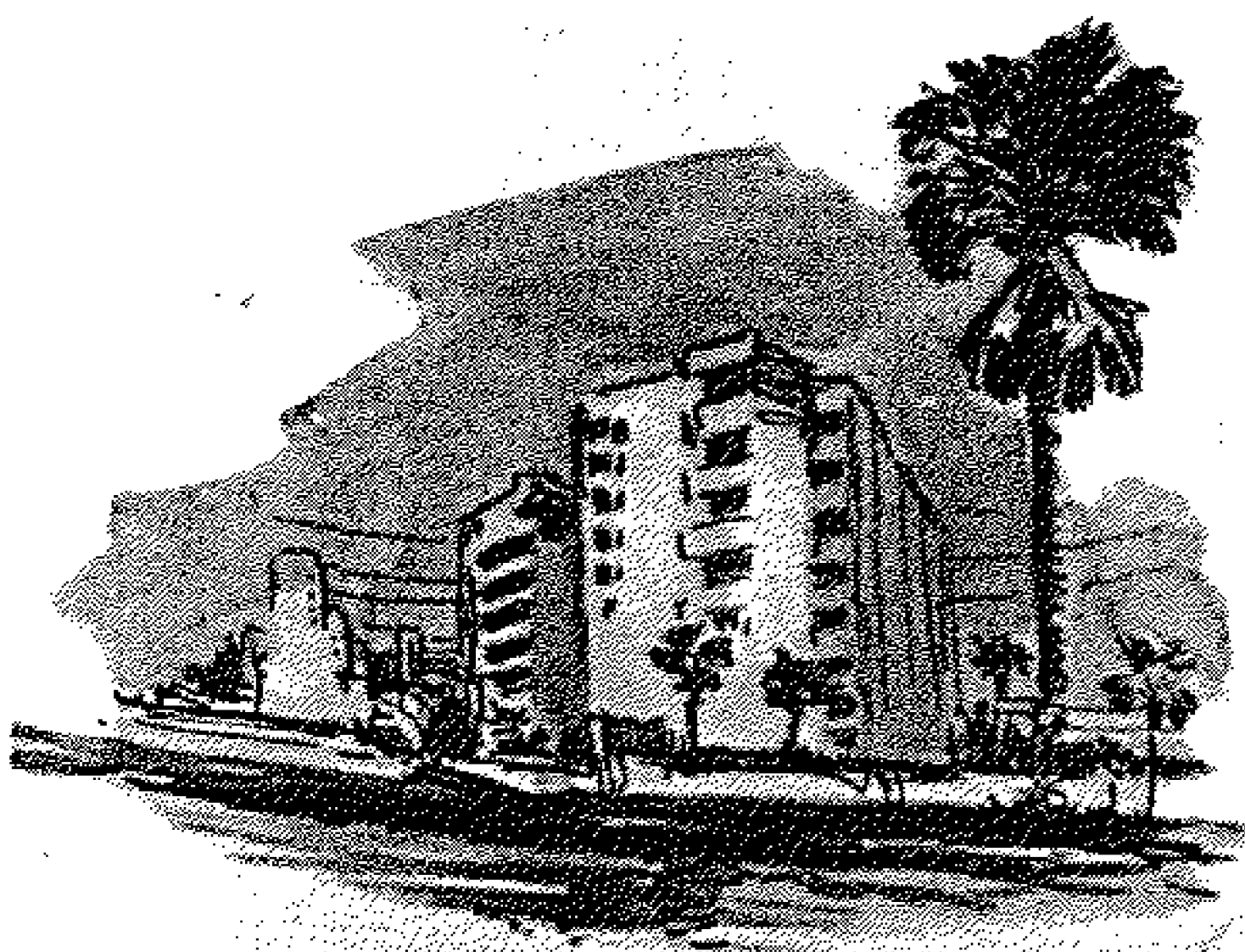
ولن تأتى سنة ٢٠٠٠ م الا وستكون القاهرة قد تضاعفت مساحتها ،
فامتدت ناحية الشرق ، وتوغلت في الصحراء مسافات بعيدة ، فتتصل
العباسية بمصر الجديدة . ثم تمتد الأخيرة شرقا في طريق السويس وغربا
لتتصل بالزيتون والمطرية ، وتتصل الأخيرة بعين شمس وأبى زعبل

كذلك يحدث نفس الشئ في القرى المقابلة للقاهرة على الشاطئ
الغربى للنيل ، ابتداء من امبابة حتى الأهرام حيث تتصل بعضها ببعض ،
يدخل ضمن ذلك مدينة العمال والعجوزة وعزبة الحوتية والدقى ومدينة
الأوقاف وبولاق الدكرور والجيزة ومنطقة الهرم . وسيزداد توغلها غربا
حتى تتصل بالطريق الصحراوى بين القاهرة والاسكندرية

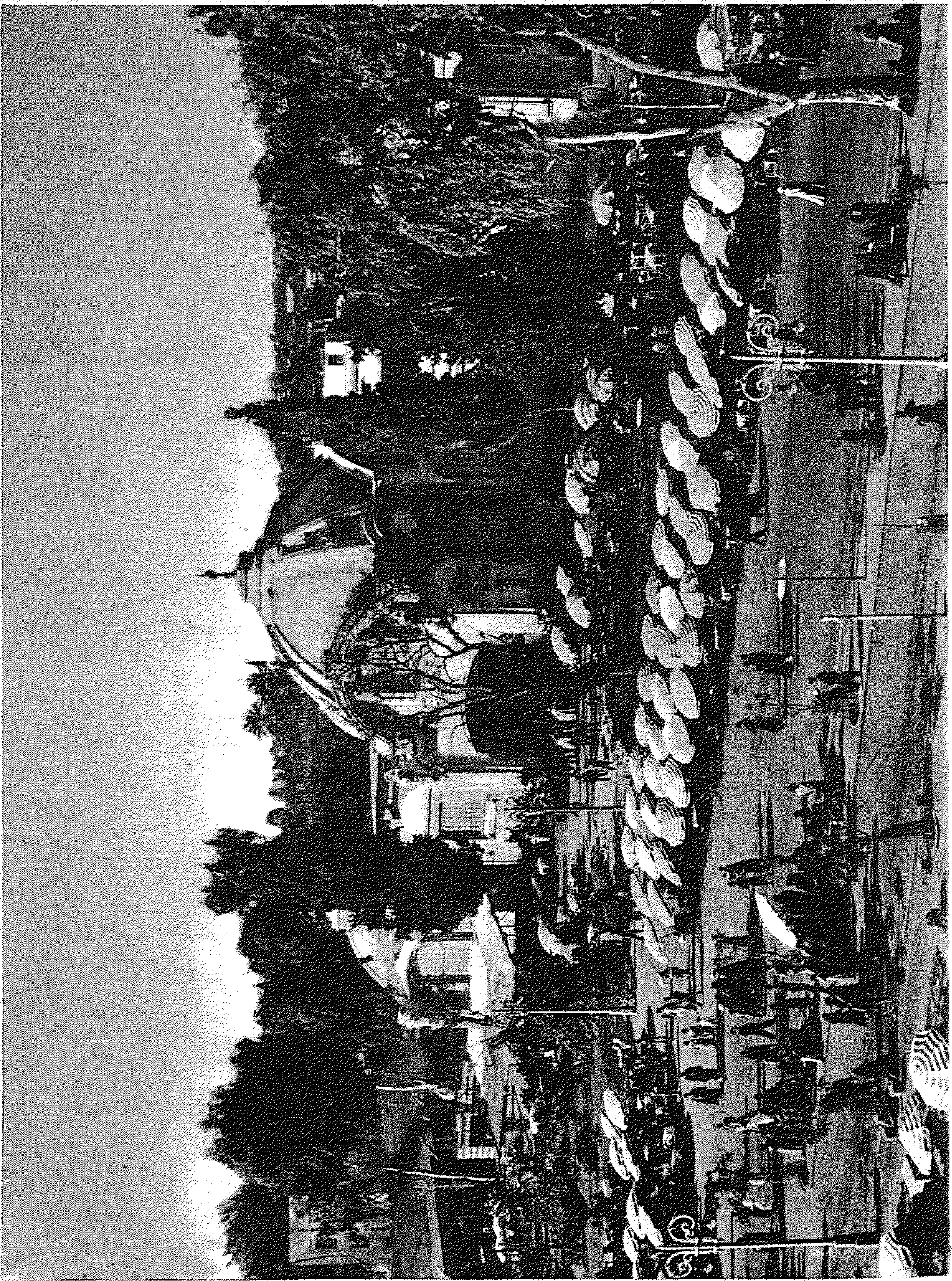
ولا جدال في أنها ستكون حينئذ أعظم مدن الشرق قاطبة ، ومن أعظم
مدن العالم الحديث



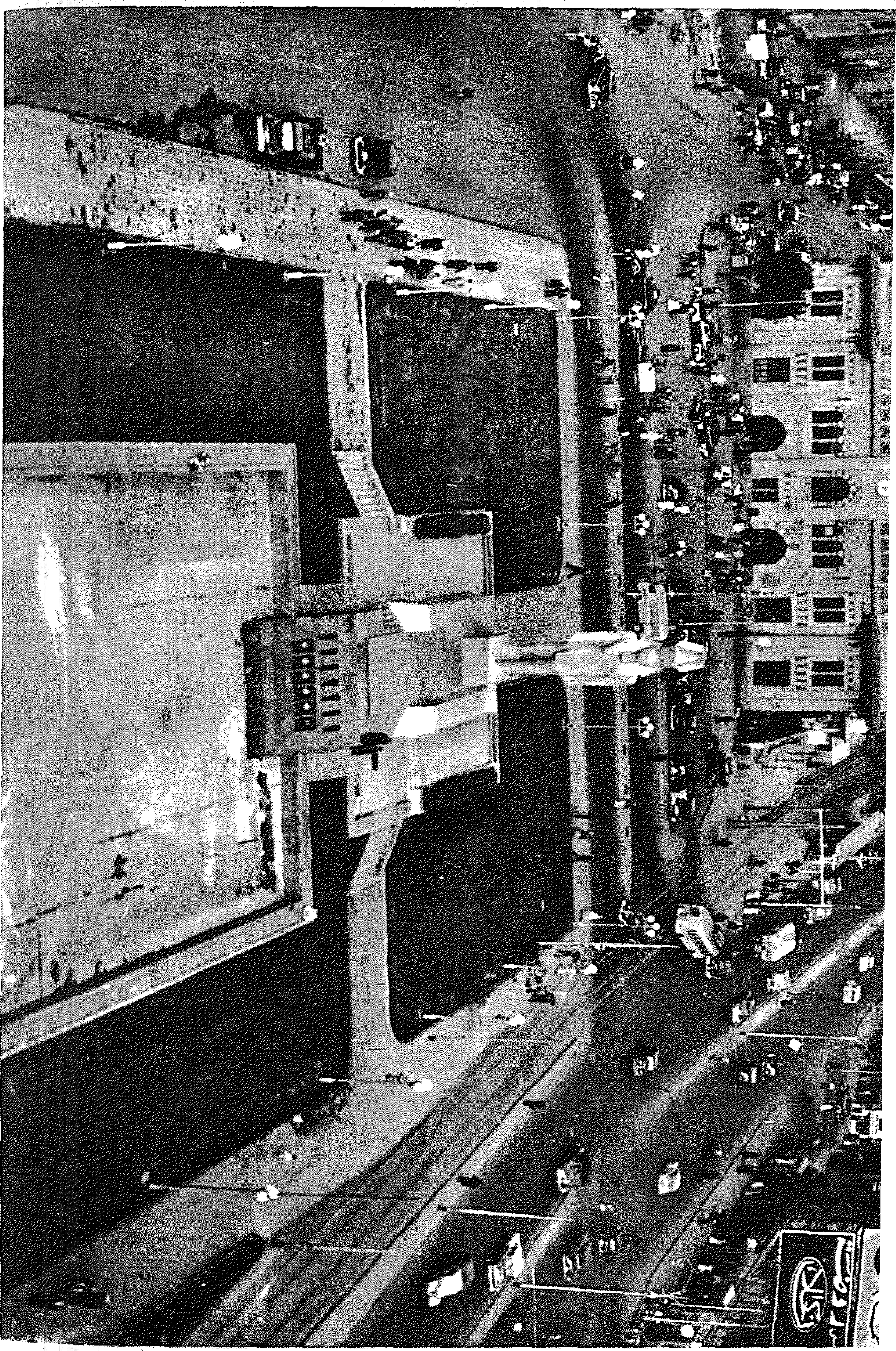
بعض المساكن الشعبية بمدينة العمال في حلوان ، وهي إحدى مدن كثيرة أنشئت في



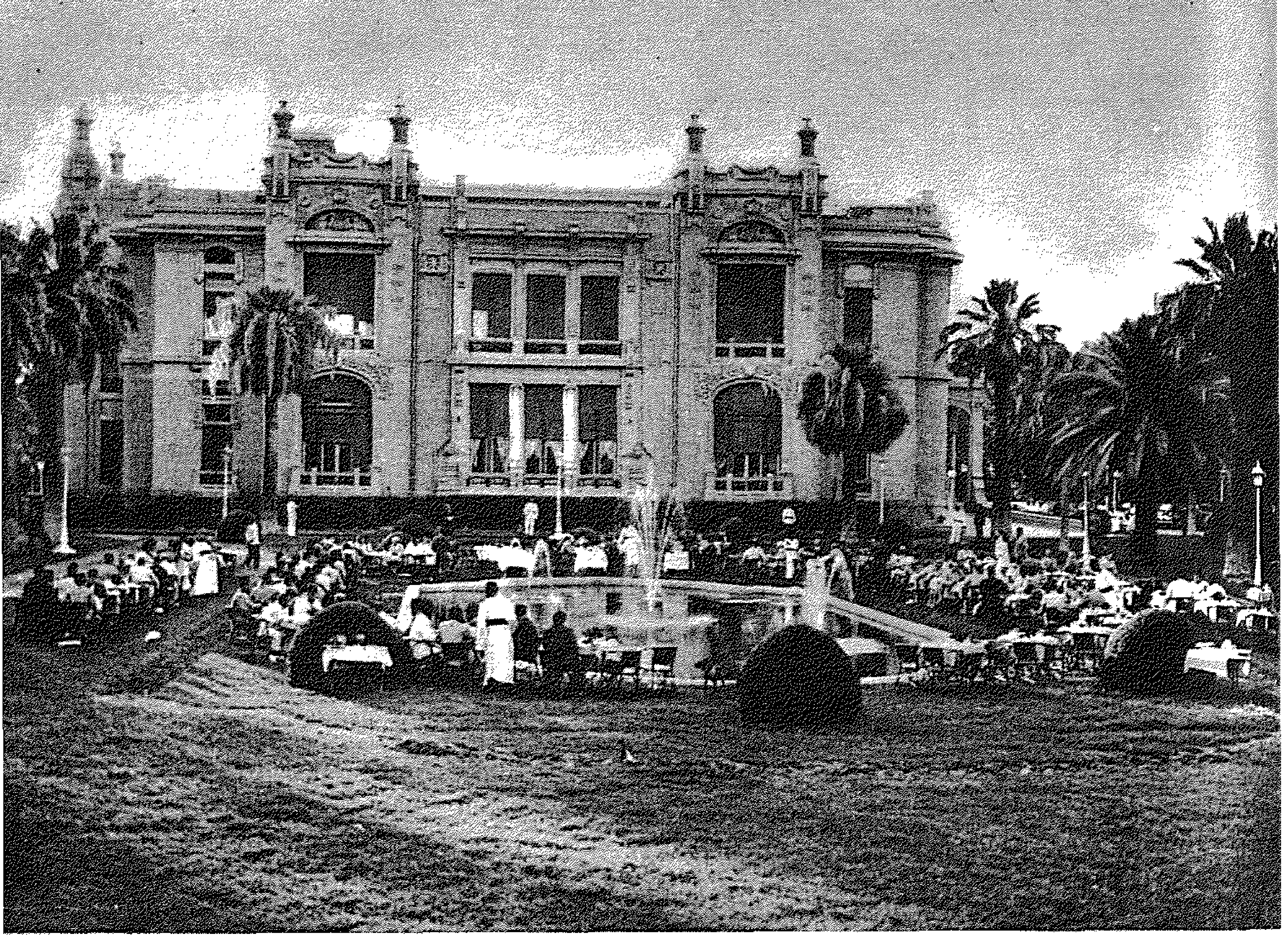
أحدى العمارات الشاهقة بالقاهرة ، الواقعة
على النيل ، والتي أنشئت حديثا وفق
الهندسة الأوروبية وتمتاز بمتانة الأساس ،
واحكام البناء ، وعلو الارتفاع



متحف القطرين بأرض الجمعية الزراعية بالقاهرة، وهو يعتبر معهدا هاما يشاهد فيه الزائر ادوار



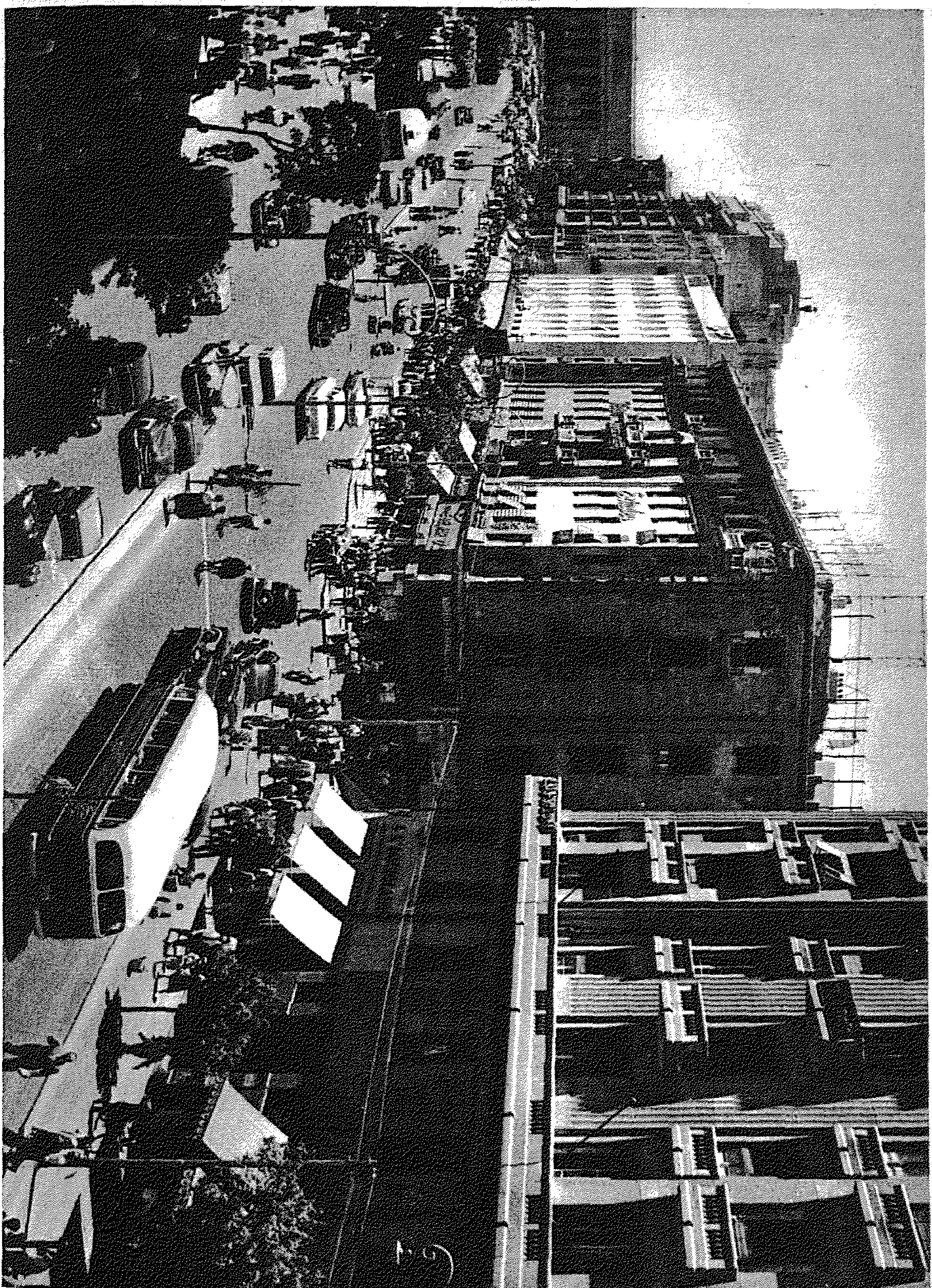
ميدان رمسيس (ميدان المحطة) بعد اعادة تنظيمه . ويرى في وسطه تمثال رمسيس الذي نقل اليه من البدر شين



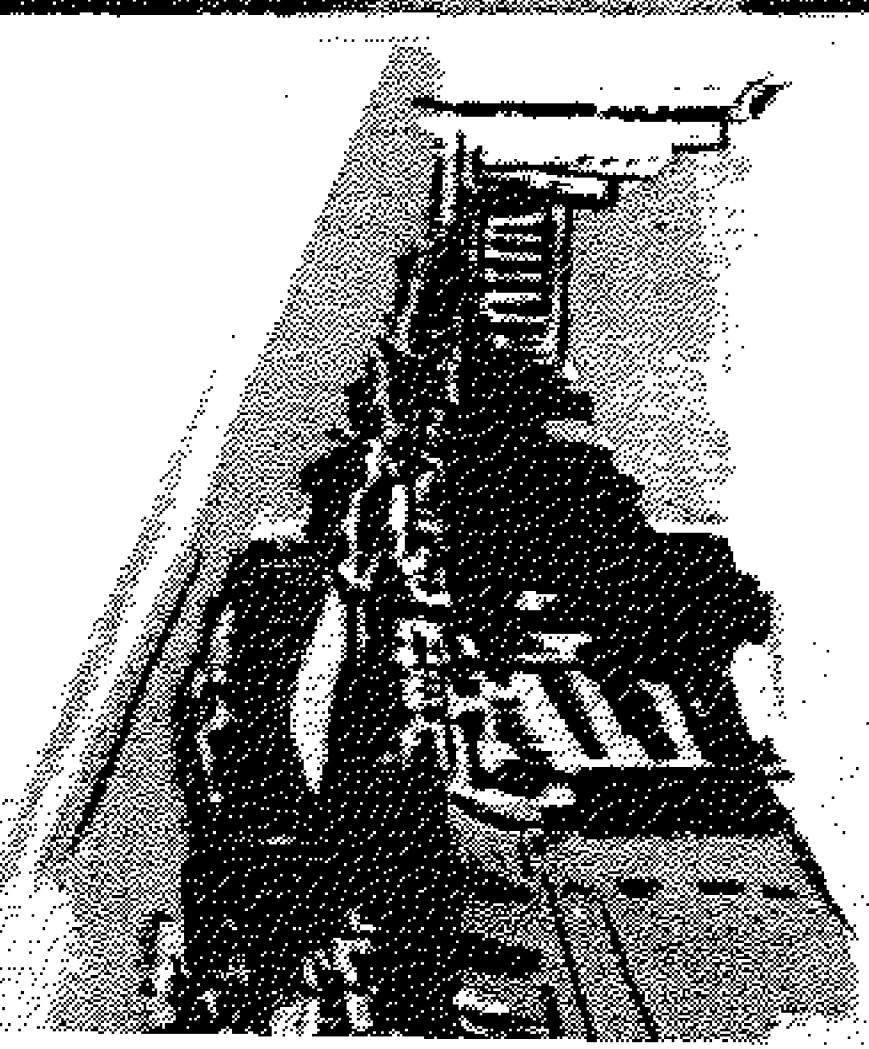
قصر الزعفران بالعباسية ، وقد تحول الى مبنى ادارة جامعة عين شمس

جزء من شارع رمسيس ، ويرى به معهد الموسيقى الشرقى، يليه المركز الرئيسى
للتليفونات ، فمبنى ادارة مصلحة المواصلات السلكية واللاسلكية ▼





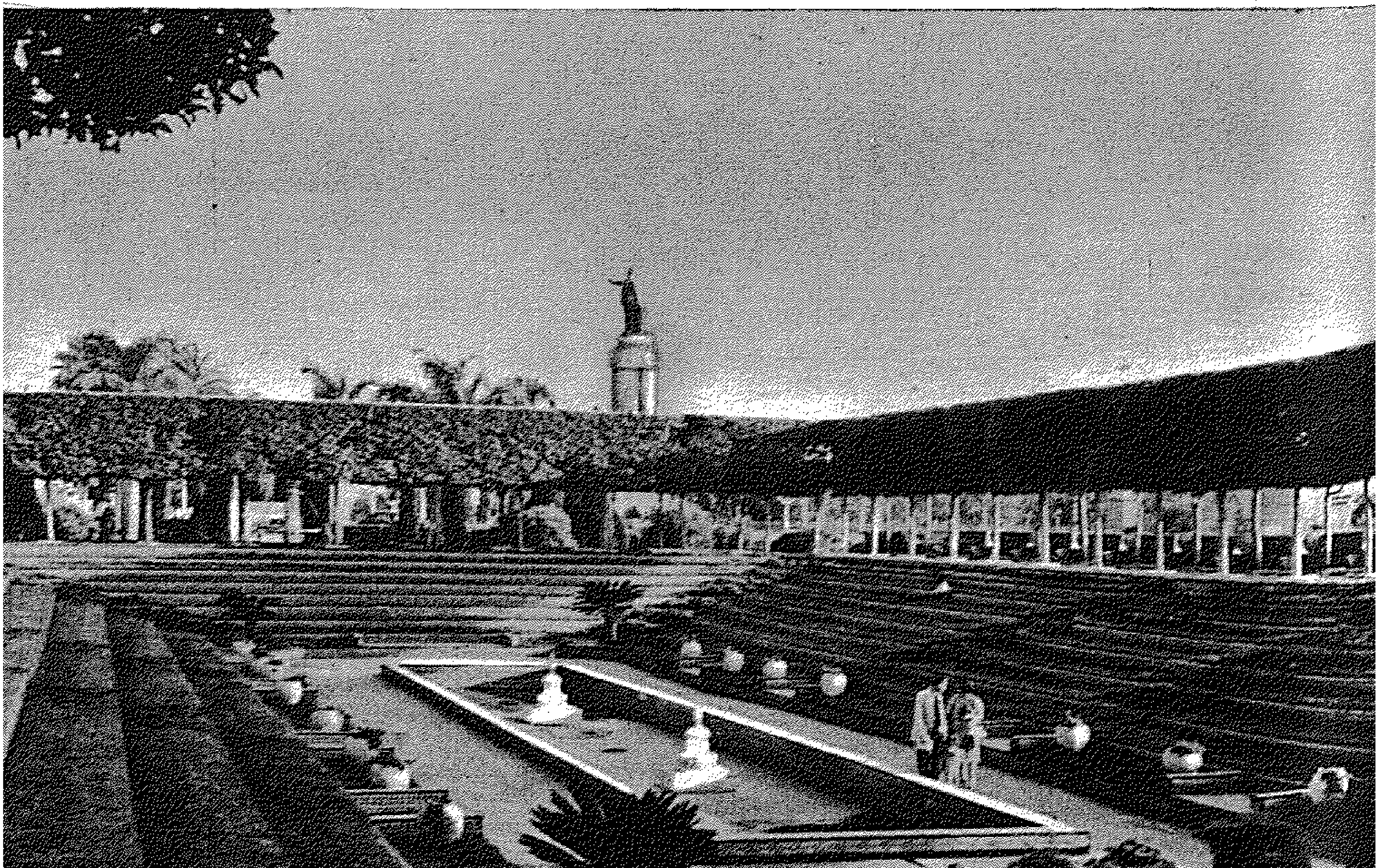
شارع ٢٦ يوليو وتقاطعته مع شارع محمد فريد . وترى المباني الشامخة ، والمحال التجارية العامة ،
وحركة المواصلات الدائبة ، والمبنى المستعرض في نهاية الشارع من جهة الغرب هو مبنى القضاء العالي





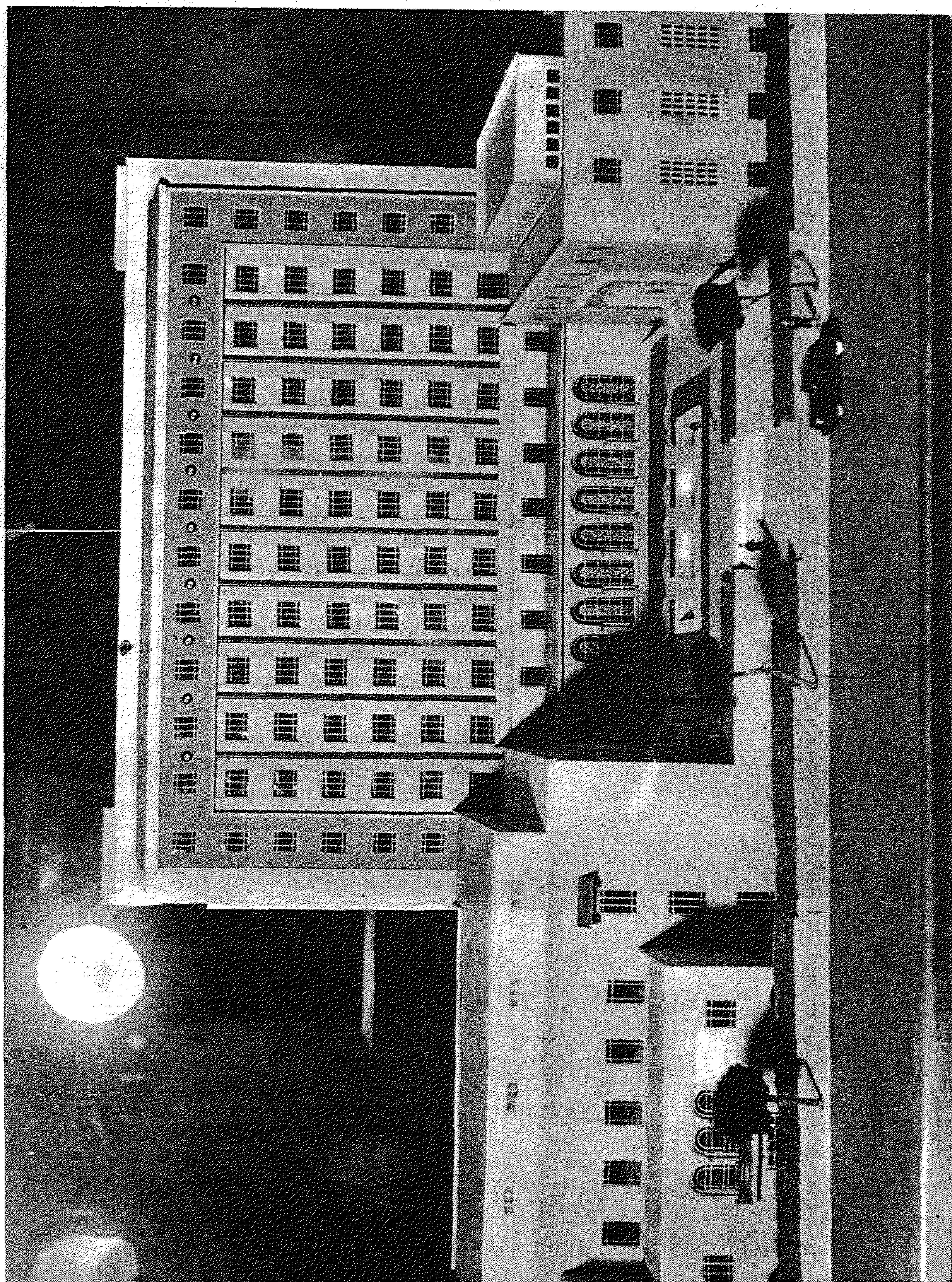
شارع الاوبرا : ويرى في وسطه تمثال ابراهيم ، ومبنى الاوبرا وحديقة الازبكية.
وهو من اكثر شوارع القاهرة حركة، وينتهى من جهته البحرية بميدان رمسيس

حديقة الاندلس بالجزيرة ، وهى من أجمل حدائق القاهرة وترى الفسقية يحيط
بها المدرجات الهندسية ، وصفوف الاشجار التى تشكل سياجا أخضر حولها





حديقة الازبكية يخرقها شارع ٢٦ يوليو ، ويعتبر هذا الشارع من أعمال
الثورة الجليلة اذ سهل الانتقال الى منطقة العتبة والشوارع المتفرعة منها

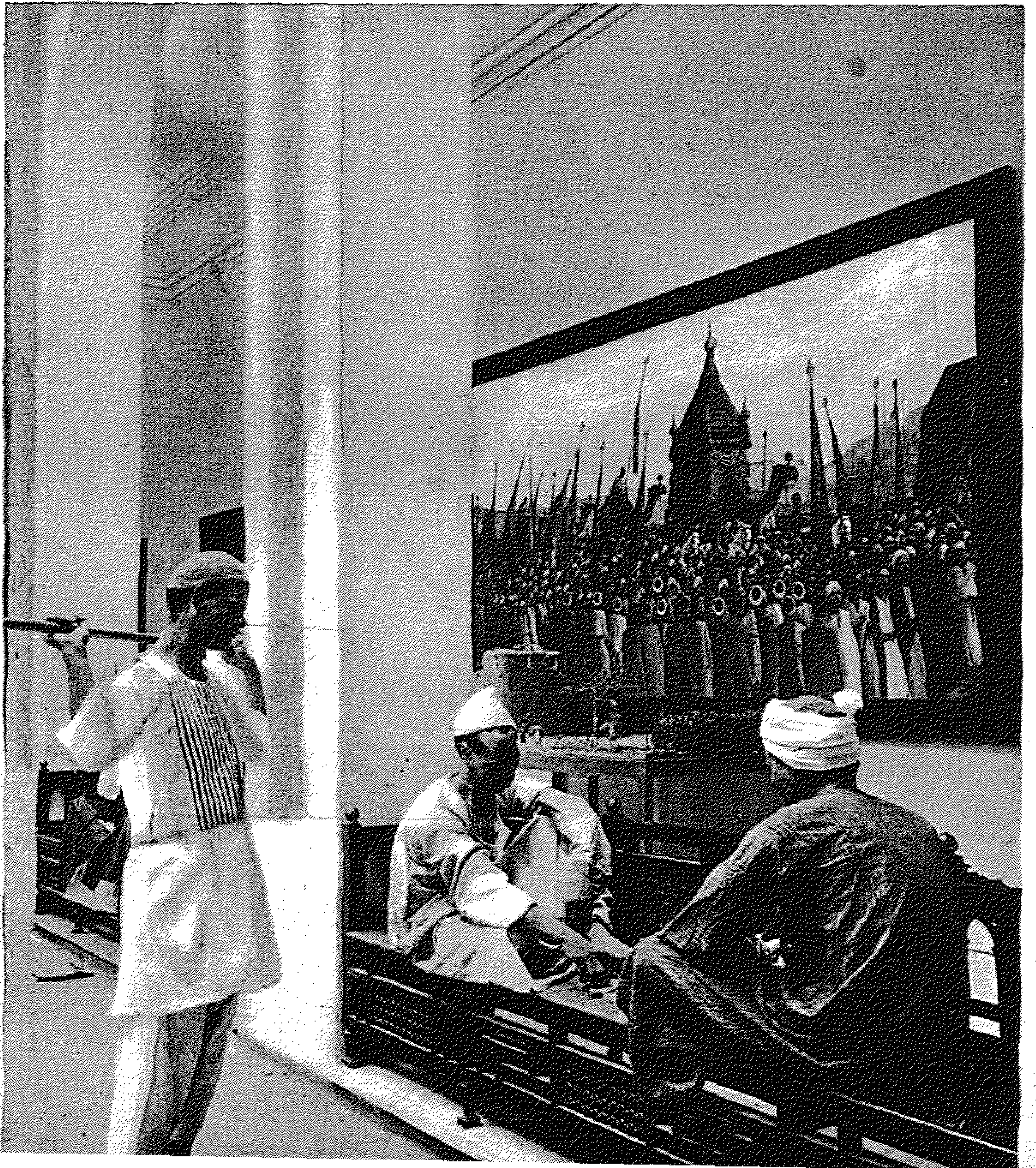


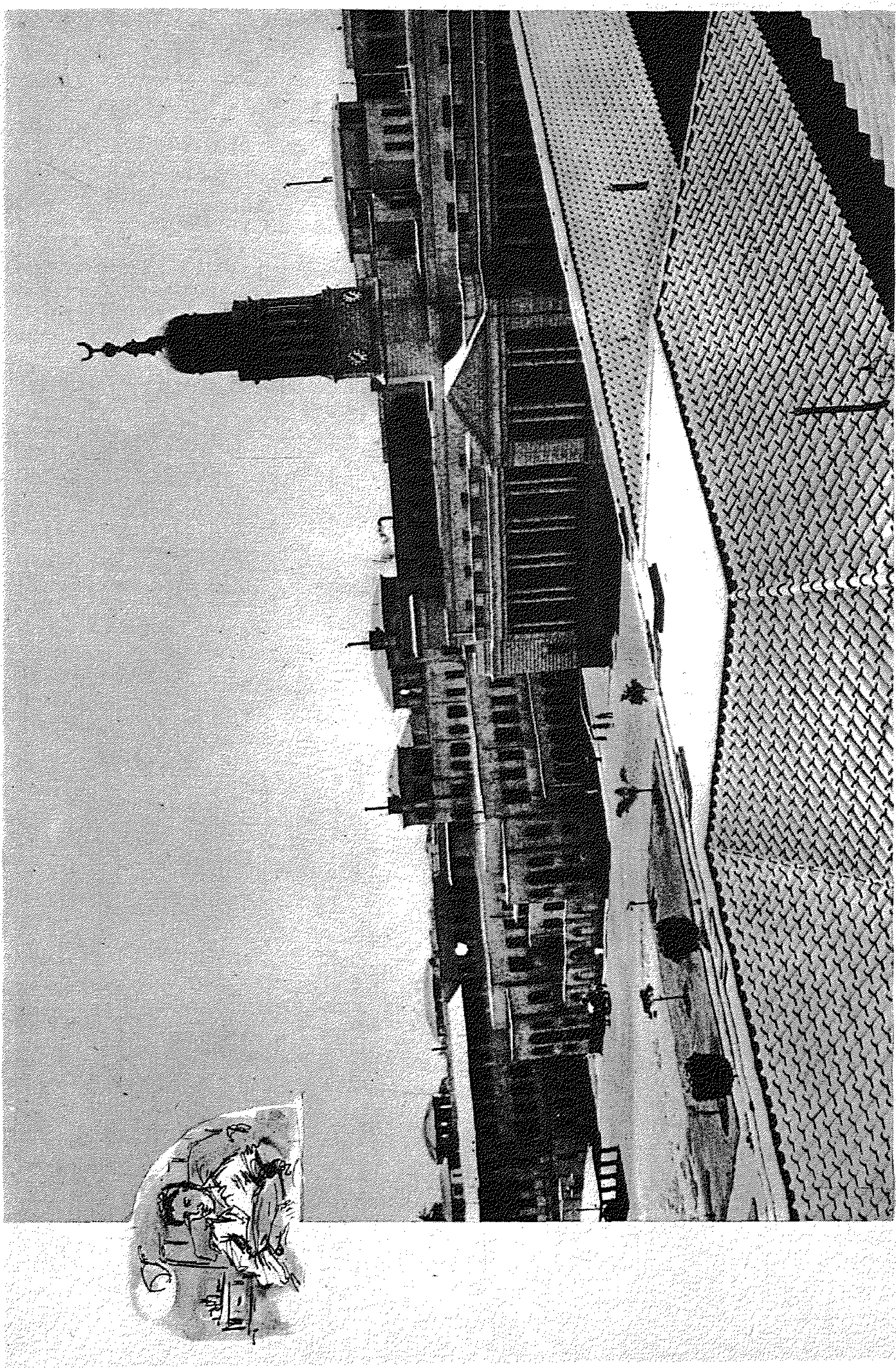
مبنى جامعة الدول العربية على النيل، أمام وزارة الخارجية. ويتكون من ثلاثة أجنحة، تتوسطها نافورة. ويتكون



واجهة المتحف الزراعى

صالة حياة الفلاح فى المتحف
الزراعى بالدقى . ويرى
فلاحان يلعبان النرد ،
وأخر يشاهد هما . وما
ثلاثتهما سوى تماثيل
أتقن الفنان صنعها . وعلى
الحائط توجد صورة
تمثل الاحتفال بالمحمل



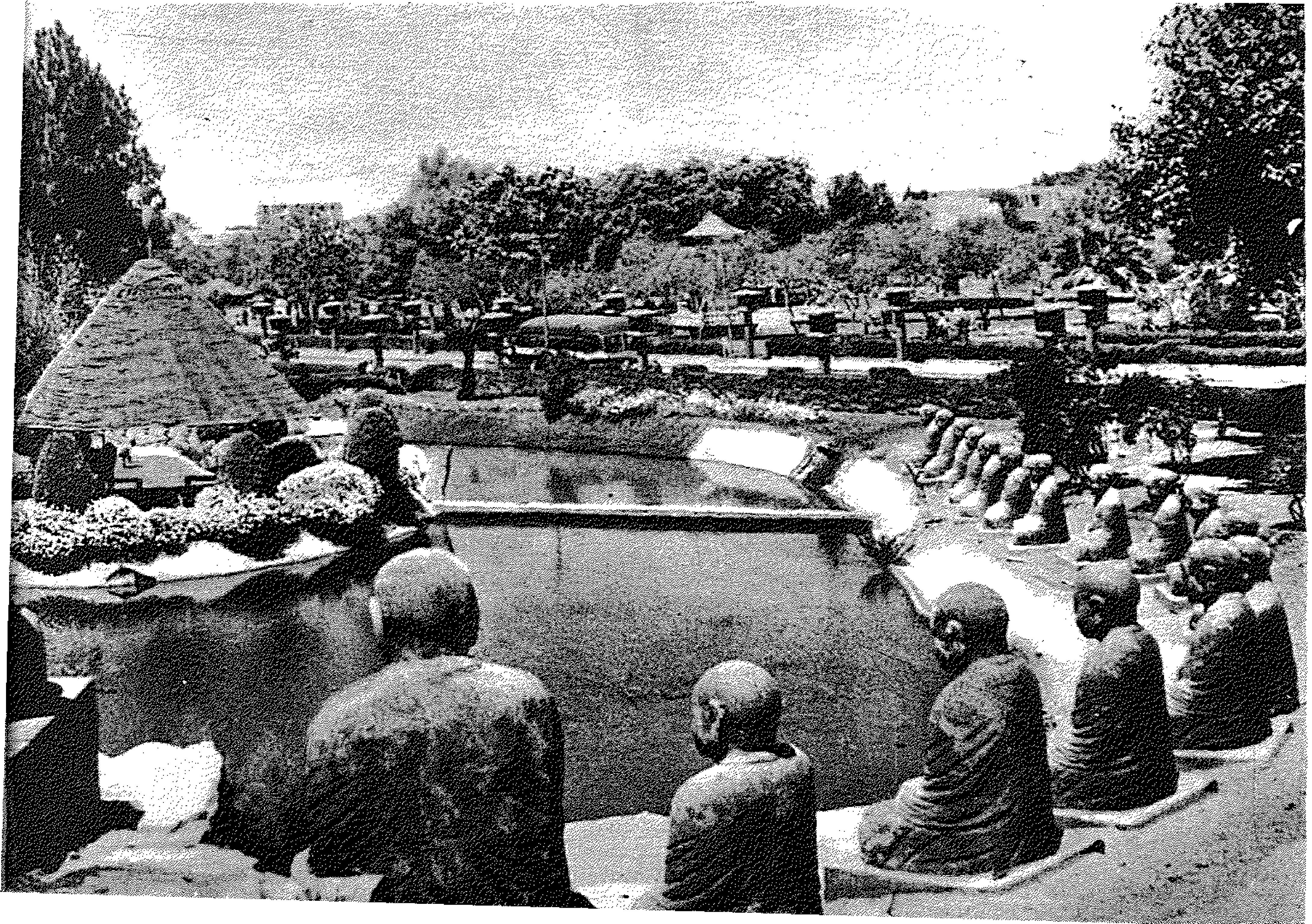


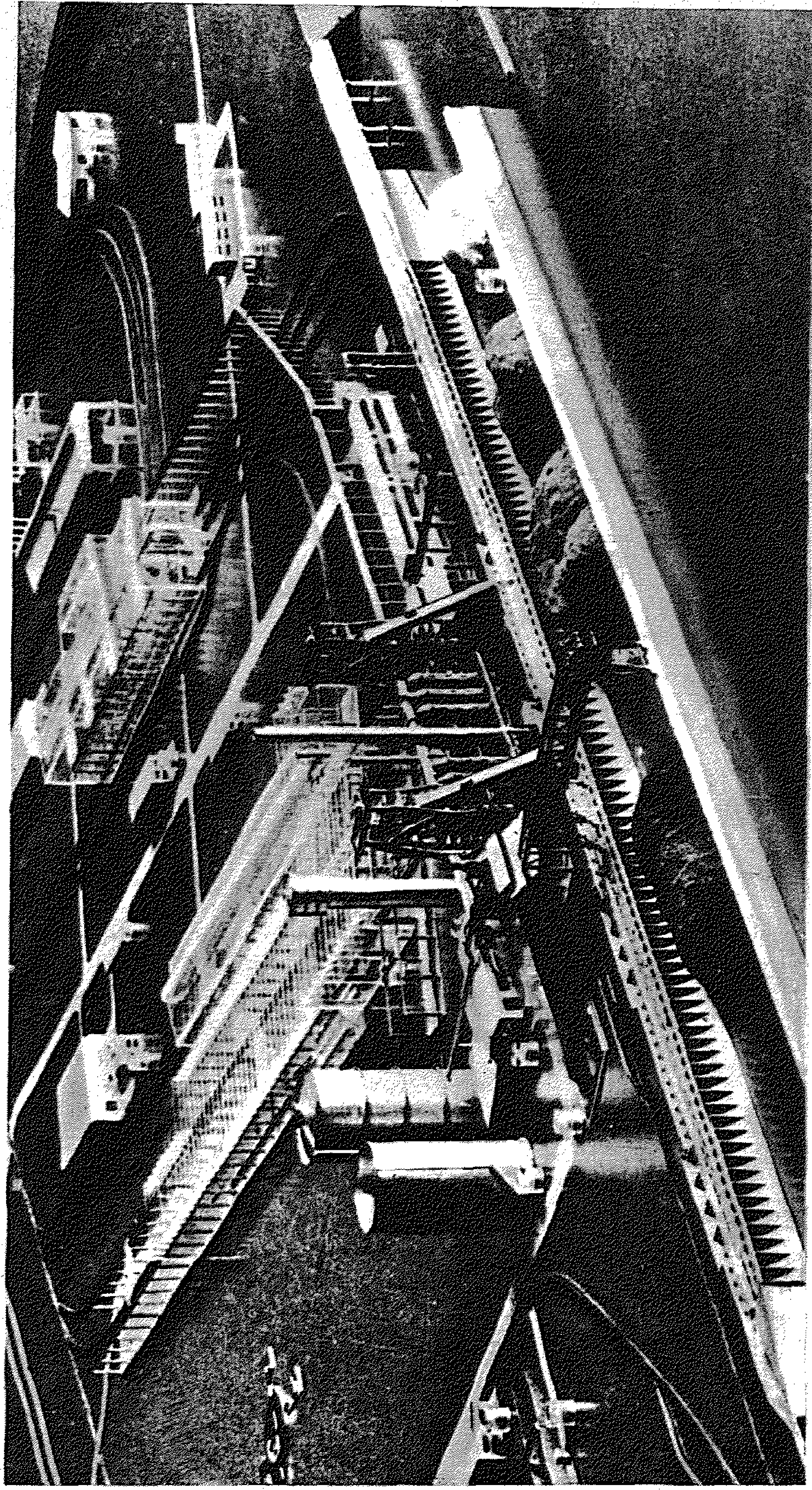
بعض أجنحة المستشفى الجامعي بالمنيل . وهو من أعظم مستشفيات العالم . مقام على أرض تبلغ
سبعين ألف متر مربع . ويقع على رصيف النيل . مما تسبب للمرضى حواياتنا ساحر العنق على الشفاء



حديقة الحياة فى حلوان التى تعتبر أحد المشاتى العالمية وهى من ضواحي القاهرة

▼ الحديقة اليابانية فى حلوان ، وقد جمعت بين المنظر الجميل والهواء العليل





مصنع الحديد والصلب بحلوان ، احد المنشآت المجيدة التى انجزتها الثورة المباركة
كأساس لحركة التصنيع فى مصر . ويقوم المصنع على مساحة قدرها ألف فدان



احدى المغارات بحديقة
الاسماك بالجزيرة . وفضلا
عما تحتوى عليه من اسماك
نادرة ، فهي احلى متع
الطبيعة وروائع الفن
بالقاهرة ...

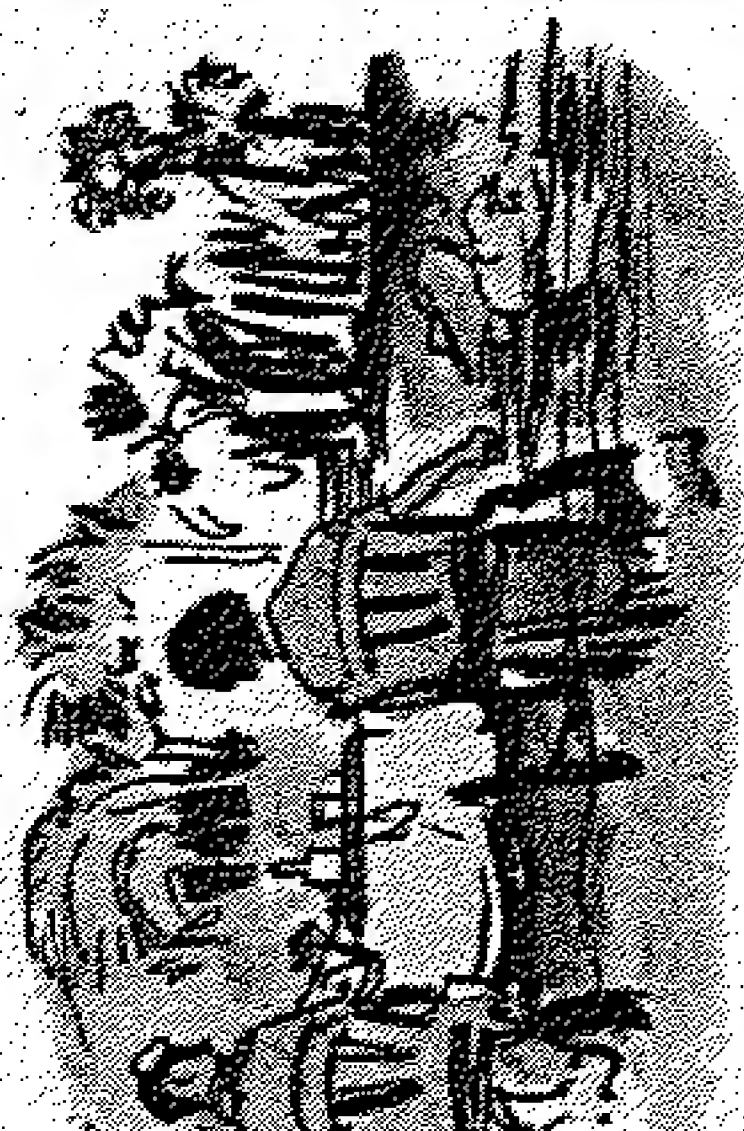


جبلية القروى
الصناعية بحديقة الحيوان
بالجزيرة ، وهي احلى
المنشآت الحديثة بالحديقة

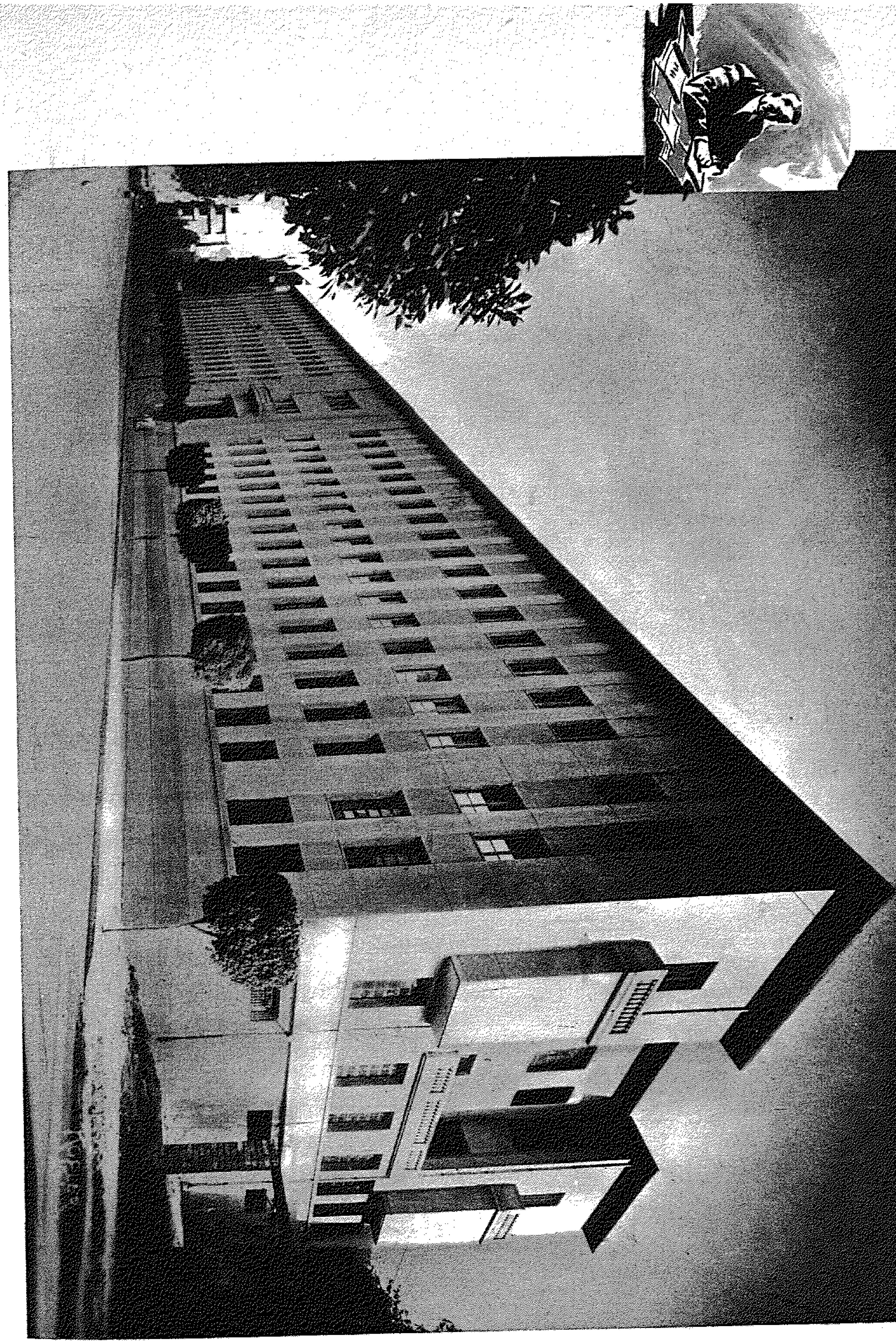




PHOTO BY ARTHUR HODGES



مبنى دار الهلال بشارع محمد عز العرب (المستديان سابقا) وهي من أكبر دور النشر والطباعة في العالم العربي وأقدمها . وتصدر عنها كثير من المجلات الشهرية والاسبوعية والمؤلفات العلمية والأدبية والقصصية . وقد أسست بنصيب وافر في النهضة العلمية والأدبية الحديثة:



مصادر الكتاب

المراجع العربية

- ١ - ابن الاخوة : معالم القربة في طلب الحسبة - نشر ليفى ، لندن سنة ١٩٣٩
- ٢ - ابن اياس ، محمد بن احمد : كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور ، اربعة اجزاء
- ٣ - ابو المحاسن ، جمال الدين بن يوسف بن تغرى بردى : كتاب النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة : ١١ جزءا مطبوعة . دار الكتب المصرية
- ٤ - احمد امين : كتاب ظهر الاسلام . القاهرة سنة ١٩٥٥
- ٥ - ارنولد وكريستى وبرجز : تراث الاسلام ج ٢ تعريب وشرح زكى محمد حسن
- ٦ - اسرائيل ولفنسون : موسى بن ميمون
- ٧ - الجبرتى : عجائب الآثار في التراجم والأخبار . اربعة اجزاء
- ٨ - السيوطى ، جلال الدين : حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة
- ٩ - الشيزرى : نهاية الرتبة في طلب الحسبة نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٦
- ١٠ - القلقشندى ، ابو العباس احمد : صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، من مطبوعات دار الكتب المصرية
- ١١ - المقرئى ، تقى الدين احمد بن على : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، اربعة اجزاء طبعة احمد على المليجى
- ١٢ - المقرئى ، اغاثة الامة بكشف الغمة : نشر الاستاذين محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال
- ١٣ - النويرى ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب : نهاية الارب في فنون الادب ، من مطبوعات دار الكتب المصرية
- ١٤ - بتلر ، فتح العرب لمصر : ترجمة محمد فريد أبى حديد
- ١٥ - جاستون فييت : اليوم دار الآثار العربية بالقاهرة تعريب حسن الهوارى
- ١٦ - جاستون فييت : دليل موجز لمعروضات دار الآثار العربية ترجمة زكى محمد حسن
- ١٧ - جاستون فييت : مقال عن جامع السلطان حسن بمجلة المقتطف ترجمة محمد وهبى

- ١٨ - جرجى زيدان : تاريخ مصر الحديث
 ١٩ - جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى
 ٢٠ - جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية
 ٢١ - حسن ابراهيم حسن ، الدكتور : تاريخ مصر السياسى
 ٢٢ - حسن ابراهيم حسن : تاريخ عمرو بن العاص
 ٢٣ - حسن ابراهيم حسن : الفاطميون فى مصر
 ٢٤ - حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الاثرية : جزءان . القاهرة ١٩٤٦
 ٢٥ - حسن عبد الوهاب : العمارة فى عصر محمد على . مقال بمجلة العمارة
 العدد ٣ - ٤
 ٢٦ - خطاب عطيه على : التعليم فى مصر فى العصر الفاطمى الاول
 ٢٧ - زكى محمد حسن ، الدكتور : الفن الاسلامى فى مصر ، جزء
 اول . مطبوعات دار الآثار العربية
 ٢٨ - زكى محمد حسن : الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى
 ٢٩ - زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين . من مطبوعات دار الآثار
 العربية ١٩٣٧
 ٣٠ - زكى محمد حسن : فى الفنون الاسلامية . من مطبوعات اتحاد
 أساتذة الرسم بالقاهرة ١٩٣٨
 ٣١ - زكى محمد حسن : فى مصر الاسلامية ، واشترك فى الكتابة فيه آخرون
 ٣٢ - ستانلى لين بول : سيرة القاهرة . ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرين
 ٣٣ - سيدة اسماعيل كاشف : مصر فى فجر الاسلام . القاهرة ١٩٤٧
 ٣٤ - سيدة اسماعيل كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين . القاهرة سنة ١٩٥٠
 ٣٥ - عبد الرحمن الرافعى : الحركات القومية من عصر الحملة الفرنسية الى
 الوقت الحاضر
 ٣٦ - عبد الرحمن زكى ، الدكتور : القاهرة ، فى جزئين
 ٣٧ - عبد الرحمن زكى : دور التحف والجمعيات العلمية فى مصر
 ٣٨ - على ابراهيم حسن ، الدكتور : جوهر الصقل
 ٣٩ - على ابراهيم حسن : مصر فى العصور الوسطى . القاهرة ١٩٥٤
 ٤٠ - على ابراهيم حسن : تاريخ الممالك البحرية . القاهرة ١٩٤٤
 ٤١ - على بهجت والبير جبريل : كتاب حفائر الفسطاط . القاهرة ١٩٢٨
 ٤٢ - على مبارك «باشا» : الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة . ٢ جزءا
 ٤٣ - فيليب حتى : تاريخ العرب . ترجمة المرحوم محمد مبروك نافع
 ٤٤ - متز ، آدم : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى
 ٤٥ - محمد أمين حسونة : جمهورية مصر فى عامها الاول
 ٤٦ - محمد أمين حسونة : جمهورية مصر فى عامها الثانى

- ٤٧ - محمد جمال الدين سرور : الظاهر بيبرس
 ٤٨ - محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون في مصر ، القاهرة : ١٩٤٧
 ٤٩ - محمد رفعت : تاريخ مصر السياسى ، جزءان القاهرة
 ٥٠ - محمد «بك» رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين الى سنة ١٩٤٥ جزءان طبع مطبعة دار الكتب المصرية
 ٥١ - محمد «بك» رمزى : تعليقات على كتاب النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى
 ٥٢ - محمد «بك» رمزى : الجغرافية التاريخية لمدينة القاهرة ، مقال بمجلة العلوم ، السنة التاسعة ، المجلد الخامس
 ٥٣ - محمد عبد العزيز مرزوق : مساجد القاهرة قبل عصر المماليك . القاهرة ١٩٤٢
 ٥٤ - محمد فريد أبو حديد : صلاح الدين الايوبى
 ٥٥ - محمد مبروك نافع : تاريخ مصر الاسلامية ، القاهرة ١٩٣٩
 ٥٦ - محمود «بك» أحمد : دليل موجز لاشهر الآثار العربية . القاهرة ١٩٣٨
 ٥٧ - محمود عكوش : تاريخ ووصف الجامع الطولونى . القاهرة ١٩٢٧
 ٥٨ - محمود عكوش : مصر في عهد الاسلام . القاهرة ١٩٤١
 ٥٩ - هرتس «بك» : فهرس مقتنيات دار الآثار العربية تعريب على «بك» بهجت . القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ
 ٦٠ - وليم موير : دولة المماليك في مصر ، ترجمة محمود عابدين وسليم حسن القاهرة ١٩٢٤

المراجع الاجنبية

1. Briggs, M.S. : Muhammedan Architecture in Egypt and Palestine, Oxford, 1924
2. Creswell : Early Muslim Architecture, Oxford, 1932.
3. Devonshire, Mme R.L. : L'Egypte Musulmane et les fondateurs de ses monuments, Paris, 1926
4. Devonshire, Rambles in Cairo. Cairo, 1917.
5. Dimand, M.S. : A. Handbook of Mohammedan Decorative Arts, New York, 1947
6. Lane Poole, S. History of Egypt in the Middle Ages, London, 1925.
7. Lane Poole, The Art of the Saracens in Egypt, London, 1886.
8. Lane Poole, Cairo, Sketches on its History, Monuments, and Social Life, London, 1892
9. Migeon, G. : Manuel d'art Musulman, 2 vols. Paris, 1927.
10. Richmond, Moslem Architecture, London, 1920.
11. Wiel, G. : Album du Musée Arabe du Caire, 1930
12. Zaky Mohammed Hassan, Les Julunides, étude de l'Egypte musulmane à la fin du IXe siècle, Paris, 1933
13. Marcel Clergel, Le Caire, 2 vols.

محتويات الكتاب

الصفحة

٥	المقدمة
١٠	تمهيد
	الباب الاول : الفسطاط
١٣	الفصل الاول : اختيار موقع الفسطاط . تسمية الفسطاط
	الفصل الثاني : تحديد موقع الفسطاط . تخطيط الفسطاط . تراجع النيل . مدينة مصر . جامع عمرو . دار عمرو الصغرى وداره الكبرى
١٦	الفصل الثالث : المباني . الحالة الاقتصادية . خليج أمير المؤمنين .
٢٤	الحالة العلمية . القضاء . الصناعات والفنون
	الباب الثاني : العسكر
٣٥	الفصل الاول : لمحة تاريخية
٣٥	الفصل الثاني : موقع العسكر . امتداد العسكر
	الباب الثالث : القطائع
٣٧	الفصل الاول : لمحة تاريخية
	الفصل الثاني : موقع القطائع . قصر أحمد بن طولون . تخطيط القطائع . الجامع . مهندس الجامع . التجديدات التي أدخلت على الجامع . قناطر المياه
٣٨	الفصل الثالث : القطائع في عهد خمارويه . نهاية الطولونيين
٤٤	الفصل الرابع : الحياة الاقتصادية في القطائع . الحياة الاجتماعية . الحياة العلمية . علم الطب . الفنون : الخزاف الجصية . الأخشاب المحفورة . الخزف . المنسوجات . صناعات أخرى
٤٦	الباب الرابع : القاهرة المعزية
٥٣	الفصل الاول : فتح الفاطميين مصر
	الفصل الثاني : بناء القاهرة . تسمية القاهرة . سور القاهرة . أبواب القاهرة . القصر الشرقي الكبير . أبواب القصر الشرقي الكبير . القصر الغربي الصغير . تحف القصر الكبير وطرائفه . المناظر
٥٤	الفصل الثالث : المساجد الفاطمية : الجامع الأزهر . جامع الحاكم . جامع الجيوشى . الجامع الأحمر . جامع الصالح طلائع بن رزيك
٦١	الفصل الرابع : التحصينات الفاطمية لمدينة القاهرة : باب النصر . باب الفتوح . باب زويلة . باب التوفيق
٧١	

الصفحة

الفصل الخامس : الحالة الاقتصادية في عهد الفاطميين : الاستقرار واثره
في انتعاش الحياة الاقتصادية . اضطراب الحال في عهد الحاكم .
القحط أو الشدة العظمى في عهد المستنصر

٧٤

الحالة الفنية : حياة الترف . شاعدا عيان يصف القصر الفاطمي .
وصف لشاهد آخر . خزائن القصر : خزائن الجوهر والطيب .
التحف المعدنية . النفائس . التحف المصنوعة من البلور .
الخزف اللامع . التحف الخشبية . الاقمشة . التصوير

٧٧

الحالة العلمية : خزائن الكتب . شغف الخلفاء بالعلم . عناية الوزراء
بالعلم . الجوامع كمراكز لنشر العلم . الجوامع كمراكز لنشر
المذهب الشيعي . الجامع الازهر . دار الحكمة أو العلم . مجالس
المناظرة في القصر

٨٥

الحالة الاجتماعية : المجتمع المصري . الادارة . كبار الموظفين . الاعياد
والمواسم . ركوب الخلفاء الفاطميين . الاحتفال بأول العام
الهجري . ركوب الخليفة الى مصر (الفسطاط)

٩٢

الباب الخامس : القاهرة صلاح الدين

الفصل الاول : نشأة الدولة الايوبية

١٠٠

الفصل الثاني : القاهرة في عهد صلاح الدين

١٠٢

الفصل الثالث : منشآت صلاح الدين : السور . القلعة . القلعة بعد
صلاح الدين . بئر يوسف الخلزوني

١٠٤

الفصل الرابع : القاهرة في عهد خلفاء صلاح الدين . نهاية الدولة
الايوبية . القلعة والاسوار . قبة الامام الشافعي . تربة الصالح
نجم الدين ايوب

١٠٨

الفصل الخامس : الحالة الاجتماعية في القاهرة في عهد الايوبيين : القضاء
على البدع . انتشار العدل . الحمامات . رعاية المرضى . القحط
في حكم العادل

١١١

الحالة العلمية والثقافية : احلال المذهب السني محل المذهب الشيعي .
المدارس . المدارس في عهد خلفاء صلاح الدين . الادب والثقافة
عماد الدين الكاتب . القاضي الفاضل . عبد اللطيف البغدادي .
موسى بن ميمون

١١٤

الحالة الفنية : المباني . المدارس . ركود الفنون . الاخشاب المحفورة .
التوايت . الابواب . الابواب النحاسية . الخزف

١٢٢

الباب السادس : القاهرة في عهد المماليك

الفصل الاول : قيام دولة المماليك

١٢٦

الفصل الثاني : القاهرة في عهد المماليك البحرية . اراضى اللوق .
بولاق . جزيرة الفيل

١٢٩

الصفحة

١٣٣	الفصل الثالث : السلاطين البنّاءون
١٣٣	السلطان الظاهر : منشآت الظاهر . جامع الظاهر
١٣٥	السلطان قلاوون : منشآت قلاوون : المارستان . القبة . المدرسة
١٣٩	السلطان الناصر محمد بن قلاوون . أهم المنشآت في عصر الناصر
١٤٢	السلطان حسن : مسجد السلطان حسن : حدوده وإبعاده . تخطيط المسجد . وصف المسجد
١٤٥	الفصل الرابع : القاهرة في عهد المماليك البرجية . مسجد (مدرسة) السلطان برقوق بالنحاسين . تربة برقوق . جامع المؤيد . تربة الاشرف أبي النصر قايتباي . مسجد (مدرسة) الغوري
١٥٢	الفصل الخامس : الحياة الاجتماعية بالقاهرة في عصر المماليك
١٦٠	الحالة الاقتصادية : الزراعة . الصناعة . التجارة . الخانات . الاسواق الحالة العلمية : انتقال الحركة العلمية من بغداد الى القاهرة . وصف الحركة العلمية في مصر في عهد المماليك . كتب الموسوعات . كتابة التاريخ . كتب التراجم
١٧٠	الفنون في عصر المماليك : تقدم الفنون في عصر المماليك . التحف الخشبية . التحف النحاسية . الخزف والقاشاني . التحف الزجاجية . المنسوجات
١٧٣	الباب السابع : القاهرة في عهد العثمانيين
١٨٠	الفصل الاول : فتح العثمانيين مصر . على بك الكبير . محمد (بك) أبو الذهب
١٨٥	الفصل الثاني : القاهرة في عهد العثمانيين
١٨٨	الفصل الثالث : العمارة في عهد العثمانيين . ركود فن البناء في عهد العثمانيين . مميزات العمارة في عهد العثمانيين
١٩٠	أهم المنشآت : مسجد المحمودية . مسجد الملكة صفية . مسجد البرديني . مسجد سنان باشا . جامع محمد أبو الذهب . تجديد المساجد وأصلاحها . تجديد الجامع الأزهر . منزل جمال الدين الذهبي . مسجد الشيخ عبد الوهاب الطبلاوي . منازل أخرى
١٩٧	الفصل الرابع : الحالة الاقتصادية . الحالة الاجتماعية . الحالة العلمية . الفنون والصناعات
	الباب الثامن : القاهرة في القرن التاسع عشر
	أ - عصر الحملة الفرنسية
٢١٠	الفصل الاول : غزو الحملة الفرنسية مصر ومقاومة أهل القاهرة . خروج الحملة من مصر
٢١٨	الفصل الثاني : القاهرة في عهد الحملة الفرنسية ب - عصر محمد علي

الصفحة

- الفصل الثالث : تولى محمد على حكم مصر** ٢٢٢
- الفصل الرابع : القاهرة في عصر محمد على : حى شبرا وروض الفرج** ٢٢٦
- الفصل الخامس : المنشآت المعمارية في عصر محمد على : قصر شبرا . قصور أخرى . قصر الجوهرة . قصر الحرم . دار المحفوظات . دار الضرب . الاسيلة . مسجد محمد على بالقلعة . الفنادق** ٢٢٩
- ج - عصر اسماعيل**
- الفصل السادس : تولى اسماعيل عرش مصر** ٢٣٧
- الفصل السابع : القاهرة في عهد اسماعيل : شوارع القاهرة . حيا المحطة والازبكية . احياء جديدة . القصور . الكبارى . الانارة . ضاحية حلوان . الشاطئ الغربى للنيل تجاه القاهرة . الزمالك . الحدائق . دور التحف والآثار والمكتبات . المتحف الاسلامى . دار الكتب . المتحف المصرى . دار الاوبرا المصرية** ٢٤٠
- د - عهد الاحتلال الانجليزى**
- الفصل الثامن : كيف احتل الانجليز مصر** ٢٤٩
- الفصل التاسع : القاهرة في عهد الاحتلال الانجليزى . الشوارع . المساجد . المشهد الحسينى . مسجد الامام الشافعى . مسجد ابنى العلاء . مسجد الرفاعى . مسجد الفتح** ٢٥٨
- الباب التاسع : قاهرة الثورة**
- الفصل الاول : ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ ، عزل فاروق . جلاء الانجليز عن مصر ثم اعتداؤهم على بورسعيد ثم جلاؤهم عنها . اتحاد مصر وسوريا** ٢٥٨
- الفصل الثانى : القاهرة في عهد الثورة . عيوب القاهرة في العهود السابقة** ٢٦٥
- الفصل الثالث : الانشاء والتعمير في عهد الثورة . كورنيش النيل . ميادين القاهرة . ميدان المحطة (ميدان رمسيس) . ميدان التحرير . مداخل القاهرة . شوارع القاهرة . شارع الخليج المصرى (شارع بورسعيد) . شوارع اخرى . انشاء احياء جديدة : حى الفوالة . كيما زينهم . تلال المقطم . استاد القاهرة . كوبرى الجامعة . تحسين طرق المواصلات . المدارس والمساجد المنشأة حديثا . المساجد . المباني الجمعة** ٢٦٨
- الفصل الرابع : القاهرة مركز الحكم للجمهورية العربية المتحدة . الوزارات . مجلس الامة . ثكنات الجيش المصرى . جامعة الدول العربية . المؤتمر الاسلامى** ٢٩٠
- الفصل الخامس : الاقسام الادارية لمدينة القاهرة** ٢٩٣

الصفحة

الفصل السادس : القاهرة مركز الثقافة في مصر : مركز مصر الثقافي في الشرق . جامعة القاهرة . قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة . المكتبة العامة . المعاهد الملحقه . استاد الجامعة . المدينة الجامعية . مطبعة الجامعة . حفائر الجامعة . جامعة عين شمس . المعاهد العليا . الجامعة الازهرية . مدارس التعليم العام . الهيئات الثقافية العلمية . الهيئات الثقافية . الهيئات العلمية . الهيئات الفنية . دور الكتب العامة . المتاحف : المتاحف الاثرية . المتاحف العلمية والمتاحف الفنية . المتاحف السياحية . محطة الاذاعة المصرية . مصلحة الاستعلامات المصرية . مصلحة السياحة . الصحف والمجلات ودور النشر والطباعة . التمثيل والسينما

٢٩٧

الفصل السابع : القاهرة مركز الاقتصاد في الجمهورية العربية المتحدة . التجارة والسلع التجارية بالقاهرة ومراكزها . سواحل القاهرة . أسواق الجملة للخضر والفاكهة . الغرفة التجارية لمدينة القاهرة . بورصة القاهرة . المصارف . الصناعة . معارض القاهرة : المعرض الزراعى الصناعى . معارض محلية أخرى . معرض منتجات المركز الاجتماعى . معارض وزارة التربية والتعليم . المعارض الاجنبية

٣٢٢

الباب العاشر : القاهرة الغد

مصادر الكتاب : المراجع العربية . المراجع الافرنجية

٣٣٧

كشاف

أولا - أسماء الأعلام

(١)

- أبو جعفر الطحاوي ٤٨
 أبو زيد الهلالي ٢٠١
 أبو سعيد برقوق ١٤٦
 أبو سعيد قراقوش بن عبد الله الأزدي ١٠٤
 ١٠٧
 أبو عبد الرحمن عبد الله بن لهيعة الحضرمي
 ٣١
 أبو علي محمد بن الحسن بن الهيثم ٩٠
 أبو عون عبد الله بن يزيد ١٠ ، ٣٥
 أبو نضارة ٢٤٠
 أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي ٣١
 أحمد البدوي ١٩٧
 أحمد الشرايبي ٢٠٦
 أحمد المحروقي ٢١٤ ، ٢١٧
 أحمد باشا ١٩٣ ، ٢٠٥
 أحمد باشا يكن ٢٣١
 أحمد بن حنبل ٣١
 أحمد بن طولون ١٠ ، ١٨ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٩٢
 أحمد طاهر باشا ٢٣١
 أحمد عرابي ٢٤٩
 أحمد فؤاد - الملك - ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٨ ، ٢٧٣
 أحمد كمال « باشا » ٣١٢
 أسد الدين شيركوه ١٠٠ ، ١٠١
 اسماعيل الصفوي ١٨٠ ، ١٨١
 اسماعيل باشا الفلكي ٢٣٩
 اسماعيل « باشا » خديو مصر : ١٣٠ ، ١٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣
 اسماعيل بن الحاج اسماعيل شلبي ١٩٦
 اسماعيل بك ١٨٤
 الأمر بإحكام الله أبو منصور ٦٨
 الأمرية ٩٨
 الأتراك ٣٧ ، ٨٦
 الأستاذ المصري ١٧٧
 الأسحاقي ٢٠٥
 الأسعد بن معاني ١٠٤
 الأكراد ٩٨
 الأميرة شمس ١١٠
 الامبراطورة أوجيني ٢٤٧
 الانصار ٢٠
 التفريك ٢٨٣
- أق سنقر ١٤١ ، ١٧٨
 إبراهيم أغا مستحفظان ٢٠٦
 إبراهيم الويلحي ٢٣٩
 إبراهيم باشا ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٣١
 إبراهيم بك ١٨٤ ، ١٩٨ ، ٢١٠ ، ٢١٢
 إبراهيم بن عيسى ٤٩
 إبراهيم كتحدا ١٨٣ ، ١٩٦
 إبراهيم يكن ٢٣١
 ابغا ١٣٦
 ابن أبياس ١٧٢ ، ٢٠٧
 ابن بطوطه ٢٨
 ابن تغري بردي ١٧٢
 ابن حجر العسقلاني ٧١٢
 ابن خلدون ١٧٢
 ابن خلكان ١١٩ ، ١٧٢
 ابن زولاقي ، الحسن بن إبراهيم اللبني ٤٨
 ابن شداد ١٠٢
 ابن عزيز المصور ٨٥
 ابن فضل الله العمري ١٧٢
 ابن مقله ٨٦
 ابن ميمون ، موسى ١١٨
 ابن هانيء الاندلسي ٩٢
 ابن يونس ٤٨
 أبو أسامة جناده بن محمد ٨٨
 أبو الجيش خمارويه ٤٤ ، ٥٢
 أبو الحسن طاهر بن بابشاه ٨٨ ، ٩٠
 أبو الحسن علي بن النفيسي ١٧١
 أبو الحسن علي بن عبد الواحد البغدادي ٩٢
 أبو الحسن علي بن نوبخت ٩٢
 أبو العباس عبد الله السفاح ١٠
 أبو الفرج محمد بن جعفر المغربي ٨٧
 أبو القاسم عمر بن أبي الحسن ١٢٠
 أبو المسك كافور الاخشيدى ٩٢
 أبو النجم بدر المستنصرى بدر الجمالي ٧٤
 أبو النصر شيخ الحمودى ٧٣ ، ١٢٤ ، ١٤٨
 ١٥٢
 أبو بكر النعماني ٣٢
 أبو بكر بن الحداد ٤٨
 أبو بكر بن المنذر البيطار ١٧١
 أبو حامد الانطاكي ٩٢
 أبو حنيفة النعمان ٣١ ، ٣٢

المستعصم العباسي : ١٢٧
 المستنصر الفاطمي ٢٣ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٧٦
 ٨٢ ، ٨٦ ، ١٠٠ ، ١٣ ، ١١٧
 المسعودي ٤٩
 المظفر حاجي ١٤٢
 المعتصم ١٢٦
 المعتضد ٤٤ ، ٤٦ ، ٥٢
 اعز لدين الله الفاطمي ١٨ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥
 ٥٦ ، ٨٧ ، ٩٢
 المقداد بن الاسود ٣٠
 المقدسي ٣٠ ، ٣٢
 المقرئ : انظر تقي الدين
 المقوقس : ٢١
 المكتفي بالله : ٤٦
 المالكي ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٩
 المنصور العباسي ٢٩
 المنصور قلاوون ١٣٢ ، ١٦٧ ، ١٧١
 الناصر حسن ١٧٦ ، ١٧٨
 الناصر محمد بن قلاوون ٢٤ ، ١٠٧ ، ١٣١
 ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٥٢ ، ١٥٦
 ١٥٩ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٦
 ١٧٨
 النبي صلى الله عليه وسلم ١٥
 النويري ١٧٢
 الوقائع المصرية ٢٤٠
 اليازوري : ٢٨٥

(ب)

بدر الجمالي : ٥٦ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧١
 ٧٢
 برتليه ٢١١
 برسباي ١٤٥ ، ١٥٥
 برقوق - الظاهر ١٦٩
 بقيق - بايكبالك ٣٧
 بكتمر الجوكندا ٧٠
 بنو العباسي ٣٥
 بنو أمية ٣٥
 بنو هلال ٢٠٥
 بهاء الدين بن شداد ١٠٨
 بوران بنت الحسن بن سهل ٨١
 بيبرس الجاشنكير ركن الدين ١٤٠

(ت)

تقي الدين أحمد المقرئ ١٧٢ ، ١٧٦
 ٣٢٣
 توفيق : محمد - الخديو ٢٤٩ ، ٢٥٠
 ٢٧٢ ، ٢٥٤
 تيمورلنك ١٨٩

الحافظ لدين الله ٦٢
 الحافظية ٩٨
 الحاكم بأمر الله ٦٤ ، ٦٦ ، ٧٥ ، ٨٤ ، ٨٧
 ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢
 الحجرية ٩٨
 الحسن بن زيرك ٤٩
 الحسين بن علي النعمان القاضي ٨٩
 الخطير بن الموفق ٨٧
 الدولة الاخشيدية ٨٨
 الدولة الاموية ٢٤ ، ٣٥ ، ٩١ ، ١٠٠ ، ١٠٩
 ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٦
 الدولة الطولونية ٨٨
 الدولة العباسية ٢٤ ، ٣٥ ، ٣٧
 الديلم ٩٨
 الربيع بن سليمان المرادي ٤٨
 الربيع بن سليمان بن داود الازدي ٣١
 الرومان ٢٩ ، ٤٠
 الزبير العوام ٢٤ ، ٢٦ ، ٣٠
 السيوطي ٣٢
 الشافعي ٣١ ، ١٠٩ ، ١٩٧
 الشريفة بنت صاحب السبيل ٧٧
 الصالح نجم الدين ايوب ١٠٩ ، ١١٥
 ١١٧ ، ١٢٦
 الصقلية ٩٨
 الصليبيون ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤
 الطبري ٨٦
 الظاهر بيبرس ١٢٣ ، ١٢٤
 العادل سيف الدين ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩
 ١١٣
 العاضد الفاطمي ١٠ ، ١٨ ، ٦٩ ، ٧٧
 ٨٠ ، ١٠١ ، ١١٣ ، ١١٥
 العزيز بالله نزار بن المعز ١١ ، ٥٨ ، ٦٠
 ٦٣ ، ٧٧ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ١١٢
 العزيز عثمان ١١٠
 الفائز بنصر الله الفاطمي ٦٩
 الفاطميون ٥٣ ، ٥٩ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٩
 ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ١١٢
 الفرس ٢٣٧
 الفضل بن صالح ٣٦
 القائم بأمر الله ٥٣
 القاضي الفاضل ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١
 القلقشندي ١٧٢
 الكامل محمد بن العادل ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٩
 ١١٠ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢٦
 الكندي ٣٢
 الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي ٣١
 المأمون ٢٣ ، ٨١
 المأمون البطاحي ٦٨

دى توت - البارون ٢١٠
ديزييه ٢١١

(ذ)

ذى القادر (دلقادر) ١٨١

(ر)

رشيدة بنت المعز ٨٢
رضوان كتحدا الحلفى ١٠٧ ، ٢٠٢
رفاعة رافع الطهطاوى ٢٣٩
رمسيس الثانى - تمثال ٢٧٢
روضة الاخبار ٢٤٠
ريجوليتو ٢٤٧

(ز)

زكى محمد حسن ٧٨
زينب هانم ٢٣٠
زين الدين كتيفى - الملك المعادل ١٣٩ ،
١٤٠ ، ١٥٤

(س)

سرفيتوس ١٧١
سعد - المصور ٨٣
سعد بن توفيل ٤٩
سلار - الامير ٢٤ ، ١٦٩ ، ١٧٨
سلامس بن الظاهر بيبرس ١٣٥
سليم الاول - السلطان ١٥٢ ، ١٦٠ ،
١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ،
٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩
سليمان الحلبي ١٨٦ ، ٢١٧
سليمان (باشا) الفرنساوى ٢٢٤
مشان (باشا) بن على بن عبد الرحمن ١٩٢
سويد الازدى أبو رجاء المصرى ٣٠
سيبويه المصرى ٤٨
سيف الدين أبو المعالى قلاوون - الملك
النصور ١٣٠
سيف بن ذى يزن ٢٠١

(ش)

شاوور بن مجير السعدى ٨ ، ٧٨ ، ١٠٠ ،
١٠١ ، ١٠٤ ، ٢٨١
شجرة الدر ١١٠ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨
شرف الدين أبو حفص ، الشيخ ١٢
شريك بن سمي الفطيفى ١٩
شريف (باشا) ٢٣١

(ث)

ثورة ٢١ اكتوبر سنة ١٧٩٨ : ٢١٢
ثورة سنة ١٩١٩ : ٢٥٠
ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ : ١٥٩ ، ٢٦٣

(ج)

جاستون فييت ١٤٤
جان بردى الغزالى ١٨١ ، ١٨٢
جايراندرسون ١٩٦
جلال الدين السيوطى ١٧٢
جمال الدين الافغانى ٢٣٩
جمال الدين محمود بن على الاستادار ١٦٣
جمال الدين الذهبى ١٩٥
جمال عبد الناصر ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ،
٢٦٤ ، ٢٦٥
جوستاف شلمبرجيه ٢٧٨
جوهر الصقلى ١٨ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦١ ،
٢٦٥
جهاركس الخليل : ١٦٤

(ح)

حاتم بن هرثة ١٠٦
حسام الدين بلال الميضى ١٦٢
حسام الدين لاجين ٤٢ ، ٤٣ ، ١٣٩ ، ١٥٤
حسن العطار ، الشيخ ١٨٦
حسن عبد الوهاب ١٤٤
حسين أبو على (أبو العلاء) الشيخ
الصالح ٢٥٥
حسين (باشا) فهمى : ٢٥٥
حسين كامل (السلطان) ٢٥٠
حيوبل بن ناشرة الماعزى ١٩

(خ)

خارجة بن حذافة ٢٥ ، ٣٠
خابر (بك) الشركسى ١٨١ ، ١٨٢
خليل بن قلاوون - الاشرف ١٦٧ ، ١٣٩ ،
١٦٨ ، ١٥٤
خورشيد (باشا) ٢٢٣ ، ٢٢٤
خورشيد (باشا) السنارى ٢٣١
خوشقدم ١٤٥
خوشيار هانم ٢٥٥
خير بن مقيم الحضرمى ٣٢

(د)

دهين ١٧٧

شكري القوتلي ، الرئيس ٢٦٤
 ههاب الدين احمد بن الطولوني ١٤٧
 فيخو العمري ، الامير ١٤٢ ، ١٧٨

(ص)

صالح بن علي ٣٥ ، ٣٦
 الصالح صلاح الدين صالح ١٤٢
 صفية - الملكة - ام السلطان محمد خان
 ١٩١ ، ٢٩٠
 صفية هانم زغلول - ام المصريين ٣١٢
 صلاح الدين الايوبي : ٢٣ ، ٢٩ ، ٩١ ،
 ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ،
 ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١١

(ض)

ضرفام ابو الاشبال ١٠٠ ، ١٠١

(ط)

طفيتمر ١٧٨
 طقوزدمر ١٦٣
 طلائع - الصالح طلائع بن رزيك ٦٩
 طومان باي ١٨٢ ، ١٨٤
 طوسون - الامير - بن محمد علي ٢٢٨ ،
 ٢٢٢

(ع)

عايدة - اوبرا عايدة ٢٢٨ ، ٢٤٧
 عيادة بن الصامت ٣٠
 عباس الاول ٢٢٦ ، ٢٣١ ، ٢٣٧
 عباس حلمي الثاني ٢٥٠ ، ٢٥٥
 عبد الرحمن كتخدا ١١٠ ، ١١٣
 عبد العزيز بن عمران بن ايوب الخزاعي
 المصري ٣١
 عبد العزيز بن محمد بن النعمان - القاضي
 ٨٩ -

عبد العزيز بن مروان ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٠
 عبد القادر الجمال (باشا) ٣٢٥
 عبد اللطيف البغدادي ١١١ ، ١١٣ ، ١١٨ ،
 ١٢١ ، ١٩٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٧١ ، ٢٧٦
 عبد الله الشبراوي ٢٠٥
 عبد الله الشرفاوي ٢٢٢
 عبد الله بن سعد بن ابي سرح ٢٦ ، ٣٠
 عبد الله بن عمر بن الخطاب ٣٠
 عبد الله بن عمرو ٢٤ ، ٢٦ ، ٣٠
 عبد الله بن طاهر ٢٣ ، ٢٤
 عبد انؤمن الدمياطي ١٧١

عبد الوهاب الطبلاوي ١٩٥
 عبده الحمولي ٢٤٨
 عبد الوهاب بن نصر المالكى ٩٢
 عبدة بنت المعز ٨٢
 عثمان كتخدا القزدوغلى ١٩٣

عز الدين ابيك التركمانى ١٢٧ ، ١٢٨
 عز الدين موسك ١٨٧
 علم الدين سنجر الشجاعى ١٣٦
 علي باشا مبارك : ٢٣٩ ، ٢٤٢
 علي بك الكبير ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٩٥
 علي بن ابي طالب ٦١
 علي بن نصر بن سليمان الزينقى ٨٨
 علي بهجت ١٧
 عماد الدين الكاتب الاسفهانى ١١٨ ، ١١٩
 عماد الدين عثمان ١٠٨
 عمر بن الخطاب ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٩
 عمر مكرم ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢٢٢
 عمرو بن العاص ١٩ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٩
 عمرو بن قحزم الخولاني ١٩
 عنتره ١٧٣ ، ٢٠١
 هيسى باشا حمدي ٢٤٠

(غ)

غزال ١٧٧
 غزير ١٧٧
 غليوم رئيس اساقفة صور ٧٨
 غياث الدين توران شاه ١٠٩ ، ١٢٧
 غيبي ١٧٧

(ف)

فاروق ٢٥٨
 فاطمة الزهراء ٦١
 فرج بن برقوق ١٤٨
 فردناند دي لسبس ٢٣٨
 فردي الموسيقىار ٢٣٨
 فلنى - الرحالة ٢١٠

(ق)

قانسوه الغورى - الاشرف ١٥٠ ، ١٥٢
 قايتباي - الاشرف ابو النصر ١٤٥ ، ١٤٨
 ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨
 قرة بن شريك : ٢٢
 قريش : ٢٠
 قصير - المصور ٨٥
 قطر الندى ٢٤ ، ٢٦
 قلاوون (انظر الناصر محمد بن قلاوون)
 قلاوون - (انظر المنصور قلاوون)

منج ٢١١
منكوتر ١٣٦
منكورش ١٦٢
مؤنسة - الاميرة - القطبية الايوبية ١٣٦
موسى بن ميمون ١٢١
مينو ٢٢٠، ٢١٧، ٢١١

(ن)

نابليون بونابرت ١٨٢، ١٨٦، ١٩٧، ٢٠٤، ٢١١، ٢١٢
نابليون الثالث ٢٣٨
ناصر الدولة ٨١
ناصر الدين محمد « ولقبه الملك المنصور »
١٠٨
ناصر خسرو ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٥٩، ٢٧٥، ٢٨٠، ٢٨٢
نخاو ٢٩
نور الدين على ١٢٨، ١٣٦
نور الدين محمود بن زنكى ١٠٠، ١٠١، ١١٧
نمورينا ١٤٥

(هـ)

هارون الرشيد ٨٢، ١٧٣
هارون بن خمارويه ٤٦
هرتس « باشا » ٢٥٥
هشام بن عبد الملك ٢٠
هولاكو ١٧١، ١٨٩

(ى)

يزيد بن حبيب ٣٠
يعقوب بن كلس ٦٣، ٨٧، ٨٩
يشبك الدويدار ١٤٥
يلبغا ١٤٦
يلبغا العمرى الخاصكى ١٦٩
يونس العادلى ١٨١

(ك)

كريم الدين احمد البيرونى ١٩١
كفارللى ٢١١
كليبر : ٢١١، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢٣٥
كوكب المريخ : ٥٤

(ل)

لويس التاسع : ١٠٩، ١٢٦، ١٢٧
ليبون ٢٤٣
ليبير ٢١١

(م)

مالك بن انس - الامام ٣١
مجالون ٢١٠
مذيحة القلعة ٢٢
مراد بك ٢٤، ١٨٤، ١٩٨، ٢١٠، ٢١٢
مروان الثانى ٣٥
مروان بن الحكم ٢٦
محمد الاخشيده ٥٣
محمد بن ادريس الشافعى - الامام ٣١
محمد بن القاسم بن عاصم ٩٢
محمد بن بليك ١٤٤
محمد بن سليمان الكاتب ٤٦
محمد بن مسروق الكندى ٣٣
محمد بن يوسف الكندى ٤٨
محمد رمزى ٣٨، ١٣٢
محمد على ١٠٦، ١٠٧، ١٣٥، ١٨١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥
محمد فؤاد مرايط ١٧٥
محمود احمد ١٣٦
محمود اليازورى ١٤٨
مسرور ١٦٢
مسلم بن الدهان ٨٣
مسلمة بن مخلد ٣٠
معاوية بن حديج التجيبى ١٩

ثانيا - اسماء الأماكن

(١)

ارض الغفير : ٣٣٦
ارض اللوق : ٥٨، ٦٠، ١٢٩، ١٣٠، ١٥٨، ١٦٥
ارض اليكنية : ٢٣١
ارض شريف : ٢٣١
ارمينيا : ٧١
استاد الجامعة : ٣٠٠
استاد القاهرة : ٢٨٣
استامبول : ٢٥٤
استراحة الهرم : ٢١٧
استراحة حطوان : ٢١٧

آسيا : ١٤٥
ابراج القلعة : ١٤٥
ابو الهول : ٢٣٨
ابو زعبل : ٢٦١، ٣١٨، ٣٣٦
ابو صير : ٣٥
ابو قير : ٢١٢، ٢١٣، ٢١٧
ادارة حفظ الاثار المربية : ٦٦
اذاسا : ٧١
ارض البعل : ١٣٢
ارض الطباله : ١٣٢، ٢٢١

- اسبوط : ٢١٨
 افريقية : ٢٢
 الاربكية : ٢١٨٥ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٣
 الاسكندرية : ٢١١ ، ١٨٩ ، ١٤٩ ، ١١٦ ، ٢٨
 ٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ٢٧٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٥
 الاسماعيلية : ٢٩
 الاقصر : ٢١٨
 الامم المتحدة : ٢٦٨
 الاندلس : ٢٢
 الاهرام : ٢٤١ ، ٢٢٨
 الاورمان : ٢٩٨ ، ٢٩٣
 الباب الاخضر : ٥٨
 الباسوسية : ٢٧٤
 البحر الاحمر : ٧٥ ، ٢٩
 البدرشين : ٢٧٢
 البساتين : ٢٣٦ ، ٤٤
 البستان الكافوري : ٦٠ ، ٥٨ ، ٥٤
 البصرة : ٣٠
 البيمارستان النصوري : ٥٧
 التربيعة : ٢٢٢
 التربة الاسماعيلية : ٢٩
 التركستان : ١٤٥
 الجامعة الازهرية : ٣٠٢
 الجبل الاحمر : ١٨
 الجزائر : ٢١٩
 الجزيرة : ٢٨٤ ، ٢٤٢ ، ٢٤١
 الجمالية : ٢٢٢ ، ٢٩٣
 الجمعية الجغرافية : ٣٠٦
 الجمعية الرمزية : ٣٠٦
 الجمعية الزراعية : ٢٢٢
 الجمهورية العربية المتحدة : ٢٢٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٤
 الجيزة : ٢٨٠ ، ٢٤٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤١ ، ١٠٦ ، ٣٣
 ٢٢٦ ، ٢٨٤
 الخطابة : ٢٣٢
 الحسينية : ٢٢١ ، ٢٢٠ ، ٢١٩ ، ١٦٥
 الحمراء : ٢٠
 الحوف :
 الحجاز : ٢٠٠ ، ١٨٤ ، ١١٣
 الخرنفش : ٢١٤
 الخروبي : ٢٢٠ ، ٢١٥
 الخليج الكبير : ١٨٧ ، ٥٦
 الخليفة : ٢٩٣
 الدراسة : ٧٣
 الدرب الاحمر : ٢٩٣ ، ١٨٧
 الدرب الاصفر : ١٩٥
 الدقي : ٢٩١ ، ٢٨٩ ، ٢٢٨
 الديورة : ٣٦
 الرحمانية : ٢١٧
 الرصد : ١٧
 الروضة : ٢٢١ ، ١٣٧ ، ٢٧
 الرومي : ٢١٥ ، ٢١٤
 الريدانية : ١٨٤ ، ١٨٢
- الزاب : ٢١٥
 الزمالك : ٢٩٢ ، ٢٤٤
 الزيتون : ٢٣٦
 الساكت : ٢١٥
 السبع سوافي : ٢١٩
 السد : ٣٦
 السويس : ٢٢٢
 السويقة : ٢١٤
 السيدة زينب : ٢٩٤
 السيدة نفيسة : ٣٦
 الشام : ١٣٦ ، ١١٣ ، ١٠١ ، ٤٠ ، ٢٤ ، ١٣٩ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٧٧ ، ١٦٣ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ٢١٢
 الشيخ ريحان : ٢١٤
 الصاغة : ١٦٩
 الصالحية : ١٨٢
 الصليبية : ٢٢١
 الصين : ٢٩
 العباسية : ٢١
 العباسية : ٢٦١
 المعجزة : ٢٤٤
 المدوي : ٢١٥
 العراق : ١٤٧ ، ٧٧ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٣٥
 العريش : ٢١٧ ، ٢١٣
 العسكر : ٤٦ ، ٤٠ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ٢٧ ، ١٨ ، ٤٩
 الغرفة التجارية : ٢٢٥
 الفسطاط : ٢٢ ، ٢١ ، ١٩ ، ١٨ ، ١٧ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٦١ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١٢ ، ١٢٢ ، ١٦٣ ، ٢٨١
 القوالة : ٢١٥
 القاهرة : ٥٣ ، ٣٣ ، ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٧ ، ١٨
 ٥٤ ، ٥٥ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٣٤ ، ١٧٤
 القبة النصورية : ٢٤٠ ، ٢٢٦ ، ١٦٧ ، ٢٦٥ ، ٢٥١
 القسطنطينية : ١٨٩ ، ١٨٨ ، ١٨٣ ، ١٨١ ، ١٩٠ ، ٢٣٥ ، ٢٠٧ ، ١٠٧
 القصر الابلق : ١٠٧
 القصر الجمهوري : ٢٩٠
 القصر الشرقي : ٥٨ ، ٥٦
 القصر العيني : ٢٩٠ ، ٢٢١ ، ٢١٤
 القصر الغربي : ٥٨
 القطائع : ٤٧ ، ٤٦ ، ٤٥ ، ٤٤ ، ٤٠ ، ٣٩
 القلعة : ٤٦٥ ، ١٥٧ ، ١٥٦ ، ١٣١ ، ١٠٥
 ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ٢٨٠
 القناطر الخيرية : ٢٦٩ ، ٢٢٥
 الكباش :
 الكرك : ١٤٠
 الكنيسة المرقسية : ١٨٧

الورش الاميرية ٢٦٩
الوايلي : ٢٩٤
اليمن ٧٥ ، ١١٣
اسرائيل ٢٦٠ ، ٢٦١
ام دين ٢٠
امابة : ٢٨ ، ٢١٢ ، ٢٢٨ ، ٢٤٤ ، ٢٤٤ ، ٢٤٤
٢٩٠ ، ٣٣٦
انجلترا : ٢١١ ، ٢٦٠ ، ٢٦١
ايران : ١٨٠

(ب)

باب البحر : ٥٧ ، ٩٤ ، ١٦٥
باب البرقية : ٥٥ - ٥٦ - ٧٤ - ٢١٤ - ٢٢٠
باب التوفيق : ٧٢ - ٧٣
باب الجبل : ٢٨ - ٣٩
باب الحديد : ٢١ - ١٨٥ - ٢١٤ - ٢٢٠
باب الحرم : ٣٩
باب الحسينية : ١٨٦
باب الخاصة : ٣٩
باب الخرق (الخلق) : ٩٩ - ١٥٨ - ١٧٥ - ٢٢١ - ٢٤٥
باب الدرامون : ٣٩
باب الديلم : ٥٧ - ٥٨
باب الذهب : ٥٧ - ٩٤ - ١٦٥
باب الريح : ٥٧
باب الزمرد : ٥٧
باب الزهومة : ٥٧ - ١١٧
باب الساج : ٣٩
باب السباع : ٣٩
باب السيدة نفيسة : ١٨٦
باب الشعرية : ٢١٥ - ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٥٣ - ٢٩٤
باب الشورية : ١٩٤
باب الصفايدة : ١٩٤
باب الصلاة : ٣٩
باب الصوالجة : ٣٩
باب العدوى : ٢٠٠
باب العزب : ٢٨ - ١٠٧ - ١٩٠
باب العيد : ٥٧
باب الفتوح : ٥٦ - ٦٤ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٩٨ - ١٠٥ - ١١٦ - ١٦٥ - ٢٠٠ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢١
باب الفرج : ٥٦
باب القراطين : ٥٦
باب القرافة : ١٧ - ٢١٤
باب القنطرة : ٥٦ - ٦٠
باب اللوق : ١٣٠ - ٢١٤
باب المجدم : ٣٦
باب المحروق : ٢٢٠
باب المدرج : ١٠٦

الكوفة : ٣١
اللجنة العليا للاصلاح الزراعي ٢٩١
المارستان المنصوري : ١٦٧
المبيضة : ٢٢٨
المتحف الاسلامي : ٥١ ، ٥٢ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ١١٨ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٤٤ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٣١٠
المتحف القبطي : ٣١١
المتحف المصري : ٣١١
الجمع - مبني : ٢٨٩ ، ٢٩١
الجمع المصري : ٣٠٧
الحجر : ٢١٤
الحيط الاطلنطي : ٥٣ ، ٧٥
المدابع : ٢١٤
الدائن : ١٤٣
المدرسة الاقباقية : ١٩٤
المدرسة الجاولية : ١٤٠
المدرسة الصلاحية : ١٠٩ ، ١١٦
المدرسة الطبرسية : ١٩٤
المدرسة القانية : ١٩٠ ، ٢٢٠
المدرسة القمحية : ١١٥
المدرسة الكاملة : ١١٧
المدرسة الناصرية : ١١٥
المدرسة النظامية : ٢٢٠
المدينة الجامعية : ٣٠٠
المساكن الشعبية : ٢٨٢
المستشفيات الجامعية : ٢٩٨
الشهد الحسيني : ٥٧ ، ٥٨ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١٩٤
الشهد الزينبي : ٣٦
الطبعة الاميرية : ٢٤٦ ، ٢٦٩ ، ٣٢١
الطرية : ٢١٤ ، ٢٧٩
المرض الزراعي الصناعي : ٣٣١
المقس ٥٧ ، ٦٠ ، ١٠٥ ، ١٣١ ، ١٦٥ ، ١٨٧
المقياس : ٢١٩
المنشية : ٣٩
المنصورة : ١٠٩
المنصورية : ١١٤ ، ١٧١
النيرة - حي : ٢٩٨
الموصل : ٣٥ ، ٧٥
المؤتمر الاسلامي : ٢٩٢
الموسكى : ٢٩٤
الميدان الصالحى : ١٥٨
الميدان الظاهري : ١٥٨
الميدان الناصري : ١٥٩
الناصرية : ١٨٥ ، ٢١٤
النقشبندية : ٢٩٠
النوبة : ٤٠
الهرم الاكبر : ٣١ ، ١٢١ ، ٢٤٠ ، ٣١٧ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧
الهند : ٢١١ ، ٢٢٩

بين القصرين : ١٦٥

(ت)

تبريز : ١٨٠
تحت الربيع : ٣٢٨
تربة الاشرف ابو النصر قايتباي : ١٤٩
تربة الزعفران : ١٦٤
تربة برقوق : ١٤٧
تربة حسن صدقة : ١٤٠
ترعة الاسماعيليه : ٢٥٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥
٣٣٦

ترعة غمرة : ٢٧٤
تركيا : ٢٠٩ - ٢١٣ - ٢٠٨
تشيكوسلوفاكيا : ٣٣٢
تكية الحباية : ٢٥٢
تلال المقطم : ٥٦ - ٢٨٢ - ٢٣٣
تلول زينهم : ٣٨ - ٣٣٦
تمثال ابراهيم باشا : ٢٤١
تمثال الخديوي اسماعيل : ٢٧٣
تمثال رمسيس الثاني : ٢٧٢
تمثال الملك فؤاد : ٢٧٣

(ث)

ثكنات الجيش المصري : ٢٩١
ثكنات قصر النيل : ٢٧٢

(ج)

جامع ابن طولون : ٣٦ - ٣٨ - ٤١ - ٤٨ - ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٦١ - ٦٤ - ٥
٦٩ - ٨٩ - ٩٩ - ١٥٤ - ١٨٥ - ١٩٦
جامع ازبك بن ططخ : ٢٥٤
جامع آق سنقر : ٢٠٨
جامع اولاد عنان « المقس » : ٢١ - ٦
١٠٥ - ٢٢٠
جامع الازهر : ٦١ - ٦٣ - ٦٩ - ٦٩
٩٠ - ٩٥ - ١٢١ - ١٦٣ - ١٩٢ - ١٩٣
٢٠٥ - ٢١٢ - ٢١٣
جامع الاقمر : ٥٧ - ٦٨ - ٩٨ - ١٦
جامع البنهاوي : ٢٢١
جامع الجركسي : ٢٢٠
جامع الجيوشي : ٦٢ - ٦٦ - ٦٩
جامع الحاكم : ٥٥ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤
٦٥ - ١٣٥ - ١٦٣ - ١٦٦ - ٢٤٦
جامع الدخطوطي : ٢٢١
جامع السيدة زينب : ٢٥٢
جامع الامام الشافعي : ١١٦ - ٢٥٤
جامع الصالح طلائع : ٦٩ - ١٢٤
جامع الظاهر بيبرس : ٢١٩ - ٢٥٣
جامع العدوي : ٢٢١
جامع العسكر : ٣٦
جامع الملك الكامل : ٥٧ - ١١٧

باب المزينين : ١٩٤

باب الميدان الكبير : ٣٩

باب النصر : ٥٦ - ٥٧ - ٧٢ - ٧٣ - ٩٦ - ١٠٥ - ١٨٢ - ٢٠٠ - ٢١٤ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٧١

باب الوزير : ١٠٥

باب اليسار : ٣٨

باب تربة الزعفران : ٥٧

باب دغناج : ٣٩

سحاب زويلة : ٥٥ - ٥٦ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٩٩ - ١١٤ - ١٢٤ - ١٤٨ - ١٦٣ - ١٦٥ - ١٦٩ - ١٨٢

باب سام بن نوح : ٧٢

باب سعادة : ٥٦

باب قره ميدان : ١٨٦

باب قصر الشوك : ٥٧

بحر الروم : ٢٨

بحر القلزم (البحر الاحمر) : ٢٨ - ٢٩

بخاري : ٣٧

برج الظفر : ١٠٥

بركة الازبكية : ١٨٦ - ١٨٧ - ١٩٦ - ١٩٧

١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠٦

بركة الحبش : ١٧ - ١٨ - ٦٠

بركة الرطلي : ٢١٥ - ٢٢١

بركة الفيل : ١٨٥ - ١٩٩ - ٢٢٠ - ٢٥٢

بركة بطن البقرة : ٥٨

بركة جناح : ٢٢٠

بركة درب عجور : ٢٢٠

بساتين الخليج : ٢٢٠

بستان البغدادية : ٥٨

بستان خمارويه : ٤٦ - ٥٠

بصري : ١٣٤

بغداد : ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٥ - ٥٣

٧٢ - ٧٧ - ١٣٣ - ١٥٩ - ١٧١ - ١٧٣ - ٢٠٣

بلاد العرب : ٣٤ - ١٩٥

بنك الاهلي : ٢٨٠ - ٣٢٧

بنك الجمهورية : ٢٨٠

بنك العربي : ٢٨٠

بنك مصر : ٢٨٠ - ٣٢٧

بوابة ابو العلا : ٢١٦

بورسعيد : ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٦٢ - ٣٢٢

٣٢٣

بورصة القاهرة : ٣٢٦

بولاق : ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٨٢

١٨٥ - ٢٠١ - ٢١٢ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦

٢٢١ - ٢٤٤ - ٢٤٧ - ٢٩٥

بولاق التكرور : ٢٧٨ - ٣٣٦

بيت الشيخ السادات : ١٩٨

بيت القاضي : ٢٠٠

بيت المقدس : ١٠٠ - ١٠٢ - ١٢١

بيت محمد الكاشف : ٢١٩

بي يوسف : ١٠٨

جمعية محبى الفنون الجميلة : ٢٠٨

(ح)

- حارة البيرقدار : ٢٢٦
حارة الروم : ٧٢ - ١٨٧
حارة المدوية : ١٦٢
حارة القاضي : ٥٧
حارة المغربى : ٢٢٦
حارة اليهود : ٧٢ - ١٨٧
حارة برجوان : ١١٦
حارة بين السيارج : ٧٢
حارة خوش قدم بالفورية : ١٩٥
حارة منج : ١٩٦
حديقة الازبكية : ٢٧٧ - ٢٨٣
حديقة الاورمان : ٢٤٥ - ٢٧٩
حديقة الجزيرة : ٣٣١
حديقة الحيوان (السراى الداخلية) :
٢٤١ - ٢٤٣ - ٢٤٥
حديقة الفردوس : ٢٧٩
حديقة النهر : ٢٧٩
حصن الجزيرة : ٤٦
حصن بابليون : ١٤ - ١٥ - ١٦ - ٢١ -
٣١١
حصن عكا : ١٣٩
حطين : ١٠١
حفائر الاهرام : ٣٠٠
حفائر المعادى : ٣٠٠
حفائر تونا الجبل : ٣٠٠
حلب : ١٠٠ - ١٣٤ - ١٥٠ - ١٧٧ -
١٨١
حلوان : ٣٠ - ٢٦٩ - ٣١٧ - ٣٢٩ - ٣٣٤
حمام خشبية : ١٦٢
حى ابو زعبل : ٣٢٩
حى امبابه : ٣٢٩
حى الازهر : ٣٢٩
حى الاسماعيليه : ٢٤١
حى الترجمان : ٣٢٦
حى التوفيقيه : ٢٤١
حى الجيزة : ٣٢٨
حى الخليفة : ٢٨٨
حى الدرب الاحمر : ٣٢٨
حى الدقى : ٢٨٨ - ٣٣٤
حى الروضة : ٣٢٨ - ٣٣٤
حى الزمالك : ٢٢٨ - ٢٨٨
حى الزهار بيولاى : ٣٣٦
حى السبئية : ٣٢٨
حى السيدة زينب : ٢٧٨ - ٢٨٨
حى العباسية : ٢٨٨ - ٣٠١
حى المعجزة : ٢٨٨ - ٣٣٤
حى الفواله : ٢٨٠ - ٢٨١ - ٣٣٦
حى للقعة : ٣٢٨

- جامع الكازرونى : ٢٢٠
جامع الامام الليثى : ١٢٤
جامع المتوكل بسامرا : ٤٣
جامع المردانى : ١٤٠
جامع المؤيد : ١٤٨ - ١٩٣
جامع السلطان برقوق : ١١٧
جامع جانبلاط : ١٢٠
جامع السلطان حسن : ١٩ - ٣٩ - ١٢٤
١٤٢ - ١٤٨ - ١٥٣ - ١٨٥ - ١٩٠ - ١٩١
٢٢٠
جامع خواند بركة : ٢٢٠
جامع خير بن حديد : ٢٢٠
جامع راشد : ٦٦
جامع سليمان باشا بالقعة : ١٩٠
جامع سنان باشا : ١٩٠ - ١٩٢ - ١٩٣
جامع سنجر الجاولى : ٣٨
جامع الملكة صفية : ١٩٠ - ١٩١
جامع عابدين : ٢٥٥
جامع عبد الرحمن كتخدا : ٢٢١
جامع عثمان كتخدا القزدوغلى : ٢٢٠
جامع سيدى على زين العابدين : ٣٨
جامع عمرو : ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ -
٢٢ - ٢٦ - ٢٨ - ٣٢ - ٣٥ - ٣٦ -
٤٨ - ٦١ - ٦٤ - ٨٨ - ٨٩ - ١١٥ -
١٢٦ - ٢٢٦
جامع السلطان الاشرف قنصوه الفورى :
٢٨
جامع محمد ابو الذهب : ١٩٠ - ١٩٢ -
٢٠٦
جامع محمد على : ١٠٧ - ١٩٠
جامعة الدول العربية : ٢٩٢
جامعة القاهرة : ٢٩٧
جامعة عين شمس : ٣٠١
جبانة السيدة نفيسة : ٣٣٥
جبانة باب النصر : ٣٣٥
جبل المقطم : ١٤ - ٣٩ - ٦٦ - ١٠٦ -
٢١٢ - ٢٣٢
جبل يشكر : ٣٦ - ٣٩ -
جزيرة الروضة : ٢١ - ٤٧ - ١٢٦ -
٢١٩
جزيرة النيل : ١٢٩ - ١٣١ - ١٣٢
جسر شبرا : ٢٢٨
جمعية اوراق البردى : ٣٠٦
جمعية الانار القبطية بشارع والده باشا :
٣٠٥
جمعية الانار المصرية بشارع الالفى : ٣٠٥
جمعية الاقتصاد السياسى والاحصاء
والتشريع : ٣٠٦
جمعية الدراسات التاريخية : ٣٠٧
جمعية الصيدلة المصرية : ٣٠٦
جمعية المكتبات المصرية بقصر الدوبارة : ٣٠٥
جمعية المهندسين المصرية : ٣٠٧
جمعية علم الحشرات : ٣٠٦

خطه غافق : ١٩
خطه غنب : ١٩
خطه لخم : ١٩ - ٢٠
خطه مذحج : ١٩
خطه مرأ : ٢٠
خطه مهرة : ١٩ - ٢٠
خطه نافع : ٢٠
خطه وعلان : ٢٠
خطه يحصب : ١٩
خليج أمير المؤمنين : ٢٨ - ٢٩

(د)

دار الانماط (دار الحصر) : ٩٩
دار الاوبرا : ٢٤١ : ٢٤٧
دار الحديث الكاملة : ١١٧
دار الضرب : ١٠٧ - ٢٣٢
دار الكتب المصرية : ٢٠٩ - ٢٤٥ - ٣٠٨
دار المحفوظات : ١٠٧ - ٢٣٢
دار الملك : ٩٩
دار سعيد السعداء : ١٦٣
دار سوقة اللالا : ٢٣١
دار عبد الله بن عمرو : ٢٦
دار عمرو : ٢٦
درب الجمايز : ٢٢١
درب الحمام : ٢٢٠
درب الرشيدى : ١٦٣
درب السماكين : ٢٢٠
درب الصفا : ٩٩
درب الطبلوى : ١٩٦
درب القزازين : ٥٧
درب المحروق : ١٥٠
درب بطوط : ٥٥
درب سعادة : ٢٢١
دمشق : ٣٠ - ٣٥ - ٧٥ - ١٠٢ -
١١٧ - ١٢١ - ١٢٤ - ١٣٦ - ١٥٧ - ٧٧
١٨١ - ١٨٤ - ٢٦٥
دمياط : ١٠٩ - ٢٠٨
ديار بكر : ١٨٠
دير العظام : ٥٤
ديوان الغورى : ٢٣١
ديوان الكتخدا : ٢٣٢
ديوان المعارف : ٣١٣
ديوان الهندسة : ٢٤٤
ديوان مديرية الجيزة : ٢٤٥

(ر)

رابطة التربية الحديثة بميدان التحرير
٣٠٥
رابطة المقطم : ١٠٣
رأس الرجاء الصالح : ١٥١
رأس الصوة : ٢٢٠
روض الفرج : ٢١ - ١٣٠ - ١٣١

حي النيل : ٢٢٤
حي الموسيقى : ٢٢٨
حي النحاسين : ٢٢٨
حي بولاق : ٢٢٨ - ٢٢٨
حي بولاق الدكرور : ٢٢٩
حي درب البرابرة : ٢٢٩
حي روض الفرج : ٢٢٨ - ٢٢٣
حي شبرا : ٢٢٨ - ٢٢٣
حي شبرا الخيمة : ٢٢٩
حي طره : ٢٢٨ - ٢٢٤
حي عابدين : ٢٤١ - ٢٨٨ - ٢٢٨ - ٢٢٦

حي عرب اليسار : ٢٢٦
حي مصر القديمة : ٢٨٨ - ٢٢٨
حي معروف : ٢٢٨

(خ)

خان الخليلي : ١٦٤ - ٢٢٨
خان النشارين : ١٦٣
خانقاه بيبرس الجاشنكير : ١٤٠
خان مسرور : ١٦٢
خان منكورش : ١٦٣
خراسان : ٤٥
خزانة الدرق : ١٦٢
خطه الحسينية : ٢٠
خطه الحمراءوات : ١٩
خطه السلف : ١٩
خطه السيدة نفيسة : ٢٠
خطه الصدف : ١٩
خطه الفارسيين : ٢٠
خطه القبض : ١٩
خطه الكلاع : ٢٠
خطه الليف : ٢٠
خطه المعافر : ١٩
خطه المغربلين : ٢٠
خطه أهل السراية : ٢٠
خطه أهل الراية : ٢٠
خطه بلى : ١٩
خطه بنى بحر : ١٩
خطه بنى غطيف : ١٩
خطه بنى وائل : ١٩
خطه بنى وعلان : ١٩
خطه بجيب : ١٩ ، ٢٠
خطه ثقيف : ١٩
خطه جذام : ١٩
خطه حضرموت : ١٩
خطه خزاعة : ٢٠
خطه خولان : ١٩
خطه راشد : ١٩
خطه رعين : ٢٠
خطه سبا : ١٩
خطه سلامان : ١٩

سوق الخضار بروض الفرع : ٢٢٥

» الخضار بروض الفرع : ٢٢٥

» الحلقين : ١٦٩

» الدجاجين : ١٦٦

» السلاح : ١٦٧ - ٢١٤ - ٢٢٨

» السمك : ٢٧٢

» الشرايين : ١٦٨

» الشرايين : ١٦٩

» الشعاعين : ١٦٦

» الصناديقين : ١٦٩

» الطباخين : ٤٠

» العتبة : ٣٢٤ - ٣٢٥

» العيارين : ٤٠

» الغرابلين : ١٦٩

» القامين : ٤٠

» الغرايين : ١٦٩

» القفصيات : ١٦٧

» الكتبيين : ١٦٩

» الكفتين : ١٧٠ - ١٧٥

» اللجينين : ١٦٨

» الحاييرين : ١٦٩

» المدبولي : ٣٢٥

» المرحلين : ١٦٦

» المهاجرين : ١٦٧

» النحاسين : ١٠٧

» باب الزهومة : ١٦٧

» باب الفتوح : ١٦٦

» بين القصرين : ١٦٧

» خان الرواسين : ١٦٦

» حارة برجوان : ١٦٦

» سوهاج : ٢١٨

» سويقة امير الجيوش : ١١٦ - ١٦٦ -

١٦٩

» سيالة الروضة : ٢١ - ٢٢

(ش)

» شارع ابن الحكم : ٢٧٩

» شارع السلطان احمد : ٢٢٠

» شارع سيدى اسماعيل الامياي : ٢٧٩

» شارع الازهر : ٢٥٣ - ٢٨٣

» شارع البستان : ٢٧٣

» شارع البلاصة : ٢٢٦

» شارع البواكي : ٣٢٣

» شارع التحرير (الخديو اسماعيل) : ٢٧٨ -

٢٧٩ - ٢٩١

» شارع الترعة البولاقية : ٢٧٥ - ٢٨٢

» شارع الجامعة بالجيزة : ٢٨٥

» شارع الجيزة : ٢٤٤

» شارع الحسينية : ٢٤٠

» شارع الخليج : ٥٨ - ١٠٥ - ٢٥٢ -

٢٧٤ - ٢٧٧ - ٢٧٨

٢٦٩ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٩٥ - ٣٢٤

(ز)

زاوية الرفاعي : ٢٥٥

زاوية العميان : ١٩٣

زاوية فرع بن برقوق : ٦٩

زين العابدين : ٣٨

(س)

ساحل اثر النبي : ٢١ - ٣٢٤

ساحل الجيزة : ٣٢٤

ساحل روض الفرع : ٣٢٤

ساحل شبرا : ٣٢٤

ساحل غمرة : ٣٢٤

سامرا : ٣٤ - ٥١

سبيل السلحدار : ٢٣٣

سبيل العقادين (بحارة الروم) : ٧٢ -

٢٣٣

سبيل النحاسين : ٢٣٣

سبيل أم عباس بالصليبة : ٢٣٤

سبيل أم محمد على الصغير « سبيل اولاد

عنان » : ٢٣٤

سبيل خسرو باشا : ١١٨

سبيل والده مصطفى فاضل باشا : ٢٣٣

سراى الالفى : ٢١٥ - ٢٣٥

سراى الجوهرة « الكشك » : ١٠٧ -

٢٣١ - ٢٣٢

سراى الجيزة : ٢٤٥ - ٣١٢

سراى الرمل : ٢٤٢

سراى الزعفران بالعباسية : ٣٠١

سراى العدل : ١٠٧

سراى القلعة : ٢٤٢

سراى المسافرخانه : ١٩٦

سراى المنسترلي بالروضة : ٢٩٢

سراى بشتاك : ١٤٠

سراى درب الجماميز : ٢٥٢

سراى الامير السابق طوسن باشا : ٢٢٨

سراى منصور باشا : ٢٥٢

سكة البادستان بخان الخليلي : ٥٧

» مرجوش : ٢٥٣

سور صلاح الدين : ٧٣

سوريا : ١٠٦ - ٢١٢

سوق الاخفافين : ١٧٠

» الجمالون الصغير : ١٦٩

» الجمالية : ٢٧٨

» الجوخين : ١٦٨

» الحريريين : ١٦٩

» الحلاويين : ١٦٩

» الخراطين : ١٦٩

» الخضار بأثر النبي : ٣٢٥

شارع ماسبيرو بالقاهرة : ٢٩٠
شارع الامير محمد على بالمنيل : ٢٨٥
شارع مصر الجديدة : ٣٢٧
شارع مصطفى كامل (الشيخ عبد الله سابقا) :
٢٢٦

شارع مهمشة : ٢٢٦
شارع نهضة مصر (الملكة) : ٢٧٦ - ٢٢٣
شارع نوبار : ٢٩٠
شبرا : ١٣٠ - ١٣١ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٩٥
شبرا الخيمة : ٢٢٨ - ٢٢٣ - ٢٣٦
شبراخيت : ٢١٢
شركة القناة : ٢٦٠
شركة ترام القاهرة : ٢٥٣ - ٢٧٧
شركة فيف ليل : ٢٤٢
شركة مياه القاهرة : ٢٤٣
شمال افريقيا : ٥٣

(ص)

صالة البلياردو : ٢٣٠
صالة الجوز : ٢٣٠
صحراء الريمانية : ١٤٥
صحراء العباسية : ٢٢٣
صور : ١٠٢

(ض)

ضاحية العباسية : ٢٢٣
القبه : ٢٢٣
الطرية : ٢٢٣
المعادي : ٢٨٦
حدائق القبة : ٢٢٣
ضاحية حلوان الحمامات : ٢٤٣ - ٢٨٦
ضاحية عين شمس : ٢٥٢ - ٢٢٣
مصر الجديدة : ٢٢٣
هليوبوليس : ٢٥٢

(ط)

طرابلس : ١٤٨
طرسوس : ١٥٠
طريق السيالة بالروضة : ٢٧٩
طريق الكورنيش : ٢٧٥ - ٢٨٦
طريق المعاهدة : ٢٧٥ - ٢٧٩
طريق النزهة : ٢٧٩
طريق ترعة غمرة المردومة : ٢٧٤
طريق فم الخليج : ٢٨٠
طريق كورنيش النيل بالمنيل : ٢٨٥
طوس : ٨٢
طولون : ٢١١

شارع الداودية : ١٩١
شارب الدرب الاحمر : ٦٩
شارع الدقي : ٢٤٣ - ٢٧٩
شارع السد البراني : ٢٢٦ - ٢٧٨
شارع السيدة عائشة : ٢٨٠
شارع الشريفين : ٣١٨ - ٢٢٦
شارع الشيخ ربحان : ٢٩٠
شارع الغورية : ١٥١ - ٢٢٢ - ٢٢٣
شارع الفجالة : ٢٤٠
شارع القصبة (قصبة القاهرة) : ١٦٥ -
٢٢٤
شارع القصر العيني : ٢٨٠ - ٢٨٥ - ٢٩٠
شارع القلمسة (محمد علي) : ٢٣١ -
٢٥٢ - ٢٤٠
شارع المتديان : ٢٩٠
شارع المعز لدين الله الفاطمي : ١٦٥ - ٢٢٢
شارع الموسكى : ١٨٧ - ٢٢٣ - ٢٢٧
شارع النحاسين : ٦٨
شارع النيل بامبابية : ٢٧٩
شارع النيل (فاروق الاول) : ٢٤٤ - ٢٨٥
شارع الهرم : ٣٣٤
شارع بنى الاوراق (جنيحة لاط) : ٢٢٦
شارع بيت القاضي : ١٢٣
شارع بين الصورين : ٢٧٨ - ٢٢٣
شارع بين القصرين : ٥٧ - ١١٨ - ١٢٣
١٢٧ - ١٤٠ - ١٤٦ - ١٦٧
شارع ثروت : ٢٤٤
شارع جامع عابدين : ٢٥٦
شارع جنان الزهرى : ٢٢٦
شارع حبس الرحبة بالجمالية : ٥٧
شارع سيدى حسن الانور : ٢٢٦
شارع دوبريه : ٢٧٩
شارع رشدى : ٢٨٠
شارع روض الفرج : ٢٢٨ - ٢٢٧
شارع سليمان باشا : ٢٢٧
شارع شبرا : ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٧٥
شارع طلعت حرب : ٢٢٧
شارع عابدين (الجمهورية) : ٢٤١ - ٢٧٩
٢٢٣ -
شارع عبد العزيز : ٢٤١
شارع عدلى : ٢٢٣
شارع عماد الدين : ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٧٦ -
٢٨٠ - ٢٢٣
شارع غمرة : ٢٢٦
شارع فاروق : ٢٥٣
شارع فؤاد الاول (٢٦ يولية) : ٢٢٦ -
٢٤٤ - ٢٥٣ - ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٢٣
شارع قصر الشوك : ٥٧
شارع قصر النيل : ٢٨٠ - ٢٢٣ - ٢٢٧
شارع كلوت بك : ٢٤٠
شارع ماري جرجس : ٢٢٦

قصر ابن طولون : ٢٩
 قصر احمد الشرايبي : ١٨٦ - ١٩٧
 قصر اسماعيل بالجزيرة : ٢٤٧
 قصر الازبكية : ٢٣١
 قصر الاسماعيليه : ٢٤٢
 قصر البحر : ٥٨
 قصر الجزيرة : ٢٤٢
 قصر الجيزة : ٢٤٢
 قصر الحرم : ٢٣٢
 قصر الحامية الجديدة : ٢٣١
 قصر الخرنفش : ٢٣١
 قصر الدوبارة : ٢٦٩
 قصر الذهب : ٥٠
 قصر الزعفران : ٢٤٢
 قصر الزمرد : ٥٧ - ١٣٦
 قصر الشمع : ٢٠ - ٢١
 قصر الشوك : ٥٤ - ٥٧ - ٩٤
 قصر الضيافة : ٢٩٢
 قصر القبة : ٢٣١ - ٢٤٢ - ٢٨٩
 قصر الولوة : ٦٠
 قصر الوزير المأمون البطاحي : ١١٦
 قصر المانسترلي : ٢٧٩
 قصر النيل : ٣١٧
 قصر النزهة : ٢٢٨
 قصر بشناك : ١٦٥
 قصر بولاق التكرور : ٢٤٢
 قصر جزيرة الروضة والمقياس (قصر الغارة
 والقصر العالي) : ٢٣١
 قصر حلوان : ٢٤٢
 قصر رضوان بك الجلفي : ١٨٦
 قصر الاميرة زينب بنت محمد علي (فندق
 شبرد) : ٢٣٥
 قصر شبرا الخيمة : ٢٤٢
 قصر عابدين : ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٥٦
 قصر محمد بك الالفي : ١٨٦ - ١٩٧
 قصر محمد علي : ٢٧٩
 قصر مصطفى فاضل باشا : ٢٤٦
 قلزم : ٢٩
 قلعة الجبل (صلاح الدين) : ١٧ - ٢٨ -
 ٣٩ - ١٢٢ - ٢١٩
 قلعة الروضة : ١٢٦
 قلعة الصالح نجم الدين : ١٣٧
 قلعة الكيش : ٣٨
 قلعة المقس : ٥٩
 قناة السويس : ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٨ -
 ٢٤٠ - ٢٤١ - ٢٤٧ - ٢٥٩ - ٢٢٠
 قناطر ابو النجا : ١٣٤
 قناطر السباع : ١٧ - ٢٦ - ١٢٤ - ٢١٤ -
 ٢٢١ -
 قناطر المجري (الميون) : ٣٦
 قنطرة الخرق : ١٥٨
 قنطرة الدكة : ٦١ - ٢٢٠
 قنطرة السد : ١٧

(ع)

عابدين : ٢٩٥
 عزبة الحوتية : ٢٤٤ - ٢٣٦
 عزبة الخمايسة : ٢٢٧
 عزبة الصفيح بالعباسية : ٢٣٦
 عزبة النيل القديم : ٢٨٥
 مقلان : ٦٩
 عطفة القرازين : ٥٧ - ١١٣
 عطفة عبد الله بك : ٢٣١
 عكا : ١٢١ - ٢١٣
 عين شمس : ٢١٥ - ٢١٧ - ٢٣٦
 مزارات شبرد : ٢٨٩
 عمارة التأمين بميدان لاطوغلي : ٢٩١
 عمارة الرفاعي : ٢٩٠

(غ)

غزة : ٣١ - ٢١٣
 غزوة الطائف : ١٥
 غمرة : ٢٧٢ - ٢٧٧ - ٢٣٦

(ف)

فس : ١٢١
 فرنسا : ٢١١ - ٢١٢ - ٢٦٠ - ٢٦١
 فلسطين : ٢٥٩
 قم الخليج : ٢٩ - ٢٥٢
 قم توعة الاسماعيليه : ٢٢٧ - ٢٢٨
 فندق بلال المغني : ١٦٢
 فندق دار التفاح : ١٦٣
 فندق سميراميس : ٢٣٦
 فندق شبرد (الفندق الجديد) : ٢٣٥ -
 ٢٣٦

(ق)

قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة :
 ٢٩٨
 قانوب : ٢١٧
 قبة السلطان الغوري : ٢٠٨
 قبة الهواء : ٣٩ - ١٠٦
 قبر الامام الحسين : ١٢٣
 قبر الامام الشافعي : ١١٦ - ١٢٣ - ١٢٤
 قبر الملكة شمس : ١٢٣
 قرافة الجاورين : ٢٢٠
 قرطبة الاندلسية : ٥٤ - ١٢١
 قره ميدان : ٣٩
 قرية شبرا الخيمة : ٢٢٨
 قشلاق قصر النيل : ٢٣٠
 قصبة رضوان : ٦٩
 قصر ابراهيم : ١٨٥ - ٢١٩

- متحف الآثار الإسلامية بكلية الآداب : ٣١١
 » البريد بالعتبة : ٣١٥
 » التعليم : ٣١٣
 » الثقافة العربية بجامعة الدول العربية :
 ٣١٣
 » الحربى : ٣١٤
 » الحضارة المصرية بالعرض : ٣١٤
 » الحيوان بحديقة الحيوان : ٣٦٣
 » الرى بالقناطر : ٣١٣
 » الزراعى بالدقى : ٢٤٤ - ٣١٥ - ٣٣٠
 » السكة الحديد : ٣١٥
 » الفن الحديث : ٣١٥
 » القاهرة الصحى : ٣١٤
 » القطن : ٣١٤ - ٣٣٠
 » بولاق : ٢٤٧ - ٣١٢
 » بيت الامة : ٣١٢
 » جايراندرسون : ٣١١
 » طبقات الارض بالاشغال : ٣١٣
 » القصر الجمهورى : ٣١٦
 » » الجوهرة : ٣١٦
 » مصطفى كامل : ٣١٨
 » مصلحة السياحة : ٣١٦
 » منيل الروضة : ٣١٧
 » وزارة التجارة : ٣٣٠
 » مجلس الامة : ٢٦٤
 » مجمع اللغة العربية : ٣٠٧
 » محاجر بنى سويف : ٢٣٤
 » محراب السيدة رقية : ١٢٤
 » محطة الاذاعة المصرية : ٢٦١ - ٣١٨ - ٣١٩
 » شبرا : ٢٧٤ - ٢٧٥
 » مدرسة الاورمان النموذجية : ٢٤٥
 » » الخديوية الثانوية القديمة : ٢٤٦
 » السلحدار الابتدائية : ٦٦
 » » السنية : ٢٣٩
 » » السيوفية : ١١٦
 » » الشافعية : ١١٧
 » » الظاهر بيبس : ١٦٧
 » » المالكية : ١١٧
 » » السلطان حسن : ١٧٦ - ٢٥٥
 » » دار العلوم : ٢٣٩
 » مدينة الاوقاف بالدقى : ٢٧٩ - ٢٣٦
 » » العمال بامبابه : ٢٧٩ - ٢٣٦
 » مراسينا : ٣٦
 » مرج دابق « موقعة » : ١٨١ - ١٨٤
 » مرسيليا : ٢١١
 » مستشفى قصر العينى : ٢٦٩
 » » المنيل الجديد : ٢٨٥
 » » قلاوون : ٥٨ - ٨٦ - ١٣٦ - ٢٧١
 » مسجد ابن طولون : ٣٢
 » » السلطان ابو العلا : ٢٥٤
 » » البردبنى : ١٩١
 » » الجاولى : ٣٦
 » » الدقى : ٢٨٨

- قنطرة السيدة زينب : ١٣٤
 قنطرة امبابه : ٢٢٠
 قيسارية البر : ٢٨
 قيسارية الحبال : ٢٨
 قيسارية العسل : ٢٨
 قيسارية الكباش : ٢٨

(ك)

- كتامة : ١٩٤
 كردستان : ١٨٠
 كلية الآداب : ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٠٠
 كلية الآداب بشبرا : ٣٠١
 كلية التجارة : ٢٩٨
 كلية التجارة بالمنيرة : ٣٠١
 كلية الحقوق : ٢٩٨ - ٢٩٩
 كلية الزراعة : ٢٤٣ - ٢٩٨
 كلية الزراعة بمسطرد : ٣٠١
 » الصيدلة : ٢٩٨
 » الطب البشرى : ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٢٩٩
 » الطب البيطرى : ٢٩٨
 » الطب بالدمرداش : ٣٠١
 » الطيران بمدينة بلبس : ٢٩٢
 » العلوم : ٢٩٨ - ٢٩٩
 » الفنون التطبيقية بالاورمان : ٣٠١
 » » الجميلة بالزمالك : ٣٠١
 » المعلمين العليا بمنشية البكرى : ٣٠١
 » الهندسة : ٢٤٣ - ٢٩٨
 » دار العلوم : ٢٩٨
 » طب الاسنان : ٢٩٨
 » كنيسة آياصوفيا : ١٩٠
 » الارمن : ٢٥٣
 » الاقباط : ٢٥٣
 » السريان : ٢٥٣
 » اللاتين : ٢٥٣
 » » المعلقة بمصر القديمة : ٢١ - ٢٢٦
 » كوبرى ابو العلا : ٢٧٤ - ٢٧٩
 » كوبرى البحر الاعمى (كوبرى الانجليز -
 الجلاء) : ٢٤٢ - ٢٩١
 » كوبرى التحرير : ٢٩١
 » الجامعة : ٢٨٤
 » » قصر النيل : ٢٤٢ - ٢٧٤ - ٢٧٩
 » » مسطرد : ٢٧٥ - ٢٧٩
 » كورنيش اثر النبى - المعادى : ٢٦٩
 » كورنيش النيل : ٢٦٨
 » كورنيش فلوريدا : ٢٧٠
 » كورنيش مرسليا : ٢٧٠
 » كوم الجارج : ١٧
 » كيمان زينهم : ٢٨١

(م)

- ماوراء النهر : ٢٧

- (منزل الجردلية) : ١٩٦
 منظره التاج : ٦١
 « الجامع الأزهر : ٦٠
 » الدكة : ٦٠
 » السكر : ٦٠ - ٦٥
 » الفزالة : ٦٠
 » اللؤلؤة : ٦٠
 » المقس : ٢٦١
 » باب الفتوح : ٢٦١
 » بركة الحبش : ٢٦١
 منشأة القاضي الفاضل : ١٣٠
 » ابن ثعلب : ١٣٠
 « الكتبة : ١٣٠
 منية السرج : ١٢٢ - ٢٢٧
 ميدان أبي العلاء : ٢٧١
 » أبي بكر الصديق : ٢٧١
 » أحمد ماهر : ٢٧١ - ٢٧٧ - ٢٠٨
 » الحيزة : ٢٧١
 » الخازندار : ٢٧١
 » الأزهر : ١٩٢ - ٢٥٣
 » الأزهار : ٢٧١ - ٢٩١ - ٢٩٢
 » الأزيكية : ١٨٦
 » الأوبرا : ٢٤١ - ٢٧١
 » الرميطة : ١٨٦ - ٢٤١
 » الريدانية : ١٨٢
 » العباسية : ٢٧١
 » العتبة : ٢٧١ - ٢٧٧ - ٢٨٩ - ٢٢٣
 » السيدة زينب : ٢٧١ - ٢٨٠
 » بركة الفيل : ١٨٦
 » صلاح الدين : ١١٨ - ١٩٠ - ٢٣٢ -
 ٢٤٣ - ٢٤٥ - ٢٧١
 » عابدين : ٢٧٣ - ٢٩٠
 » قره ميدان : ١٨٦
 » محطة مصر : ١٠٥ - ٢٢٧ - ٢٧١

(ن)

- نفق السبئية : ٢٧٤
 نفق العباسية : ٢٧٩

(هـ)

- هضبة الإبرام : ٢٨٢ - ٢٨٣
 » الزهراء : ٢٨٢ - ٢٨٣
 هضبة القلعة : ٢٨٢ - ٢٨٣
 » المقطم : ٣٣٦
 هندسة السكة الحديد : ٢٧٢

(و)

- وادي الفرات : ٢٩
 وادي النيل : ١٨١

- مسجد الرفاعي : ٢٥٥
 » الروضة : ٢٨٨
 » الزمالك : ٢٨٨
 » الظافر الفاطمي (القكهاني) : ١٩٣
 » الفوري : ١٥٠ - ١٥١
 » الفتح : ٢٥٦
 » الماس : ١٨٥
 » المحمودية : ١٨٥ - ١٩٠
 » شارع النزهة : ٢٨٨
 » برقوق : ١٤٦ - ١٧٦
 » سليمان باشا : ٢٥٧
 » السلطان شعبان : ١٧٤
 » عمر بن الغارضي : ١٢٠
 » السيد عمر مكرم بميدان التحرير :
 ٢٨٨

- » محمد علي بالقلمة : ٢٣٤
 مشهد الحسين : ٣٨ - ١١٣ - ٢٠٠
 » أم كلثوم : ٢٩٩
 » زين العابدين : ٩٩
 » السيدة نفيسة : ٩٩ - ١٢٨ - ١٦٥
 مصر الجديدة : ٢٦١ - ٢٧٥ - ٢٧٩
 » القديسة : ٢١ - ٢٢ - ٢٩ -
 ١٨٥ - ٢٢١ - ٢٢٧ - ٢٩٦
 مصطبة فرعون : ٣٦
 مصلحة الآثار المصرية : ٧٣
 مصلحة الاستعلامات : ٣١٩
 مصلحة التجارة : ٣٢٤
 » السياحة : ٣٢٠
 » المساحة : ٢٤٥
 مطبعة دار الكتب : ٣٢١
 مطار القاهرة الدولي : ٢٧٩
 معهد التربية بالمعلمين بالنيرة : ٣٠١
 » التربية للمعلمين بالزمالك : ٣٠١
 » الصحراء : ٣٠٨
 » الموسيقى العربية : ٣٠٨
 معرض الغرفة التجارية : ٣٣٠
 مقياس النيل : ٤٧
 مكتبة التحرير : ٣٠٩
 » الجامع الأزهر : ٣١٠
 » جامعة القاهرة : ٣٠٩
 » جامعة عين شمس : ٣١٠
 » كلية الفنون التطبيقية : ٣١٠
 » » » الجميلة : ٣١٠
 » معهد التربية للمعلمين : ٣١٠
 » وزارة التربية والتعليم : ٣٠٩
 منارة الاسكندرية : ١٢١
 منزل آمنه بنت سالم : ١٩٦
 » ابراهيم كتخدا السناري : ١٩٦
 » جمال الدين الذهبي : ١٩٥
 » وضوان بك الجلفي : ١٩٦ - ١٩٧
 » الشيخ عبد الوهاب الطيلاوي (بيت
 السحيمي) : ١٩٥
 » الحاج محمد بن الحاج سالم الجزائر

- وزارة الارشاد القومى : ٢٩١ - ٣٢٠
- الاوقاف : ٦٦ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩١
- الاشغال : ٢٩٠ - ٢٩١
- التجارة : ٢٩٠ - ٣١٣ - ٣٢٥
- الخارجية : ٢٩١
- التربية والتعليم : ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٩٠ - ٣٠١
- التموين : ٢٩١ - ٣٠٧ - ٣١١ - ٣٣٢
- الداخلية : ٢٩٠
- الزراعة : ٢٤٤ - ٢٩١
- وزارة الشؤون البلدية والقروية : ٢٩١
- الشؤون الاجتماعية : ٣١٦ - ٣٢١
- الصحة : ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩١ - ٣١٤
- المدل : ٢٩٠
- المالية والخزانة : ٣٢٧
- المواصلات : ٢٩٠
- وكالة القطن : ٥٧
- باب الجوانية : ١٦٣
- سالم وسعيد بازرة : ٥٧
- قوصون : ١٦٣ - ١٦٤

ملتزم التوزيع
مؤسسة المطبوعات الحديثة

